نهج البلاغة

وبهامشه

الفلاسفة المنتخبة من نهج البلاغة

دار نشر مكتبة محمد مطبعة السعادة

Princeton University Library
32101 047142458

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

M. Tustari

منهج الصباغة

في

شرح نهج البلاغة

تأليف

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري

دام ظله

(الجزء الثاني عشر)

من منشورات مكتبة الصدر

طهران شارع ناصر خسرو

(RECAP)
2264
.1067
.955
.2
juz' 12

الطبعة الاولى

مطبعة مهر – قم
١٣٩٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل العاشر

(فى علمه عليه السلام وفى صفحه ومكارم اخلاقه)

ومر فى ١٧/ ٨/ قوله عليه السلام « بل اندمجت علىّ مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية فى الطوى البعيدة» .

١/١٤٧/١/ ومن كلامه عليه السلام لكميل بن زياد النخعى. قال كميل بن زياد : أخذ بيدى امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام فأخرجنى الى الجبان ، فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال : ياكميل بن زياد ، ان هذه القلوب أو عية فخيرها او عاها فاحفظ عنى ما أقول لك ، الناس ثلاثة : فعالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق . ياكميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال

تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق ، وصنيع المال يزول بزواله .

ياكميل بن زياد معرفة العلم دين يدان به ، به يكسب الانسان الطاعة فى حياته ، وجميل الاحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

ياكميل هلك خزان الاموال وهم احياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة ، هـا ان ههنا لعلماً جماً ـ واشار بيده الى صدره ـ لواصبت لهحملة، بلى أصبت لقناً غير مأمون عليه ، مستعملاآلة الدين للدنيا ، ومستظهراً بنعم الله على عباده، وبحججه على أوليائه ، أو منقاداً لحملة الحق ، لابصيرة له فى احنائـه ، ينقدح الشك فى قلبه لاول عارض من شبهة ، ألا لاذا ولاذاك او منهوماً باللذة ، سلس القياد للشهوة ، أو مغرماً بالجمع والادخار ، ليسا من رعاة الدين فى شيء ، أقرب شيء بهما الانعام السائمة ،كذلك يموت العلم بموت حامليه .

اقول : مرفى الامامة العـامة فى عنوان ذيله « اللهم بلى لاتخلـو الارض من حجة » ـالخ ، انه روى كلامه عليه السلام هذا ابو هلال وابن عبدربهوسبط ابن الجوزى من العامة وابن بابويه والمفيد وابن ابى شعبة من الخاصة ويأتى رواية الجاحظ لهايضاً .

قول المصنف (ومن كلامه عليه السلام) هكذا فى المصرية ، وفى « حد » و « ثم » « ومن كلام له عليه السلام » وفى الخطية «كلامه عليه السلام » .

(لكميل بن زياد النخعى) روى الطبرى فى ذيله ان الحجاج قال للعريان : أليس كميل قد خرج علينا فى الجماجم ثم جاء كميل يأخذ عطاءه فقال له: أنت الذى فعلت بعثمان ـ وكلمه بشيء ـ فقال : لاتكثر علـّى اللوم ولاتهـل علـّى الكثيب ، وما ذاك رجل لطمنى فأصبـرنى فعفوت عنه ، فأينا كان المسيء فـأمر بضرب عنقه .

وروى ارشاد المفيد ان كميلا قال للحجاج: لقداخبرنى امير المؤمنين عليه السلام انك قاتلى . فقال له الحجاج : كنت فيمن قتل عثمان اضربوا عنقه .

(قال كميل بن زياد اخذبيدى امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام) هذا دليل على كون كميل من اصحاب اسراره وكان من ثقاته.

ففى خبر رسائل الكلينى المتضمن لشكايته عليه السلام عن الثلاثة لماسألوه عنهم بعدغلبة معاوية على مصر أنه قال لعبيد الله بن ابى رافع كاتبه : أدخل علي عشرة من ثقاتى ـ وعد كميلا فى العشرة هذا ، وليس فى ثم « على بن ابى طالب » .

(فأخر جنى الى الجبّان) بالتشديدای الصحراء (فلما اصحر) ای حصل فى الصحراء (تنفس الصعداء) الصعداء مفعول مطلق ، أى النفسة الصعداء ، وتأتى غير مفعول ايضاً ، قال الهذلى :

وان سيادة الاقوام فاعلم لهـا صعداء مطلعها طويل

وقال البحترى :

وصعـداء انفـاس اذا ذكر الفراق اقمن عوج الاضلع

وتأتى بمعنى آخر ، قال ذو الرمة :

قطعت بنهـاض الـى صعدائه اذا شمّرت عن ساق خمس ذلاذله

(ثم قال يا كميل بن زياد) ليس «بن زياد» فى ثم بل فى حد (ان هذه القلوب اوعية) ای ظروف (فخيرها أوعاها) ای اكثرها ظرفية .

هذا وقال المصنف فى مجازاته النبوية: (ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله «القلوب أوعية بعضها أوعى من بعض» ، وهذه استعارة والمراد تشبيه القلوب بالاوعية وهى الظروف والعياب التى تحرز فيها الامتعة وغيرها من الاشياء المحفوظة، وهى كالانية لايداع الاشياء المائعة، الأأن الاوعية تختص بالجامدات، فالقلب من حيث حفظ ووعى كالوعاء من حيث جمع وأوعى . وربمانسب هذا الكلام الى

امير المؤمنين عليه السلام على خلاف فى لفظه، وقدذكرناه فى جملة كلامه عليه السلام لكميل فى كتاب نهج البلاغة .

قلت : نسبته اليه عليه السلام متواترة ، فرواه من عرفت وغيرهم مع أنه لامنافاة له فى كون الاصل فيه النبى صلى الله عليه وآله .

وكيف كان: ففى الكافى عن اسحق بن عمار قلت لابى عبدالله عليه السلام: الرجل آتيه واكلمه ببعض كلامى فيعرفه كله ، ومنهم من آتيه فأكلمه بالكلام فيستوفى كلامى كله ثم يرده علي ّ كما كلمته، ومنهم من آتيه فأكلمه فيقول أعد علي. فقال : يااسحق أوما تدري لم هذا ؟ قال : لا. قال : الذى كلمته ببعض كلامك فيعرفه كلـه فذلك من عجنت نطفته بعقله ، وأما الذى تكلمه فيستوفى كلامك ثم يجيبك على كلامك فذاك الذى ركّب عقله فيه فى بطن أمه ، وأما الذى تكلمه فيقول اعد علي ّ فذاك الذى ركّب عقله فيه بعد ماكبر .

(فاحفظ عني ماقول لك) قدم عليه السلام امره بحفظ مقاله دلالة على أهمية المطلب .

(النـاس ثلاثة فعالم ربّاني) أى المتأله العارف بالله تعالى ، قال تعالى «ماكان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربّانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون».

(ومتعلم على سبيل نجاة) فى الكافى عن النبى صلى الله عليه وآله : لاخير فى العيش الا لرجلين : عالم مطاع ، أو مستمع واع .

وعن الصادق عليه السلام قال لابى حمزة : اغد عالماً او متعلماً او أحبّ اهل العلم ، ولاتكن رابعاً فتهلك ببغضهم .

وعنه عليه السلام : العلم خزائن والمفاتيح السؤال ، فاسألوا فانه يوجر فى العلم اربعة : السائل ، والمتكلم ، والمستمع ، والمحب لهم .

(وهمج) فى جمهرة ابن دريد : الهمج من النـاس الذين لانظام لهـم ولاعقول، قال ابن حلزة :

يترك مارقح من عيشه يعيث فيه همج هامج

وبه سمّى البق الهمج . وفى الصحاح: الهمج ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها .

(رعاع) قال الجوهرى : أى احداث طغام .

فى الكافى عن الصادق عليه السلام : ان الناس آلوا بعدالنبى صلى اللهعليه وآله الى ثلاثة : عالم على هدى من الله قد اغناه الله بمـا علم عن علم غيره ، وجاهل مّدع للعلم لاعلم له معجب بما عنده قد فتنتهالدنيا وفتن غيره، ومتعلم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة ثم هلك من ادعى وخاب من افترى .

وعنه عليه السلام : يغدو الناس على ثلاثة اصناف : عالم ومتعلم وغثاء ، فنحن العلماء، وشيعتنا المتعلمون ، وسائر الناس غثاء .

(اتباع كـل ناعق) من نعق الراعي بغنمه ينعق ـ بالكسر ـ نعيقاً ونعاقاً بالضم ونعاقاًبالكسر: اى صاح بها وزجرها، قال تعالى «كمثل الذى ينعق بما لايسمع الادعاء ونداء» .

(يميلون مع كل ريح) فى المروج قال الجاحظ : سمعت رجلا من العامة وهو حاّج وقد ذكر له البيت يقول : اذا أتيته منيكلمنى منه .

واخبرنى صديق لى قال : سمعنى رجل من العامة اصلى على محمد صلى الله عليه وآله ، فقال : ماتقول فى محمد هذا أربنا هو .

وذكر ثمامة بن اشرس قال: كنت ماراً فى السوق ببغداد ، فاذا أنا برجل اجتمع عليه الناس ، فنزلت عن بغلتى وقلت : ماهذا الاجتماع ودخلت بينهم، واذا برجل يصف كحلا معه انهينجح من كل داء يصيب العين ، فنظرت فاذاعينه

الواحدة برشاء والاخر ماسوكة ، فقلت له : ياهذا لوكان كحلك كما تقول نفع عينيك . فقال لى : أههنا اشتكت عيناى انما اشتكتا بمصر ، فقال كلهم صدق ومانفلّت من نعالهم الابعد كدّ .

وذكر لي بعض اخوانى : ان رجلا من مدينة السلام رفع الى بعض الولاة الطالبين لاصحاب الكلام على جار لـه انه تزندق ، فسأله عن مذهبه فقال : انه مرجىء قدرى اباضى رافضى ، فلما نـّص عن ذلك قال: انه يبغض معاوية بن الخطاب الذى قاتل علي بن العاص . فقال له الوالي : ماأدرى على اي شىء أحسدك ، على علمك بالمقالات اوبصرك بالانساب .

واخبرنى رجل من اهل العلم قال : كنا نقعد نتناظر فى ابى بكر وعمر وعلي ومعاوية ونذكر مايذكره أهل العلم، وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا ، فقال لى ذات يوم بعضهم وكان من أعقلهم واكبرهم لحية : كم تطنبون فى على ومعاوية وفلان وفلان . فقلت : ماتقول أنت فى ذلك ؟ قال : من تريد . قلت : علي . قال : أليس هو ابو فاطمة . قلت : ومن كانت فاطمة . قال : امرأة النبى بنت عائشة اخت معاوية . قلت : فما كان قصة على . قال : قتل فى غزاة حنين مع النبى .

وكان ببغداد فى أيام هارون رجل يظهر انه من اهل السنة ويلعن اهل البدع ويعرف بالسنى تنقاد اليه العامة، فكان يجتمع اليه فى كل يوم بقوارير الماء خلق من الناس ، فاذا اجتمعوا وثب قائماً على قدميه فقال لهم : معاشر المسلمين قلتم لاضار ولانافع الا الله فلاي شىء تسألونى عن منافعكم ومضاركم الجأوا الى ربكم ، وتوكلوا على بارئكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم. فيقبل بعضهم على بعض فيقولون: اي والله قد صدقنا، فكم من مريض لم يعالج حتى مات .

وفى المروج ايضاً: توفى احمد بن حنبل سنة (٢٤١) وحضر جنازته خلق

من الناس لم يرمثله فيمن قبله ، وكان للعامة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد في الامور، منها ان رجلا منهم كان ينادى العنوا الواقف عند الشبهات ، يريد ابن حنبل وهذا بالضد مما جاء به الشرع .

وقال الجاحظ : ومن اخلاق العامة ان يسوّدوا غير السيد،ويفضّلوا غير الفاضل ويقولوا بغير علم ، وهم اتباع من سبق اليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول والفضل والنقصان، ولامعرفة للحق من الباطل عندهم، ولاترى العامة الدهر الا مرقلين الى قائد دب، وضارب دف على سياسة قرد ، ومتشوقين الى اللهو واللعب ، أو مختلفين الى مشعبد منمس مخرف ، أو مستمعين الى قاص كذاب ، أو مجتمعين حول مضروب ، أو وقوفاً عند مصلوب ينعق بهم ويصاح بهم،لاينكرون منكراً ولايعرفون معروفاًولايبالون أن يلحقوا البار بالفاجر والمؤمن بالكافر ، وقدبيّن ذلك النبى صلى الله عليه وآله حيث يقول « الناس اثنان عالم أو متعلم وماعدا ذلك همج رعاع لايعبأ الله بهم » . وكذلك ذكر عن على عليه السلام وقد سئل عن العامة فقال « اتباع كل ناعق ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق » .

قال: وانظر الى ان النبى صلى الله عليه وآله قام يدعو الخلق الى الله اثنتين وعشرين سنة ، وهو ينزل عليه الوحي ويمليه على أصحابه فيكتبونه ويدونونه ويلتقطونه لفظة لفظة ، وكان معاوية فى هذه المدة بحيث علم الله، ثم كتب له قبل وفاته بشهور فأشادوا من ذكره ورفعوا من منزلته، بأن جعلوه كاتباً للوحي وعظموه بهذه الكلمة وأضافوه اليها وسلبوها عن غيره واسقطوا ذكر سواه .

وفى المروج ايضاً : اتى بأبى الفوارس القرمطى فى سنة (٢٨٠) فقطعت يداه ورجلاه وصلب ، وكان لاهل بغداد فى قتله اراجيف ، فلما قدّم ليضرب عنقه أشاعت العامة انه قال لمن حضر قتله: هذه عمامتى تكون قبلك فانى راجع

بعد أربعين يوماً . فكان يجتمع في كل يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويحصون الايام ويقتتلون ويتناظرون في الطرق في ذلك ، فلما تمت الأربعون ليلة وقد كان كثر لفظهم واجتمعوا فكان بعضهم يقول هذا جسده ويقول آخر قد مر وانما السلطان قتل رجلا آخر وصلبه موضعه .

(لم يستضيئوا بنور العلم) في معجم الحموى : كان عبدالله بن المبارك يقول: أنفقت في الحديث أربعين الفاً وفي الادب ستين ألفاً، وليت ما أنفقته في الحديث انفقته في الادب . قيل له : كيف ؟ قال : لان النصارى كفروا بتشديدة واحدة خففوها قال الله « ياعيسى اني ولّدتك من عذراء بتول » فقالت النصارى «ولدتك» .

(ولم يلجأوا الى ركن وثيق) وهو حجة الله في ارضه . قال تعالى « ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

(ياكميل العلم خير من المال) روى التحف وغيره انه عليه السلام قال ايضاً: ان طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال ، ان المال مقسوم بينكم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم به ، والعلم مخزون عند اهله قد أمرتم بطلبه .

وقالوا : العالم كالاسد أينما توجه معه قوّته التي يعيش بها ، والغنى كثيراً ما يكون في غير بلده فقيراً .

(العلم يحرسك وانت تحرس المال) في ادب كتّاب الصولى : كتب ابراهيم ابن العباس يوماً كتاباً فأراد محو حرف منه فلم يجد سبيلا ، فمحاه بكمّه فقيل له في ذلك فقال : المال فرع والقلم أصل فهو أحق بالصون منه ، وانما بلغنا هذه الحال واعتقلنا الاموال بهذا القلم والمداد .

(المال تنقصه النفقة والعلم يزكو) اي ينمو (على الانفاق) وقال عليه السلام

ـ كمافى ادباء الحموي وصناعة العسكرى ـ كل شيء يعزاذا نزرماخلا العلم فانه يعز اذا غزر .

(وصنيع المال يزول بزواله) قال ابوالاسود :

العلم ذخر وكنز لانفاد له نعم القرين ونعم الخدن ان صحبا

قديجمع المال شخص ثم يحرمه عما قليل فيلقى الذل والخزيا

وجامع العلم مغبوط به ابـدا ولاتحاذر فيه الفوت والسلبـا

ياجامع العلم نعم الذخر تجمعه لاتعدلّن بـه درأ ولا ذهبـا

وفى عيون ابن قتيبة قال ابن المقفع : اذا أكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبك ذلك، فان زوال الكرامة بزوالهما، ولكن ليعجبك ان اكرموك لدين او أدب .

(ياكميل) بن زياد (معرفة العلم دين يدان به) ونقله مناقب ابن الجوزى ومناقب سبطه «ومحبّة العالم دين يدان به» ونقله امالى المفيد « محبة العلم خير ما يدان به » ونقله ارشاده « محبة العلم دين يدان به » .

(به) هكذا فى المصرية وهوزائد ، فليس فى « حد » و« ثم » والخطية .

(يكسب الانسان الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثة) فى الصحاح الاحدوثة ما يتحدث به ، وقال الفراء نرى أن واحـد الاحاديث أحدوثة ثم جعلـوه جمعاً للحديث (بعد وفاته) وفى الكافى عنه عليه السلام: اعلموا ان صحبة العالم واتباعه دين يدان الله به ، وطاعته مكسبة للحسنات ممحاة للسيئات ، وذخيرة للمؤمنين ورفعة فى حياتهم وجميل بعد وفاتهم .

وفيه ايضاً عنـه عليه السلام : تعلموا العلم ، فان تعلمه حسنة ، ومـدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لايعلمه صدقة، وهو عندالله لاهله قربة، لانه معالم الحلال والحرام ، سالك بطالبه سبيل الجنة، وهو انيس فى الوحشة،

وصاحب فى الوحدة ، وسلاح على الاعداء، وزين الاخلاء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم فى الخير ائمة يقتدى بهم ، ترمق اعمالهم وتقتبس آثارهم وترغب الملائكة فى خلتهم، يمسحونهم بأجنحتهم فى صلاتهم ، لان العلم حياة القلوب ونور الابصار من العمى وقوة الابدان من الضعف، ينزل الله حامله منازل الابرار ويمنحه مجالسة الاخيار فى الدنيا والاخرة ، وبالعلم يطاع الله ويعبد ويوحّد، وبالعلم توصل الارحام وبه يعرف الحلال والحرام ، والعلم أمام العقل والعقل تابعه، يلهمه الله السعداء ويحرمه الاشقياء .

(والعلم حاكم والمال محكوم عليه) فى عيون القتيبى قال ابو الاسود : الملوك حكّام على الناس ،والعلماء حكام على الملوك . وقال يونس بن حبيب: علمك من روحك ، وما لك من بدنك .

وفى المعجم قال على عليه السلام: كفى بالعلم شرفاً انه يدّعيه من لايحسنه ويفرح اذا نسب اليه من ليس من اهله ،وكفى بالجهل خمولا انه يتبرء منه من هوفيه ويغضب اذا نسب اليه .

قال ونظمه من قال :

كفى شرفاً للعلم دعواه جاهل ... ويفرح ان يدعى اليه وينسب
ويكفى خمولا بالجهالة اننى ... اراع متى انسب اليها واغضب

ولابى حاتم السجستانى :

ان الجواهر درّها ونضارها ... هن الفداء لجوهر الاداب
فاذا اكتنزت اوادخرت ذخيرة ... تسمو بزينتها على الاصحاب
فعليك بالادب المزيّن اهله ... كيما تفوز ببهجة وثواب
فلرب ذي مال تراه مبعّداً ... كالكلب ينبح من وراء حجاب
وترى الاديب وان دهته خصاصة ... لايستخف به لدى الاتراب

(ياكميل هلك خزّان الاموال وهم احياء، والعلماء باقون مابقي الدهر) قال ابن الرقاع :

والمرء يوجب خلده انباؤه ... ويموت آخر وهو فى الاحياء
والقوم اشباه ومن حلومهم ... تفاضل كذلك تفاضل الاشياء

وقال دعبل :

يموت ردي الشعر من قبل اهله ... وجيّده يبقى وان مات قائله

ولاخر :

يموت قوم فيحيى العلم ذكرهم ... ويلحق الجهل احياءاً بأموات

(اعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة) قيل فى ثعلب :

فان تولى ابو العباس مفتقداً ... فلم يمت ذكره فى الناس والكتب

(ها ان ههنا لعلماً جماً واشار بيده) هكذا فى المصرية و« بيده » زائد (الى صدره) روى احمد بن حنبل فى فضائله ومسنده ومحمد بن اسحق فى مغازيه ـ كما نقل سبط ابن الجوزى فى تذكرته عنه عليه السلام قال: بعثني النبى صلى الله عليه وآله الى اليمن وأنا شاب ، فقلت : تبعثنى الى قوم لاقضى بينهم وأنا شاب لاعلم لى بالقضاء . فقال : ادن منى ، فدنوت منه فضرب فى صدرى وقال «اللهم اهد قلبه وثبّت لسانه»، فماشككت بعد فى قضاء بين اثنين .

وفى التذكرة ايضاً : روى احمد بن حنبل فى فضائله عن النبى صلى الله عليه وآله قال : انا مدينة العلم وعلي بابها .

وفيه: روى ابن عساكر فى تاريخه ان النبى صلى الله عليه وآله قال « علي عيبة علمى » .

وروى الطبرانى فى معجمه مسنداً قال: لما نزلت هذه الاية « وتعيها أذن واعية » قال النبى صلى الله عليه وآله: ياعلى سألت الله عزوجل أن يجعلها اذنك.

قال علی علیه السلام : فما نسیت شیئاً بعد وماکان لی ان انسی .

وفیه روی مسنداً عن ابن عباس قال: بینما النبی صلی الله علیه وآله جالس فی جماعة من اصحابه اذ اقبل علی علیه السلام ، فلما بصر به النبی صلی الله علیه وآله قال : من أراد منکم ان ینظر الی آدم فی علمه والی نوح فی حکمته والی ابراهیم فی حلمه فلینظر الی علی بن ابی طالب .

قال سبط ابن الجوزی : تشبیه النبی صلی الله علیه وآله لعلی علیه السلام بآدم فی علمه لان الله تعالی علّم آدم صفة کل شیء کما قال عزوجل « وعلّم آدم الاسماء کلها » ، فما من شیء ولاحادثة ولا واقعة الاوعند علی علیه السلام فیها علم وله فی استنباط معناها فهم .

قلت : ولنعم ما قیل بالفارسیة :

آنچه خوبان همه دارند تو تنها داری

وری السبط ایضاً مسنداً عن حذیفة قال: قالوا یارسول الله ألاتستخلف علیاً؟ قال : ان تولوا علیاً تجدوه هادیاً مهدیاً ، یسلك بکم الطریق المستقیم .

وروی مسنداً عن ابن عباس قال : ستکون فتنة فمن أدرکها منکم فعلیه بخصلة من کتاب الله تعالی وعلی بن ابی طالب علیه السلام، فانی سمعت النبی صلی الله علیه وآله وهو یقول « هذا أول من آمن بی وأول من یصافحنی، وهو فاروق هذه الامة یفرق بین الحق والباطل ، وهو یعسوب المؤمنین والمال یعسوب الظلمة، وهو الصدّیق الاکبر ، وهو بابی الذی أوتی منه ، وهو خلیفتی من بعدی » . قال السبط : وأخرجه محدث الشام فی الجزء (٣٤٩) من کتابه بطرق شتی .

وروی ایضاً مسنداً عن حذیفة قال: قالوا یارسول الله ألاتستخلف علیاً . قال: ان تولوا علیاً تجدوه هادیا مهدیاً یسلك بکم الطریق المستقیم .

وفي فواتح الميبدي: روى الثعلبي في تفسيره عن عبدالله بن سلام قال: من عنده علم الكتاب في آية «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» هو علي.

وفيه: روى احمد بن حنبل عن معقل بن يسار ان النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: أما ترضين اني زوّجتك أقدم امتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً.

وفيه: وروى الثعلبي ان ابن عباس كان يتلو «حم عسق» ويقول: كان علي عليه السلام يعلم الفتن بهذين اللفظين.

وفي تذكرة سبط ابن الجوزي مسنداً عنه عليه السلام قال: كنت أدخل على النبي صلى الله عليه وآله ليلا ونهاراً، فكنت اذا سألته اجابني وان سكتّ ابتدأني، وما نزلت آية عليه الا قرأتها وعلمت تفسيرها وتأويلها، ودعا الله لي ان لا أنسى شيئاً علمني اياه، فما نسيته من حرام وحلال وامر ونهي وطاعة ومعصية، وقد وضع يده على صدري وقال «اللهم املأ قلبه علماً وفهماً ونوراً». ثم قال لي: أخبرني ربي عزوجل انه استجاب لي فيك. قال السبط: ورواه الحافظ الدمشقي في مناقبه.

وفيه ايضاً مسنداً عنه عليه السلام قال: والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيمن نزلت واين نزلت وعلى من نزلت، ان ربي وهب لي قلباً عقولا ولساناً طلقاً.

وفيه ايضاً عنه عليه السلام قال: قلت يارسول الله أوصني. قال: قل «الله ربي» ثم استقم. فقلت: ربي الله وماتوفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب. فقال النبي صلى الله عليه وآله: ليهنك العلم يا أبا الحسن لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلا. قال السبط: ورواه ابو نعيم في حليته.

وروى السبط ايضاً عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: من

سره ان يحيى حياتى ويموت مماتى ويسكن جنات عدن التى غرسها ربى عز وجل فليوال علياً من بعدى وليوال وليه وليقتد بالائمة بعدى، فانهم عترتى خلقوا من طينتى رزقوا فهماً وعلماً ، ويل للمكذبين بفضلهم من امتى القاطعين فيهم صلتى ، لاانالهم الله شفاعتى .

وفى تذكرته ايضاً : ذكر الثعلبى فى تفسيره عن زاذان قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : والذى فلق الحبة وبرء النسمة لوثنّيت لى وسادة لحكمت بين اهل التوراة بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم، والذى نفسى بيده مامن رجل من قريش جرت عليه المواسى الا وانا اعرف له آية تسوقه الى الجنة أو تقوده الى النار . فقال له رجل: فما آيتك التى أنزلت فيك ؟ فقال «أفمن كان على بيّنه من ربه ويتلوه شاهد منه» فرسول الله صلى الله عليه وآله على بينة وأنا شاهد منه .

وروى السبط عن ابن مسعود قال : ان القرآن أنزل على سبعة أحرف ، مامنها الاوله ظهر وبطن، وان على بن ابى طالب عليه السلام عنده علم الظاهر منه والباطن .

قال السبط : ورواه ابو نعيم فى حليته .

وروى السبط ايضاً عن سلمان قال : قلت يارسول الله لكل نبى وصى فمن وصيك ؟ فسكت عنى، فلما كان بعد رآني قال: ياسلمان. فأسرعت اليه فقلت : لبيك . قال : تعلم من وصى موسى ؟ قلت : نعم يوشع بن نون . قال : لم ؟ قلت : لانه كان أعلمهم يومئذ . قال : فان وصيى وموضع سرى وخير من أترك بعدى منجز عدتى ويقضى دينى على بن ابى طالب .

قال السبط : ورواه الطبرانى فى معجمه الكبير فى ترجمة ابى سعد .

وروى أمالى ابن الشيخ عن سعيد بن المسيب قال : سمعت رجلا يسأل

ابن عباس عن علي عليه السلام فقال له: ان علياً عليه‌السلام صلى القبلتين وبايع البيعتين ولم يعبد صنماً ولا وثناً ، ولم يضرب على رأسه بزكم ولابقدح ، ولد على الفطرة ولم يشرك بالله طرفة عين . فقال له الرجل : انى انما اسألك عن حمل سيفه على عاتقه يختال به حتى اتى البصرة فقتل بها أربعين ألفاً ثم سار الى الشام فلقي حواجب العرب فضرب بعضهم ببعض حتى قتلهم ثم اتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم. فقال له: أعلي عندك اعلم ام أنا. فقال : لو كان على عندى أعلم ماسألتك . فغضب ابن عباس وقال : ثكلتك امك علي علمنى وكان علمه من النبى صلى الله عليه وآله والنبى علمه الله من فوق عرشه ، وكان علم اصحاب محمد صلى الله عليه وآله كلهم فى علم على عليه السلام كالقطرة الواحدة فى سبعة أبحر .

وروى ابن بابويه فى توحيده مسنداً عن الاصبغ قال : لما جلس على عليه السلام فى الخلافة خرج الى المسجد متعمماً بعمامة النبى صلى الله عليه وآله ولابساً برد النبى ومتنعّلا نعل النبى ومتقلداً سيف النبى ، فجلس على المنبر متمكناً ثم شبّك أصابعه فوضعها اسفل بطنه ثم قال: يامعاشر الناس سلونى قبل أن تفقدونى ، هذا سقط العلم ، هذا لعاب رسول الله ، هذا مازقّنى رسول الله زقاً ، سلونى فان عندى علم الاولين والاخرين . أما والله لو ثنّيت لى الوسادة فجلست عليها لافتيت اهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول صدق على ما كذب فقد افتاكم بما انزل الله فيّ ، وافتيت اهل الانجيل بانجيلهم حتى ينطق الانجيل فيقول صدق على ما كذب لقد افتاكم بما انزل الله في ، وانتم تتلون القرآن ليلا ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم مانزل فيه، ولولا آية فى كتاب الله لاخبرتكم بما كان ومايكون وماهو كائن الى يوم القيامة، وهى هذه الاية «يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» . ثم قال : سلونى قبل ان تفقدونى ،

فو الذى فلق الحبة وبرء النسمة لوسألتمونى أيّة آية فى ليل أنزلت ام فى نهار أنزلت مكيها ومدنيها سفريها وحضريها ناسخها ومنسوخها محكمها ومتشابهها وتأويلها وتنزيلها لاخبرتكم ـ الخبر.

وفى الخبر انه عليه السلام لما قال ذلك قام رجل يقال له ذعلب فقال : هل رأيت ربك ؟ فأجابه وقام اليه الاشعث فسأله عن قبول الجزية من المجوس مع مع عدم كونهم من أهل الكتاب فأجابه ، وقام اليه رجل آخر فسأله عن سبب النجاة فأجابه ، ثم غاب الرجل فقال عليه السلام انه كان اخى الخضر .

هذا وللطغرائى فى احتوائه على العلم الكثير وان كان ادعاءاً منه:

أما العلوم فقد ظفرت ببغيتى ... منها فما احتاج أن اتعلما

وعرفت اسرار الخليقة كلها ... علماً انار لى البهيم المظلما

وورثت هرمس سر حكمته الذى ... مازال ظناً فى الغيوب مرجما

وملكت مفتاح الكنوز بحكمة ... كشفت لى السر الخفي المبهما

(لو اصبت له حملة) «لو» هنا للتمنى ، مثلها فى قوله تعالى «لو أن لى بكم قوة او آوي الى ركن شديد» .

روى الصدوق فى توحيده عن الباقر عليه السلام قال : لو وجدت لعلمى الذى آتانى الله تعالى حملة لنشرت التوحيد والاسلام والشرائع من «الصمد»، وكيف لى بذلك ولم يجد جدى على عليه السلام حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول على المنبر : سلونى قبل أن تفقدونى ، ان بين الجوانح منى لعلماً جماً لايحصى ولايعدّ .

ولقد علّم عليه السلام ابا الاسود الدئلى علم النحو ، فروى معجم أدباء الحموى مسنداً عن ابى الاسود قال : دخلت على امير المؤمنين عليه السلام فرأيته مطرقاً مفكراً ، فقلت : فيم تفكر ؟ قال : سمعت ببلدكم لحناً فأردت ان

اضع كتاباً في اصول العربية. فقلت: ان فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثم اتيته بعد ايام فألقى الي صحيفة فيها « بسم الله الرحمن الرحيم. الكلام كله اسم وفعل وحرف ، والاسم ماانبأ عن المسمى، والفعل ماانبأ عن حركة المسمى، والحرف ما انبأ عن معنى ليس باسم ولافعل » ثم قال لى : تتبّعه وزد فيه ما وقع لك ، واعلم ان الاشياء ثلاثةظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولامضمر . قال ابو الاسواد : فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه ، وكان من ذلك حروف النصب فكان منها ان وأن وليت ولعل وكأن ـ ولم اذكر لكن ـ فقال لي : لم تركتها ؟ فقلت : لم أحسبها منها . فقال : بل هى منها فزدها فيها .

قال الحموى : قال الزجاج « شيء ليس بظاهر ولامضمر » نحو « هذا » و « من » و « ما » و « اي » و« كم » و« متى » و« اين » وما أشبهها .

هذا وفى عيون ابن قتيبة قال ابو يعقوب الخريمى : تلقانى سعيد بن وهب مع طلوع الشمس ، فقلت : أين تريد؟ قال : عندى حديث حسن فأنا اطلب له انساناً حسن الفهم حسن الاستماع. فقلت : حدثنى به . فقال : أنت حسن الفهم سيء الاستماع . وقال ابو تمام :

وكنت أعزّ عزاً من قنوع تعوّصه صفوح من جهول

فصرت أذل من معنى دقيق به فقر الى فهم جليل

(بلى اصبت لقناً) اى رجلا سريع الفهم (غير مأمون عليه) والمأمون فى الناس قليل.

وفى اذكياء ابن الجوزى : سمع رجل ان ذا النون المصرى يعرف اسم الله الاعظم ، فذهب الى مصر وخدمه سنة ثم قال له : قيل لى انك تعرف اسم الله الاعظم وقد وجب حقى عليك بخدمتك فى المدة فأحب ان تعلمنيه. فسكت عنه وأومى اليه انه يخبره، فتركه ستة اشهر ثم أخرج له من بيته طبقاً ومكبّة مشدودة فى منديل وقال له : تعرف صديقنا من الفسطاط. قال: نعم. قال: أحب

ان تؤدى هذا اليه. فأخذ الطبق وجعل يتفكر في الطريق ان مثل ذى النون يوجه الى فلان بهدية أي شيء هى ، فلم يصبر لما بلغ الجسر ان حل المنديل ورفع المكبة فاذا فارة قفزت من الطبق ومرت، فاغتاظ وقال: ذوالنون يسخربى يوجه مع مثلى فارة، فرجع وعرف ذو النون فى وجهه الغضب فقال له: يا أحمق انما ائتمنتك على فارة فخنتنى ، افأيتمنك على اسم الله الاعظم ، مرّعنى فلا اراك.

(مستعملا آلة الدين للدنيا) قال شاعر :

انى رأيت الناس فى دهرنا لايطلبون العلم للعلم

الامباهاة لاصحابهم وعزة للخصم والظلم

قال ابن جريج : لقد منعتنى هذه الابيات عن أشياء كثيرة من طلب العلم.

وروى تحف العقول عنه عليه السلام قال : لوأن حملة العلم حملوه بحقه لاحبّهم الله وملائكته واهل طاعته من خلقه، ولكنهم حملوه لطلب الدنيا فمنعهم الله وهانوا على الناس .

وعن المنية عن الصادق عليه السلام :كان لموسى بن عمران جليس من اصحابه قدوعى علماً كثيراً، فاستأذن موسى عليه السلام فى زيارة أقارب له ، فقال له موسى عليه السلام : ان لصلة القرابة لحقّاً ولكن اياك ان تركن الى الدنيا ، فان الله قد حمّلك علماً فلا تضيعه وتركن الى غيره. فقال الرجل:لايكون الاخيراً . ومضى نحو أقاربه فطالت غيبته،فسأل موسى عليه السلام عنه فلم يخبره احد بحاله،فسأل جبرئيل عليه السلام عنه فقال : هوذا على الباب قد مسخ قرداً فى عنقه سلسلة.ففزع موسى عليه السلام الى ربه وقام الى مصلاه يدعو الله ويقول: يارب صاحبى وجليسى ، فأوحى الله اليه : يا موسى لو دعوتنى حتى تنقطع ترقوتاك ما استجبت لك فيه ، انّى كنت حمّلته علمه فضيعه وركن الى غيرى .

(ومستظهراً بنعم الله على عباده) « على عباده » متعلق بقوله « ومستظهراً »

(وبحججه على اوليائه) « على اوليائه » ايضاً متعلق بقوله « ومستظهراً » .

وروى أمالى المفيد بدل الكلام : ويستظهر بحجج الله على خلقه، وبنعمه على عباده ، ليتخذه الضعفاء وليجة دون ولّي الحق .

(او منقاداً لحملة الحق لابصيرة له) هكذا فى النسخ ، والظاهر أن الاصل « ولكن لابصيرة له » (فى احنائه) اى جوانبه ، قال لبيد :

فقلت ازدجر احناء طيرك واعلمن بأنك ان قدّمت رجلك عاثر

وقال الكميت :

وآلوا الامور واحناءها فلم يبهلوها ولم يمهلوا

(ينقدح) اى ينكشف كانكشاف الشيء عند ظهور النار فى الظلمة (الشك فى قلبه لاول عارض من شبهة) شبّه عليه السلام عروض الشك لغير ذوى البصيرة بخروج النار من الزند عند قدحه .

(ألا لاذا) اى لاهذا المنقاد الذى ليس بأهل بصيرة وتميز (ولا ذاك) اى ولا ذاك اللقن الذى ليس بمؤتمن .

(او منهوماً) عطف على « لقناً » اى حريصاً (باللذة) وفى الخبر : منهومان لايشبعان منهوم بالعلم ومنهوم بالمال .

(سلس القياد) اى سريع الانقياد (للشهوة) قال تعالى « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً » .

(او مغرماً) ايضاً عطف على « لقناً » اى ولعاً (بالجمع) اى جمع المال (والادخار) لايّامه الاتية .

فى عيون القتيبى عن النبى صلى الله عليه وآله: من تعلم العلم لاربعة ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء او ينيل بهوجوه الناس او يأخذبه من الامراء دخل النار .

(ليسا)اى الاخيران المنهوم باللذة المنقاد للشهوة والحريص بجمع الدنيا وادخارها .

(من رعاة الدين فى شيء) وفى الخصال عنه عليه السلام: الدينار داء الدين، والعالم طبيب الدين ، فاذا رأيتم الطبيب يجر الداء الى نفسه فاتهموه على دينكم، فان كل محب يحوط ماأحب، اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام: لاتجعل بينى وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتى، فان اولئك قطاع طريق عبادى المريدين ، ان ادنى ما أنا صانع بهم ان انزع حلاوة مناجاتى عن قلوبهم .

وفى امالى الشيخ عنه عليه السلام قال عيسى عليه السلام لاصحابه : كيف يكون من اهل العلم من مصيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه، وما يضره أشهى اليه مما ينفعه .

وفى عقاب الاعمال عنه عليه السلام قال النبى صلى الله عليه وآله : سيأتى على امتى زمان لايبقى من القرآن الارسمه ، ولامن الاسلام الااسمه، يسمون به وهم أبعد الناس منه ، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى ، فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء ، منهم خرجت الفتنة واليهم تعود .

وفى الكافى عنه عليه السلام قال : طلبة هذا العلم على ثلاثة اصناف ألا فاعرفوهم بصفاتهم واعيانهم: صنف منهم يتعلمون العلم للمراء والجدل ،وصنف منهم يتعلمون للاستطالة والختل ، وصنف منهم يتعلمون للفقه والعمل . فأما صاحب المراء والجدل فتراه مؤذياً ممارياً للرجال فى اندية المقال قد تسربل بالتخشع وتخلى من الورع فدق الله من هذا حيزومه وقطع منه خيشومه ، وأما صاحب الاستطالة والختل فانه يستطيل على اشباهه من اشكاله ويتواضع للاغنياء من دونهم فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم فأعمى الله من هذا بصره وقطع

من آثار العلم اثره، وأما صاحب الفقه والعمل فتراه ذاكآبة وحزن قد قام الليل في حندسه وانحنى في برنسه يعمل ويخشى خائفاً وجلا من كـل احد ، الامن كل ثقة من اخوانه، فشدّ الله من هذا أركانه واعطاه يوم القيامة امانه .

(اقرب شيء شبهاً بهما) اى بهذين الصنفين (الانعام السائمة) اى الراعية، قال تعالى «ان هم الاكالانعام بل هم اضل» وقال جل وعلا «مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدي القوم الظالمين» وقال جل ثناؤه «واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا» .

(كذلك يموت العلم بموت حامليه) يعنى بعد أن لايصاب للعلم حملة لكونهم غير قابلين للاستضاءة من انواره .

وروى الارشاد عنه عليه السلام قال في خطبة له : أيها الناس انـا ابن عم نبيكم وأولاكم بالله ورسوله فاسألونى ثم اسألونى وكأنكم بالعلم قد نفد ، انه لايهلك عالم الايهلك بعض علمه، وانما العلماء في الناس كالبدر في السماء يزيد نوره على سائر الكواكب، واياكم ان تطلبوه لخصال اربع: لتباهوا به العلماء، او تماروا بـه السفهاء ، او تراءوا بـه في المجالس ، أو تصرفوا وجوه الناس اليكم للتراؤس، لايستوي عند الله في العقوبة الذين يعلمون والذين لايعلمون .

وفي الكافي عن ابى عبد الله عليه السـلام: انابى كان يقول: ان الله تعالى لايقبض العلم بعد مايهبطه ، ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم فتليهم الجفاة فيضلون ويضلون ، ولاخير في شيء ليس له اصل .

ومن كلام الحكماء : النار لاينقصها مااخذ منها ، ولكن يخمدها ان لايجد

حطباً ، وكذلك العلم لايفنيه الاقتباس ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه .

٢/٤٢٠/٣/ وروى انه عليه السلام كان جالساً فى اصحابه فمرت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم فقال عليه السلام: ان ابصار هذه الفحول طوامح ، وان ذلك سبب هبابها ، فاذا نظر احدكم الى امرأة تعجبه فليلامس اهله فانماهى امرأة كامرأته . فقال رجل من الخوارج : قاتله الله كافراً ما أفقهه ، فوثب القوم ليقتلوه فقال عليه السلام: رويداً انما هوسب بسب او عفو عن ذنب .

اقول : روى تحف عقول ابن ابى شعبة الحلبى فى حديث الاربعمائة عنه عليه السلام قال : اذا رأى احدكم امرأة تعجبه فليلق اهله، فان عندها مثل الذى رأى ، ولايجعل للشيطان على قلبه سبيلا ، وليصرف بصره عنها فان لم يكن له زوجة فليصلّ ركعتين ـ الخبر.

(ويروى انه عليه السلام كان جالساً فى اصحابه فمرت) هكذا فى المصرية والصواب «اذ مرت» كما فى «حد» و «ثم» والخطية (بهم امرأة جميلة فرمقها) بالتشديد أى ادام النظر اليها (القوم بأبصارهم) فى عيون ابن قتيبة مرت اعرابية بقوم من بنى نمير فقالت : يابنى نمير والله ماأخذتم بواحدة من اثنتين لابقول الله تعالى «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم» ولابقول جرير :

فغضّ الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فاستحيى القوم من كلامها واطرقوا .

وفى تاريخ بغداد قال محمد بن احمد القاضى: حضرت مجلس موسى بن اسحق القاضى بالرى سنة (٢٨٦) وتقدمت امرأة فادعى وليها على زوجها خمسمائة دينار مهراً فأنكر ، فقال القاضى للولى : شهودك . قال : قد أحضرتهم فاستدعى بعض الشهود أن ينظر الى المرأة ليشير اليها فى شهادته ، فقام الشاهد

وقال للمرأة: قومي. فقال : تفعلون ماذا ؟ قال الوكيل : ينظرون الى امرأتك وهى مسفرة لتصح عندهم معرفتها. فقال الزوج : ان لها عليّ هذا المهر الذى تدعيه ولاتسفر عن وجهها ، فردت المرأة واخبرت بما كان من زوجها ، فقالت المرأة : فانى أشهد القاضى انى قد وهبت له هذا المهر وابرأته منه فى الدنيا والاخرة . فقال القاضى : يكتب هذا فى مكارم الاخلاق .

(فقال عليه السلام ان ابصار هذه الفحول) فى شعراء القتيبى ومن الشعراء علقمة الفحل ، واختلف فى تسميته بالفحل، قيل سمّى بذلك لانه احتكم مع امرىء القيس الى امرأته ام جندب لتحكم بينهما فقالت لهماقولاشعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحدة لاحكم بينكما ، فقال امرؤ القيس :

خليلي مرّابى على ام جندب　　لتقضى حاجات الفؤادالمعذب

وقال علقمة :

ذهبت من الهجران فى كل مذهب　　ولم يك حقاً كل هذا التجنّب

ثم أنشداها جميعاً، فقالت لامرىء القيس: علقمة اشعر منك. قال: وكيف. قالت : لانك قلت :

فللسوط ألهوب وللساق درة　　وللزجر منه وقع اخرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك ـ وقال علقمة :

فأدركهن ثانياً من عنانه　　يمر كمر الرائح المتحلّب

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه لم يضربه بسوط ولامراه بساق ولازجره . فقال لها امرؤ القيس : ماهو بأشعر منى ولكنك له وامق ، فطلقها فخلفه عليها علقمة فسمّى بذلك الفحل. وقيل بل سمى بالفحل لانفى قومه رجل يقال له علقمة الخصي ففرقوا بينهما بهذا الاسم .

وقالوا: العرب تسمّي سهيلا بالفحل تشبيهاً له بفحل الابل لاعتزال سهيل

النجوم كما أن الفحل اذا قرع الابل اعتزلها ، قال الشاعر :

* أما ترى الفحل كيف يزهر *

(طوامح) أى مرتفعات (وان ذلك سبب هبابها) فى الصحاح « الهبّة » بالكسر هياج الفحل ، وتقول : هب التيس يهب ـ بالكسر ـ هبيباً وهباباً : اذا نبّ للسفاد .

وفى الخبر : لايزنى فرجك ماغضضت بصرك .

وفى عيون القتيبى : نظر أشعب يوماً الى ابنه وهو يديم النظر الى امرأة فقال له : يابني نظرك هذا يحبل . وقال بعضهم :

ولي نظرة لوكان يحبل ناظر بنظرته انثى لقد حبلت منى

هذا وكما للرجال الطموح اليهن كذلك لهن الطموح اليهم ، بل فى الخبر ان همّ الرجال فى البناء والطين وهمّ النساء فى الرجال.

وفى خبر أربعة لايشبعن من اربعة : عين من نظر ، وانثى من ذكر ، وارض من مطر ، واذن من خبر . وقال الفرزدق :

فلاتدخل بيوت بنى كليب ولاتقرب لهم ابداً رحالا

فان بها لوامع مبرقات يكدن ينكن بالحدق الرجالا

وفى الجمهرة قالت امرأة لامة لها : مرى ببنتى على ذوى النظرى لاذوات النقرى . أي مرى بها على الرجال الذين يرضون بالنظر لاعلى النساء اللواتى ينقرن عن الخبر .

وعن ابى حازم : بينما أرمى الجمار رأيت امرأة سافرة حسنة فقلت لها : أما تتقين الله تسفرين فى هذا الموضع فتفتنين الناس . قالت : انا والله ممن قيل فيهن :

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

وفي الاغاني : كان ابن الغز الايادى، فكان اذا انعظ احتكت الفصال بأيره ، وكان في اياد امرأة تستصغر ايور الرجال ، فجامعها ابن الغـز فقالت : يامعشر أياد ابالركب تجامعون النساء. فضرب بيده على اليتها وقال : ماهذا . فقالت : وهي لاتعقل ماتقول: هذا القمر. فضربت العرب بها المثل «اريها استها وتريني القمر » .

وفي الكافي في (باب انه تعالى خلق للناس شكلهم) في اوائل نكاحه ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله : انى احمل اعظم مايحمل الرجال ، فهل يصلح لى ان آتى بعض مالى من البهائم ناقة أو حمارة فان النساء لايقوين على ماعندى . فقال النبي صلى الله عليه وآله له : انه لم يخلقك حتى خلق لك من يحتملك من شكلك ، فانصرف ولـم يلبث ان عاد فقال مثل مقالته في الاول ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فأين انت من السوداء العنطنطة ـ اى الطويلة العنق ـ فانصرف ولم يلبث ان عاد فقال : اشهد انك رسول الله حقاً، انى طلبت ماامرتنى به فوقعت على ماتحملنى .

(فاذا نظر احدكم الى امرأة فليلامس) وفي ثم « فليلمس » وفي « حد » النسختان(اهله فانما هي امرأة كامرأة) وفي حد «كامرأته» وهو الانسب بالمقام .

وفي اسد الغابة في عبد الله بن نعيم بن النحام عن جابر بينا النبي صلى الله عليه وآله فياصحابه اذ مرت به امرأة فدخل علىزينب بنت جحش فقضى حاجته وخرج فقال : اذا رأىاحدكم امرأة فأعجبته فليأت اهله، فان المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان .

هذا وفي كامل الجزرى كانيوسف بن تاشفين ملك العرب والاندلس حليماً كريماً خيّراً يحب اهل العلم والدين ويحكّمهم في بلاده،وكان يحب العفو عن الذنوب العظام ، فمن ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى احدهم ألف دينار

يتّجربها وتمنى الاخر عملا يعمل فيه ليوسف وتمنى الاخر زوجته النفزاوية وكانت من أحسن الناس ولها الحكم فى بلاده ، فبلغه الخبر فأحضرهم واعطى متمنى المال ألف دينار واستعمل الاخر وقال للذى تمنى زوجته : ياجاهل ماحملك على هذا الذى لاتصل اليه ، ثم أرسله اليها فتركته فى خيمة ثلاثة ايام تحمل اليه كل يوم طعاماً واحداً ، ثم أحضرته وقالت له : ماكلت هذه الايام . قال : طعاماً واحداً. فقالت: كل النساء شىء واحد ، وامرت له بمال وكسوة واطلقته .

وفى امثال الكرمانى : ان الحكم بن صخر الثقفى سأل امرأة عن اختها وكان رآها عام اول، فقالت تزوجها ابن عم لها، فقال لها: لوأدركتها لتزوجتها . فقالت له : مايمنعك من شريكتها فى حسنها . قال :يمنعنى قول كثّير :

اذا وصلتنا خلة كـى تزيلنا ابينا وقلنـا الحاجبية اول

فقالت : بينى وبينك كثّير ايضا أليس الذى يقول :

هـل وصل عزّة الاوصل غانية فى وصل غانيةمن وصلها خلف

فعيّ عن جوابها .

فى الكافى عن الباقر عليه السلام : استقبل شاب من الانصار امرأة بالمدينة وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن ، فنظر اليها وهى مقبلة، فلما جازت نظر اليها ودخل فى زقاق فجعل ينظر خلفها ، واعترض وجهه عظم فى الحائط اوزجاجة فشق وجهه ، فلما مضت المرأة نظر فاذا الدماء تسيل على صدره وثوبه ، فقال: والله لاتين النبى صلى الله عليه وآله ولاخبرنه، فأتاه فأخبره فهبط جبرئيل بهذه الاية «قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون» .

وعن الصادق عليه السلام : النظر سهم من سهام ابليس مسموم ، وكم من نظرة اورثت حسرة طويلة .

وفى الفقيه عنه عليه السلام: النظر سهم من سهام ابليس مسموم ، من تركه لله تعالى لالغيره اعقبه الله امناً وايماناً يجد طعمه .

وعن الرضا عليه السلام : وحرّم النظر لما فيه من التهييج وما يدعو التهييج اليه من الفساد .

وعن الصادق عليه السلام : من نظر الى امرأة فرفع بصره الى السماء او غضّ بصره لم يرتد اليه طرفه حتى يزوجه الله من الحور العين .

(فقال رجل من الخوارج قاتله الله كافراً ما أفقهه) قال الجوهرى «ابل مسبّه» اى خيار لانه يقال عند الاعجاب بها قاتلها الله .

وفى العيون : شكا الفرزدق امرأته ، فقال له شيخ من مضر كان اسن منه : أفلا تكسعها بالمحرجات ـ يعنى الطلاق ـ فقال له الفرزدق: قاتلك الله ما أعلمك من شيخ .

ونظير قولهم عند الاعجاب « قاتله الله » قولهم عنده «لله دره» وان كان هو لفظاً حسناً والاول لفظاً قبيحاً .وروى المدائنى سب آخر له عليه السلام معجباً بالاخير، فقال خطب على عليه السلام فذكر الملاحم ثم قال «سلونى قبل أن تفقدونى، أما والله لتشعرن الفتنة الصماء برجلها وطأ فى خطامها ، يالها من فتنة شبّت نارها بالحطب الجزل مقبلة من شرق الارض رافعة ذيلها داعية ويلها بدجلة اوحولها ، ذاك اذا استدار الفلك قلتم مات اوهلك بأيّ واد سلك» فقال قوم تحت منبره : لله ابوه ما أفصحه كاذباً .

ونظير الاول عند الاعجاب مافى امالى القالى ان الحجاج كان ينشد قول مالك بن اسماء :

يامنزل الغيث من بعد ماقنطوا ... وياولي النعماء والمنن
يكون ماشئت ان يكون ، وما ... قدّرت ألايكون لم يكن

لو شئت اذ كان حبها عرضاً لم ترنى وجهها ولم ترنى
ياجارة الحي اذكنت لى سكناً اذليس بعض الجيران بالسكن
اذكر من جارتى ومجلسها طرائفا من حديثها الحسن
ومن حديث يزيدنى مقة مالحديث الموموق من ثمن

ثم يقول : أحسن فّض الله فاه.

(فوثب) زاد ثم « اليه » (القوم ليقتلوه فقال عليه السلام رويداً) رويداً تصغير الترخيم من « ارواداً » والاصل « ارودوه ارواداً » اى امهلوه امهالا .

ونظيره ما رواه صاحب الغارات ان علياً عليه السلام قال على المنبر : ما أحد جرت عليه المواسى الاوقد أنزل الله فيه قرآنا ، فقام اليه رجل فقال : فما أنزل الله فيك ـ يريد تكذيبه ـ فقام الناس اليه يلكزونه فى صدره وجنبه ، فقال عليه السلام دعوه وقال له: قرأت سورة هود؟ قال: نعم. قال: قرأت قوله سبحانه «افمن كان على بّينة من ربه ويتلوه شاهد منه» . قال: نعم . قال : صاحب البينة محمد صلى الله عليه وآله والتالى الشاهد أنا .

(انما هو سّب بسب) بأن يقال له « بل قتلك الله وانت كافر » (اوعفو عن ذنب) بأن يترك على عمهه.

وقد وقع نظير ذلك للنبى صلى الله عليه وآله ، ففى الطبرى فى ذهاب النبى صلى الله عليه وآله الى احد : قال النبى لاصحابه : من يخرج بنا على القوم من كثب لايمر بنا عليهم . فقال ابو خيثمة اخو بنى حارثة : انا ، فقدمه فنفذ به فى حّرة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلك به فى مال المربع بن قيظى، وكان رجلا منافقاً ضرير البصر، فلما سمع حس النبى صلى الله عليه وآله ومن معه قام يحثى فى وجوههم التراب ويقول : ان كنت رسولا فانى لاأحل لك ان

تدخل حائطي ، وذكرانه اخذ حفنة من تراب ثم قال : لو اعلم انى لااصيب بها غيرك يامحمد لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال النبى صلى الله عليه وآله : لاتفعلوا فهذا الاعمى البصر الاعمى القلب . وقد بدر اليه سعد ابن زيد اخوبنى عبد الاشهل حين نهى النبى صلى الله عليه وآله عنه فضر به بالقوس فى رأسه فشجّه .

وهذا الخارجى وان نسب اليه عليه السلام الكفر حسب عقيدة الخوارج الفاسدة مع الوضوح عند جميع المسلمين انهم كفروا بالتبرى منه، الا أنه لمّا وصفه بكثرة الفقه ومدحه بذلك نهى عليه السلام عن قتله وقال : امّا سبوه بسبه وامّا أعفوا عنه . وامّا خارجى آخر اهانه عليه السلام بنسبة الجور اليه فدعا عليه بالمسخ ليصير عبرة للاخرين فان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

ففى خصائص المصنف : روى ان امير المؤمنين عليه السلام كان جالساً فى المسجد ودخل عليه رجلان واختصما اليه وكان احدهما من الخوارج، فتوجّه الحكم عليه فحكم عليه ، فقال له : والله ماحكمت بالسوية ولاعدلت فى القضية وما قضيتك عندالله بمرضية . فقال عليه السلام له ـ واومى اليه بيده ـ :اخسأ عدو الله . فاستحال كلباً اسود . فقال من حضره : فوالله لقد رأينا تطاير لباسه عنه فى الهواء، وجعل يبصبص له عليه السلام ودمعت عيناه ورأيناه قدرق فلحظ السماء وحرّك شفتيه بكلام لم نسمعه، فوالله لقد رأيناه وقد عاد الى حاله وتراجعت ثيابه من الهواء حتى سقطت على كتفيه، فرأيناه وقد خرج من المسجد وان رجليه لتضطربان ، فبهتنا ننظر اليه فقال عليه السلام: ما بالكم تنظرون وتعجبون. فقلنا: كيف لانتعجب وقدصنعت ماصنعت. فقال:أما تعلمون ان آصف ابن برخيا وصي سليمان بن داود قد صنع ماهو قريب من هذا الامر، فقصّ الله جل اسمه قصّته حيث يقول : « ايكم يأتينى بعرشها ـ الى ـ قال الذى عنده

علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان ترتدّ اليك طرفك » ـ الاية ، فأيّما اكرم عليه نبيكم ام سليمان. قالوا: بل نبينا. قال: فوصي نبيكم اكرم من وصي سليمان، وانما كان عند وصي سليمان من اسم الله الاعظم حرف واحد فسأل الله تعالى فخسف به الارض ما بينه وبين سرير بلقيس فتناوله في اقل من طرفة عين، وعندنا من اسم الله الاعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله استأثر به دون خلقه. فقالوا: فاذا كان هذا عندك فما حاجتك الى الانصار في قتال معاوية . فقال: بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، ان الله تعالى ممتحن خلقه بما يشاء . قالوا : فنهضنا ونحن نعظّم ما أتى به .

٣٧/٣/ وقال عليه السلام ـ وقد لقيه عند مسيره الى الشام دهاقين الانبار فترجلوا له واشتدوا بين يديه . فقال عليه السلام : ما هذا الذى صنعتموه فقالوا : خلق منا نعظم به امراءنا . فقال عليه السلام : والله ما ينتفع بهذا امراؤكم وانكم لتشقون على انفسكم في دنياكم وتشقون به في آخرتكم، وما اخسر المشقة وراءها العقاب واربح الدعة معها الامان من النار .

اقول : رواه نصر بن مزاحم في صفينه هكذا فقال : وجاء على عليه السلام حتى مر بالانبار فاستقبله بنو خشنوشك دهاقنتها ـ قال سليمان « خش » طيب « نوشك » راضي، يعني «بني الطيب الراضي» بالفارسية ، فلما استقبلوه نزلوا ثم جاؤا يشتدّون معه . قال : ما هذه الدواب التي معكم وما أردتم بهذا الذى صنعتم ؟ قالوا : أما هذا الذى صنعنا فهو خلق منا نعظم به ، وأما هذه البراذين فهدية لك وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاماً وهيّأنا لدوابّكم علفاً كثيراً. فقال عليه السلام : امّا هذا الذى زعمتم أنه منكم خلق تعظّمون به الامراء فوالله ما ينفع هذا الامراء ، وانكم لتشقون به على انفسكم وابدانكم فلا تعودوا له ، واما دوابكم هذه فان أحببتم ان نأخذها منكم فنحسبها من خراجكم اخذناها

منكم، واماطعامكم الذى صنعتم لنافانانكره انناْكل من اموالكم شيئاً الابثمن. قالوا: نحن نقدمه ثم نقبل ثمنه . قال : اذنلاتقوّمونه قيمة نحن نكتفى بما هو دونه . قالوا : فان لنا من العرب موالى ومعارف فتمنعنا انننهدى لهم وتمنعهم أن يقبلوا منا . قال : كل العرب لكم موال وليس ينبغى لاحد من المسلمين أنيقبل هديتكم، وان غصبكم احد فأعلمونا . قالوا: انانحب انتقبل هديتنا وكرامتنا. قال لهم : ويحكم نحن اغنى منكم . فتركهم ثم سار .

قول المصنف : وقال عليه السلام (وقد لقيه عند مسيره) من الكوفة (الى الشام) فىطريقه (دهاقين) جمع دهقان. قال الجوهرى الدهقان معرب انجعلت النون اصليـة من قولهم «تدهقن الرجل » صرفته لانه فعـلال ، وان جعلته من الدهق لم تصرفه لانه فعلان .

قلت : لاوجه لاحتمال كونه من الدهق ، لان الكلمة معرّبةمركبة من« ده » بمعنى القرية و « قان »مبدل « پان » مخفّف « پاينده » بمعنى الحافظ .

وفى الطبرى : منوشهرأول من خندق الخنادق وجمع آلة الحرب، واول من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دهقاناً وجعل أهلها له خولا وعبيداً وامـرهم بطاعته .

(فترجلوا له) اى نزلوا من مراكبهم وقاموا على أرجلهم (واشتّدوا) اى عدوا . قال الشاعر :

هذا اوان الشد فاشتدّى زيـم

(بين يديه) اى قدامه (فقال عليهالسلام) هكذا فى المصرية ، والكلمة زائدة فليست فى « حد » و « ثم » والخطيـة ، ولانها تكرار لانه قال اولا « وقال عليه السلام » .

(ماهذا الذى صنعتموه)من الاشتداد والعدو بين يدىّ (فقالواخلق) بضمتين

اى عادة (منّا نعظّم به امراءنا. فقال عليه السلام : ما ينتفع بهذا امراؤكم) بل يضرّبهم لانه يحدث لهم خيلاء وكبراً (وانكم لتشقّون) بالتشديد من المشقّة (على انفسكم) هكذا فى المصرية والصواب « به على انفسكم » كما فى « حد » و « ثم » والخطية (فى دنياكم) متعلق بقوله « لتشقّون » (وتشقون) بالتخفيف من الشقاء (به فى آخرتكم) لفعلكم العبث (وماأخسر المشقة) وراءها العقاب، فالمشقة ان لم يكن وراءها ثواب كالمشقة لتحصيل دنياً او آخرة خسارة، فان كان وراءها عقاب فهى اخسر .

(واربح الدعة) اى الاستراحة (معها الامان من النار) فالدعة ان لم يكن وراءها شيء ربح ، فان كان معها أمان من النار بأن يكون ضدها موجباً للنار وتركها الانسان لذلك فهى أربح .

هذا ومرفى فصل صفين: ان حرب بن شرحبيل الشبامى اقبل يمشى معه عليه السلام وهو راكب ، فقال عليه السلام له : ارجع ، فان مشي مثلك مع مثلى فتنة للوالي ومذلة للمؤمن .

وفى معجم بلدان الحموى قال احمد بن يحيى بن جابر : مر على بن ابى طالب عليه السلام بالانبار فخرج اليه اهلها بالهدايا الى معسكره فقال: اجمعوا الهدايا واجعلوها باجاً واحداً . ففعلوا فسمّى موضع معسكره بالانبار الباج الى الان .

٤/١٠٠/٣/ ومدحه قوم فى وجهه فقال : اللهم انك اعلم بى من نفسى وانا اعلم بنفسى منهم، اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون واغفرلنا مالايعلمون .

كان عليه السلام امام المتقين ، ومن صفات المتقين انه اذا زكى احدهم خاف ممّا يقال له فيقول : انا أعلم بنفسى من غيرى وربّى اعلم بى منّى بنفسى ، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون واغفر لى

ما لايعلمون .

وقال «حد»: وقال عليه السلام لرجل مدح رجلا فى وجهه « عقرت الرجل عقرك الله » . وقال عليه السلام: لو مشى رجل الى رجل بسيف مرهف كان خيراً له من أن يثنى عليه فى وجهه .

قلت : وفى الخبر « احثوا فى وجوه المدّاحين التراب » وعمل به ابوذر فى من مدح عثمان ، فانه مذموم لو كان حقاً فكيف لو كان باطلا .

/٣/٨٣/٥ وقال عليه السلام لرجل أفرط فى الثناء عليه ـ وكان له متهماً ـ انادون ما تقول وفوق مافى نفسك .

اقول : قال الجاحظ فى بيانه والمصنف فى خصائصه : قال الاصمعى اثنى رجل على علي عليه السلام فأفرط ، فقال على عليه السلام وكان يتهمه : انا دون ماتقول وفوق مافى نفسك .

هذا وروى الكافى انه عليه السلام بعث الى بشر بن عطارد التميمى فى كلام بلغه عنه ، فمرّ به رسوله فى بني اسد فقام اليه نعيم بن دجاجة الاسدى فأفلته، فبعث عليه السلام اليه فأتوه به وامر به ان يضرب ، فقال له نعيم : أما والله ان المقام معك لذل وان فراقك لكفر . فقال عليه السلام له: قد عفونا عنك ، ان الله عز وجل يقول « ادفع بالتى هى أحسن السيئة » اما قولك ان المقام معك لذل فسيئة اكتسبتها ، وأما قولك ان فراقك لكفر فحسنة اكتسبتها ، فهذه بهذه . فخلى عنه.

هذا وذكروا ان صديقاً لعيسى بن هبة الله البزاز كتب اليه رقعة فزاد فى خطابه فأجابه :

قد زدتنى فى الخطاب حتى ... خشيت نقصاً فى الزياده

فاجعل خطابى خطاب مثلى ... ولاتغيّر علىّ عاده

ونقل « حد » هنا ان عمر كان جالساً وعنده الدرة اذ أقبل الجارود العبدى،

فقال رجل : هذا سيد ربيعة. فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود، فلما دنا منه خفقه بالدرة ، فقال لعمر : مالي ولك . قال : أما لقد سمعته. قال: سمعتها فمه. قال : ليخالطن قلبك منها شيء وانا احب ان اطأطىء منك .

قلت : الجناية للمادح لا للممدوح، فكان على عمر أن يؤنّب المادح ، مع ان المادح انما يؤنب اذا كان مدح رجلا في وجهه وهو لم يذكر ذلك للجارود بل لجلسائه ، وكلامه كان كلام حقيقة .

مع أن الضرب بالدرة انما يكون لمن جنى جناية لا في مثله. روى الكافي عن رزين قال : كنت اتوضأ في ميضاة الكوفة ، فاذا رجل قد جاء فوضع نعليه ووضع درته فوقهما ثم دنا فتوضأ معي فزحمته فوقع على يديه ، فقام فتوضأ فلما فرغ ضرب رأسي بالدرة ثلاثاً ثم قال : اياك ان تدفع فتكسر فتغرم. فقلت: من هذا ؟ فقالوا: امير المؤمنين ، فذهبت اعتذر اليه . فمضى ولم يلتفت الي.

وانما الأصل في عمل عمر مع الجارود ضغن في قلبه منه ، لما أراد عمر تضييع حد الشرب على قدامة بن مظعون صهره فألزمه الجارود بذلك .

٦/١٩٤/٣/ وكان عليه السلام يقول : متى اشفي غيظي اذا غضبت، احين اعجز عن الانتقام فيقال لي لو صبرت ام حين اقدر عليه فيقال لي لو عفوت

اقول : هذا نظير قوله عليه السلام في عدم المورد في الحذر من الموت، لانه ان لم يقدر في ذاك الوقت فهو لغو وان قدر لم يقدر على الفرار .

وقالوا : لما أمر النبي صلى الله عليه وآله بقتل احد اسراء قريش في بدر قالت اخته ابياتاً منها قولها :

ما ضرّك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

فقال النبي صلى الله عليه وآله : لو بلغني أبياتها قبل قتله ما قتلته .

هذا وقالوا أسر معاوية يوم صفين رجلا من اصحاب امير المؤمنين عليه

السلام ، فلما اقيم بين يديه قال : الحمد لله الذى امكننى منك . فقال الرجل : لاتقل ذلك فانها مصيبة . قال : واية نعمة اعظم من ان يكون ظفرت برجل قتل فى ساعة واحدة جماعة من اصحابى اضربا عنقه . فقال الرجل : اللهم اشهدأن معاوية لم يقتلنى فيك ولا لانك ترضى قتلى ، ولكن قتلنى فى الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فان فعل فافعل به ماهوأهله وان لم يفعل فافعل به ما أنت اهله. فقال معاوية : قاتلك الله لقد سببت فأوجعت فى السب ودعوت فأبلغت فى الدعاء ، خليا سبيله .

وقالوا : ضرب الحجاج أعناق اسارى اتي بهم ، فقال رجل منهم : والله لئن كنا اسأنا فى الذنب فما احسنت فى المكافأة . فقال الحجاج : أف لهذه الجيف ، أما كان فيهم من يحسن مثل هذا . وكف عن القتل .

هذا وصفة عفوه عليه السلام كباقى صفاته عجيبة ، فظفر بمروان وعداوته له عليه السلام وجساراته معه عليه السلام ايام عثمان لاسيما فى قضية ابى ذرمعروفة فعفا عنه .

وعفا عن ابن الزبير مع أنه كان يبغضه ويسبّه وقال عليه السلام فيه: ان اباه الزبير كان منهم وانه هو الذى قطعه عنهم .

وعفوه عليه السلام عن عائشة واهل البصرة لايحتاج الى بيان .

ومن كرم اخلاقه عليه السلام معاملته فى الحرب مع طلحة بن عثمان يوم احد وعمرو بن عبد ود يوم الخندق وعمرو بن العاص وبسر بن ارطاة يوم صفين.

وفى الطبرى فى الاول ضرب على عليه السلام طلحة صاحب لواء المشركين فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته فقال : أنشدك الله والرحم يا ابن عم ، فتركه فكبّر النبى صلى الله عليه وآله وقال لعلى عليه السلام اصحابه : مامنعك ان تجهز عليه. قال : ان ابن عمى ناشدنى حين انكشفت عورته فاستحييت منه .

الفصل الحادي عشر

(في تفسيره لايات ولغيرها واستشها ؟ بآيات)

٣/٩٩/١/ وسمع عليه السلام رجلا يقول « انالله وانااليه راجعون » فقال: ان قولنا «انالله»اقرار على انفسنابالملك،وقولنا «وانا اليه راجعون» اقرار على انفسنا بالهلك .

اقول: ومثله قال المصنف فى خصائصه، والاصل فيه مارواه محمد بن يعقوب فى الكافى عن على بن محمد عن صالح بن ابى حماد قال : جاء امير المؤمنين عليه السلام الى الاشعث بن قيس يعزيه بأخ له يقال له عبد الرحمن ، فقال له : ان جزعت فحق الرحم أتيت وان صبرت فحق الله اديت ، على انك ان صبرت جرى عليك القضاء وانت محمود وان جزعت جرى عليك القضاء وأنت مذموم. فقال الاشعث : انالله وانا اليه راجعون . فقال عليه السلام : أتدرى ما تأويلها ؟ قال : لاأنت غاية العلم ومنتهاه. فقال عليه السلام له : أما قولك « انا لله » فاقرار بالملك ، وأما «وانا اليه راجعون» فاقرار منك بالهلك .

ورواه ابن ابى شعبة الحلبى فى تحفه مرفوعاً مثله .

قول المصنف (وسمع عليه‌السلام رجلا يقول انالله وانا اليه راجعون) قد عرفت من خبر الكلينى أن الرجل كان اشعث بن قيس فى موت اخيه .

(فقال عليه السلام ان قولنا انالله اقرار على انفسنا بالملك) فهو الاقرار بالمبدأ (وانااليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك) فهو الاقرار بالمعاد .

ويجوز فى « الملك » و « الهلك » الضم والفتح . قال ابن السكيت : يقال « اذهبن فاماملك واما هلك» بالضم والفتح فيهما .

قلت : لكن « الملك » فى كلامه عليه السلام بمعنى المملوكية وفى كلام ابن السكيت بمعنى المالكية .

وقد فسر عليه السلام قوله تعالى «قل الروح من امر ربى» بما هو قريب من المعنى مع زيادة تفسير الروح ، ففى تذكرة سبط ابن الجوزى عن فضائل احمد بن حنبل : ان قيصراً كتب الى عمر يسأله عن مسائل عويصة معضلة ، فكتب على عليه السلام جوابها خلف الكتاب ، فلما قرأ قيصر الكتاب قال : ماخرج هذا الكلام الامن بيت النبوة. فسأل عن المجيب فقيل له ابن عم محمد، فكتب قيصر الى على عليه السلام: وقفت على جوابك فعلمت انك من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، وأوثر ان تكشف لى عن مذهبكم فى الروح التى ذكرها الله فى كتابكم فى قوله «ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى» فكتب على عليه السلام اليه: أما بعد، فالروح نكتة لطيفة ولمعة شريفة من صنعة باريها وقدرة منشيها، اخرجها من خزائن ملكه واسكنها فى ملكه، فهى عنده لك سبب وله عندك وديعة ، فاذا أخذت مالك عنده أخذ ماله عندك . والسلام .

قلت : مالنا عنده الرزق وماله عندنا الروح .

قال السبط : ومن هنا اخذ ابن سينا قوله :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

٣/٢٢٩/٢/ وسئل عليه السلام عن قوله تعالى« فلنحيينه حيوة طيبة »فقال هى القناعة .

أقول : تمام الاية قبل الجملة وبعدها «من عمل صالحاً من ذكر اوأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ماكانوا يعملون» .

قلت : واذا كانت القناعة حياة طيبة فالحرص حياة خبيثة ، وقال شاعر :

اذا شئت ان تحيى سعيداً فلاتكن على حالة الارضيت بدونها

ومن طلب العليا من العيش لم يزل حقيراً وفى الدنيا كثير غبونها

وقالوا : القانع بماقسم الله تعالى فى حدائق النعيم . قال شاعر :

اذا شئت ان تحيى حياة حلوة المحيا

فلاتحسد ولاتحقد ولاتأسف على الدنيا

٣/٢٣١/٣/ وقال عليه السلام فى قوله تعالى «ان الله يأمر بالعدل والاحسان» العدل الانصاف ، والاحسان التفضل .

اقول : ويجمعهما المروة كما يشهد له مستند الكلام .

فروى ابن بابويه فى معانيه والعياشى فى تفسيره عن عمرو بن عثمان التيمى القاضى قال : خرج على عليه السلام على أصحابه وهم يتذاكرون المروة ، فقال : أين انتم من كتاب الله . قالوا : فى أي موضع . فقال : فى قوله عزوجل « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » فالعدل الانصاف والاحسان التفضل .

وكذلك مارواه سبط ابن الجوزى أن رجلا سأله عليه السلام عن المروة فقال : اطعام الطعام ، وتعاهد الاخوان ، وكف الاذى عن الجيران . ثم قرأ «ان الله يأمر بالعدل والاحسان» .

ولاتنافى بين الخبرين فى تفسير الاية، وانماهما مجمل ومفصل فكف الاذى

انصاف والاطعام والتعاهد احسان .

وفسر المروة فى السفر والحضر بتفصيل اكثر فى خبر آخر . هذا وتمام الاية «وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعكم تذكرون».

/٣/٤٠٤/٤ وقال عليه السلام : وقد سئل عن معنى قولهم « لاحول ولاقوة الا بالله » انا لانملك مع الله شيئاً ولانملك الا ما ملكنا ، فمتى ما ملكنا ما هو أملك به مناكلفنا ومتى أخذه منا وضع تكليفه عنا .

(وقال عليه السلام : وقد سئل عن معنى قولهم « لاحول ولاقوة الابالله ») قلت: روى سبط ابن الجوزى فى تذكرته معنى آخر لقولهم ذاك عنه عليه السلام فقال: قال على عليه السلام فى معنى «لاحول ولاقوة الابالله» انه لاحول عن معصية الله الابعصمته ولاقوة على طاعته الابمعونته .

ولكن رواه الخطيب فى تاريخ بغداده عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله ، ولامنافاة فهو عليه السلام والنبى صلى الله عليه وآله كانا نفساً واحدة كما يشهد له القرآن .

(انا لانملك مع الله شيئاً) «قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار» ، «قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ان اراد بكم ضرّاً او اراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعلمون خبيراً» ، «لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً ان اراد أن يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعاً ولله ملك السماوات والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شىء قدير» .

(ولانملك الاماملكنا) فى تحف الحلبى سأله عليه السلام عباية بن ربعي عن الاستطاعة التى بها نقوم ونقعد ونفعل. فقال عليه السلام له: سألت عن الاستطاعة فهل تملكها من دون الله او مع الله ؟ فسكت عباية فقال عليه السلام : ان قلت

تملكها مع الله قتلتك، وان قلت تملكها دون الله قتلتك . فقال عباية : فماأقول؟ قال : تقول انك تملكها بالله الذى يملكها ، فان ملكك اياها كان ذلك من عطائه وان سلبكهاكان ذلك من بلائه،فهو المالك لما ملكك والقادر على ماعليه اقدرك .

وفى تفسير القمي : لما اسرى بالنبى صلى الله عليه وآله وجد ريحاً مثل المسك الاذفر فسأل جبرئيل عنها فقال : انها تخرج من بيت عذّب فيه قوم فى الله حتى ماتوا ان الخضر كان من ابناء الملوك ، فآمن بالله وتخلى فى دار أبيه فى بيت يعبد الله ولم يكن لابيه ولد غيره ، فأشاروا عليه ان يزوجه ليكون له الملك فى عقبه ، فخطب له امرأة بكراً وأدخلها عليه فلم يلتفت اليها ، فلما كان فى اليوم الثانى قال لها تكتمين .

قالت: نعم. قال: ان سألك ابى هل كان منى مايكون من الرجال الى النساء قولى نعم . فقالت : أفعل فسألها فقالت نعم . فقال له الناس مر النساء بتفتيشها، فكانت كما كانت فقالوا زوجت الغر من الغرة زوجه امرأة ثيباً، ففعل فلمادخلت عليه سألها الخضر الكتمان فقالت نعم، ولما سألها الملك قالت ابنك امرأة فهل تلدالمرأة من المرأةفغضب وامر بردم الباب عليه،فلماكان اليوم الثالث حركته رقة الاباء فأمر بفتح الباب ففتح فلم يجدوه ، فأعطاه الله من القوة انه يتصوّر كيف شاء ثم كان على مقدمة ذى القرنين وشرب من الماء الذى من شرب منه بقي الى الصيحة ، فخرج من مدينة ابيه رجلان فى تجارة فوقعا فى جزيرة فوجدا فيها الخضر قائماً يصلي ، فلما انفتل سألهما عن خبرهما فأخبراه ، فقال : هل تكتمان علي امرى ان رددتكما فى يومكما الى منازلكما . فقالا : نعم فنوى احدهما أن يكتم فكتم وذهب الاخر الى الملك فأخبره فقال له : من يشهد لك؟ قال : فلان التاجر . فأحضر فأنكر فقال الاول أبعث معي خيلا الى هذه الجزيرة واحبس هذا حتى آتيك بابنك ، فبعث معه خيلا فلم يجدوه ، فأطلق الرجل

الذى كتم عليه .

ثم ان القوم عملوا بالمعاصي فأهلكهم الله وجعل عالي مدينتهم سافلها ، وابتدرت الجارية التى كتمت عليه أمره والرجل الذى كتم عليه كل واحد منهما ناحية من المدينة، فلما أصبحا التقيا فأخبر كل واحد منهما صاحبه بخبره ، فقال : مانجونا الا بذلك فآمنا برب الخضر وحسن أيمانهما وتزوج بها الرجل ووقعا الى مملكة ملك آخر وتوصلت المرأة الى ابنة الملك وكانت تزينها ، فبينا هى يوماً تمشّطهاسقط من يدها المشط فقالت « لاحول ولاقوة الابالله » فقالت بنت الملك: ماهذه الكلمة ؟ فقالت لها: ان لي الهاً تجرى الامور كلها بحوله وقوته. فقالت لها : الك اله غير ابى ؟ قالت : نعم وهو الهك واله أبيك . فدخلت على ابيها فأخبرته ، فدعاها الملك فسألها فأخبرته فقال : من على دينك ؟ قالت : زوجي وولدى. فدعاهم الملك الى الرجوع فأبوا، فدعا بمرجل من ماء فأسخنه فألقاهم فيه وادخلهم بيتاً وهدم عليهم البيت ، فقال جبرئيل للنبى صلى الله عليه وآله : فهذه الرائحة التى شممتها من ذاك البيت .

وعن نوادر محمد بن على بن محبوب: كان امير المؤمنين عليه السلام يبرأ من القدرية ويقول فى كل ركعة « بحول الله وقوته أقوم وأقعد » .

هذا وروى الخطيب فى تاريخ بغداده فى عبد العزيز التميمى عنه عن آبائه - الى تسعة آباء - ان علياً عليه السلام سئل عن «الحنّان المنّان» فقال: الحنان الذى يقبل على من أعرض عنه ، والمنان الذى يبدأ بالنوال قبل السؤال .

/٣/٤٣٩/٥ وقال عليه السلام : الزهد كله بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه «لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولاتفرحوابما آتاكم» ومن لم يأس على الماضى ولم يفرح بالاتى فقد أخذ الزهد بطرفيه .

(الزهد كله بين كلمتين من القرآن) وقال الجاحظ فى بيانه : جمع

محمد بن علي بن الحسين - أي الباقر عليه السلام - صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين ، فقال : صلاح شأن جميع التعايش والتعاشر ملأ مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل .

قال : فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ولاحظّاً في الصلاح ، لان الانسان لايتغافل الاعن شيء قد فطن به وعرفه .

(قال الله سبحانه) في سورة الحديد (لكيلا) علة لقوله تعالى قبله « ماأصاب من مصيبة في الارض ولافي انفسكم الافي كتاب من قبل ان نبرءها ان ذلك على الله يسير » (تأسوا) اى تتأسفوا (على مافاتكم) من الدنيا (ولا تفرحوا) بما اعطاكم منها .

في الكافي عن الرضا عليه السلام قال عيسى عليه السلام للحواريين: لاتأسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لايأسى اهل الدنيا على مافاتهم من دينهم اذا أصابوا دنياهم .

وعن امير المؤمنين عليه السلام : ان علامة الراغب في ثواب الاخرة زهده في عاجل زهرة الحياة الدنيا، أما ان زهد الزاهد في هذه الدنيا لاينقصه مما قسم الله تعالى له فيها وان زهد ، وان حرص الحريص على عاجل زهرة الحياة الدنيا لايزيده فيها وان حرص ، فالمغبون من حرم حظه من الاخرة .

وعنه عليه السلام : جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا، قال النبي صلى الله عليه وآله: لايجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لايبالي من اكل الدنيا .

وعنه عليه السلام : من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه ، وانطق بها لسانه ، وبصّره عيوب الدنيا داءها ودواءها ، وأخرجه من الدنيا سالماً الى دار السلام .

(ومن لم يأس على الماضى) الذى فات (ولم يفرح بالاتى) الذى يؤتيه الله (فقد اخذ الزهد بطرفيه) اللذين مرذكر القرآن لهما .

فى تفسير القمى قال يزيد لعلى بن الحسين عليه السلام : الحمد لله الذى قتل اباك. فقال عليه السلام: لعن الله من قتل ابى افترى ألعن ربى. فغضب يزيد وامر بضرب عنقه ، فقال عليه السلام : فاذا قتلتنى فبنات رسول الله من يرّد هن وليس لهن محرم غيرى . قال : أنت تردهن . ثم قال يزيد « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم » فقال عليه السلام : كلاماهذا فينا نزلت انما نزلت فينا « ما اصاب من مصيبة فى الارض ولافى انفسكم الافى كتاب من قبل ان نبرءها ان ذلك على الله يسير* لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم» فنحن الذين لانأسى على ما فاتنا من الدنيا ولانفرح بما آتانا منها .

/٣/٣٧٧/٦ وقال عليه السلام : لاتأمنن على خير هذه الامة عذاب الله لقوله تعالى « فلايأمن مكر الله الا القوم الخاسرون » ، ولاتيأسن على شر هذه الامة من روح الله لقوله تعالى « انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون » .

(لاتأمنن على خير هذه الامة) وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وآله: خير كم من أطعم الطعام ، وافشى السلام ، وصلى والناس نيام .

(عذاب الله لقوله تعالى) هكذا فى المصرية والصواب «لقول الله سبحانه» كما فى « ثم » والخطية ، ولكن فى حد « لقوله سبحانه » (فلايأمن مكر الله) اى تدبيره تعالى فى امور عبيده كما يريد (الا القوم الخاسرون) لقلة معرفتهم وغفلتهم .

وقد كان الزبير بن العوام فى الظاهر من خيار الامة حتى أنه دافع يوم السقيفة عن امير المؤمنين عليه السلام حتى كسر عمر سيفه وحتى مع كونه من أسد قريش،

كان يعدّ في عداد بني هاشم حتى صار بازدياد امواله ونشأ ولده عبد الله كما قال تعالى «انما اموالكم وأولادكم فتنة» مفتوناً حتى صار محارباً لله ولرسوله صلى الله عليه وآله بمحاربته امير المؤمنين عليه السلام ، فقد قال له النبي صلى الله عليه وآله «حربك حربي وحربي حرب الله» وصار سبباً لقتل آلاف من المسلمين .

قال « حد » لقائل ان يقول : الاية لاتدل على ما افتى به ، لان معنى الاية انه لايجوز للعاصي أن يأمن مكر الله على نفسه وهو مقيم على عصيانه ، ألاترى ان قبلها « أفأمن اهل القرى - الى - وهم يلعبون » .

قلت: خصوص المورد لايخصص عموم العلة، واغلب جمل القرآن كالكلام المستقل .

(ولاتيأسن لشر هذه الامة) وقد جعل النبي صلى الله عليه وآله شرار الامة طبقات .

روى الكافي ان النبي صلى الله عليه وآله خطب فقال: ألا اخبركم بشراركم. قالوا : بلى . قال : الذي يمنع رفده ، ويضرب عبده ، ويتزود وحده . فظنوا أن الله لم يخلق خلقاً هو شر من هذا ، فقال: ألا اخبركم بمن هو شر من ذلك؟ قالوا : بلى . قال المتفحش اللعّان ، الذي اذا ذكر عنده المؤمنون لعنهم، واذا ذكروه لعنوه .

(من روح الله) أي رحمته (الا القوم الكافرون) بالله .

في كشكول البهائي قال بعض اصحابه عليه السلام له: هل نسلم على مذهب هذه الامة ؟ فقال : يراه الله للتوحيد اهلا ولا تراه للسلام اهلا .

وفي ذيل الطبري : أصاب الزهري دماً خطأ ، فخرج وترك اهله وضرب فسطاطاً وقال : لايظلني سقف بيت أبداً . فمر به علي بن الحسين عليه السلام فقال له : يا ابن شهاب قنوطك اشدّ من ذنبك ، فاستغفر الله وابعث الى اهله

بالدية وارجع الى اهلك . ففعل وكان يقول على بن الحسين عليه السلام اعظم الناس علي منة .

وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وآله : ان رجلا قال: لاوالله لايغفرالله لفلان، فقال عز وجل من ذا الذى تألى علي ان لاأغفر لفلان ، فانى قد غفرت لفلان وأهبطت عمل ذاك القائل .

وروى : ان رجلاكان فى بنى اسرائيل منهمكاً فى المعاصى، فأتى فى بعض اسفاره على بئر فاذا كلب قدلهث من العطش فرق له، فأخذ عمامته وشدها بخفه واستقى الماء وأروى الكلب ، فأوحى الله تعالى الى نبى ذاك الزمان : انى قد غفرت ذنبه بشفقته على خلق من خلقى ، فسمع ذلك فتاب .

وروى : ان عابداً عبدالله ثمانين سنة ثم أشرف على امرأة فوقعت فى نفسه فنزل اليها فراودها على نفسها فطاوعته ، فلما قضى منها حاجته طرقه الموت فاعتقل لسانه فمر سائل فأشار اليه ان خذ رغيفاً كان فى كسائه ، فأحبط الله عمل ثمانين سنته بتلك الزنية وغفر الله له بذاك الرغيف .

وروى : انه كان فى بنى اسرائيل عابد غائظ ابليس، فاحتال عليه فجاء عنده وقام الى الصلاة ليلا ونهاراً بدون ملل، فتعجب العابد وقال له: من أين لك هذه القوة فى العبادة ؟ فقال له : لانى زنيت بفلانة الفاجرة . فانخدع العابد، فذهب اليها وقص عليها قصته ، فقالت له : انه كان الشيطان فلاتنخدع . فماتت من ليلتها ، فأصبحت واذاً على بابها مكتوب احضروا فلانة فانها من اهل الجنة ، فارتاب الناس ومكثوا ثلاثة ايام لايدفنونها ، فأوحى تعالى الى نبيهم ان ائت فلانة فصل عليها ومر الناس انيصلوا عليها فانى أوجبت لها الجنة بتثبيطها عبدى فلاناً عن معصيتى .

وفى الخصال عن الصادق عليه السلام : تبع حكيم حكيماً سبعمائة فرسخ

في سبع كلمات، فلما لحقه قال له: ياهذا ماارفع من السماء وأوسع من الارض وأغنى من البحر وأقسى من الحجر وأثقل من الجبال الراسيات وأشد حرارة من النار وأشد برداً من الزمهرير ؟ فقال له : الحق ارفع من السماء ، والعدل أوسع من الارض، وغنى النفس أغنى من البحر، وقلب الكافر أقسى من الحجر ، والبهتان على البرىء أثقل من الجبال الراسيات، والحريص الجشع أشد حرارة من النار ، واليأس من روح الله أشد برداً من الزمهرير .

ومرفى فصل الامامة العامة قوله عليه السلام «لتعطفن الدنيا علينا بعدشماسها عطف الضروس على ولدها» وتلاعقيب ذلك «ونريدأن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين» .

٣/١٣٥/٧/ وقال عليه السلام : من أعطى أربعاً لم يحرم أربعاً: من اعطى الدعاء لم يحرم الاجابة ، ومن أعطى التوبةلم يحرم القبول ، ومن اعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة ، ومن أعطى الشكر لم يحرم الزيادة .

قال الرضى : وتصديق ذلك كتاب الله ، قال الله فى الدعاء « ادعونى استجب لكم » وقال فى الاستغفار « ومن يعمل سوء اويظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » وقال فى الشكر « لئن شكرتم لازيدنكم » وقال فى التوبة « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً » .

أقول : نقلناه فى هذا الفصل لكون جملة «وتصديق ذلك» الى آخرها من كلامه عليه السلام على الاصح دون كونه من كلام الرضي ، لخلو « ثم » الذى نسخته بخط مصنفه من فقرة « قال الرضى » والخطية ايضاً خالية منها والمصرية الاولى ايضاً خالية منها، وانما زادها الثانية اخذاً من «حد» لكن «حد»وان زادها الاانه قال : وفى بعض الروايات ان الجملة من كلامه عليه السلام ـ الخ .

قلت : ولو كانت الجملة من كلام الرضى رضى الله عنه لقال «وتصديق قوله عليه السلام» لا «وتصديق ذلك»، فان التعبير يشهد بكونه كلامه عليه السلام ذكره شاهداً ومستنداً ، وانما توهم من زاد الجملة انه كلام الرضى لسوء فهمه فزادها توضيحاً لما زعم .

ثم مانقلناه « وتصديق ذلك كتاب الله » انما هو فى المصرية ، والصواب « وتصديق ذلك فى كتاب الله سبحانه » كما فى «ثم» الذى نسخته بخط مصنفه ، وكذا فى «حد» والخطية لكن فيهما بدل سبحانه «تعالى» .

ثم نظيره فى استشهاده عليه السلام بالايات مارواه مهج على بن طاوس عن خط ابن الباقلانى النحوى المتكلم ، قال حدّثنى السيد الاوحد العالم مؤيد الدين شرف القضاة عبد الملك انه كان مريضاً فجاءه امير المؤمنين عليه السلام ـ أى فى المنام ـ وكأنّه قد نزل من الهواء وقال له « الشفاء » وامرّيده على ذراعه الايمن وقال له قل ثلاث مرات « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الذين قال لهم الناس انّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وأفوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم » فاذا قلت « الذين قال لهم الناس » قال تعالى « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » واذا قلت «وافوض امري الى الله» قال تعالى «فوقاه الله سيئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب » واذا قلت « ما يفتح الله » وهذا الايمان التام ـ الخبر .

الفصل الثاني عشر

(في قضاياه عليه السلام)

١/٢٧٠/٣/ وروى انه ذكر عند عمر بن الخطاب في ايامه حلى الكعبة وكثرته ، فقال قوم لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان اعظم للاجر وما تصنع الكعبة بالحلى، فهم عمر بذلك وسأل امير المؤمنين عليه السلام فقال : ان القرآن أنزل على النبى صلى الله عليه وآله والاموال اربعة : أموال المسلمين فقسمها بين الورثة فى الفرائض ، والفيء فقسمه على مستحقيه ، والخمس فوضعه الله حيث وضعه ، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها ، وكان حلى الكعبة فيها يومئذ فتركه الله على حاله ولم يتركه نسياناً ولم يخف عليه مكاناً ، فأقره حيث اقره الله ورسوله . فقال له عمر : لولاك لافتضحنا ، وترك الحلى بحاله .

(وروي أنه ذكر عند عمر بن الخطاب فى أيامه حلي الكعبة وكثرته فقال قوم :لو أخذته فجهّزت بهجيوش المسلمين كان أعظم للاجر وما تصنع الكعبة بالحلي» أقول : فى الطبرى كان تبّع وقومه أصحاب اوثان يعبدونها ، فأتاه نفر

من هذيل فقالوا له : ألا ندلّك على بيت مال قد أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة . قال : بلى . قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ويصلّون عنده ـ وانما أراد الهذليون بذلك هلاكه لما قد عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده ـ فلمّا اجمع لما قالوا ارسل الى حبرين من أحبار اليهود كانا اعلم اهل زمانهما وكان خرج بهما معه ، فقالا له: ما أراد القوم الاّ هلاكك وهلاك جندك ، ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن وليهلكن من معك من جندك. قال: فماذا تأمراننى ان أصنع؟ قالا: ما يصنع أهله تطوف به وتعظّمه وتحلق عنده رأسك وتتذلل له حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما والله انه لبيت أبينا ابراهيم ، ولكن اهله حالوا بينه وبيننا بالاوثان التى نصبوا حوله وبالدماء التى يهريقون عنده وهم نجس . فعرف نصحهما فقرّب الهذليين فقطع أيديهم وارجلهم ثم مضى حتى قدم مكة وأرى فى المنام ان يكسو البيت فكساه بالخصف، ثم اري ان يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر ، ثم أري ان يكسوه احسن من ذلك فكساه الملاءة والوصائل ، فكان تبّع فيما يزعمون اول من كساه وأوصى به ولاته من جرهم وامرهم بتطهيره وان لايقرّبوه دماً ولاميتة ولاميلاثاً ـ وهى الحائض ـ وجعل له باباً ومفتاحاً .

(فهمّ عمر بذلك) فى ملاحم ابن طاوس نقلا من فتن نعيم بن حماد ـ وهو من رجال العامة ـ فى أخبار المهدى عليه السلام عن ابن وهب عن اسحق بن يحيى عن طلحة التميمى عن طاوس قال : ودع عمر البيت ثم قال : والله ما أدري ادع خزائن البيت وما فيه من السلاح والمال ام أقسمه فى سبيل الله . فقال له علي عليه السلام: امض فلست بصاحبه، انما صاحبه منّا شابّ من قريش يقسمه فى سبيل الله فى آخر الزمان .

واخذ أموال الكعبة بغير حق جمع ، منهم ابن الانطس ففى الطبرى

جلس حسين بن الحسن الافطس فى أول يوم من محرم سنة مائتين بعد تفرق الحاج خلف المقام على نمرقة مثنية ، فأمر بثياب الكعبة التى عليها فجرّدت منها حتى لم يبق من كسوتها شيئاً وبقيت حجارة مجرّدة ، ثم كساها ثوبين من قزّ رقيق كان ابو السرايا وجّه بها معه ، وعمد الى ما فى خزانة الكعبة من مال فأخذه وجعلوا يحكّون الذهب الرقيق الذى فى رؤوس أساطين المسجد فيخرج من الاسطوانة بعد التعب الشديد قدر مثقال ذهب او نحوه ، حتى عمّ ذلك اكثر اساطين المسجد الحرام ، وقلعوا الحديد الذى على شبابيك زمزم ومن خشب الساج فبيع بالثمن الخسيس .

ومنهم الجنابى القرمطى ، ففى صلة الطبرى : سار الجنابى القرمطى فى سنة (٣١٦) الى مكة فدخلها وأوقع بأهلها عند اجتماع الموسم واهلال الناس بالحج يقتل المسلمين بالمسجد الحرام وهم متعلقون بأستار الكعبة واقتلع الحجر وذهب به واقتلع أبواب الكعبة وجردها من كسوتها ، وأخذ جميع ما كان فيها من آثار الخلفاء التى زيّنوا بها الكعبة وذهبوا بدرة اليتيم وكانت فيما ذكر اهل مكة اربعة عشر مثقالا وقرن كبش ابراهيم وعصا موسى ملبسين بالذهب مرصّعين بالجوهر وطبق ومكبّة من ذهب وسبعة عشر قنديلا كانت بها من فضة وثلاث محاريب فضّة كانت دون القامة منصوبة فى صدر البيت ، ثم ردّ الحجر بعد أعوام ولم يردّ من سائر ذلك شىء .

وقيل ان الجنابى صعد الى سطح الكعبة ليقلع الميزاب وهو من خشب ملبس بالذهب، فرماه بنو هذيل الاعراب من جبل ابى قبيس بالسهام حتى أزالوه ولم يصل الى قلعه .

وبعضهم بدّل كسوته وبابه ، ففى الطبرى: نزع المهدى سنة (١٦٠) كسوة الكعبة التى كانت عليها وكساها كسوة جديدة، وذلك ان حجبة الكعبة رفعوا اليه

انهم يخافون على الكعبة ان تهدم لكثرة ما عليها من الكسوة ، فأمر أن يكشف عنها ما عليها من الكسوة حتى بقيت مجردّة ، ثم طلى البيت كله بالخلوق . وذكر أنهم لمّا بلغوا الى كسوة هشام وجدوها ديباجاً ثخيناً جيّداً ، ووجدوا كسوة من كان قبله عامتها من متاع اليمن .

وفى كامل الجزرى: قلع الخليفة المقتفى فى سنة (٥٥٢) باب الكعبة وعمل عوضه باباً مصفحاً بالنقرة المذهبة ، وعمل لنفسه من الباب الاول تابوتاً يدفن فيه اذا مات .

(وسأل) هكذا فى المصرية والصواب « وسأل عنه » كما فى « حد » و « ثم » والخطية (امير المؤمنين عليه السلام) فى تاريخ الخطيب قال المهدى لشريك القاضى: ما تقول فى على بن ابى طالب؟ قال : ماقال فيه جداك العباس وعبدالله بن العباس . قال : وما قالا فيه . قال : فأما العباس فمات وعلى عليه السلام عنده أفضل الصحابة ، وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل بهم من النوازل وما احتاج هو الى احد حتى لحق بالله ـ الى آخر ما فيه .

وكما اشار عليه السلام عليه بعدم تعرضه لحلّى الكعبة كذلك أشار عليه بعدم اقرار بهار كسرى ، قال الجزرى فى كامله فى فتح القادسية: أرسل سعد بن ابى وقاص بعد الفتح فى الخمس كل شىء اراد ان تعجب منه العرب واراد اخراج خمس القطيف ـ وهو بهار كسرى ـ فلم تعتدل قسمته ، فقال للمسلمين : هل تطيب أنفسكم عن اربعة أخماسه فنبعث به الى عمر يضعه حيث يشاء فانا لانراه ينقسم وهو بيننا قليل وهو يقع من اهل المدينة موقعاً . قالوا : نعم ، فبعثه وهو بساط طوله ستون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً مقدار جريب ، كانت الاكاسرة تعدّه للشتاء اذا ذهبت الرياحين شربوا عليه فكأنهم فى رياض ، فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار أرضها مذهّبة وخلال ذلك كالدر وفى حافاته كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات فى الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهره

الذهب والفضة وثمره الجوهر واشباه ذلك ،وكانت العرب تسمّيه القطيف . فقال عمر : أشيروا علىّ فيه ، فمن بين مشير بقبضه وآخر مفوض اليه، فقال له علي عليه السلام : لم تجعل علمك جهلا ويقينك شكّاً ، انه ليس لك من الدنيا الا ما أعطيت فأمضيت اولبست فأبليت اواكلت فأفنيت، وانك ان تبقه على هذا اليوم لم تعدم فى غد من يستحق به ما ليس له . فقال : صدقتنى ونصحتنى ، فقطّعه بينهم فأصاب علياً عليه السلام منه قطعة لم تكن بأجود تلك القطع فباعه بعشرين ألفاً .

وكما اشار عليه السلام على عمر بعدم تعرض حلّى الكعبة اشار على بن الحسين عليه السلام على الحجاج بمنعه من هتك تراب البيت .

ففى الكافى عن أبان بن تغلب: لما هدم الحجاج الكعبة فرّق الناس ترابها، فلما صاروا الى بنائها فأرادوا أن يبنوها خرجت عليهم حيّة فمنعت الناس البناء حتى هربوا ، فأتوا الحجاج فأخبروه ، فخاف أن يكون قد منع بناءها ، فصعد المنبر ثم قال : أنشد الله عبداً عنده مما ابتلينا به علم لمّا اخبرنا به . فقام اليه شيخ فقال : ان يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء الى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى . فقال الحجاج : من هو ؟ فقال : على بن الحسين. فقال: معدن ذلك، فبعث اليه عليه السلام فأخبره بما كان من منع الله اياه البناء ، فقال له :انك عمدت الى بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فألقيته فى الطريق وانهبته كأنك ترى انه تراث لك ، اصعد المنبر وانشد الناس ان لا يبقى أحد عنده شيء الاردّه ، فردّوه فلما جمع التراب أتى عليه السلام فوضع الاساس وامرهم ان يحفروا فتغيبت عنهم الحيّة ، وحفروا حتى انتهوا الى موضع القواعد قال عليه السلام لهم: تنحّوا ، فتنحّوا فدنا منها فغطّاها ثوبه ثم غطّاها بالتراب بيده ثم دعا الفعلة فقال : ضعوا بناءكم ـ الخبر .

(فقال عليه السلام ان القرآن انزل على النبى) هكذا فى المصرية و«ثم» والخطية ولكن فى حد « على محمد صلى الله عليه وآله » (والاموال اربعة) ان عمر لم يكن يعرف ما يعرفه باقى الصحابة والتابعين .

فقال ابن عبدالبر فى استيعابه فى عنوان صعصعة : صعصعة هو القائل لعمر حين قسّم المال الذى بعث اليه ابو موسى وكان ألف الف درهم وفضلت منه فضلة فاختلفوا عليه حيث يضعها، فقام خطيباً وقال: أيها الناس انه قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس فما تقولون فيها ؟ فقام صعصعة وهو غلام شاب فقال : انما يشاور الناس فى مالم ينزل الله فيه قرآنا، وأما ما انزل الله فيه القرآن ووضعه مواضعه فضعه فى مواضعه التى وضعه الله تعالى فيها . فقال صدقت .

(أموال المسلمين فقسّمها بين الورثة فى الفرائض) فقال فى الطبقة الاولى « يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كنّ نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصى بها او دين » .

وقال فى الطبقة الثانية « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤهلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبيّن الله لكم ان تضلّوا والله بكل شىء عليم » .

وقال جل وعلا «وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار » .

وقال فى الطبقة الثالثة « وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » .

وذكر ميراث الازواج فقال : «ولكم نصف ماترك ازواجكم - الى - فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين » .

وذكر ابطال العصبة فى مورد البنات والاخوات التى يقول بها مخالفونا فقال «للرجال نصيب مماترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مماترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيباً مفروضاً» .

ودل على بطلان العول وورود النقص على البنات والاخوات دون الازواج والاباء والامهات ، بأن جعل للاولى فريضة واحدة وللاخيرة فريضتان . قال ابن عباس : وأول من اعال عمر فقال : ماادرى ايكم قدم وايكم اخر ، ولو قدم من قدم الله واخر من اخر الله ماعالت فريضة. فقيل له: فما قدم وما اخر ؟ فقال: المقدم فريضة الزوجين والامهات والمؤخر فريضة البنات والاخوات . فقيل له: فمامنعك ان تشير بهذا على عمر ؟ قال : هبته .

(والفيء فقسّمه على مستحقيه) فقال جل وعلا «وماأفاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير* ماافاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم» .

وقال تعالى «ياأيها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن ومامَلكت يمينك مما افاء الله عليك» .

قالوا : أى بالسبى كصفية وجويرية .

(والخمس فوضعه الله حيث وضعه) قال تعالى «واعلموا أن ماغنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين» .

والفيء كله للنبى صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام ، والغنيمة خمسها له ولهم .

وفى ادب كتّاب الصولى: ولى عمر السائب قسمة الغنائم بنهاوند لما فتحها الله على المسلمين، فجمع السائب الغنائم فقسّمها ثم جاء من دله على كنز الفخير جان وكان سفطيـن من جوهر ، فاستخرجهما فأتى بهما عمر فأمره ان يبيعهما ويقسم ثمنهما بين الذرية ولم يأمره ان يخمسه ، فتبيّن انه جعله فيئاً ولم يجعله غنيمة .

وعن كتاب خراج ابى يوسف أن نجدة بن عامر سأل ابن عباس عن سهم ذى القربى ، فكتب اليه : هو لنا وان عمر دعانا الى ان ننكح منه أيّمنا ونقضى به عن مغرمنا ونخدم منه عائلنا ، فأبينا الآن يسلمه الينا وابى ذلك علينا .

(والصدقات فجعلها الله حيث جعلها) فقال تعالى «انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل» .

(وكان حلي) بالفتح فالسكون وجمعه حلي بالضم فالكسر من حلى المرأة (الكعبة فيها يومئذ فتركه الله على حاله ولم يتركه نسياناً ولم يخف) بالفتح من خفي (عليه) هكذا فى المصرية والصواب «عنه» كما فى «حد» والخطية (مكاناً فأقرّه) بكسر القاف (حيث أقره الله ورسوله) .

انما امـر عليه السلام باقرار حليها على حالها ، وأما مايهدى اليهـا لاحلياً فلحاج لم يكن له نفقة الرجوع ، ففى الكافى انقوماً اقبلوا من مصر فمات منهم رجل فأوصى بألف درهم للكعبة ، فلما قدم الوصي مكة سأل فدلوه على بنى شيبة ، فأتاهم فأخبرهم فقالوا : قد برئت ذمتك ادفعها الينا . فسأل الناس فدلوه على ابى جعفر الباقر عليه السلام فأتاه فسأله فقال : ان الكعبة لغنية عن هذا ، انظر الى من أمّ هذا البيت فقطع به أو ذهبت نفقته أوضلت راحلته او عجز أن يرجع الى اهله فادفعها اليه . فأتى الرجل بنى شيبة فأخبرهم بقوله عليه السلام، فقالوا له : هذا ضال مبتدع ليس له علم ولايؤخذ عنه ، ونحن نسألك لما أبلغته

عنا هذا الكلام . فأتاه فقال له: زعموا انك كذا و كذا وسألونى بالعظيم الابلغتك ماقالوا . قال: وانا اسألك بما سألوك لما اتيتهم فقلت لهم: انه يقول ان من علمى أن لو وليت شيئاً من امور المسلمين لقطعت ايديهم ثم علقتها فى استار الكعبة ثم أقمتهم على المصطبة ثم امرت منادياً ينادى : الا ان هؤلاء سراق الله فاعرفوهم .

وفيه عن الكاظم عليه السلام : جعل رجل جاريته هدياً للكعبة ، فقال له ابى عليه السلام : قوّم الجارية أو بعها ثم مر منادياً يقوم على الحجر فينادى ألا من قصرت به نفقته أو قطع به أو نفد طعامه فليأت فلان بن فلان ، ومره ان يعطى اولا فأولا حتى ينفد ثمن الجارية .

(فقال له) هكذا فى المصرية ، و كلمة «له» زائدة لعدم وجودها فى « حد » و«ثم» والخطية (عمر لولاك لافتضحنا وترك الحلي بحاله) وعرف خطأ المشيرين عليه بأخذه .

وورد تشكر عمر له عليه السلام لما ارشده فى مواضع اخر فى امور شخصه وفى امور غيره بألفاظ مختلفة :

(منها) ماروى عن الربيع بن زياد ـ وقد نقله «حد» فى موضع آخر ـ قال : قدمت على عمر بمال من البحرين ، فصليت معه العشاء ثم سلمت عليه فقال : ماقدمت به ؟ قلت: خمسمائة الف. قال : ويحك انما قدمت بخمسين ألفاً . قلت : بل خمسمائة الف . قال : كم يكون ذلك . قلت : مائة الف ومائة الف حتى عددت خمساً . فقال : انك ناعس ارجع الى بيتك ثم اغد علي ، فغدوت عليه فقال: ماجئت به؟ قلت : ماقلت لك. فاستشار الصحابة فيه فأشير عليه بنصب الديوان ، فنصبه وقسّم المال بين المسلمين ففضلت عنده فضلة ، فأصبح فجمع المهاجرين والانصار وفيهم على بن ابى طالب عليه السلام وقال للناس : ماترون فى فضل فضل عندنا من هذا المال ؟ فقال الناس : انا شغلناك بولاية أمورنا عن

اهلك وتجارتك وصنعتك فهو لك ، فالتفت الى على عليه السلام فقال : ماتقول أنت ؟ قال : قد أشاروا عليك . قال : فقل أنت . فقال له: لم تجعل يقينك ظناً. فلم يفهم عمر ماقال فقال له : لتخرجن مما قلت . قال : اجل والله لاخرجن منه، أتذكر حين بعثك النبى صلى الله عليه وآله ساعياً فأتيت العباس فمنعك صدقته فكان بينكما شيء ، فجئتما الي وقلتما انطلق معنا الى النبى صلى الله عليه وآله، فجئنا اليه فوجدناه خاثراً، فرجعنا ثم غدونا اليه فوجدناه طيب النفس، فأخبرته بالذى صنع العباس فقال لك: ياعمر أما علمت ان عم الرجل صنو أبيه ،فذكرنا له مارأينا من خثوره اليوم الاول وطيب نفسه فى اليوم الثانى ، فقال: انكم أتيتم فى اليوم الاول وقد بقى عندى من مال الصدقة ديناران فكان مارأيتم من خثورى ، واتيتم فى اليوم الثانى وقد وجّهتهما فذاك الذى رأيتم من طيب نفسى . أشير عليك ان لاتأخذ من هذا الفضل شيئاً وان تفضه على فقراء المسلمين . فقال عمر: صدقت والله لاشكرن لك الاولى والاخيرة .

(ومنها) ماروى عن ابى سعيد الخدرى ـ ونقله «حد» فى موضع آخر ـ قال : حججنا مع عمر أوّل حجّة حجّها فى خلافته ، فلما دخل المسجد الحرام دنا من الحجر الاسود فقبّله واستلمه وقال: انى لاعلم انك حجر لاتضرّ ولاتنفع ، ولولا أنى رايت النبى قبّلك واستلمك لما قبلتك ولااستلمتك . فقال له على عليه السلام : بل انه يضر وينفع ، ولو علمت تأويل ذلك من كتاب الله لعلمت أن الذى اقول لك كما اقول ، قال الله تعالى « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرّيتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى» ، فلمّا اشهدهم واقرّوا له أنه الرب وانّهم العبيد كتب ميثاقهم فى رقّ ثم ألقمه هذا الحجر ، وانّ له لعينين ولساناً وشفتين يشهد لمن وافاه بالموافاة ، فهو أمين الله تعالى فى هذا المكان . فقال عمر : لاأبقانى الله بأرض لست بها ياابالحسن .

وروى الكافي عن الصادق عليه السلام قال : انّ الله تعالى لما اخذ موائيق العباد امر الحجر فالتقمها ولذلك يقال «امانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة» .

(ومنها) مارواه الكافي عن الصادق عليه السلام : ان امرأة كانت تؤتى ، فبلغ ذلك عمر فبعث اليها فروّعها وامرأن يجاء بها اليه، ففزعت المرأةواخذها الطلق وذهبت الى بعض الدور فولدت غلاماً فاستهل الغلام ثم مات ، فدخل عليه من روعة المرأة ومن موت الغلام ، فقال له بعض جلسائه ماعليك من هذا شيء ، وقال بعضهم ماهذا شيء . فقال لهم سلوا اباالحسن . فقال عليه السلام لهم : ان كنتم اجتهدتم فما أصبتم، ولئن قلتم برأيكم لقد اخطأتم، ثم قال لعمر: عليك دية الصبي . ورواه «حد» في موضع آخر وقال: وفي خبره «عليك غرة» يعني عتق رقبة .

(ومنها) مارواه السروي في مناقبه : ان عمر امر برجل يمني محصن فجر بالمدينة ان يرجم ، فقال له علي عليه السلام: لايجب عليه الرجم لانه غائب عن اهله ، انما يجب عليه الحد . فقال عمر : لا أبقاني الله لمعضلة لم يكن لها ابو الحسن.

(ومنها) مارواه مناقب الخوارزمي أن عمر اتي بامرأة حامل، فسألها فاعترفت بالفجور ، فأمر بها أن ترجم ، فلقيها علي عليه السلام فقال : مابال هذه المرأة ؟ فقالوا له : امر عمر بها ان ترجم، فردها وقال لعمر : امرت بها ان ترجم ؟ قال : نعم اعترفت بالفجور . فقال عليه السلام له : هذا سلطانك عليها فما سلطانك على مافي بطنها . ثم قال له : لعلك انتهرتها او أخفتها . فقال : قد كان ذلك . فقال له : أو ماسمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : لاحدّ على معترف بعد بلاء ، ان من قيدت أو حبست أو تهددت لااقرار له ، فخلى عمر سبيلها ثم قال:

عجزت النساء عن أن يلدن مثل علي ، لولا علي لهلك عمر .

(ومنها)مارواه فتوح البلاذرى: انّ رجلا يقال له معن بن زائدةانتقش على خاتم الخلافة على عهد عمر، فأصاب مالا من خراج الكوفة. قال: فلمّا صلّى عمر صلاة الصبح قال للناس : مكانكم ـ وذكر قصّته لهم وقال : ما تقولـون فيه ؟ فقال قائل اقطع يده ، وقال قائل اصلبه وعلى عليه السلام ساكت ، فقال له عمر : ما تقول يا ابا الحسن؟ قال: رجل كذب كذباً عقوبته فى بشره، فضربه عمر ضرباً شديداً وحبسه .

(ومنها) مارواه الكافى عن عاصم السلولى قال: سمعت غلاماً يقول: ياحكم الحاكمين احكم بينى وبين امّى . فقال له عمر : لم تدعو على امك ؟ قال : انهاحملتنى فى بطنها تسعه أشهر وارضعتنى حولين، فلما ترعرعت وعرفت الخير من الشر طردتنى وزعمت أنها لاتعرفنى . فقال عمر : ياهذه ما يقول الغلام ؟ فقالت : والذى احتجب بالنور فلاعين تراه ماأعرفه ولاادرى من أي الناس هو؟ يريد أن يفضحنى فى عشيرتى وانّى جارية من قريش لـم تتزوج قط . فقال عمر : ألك شهود ؟ فقالت : نعم هؤلاء اخوتى. فتقدم الاربعون القسامة فشهدوا عند عمر ان الغلام يريد أن يفضحها وانها جارية من قريش بخاتم ربها . فقال عمر : خذوا هذا الغلام وانطلقوا به الى السجـن حتى نسأل عن الشهود فـان عدّلوا جلدته حدّ المفترى، فأخذوه للسجن فتلقاهم اميرالمؤمنين عليه السلام فى بعض الطريق فنادى الغلام : يا ابن عم النبى أنـا غلام مظلوم وأعـاد عليه الكلام الذى كلّم به عمر . فقال عليه السلام : ردّوه . فقال لهم عمر : أمرت به الى السجن. قالوا: أمرنا على عليه السلام انردّه وسمعناك تقول : لاتعصوا لعلي امراً . فبينا هم كذلك اذ أقبـل على عليه السلام فقال : علي بـأم الغلام . فأتى بها فقال على عليه السلام : يا غلام ما تقول. فأعاد الكلام ، فقال على عليه

السلام لعمر : تأذن لي ان أقضي بينهم. فقال عمر: سبحانه الله كيف لا وقد سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول « اعلمكم علي » ثم قال عليه السلام للمرأة : ياهذه ألك شهود؟ قالت: نعم. فتقدم الاربعون قسامة فشهدوا بالشهادة الاولى. فقال عليه السلام: لاقضين اليوم بقضية هي مرضاة الرب علمني حبيبي النبي صلى الله عليه وآله . ثم قال لها : ألك ولي ؟ قالت : نعم اخوتي . فقال عليه السلام لهم : أمرى فيكم وفي اختكم جائز ؟ قالوا : نعم يا ابن عم النبي. فقال عليه السلام : أشهد الله ومن حضر من المسلمين انّي قد زوّجت هذا الغلام من هذه الجارية بأربعمائة درهم والنقد من مالي ، يا قنبر علي بالدراهم فأتاه قنبر بها فصبّها في يد الغلام وقال له خذها فصبّها في حجر امرأتك ولا تأتني الا وبك اثر العرس يعني الغسل. فقام الغلام فصبّ الدراهم في حجر المرأة ثم تلبّبها ، فقال لها قومي، فنادت المرأة : النار النار يا ابن عم رسول الله تريد ان تزوّجني من ولدي هذا، والله ولدي زوّجني اخوتي هجيناً فولدت منه هذا الغلام ، فلمّا ترعرع وشبّ امرونى ان انتفي منه وأطرده ، هذا والله ولدي وفؤادي يتقلّى أسفاً عليه، ثم اخذت بيد الغلام وانطلقت، فنادى عمر: واعمراه لولا علي لهلك عمر .

وما رواه محمد بن محمد بن النعمان المفيد في ارشاده ان امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادعته كل واحدة منهما ولداً لها بغير بيّنة ولم ينازعهما فيه غيرهما ، فالتبس الحكم في ذلك على عمر ففزع فيه الى امير المؤمنين عليه السلام ، فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوفهما ، فأقامتا على التنازع فقال عليه السلام عند تماديهما : ايتوني بمنشار . فقالت المرأتان : ما تصنع ؟ فقال: أقده نصفين لكل واحدة منكما نصفه . فسكتت احداهما وقالت الاخرى : الله الله يا ابا الحسن ان كان لابد من ذلك فقد سمحت به لها. فقال عليه السلام: الله اكبر هذا

ابنك دونها ، ولوكان ابنها لرقّت عليه وأشفقت . فاعترفت الاخرى ان الحق مع صاحبتها والولد لهادونها، فسري عن عمر ودعا له عليه السلام بمافرج عنه في القضاء .

ورواه السروى فى مناقبه وقال : ان هذا حكم سليمان فى صغره .

وما رواه الكافى ان عمر أتي بجارية قد شهدوا عليها أنها قد بغت ، وكانت من قصتها أنها كانت يتيمة عند رجل وكان الرجل كثيراً مايغيب عن أهله، فشبّت اليتيمة فتخوفت المرأة ان يتزوجها زوجها ، فدعت بنسوة فأمسكنها فأخذت عذرتها باصبعها ، فلما قدم زوجها رمتها بالفاحشة وأقامت البينة من جاراتها اللاتى ساعدنها على ذلك ، فرفع ذلك الى عمر فلم يدر كيف يقضى فيها ثم قال : نأت على بن ابى طالب ، فأتوه وقصوا عليه القصة فقال لامرأة الرجل : ألك بيّنة ؟ قالت: هؤلاء جاراتى يشهدن عليها وأحضرتهن ، فأخرج على عليه السلام السيف من غمده وطرحه بين يديه وامر بكل واحدة منهن فأدخلت بيتاً، ثم دعا امرأة الرجل فأدارها بكل وجه فأبت ان تزول عن قولها ، فردها الى البيت الذى كانت فيه ودعا احدى الشهود وجثا على ركبتيه ثم قال : تعرفينى انا على بن ابى طالب وهذا سيفى وقد قالت امرأة الرجل ما قالت ورجعت الى الحق وأعطيتها الامان وان لم تصدقينى لامكنن السيف منك ، فالتفتت المرأة الى عمر وقالت له: الامان على الصدق . فقال لها على عليه السلام : فاصدقى. فقالت: لاوالله الاانها رأت جمالا وهيئة فخافت فساد زوجها فسقتها المسكر ودعتنا فأمسكناها فافتضتها بأصبعها . فقال علي عليه السلام: الله اكبر، انا اول من فرق بين الشهود الادانيال النبى عليه السلام، وألزمهن حد القاذف وألزمهن جميعاً العقر وجعل عقرها اربعمائة درهم ، وامر بالمرأة ان تنفى من الرجل ويطلقها زوجها وزوجه الجارية وساق عنه المهر . فقال عمر له عليه السلام : حدثنا بحديث دانيال

ـ الخبر .

وما رواه عن الاصبغ ان عمر أتي بخمسة نفر أخذوا فى الزنا ، فأمر ان يقام على كل واحد منهم حد ، وكان على عليه السلام حاضراً فقال: ياعمر ليس هذا حكمهم . قال : فأقم انت عليهم الحد . فقدم واحداً فضرب عنقه ، وقدم الثانى فرجمه ، وقدم الثالث فضربه الحد ، وقدم الرابع فضربه نصف الحد ، وقدم الخامس فعزره . فتحير عمر وتعجب الناس من فعله ، فقال له عمر:خمسة نفر فى قضية واحدة أقمت عليهم خمسة حدود وليس شيء منها يشبه الاخر . فقال عليه السلام : أما الاول فكان ذمياً خرج عن ذمته فلم يكن له حكم الا السيف وأما الثانى فرجل محصن كان حده الرجم ، وأما الثالث فغير محصن حده الجلد ، وأما الرابع فعبد ضربناه نصف الحد ، وأما الخامس فمجنون مغلوب على عقله .

وما عن فضائل العشرة : ان عمر أتى بابن اسود انتفى منه ابوه ، فأراد عمر ان يعزره فقال على عليه السلام للرجل : هل جامعت أمه فى حيضها ؟ قال : نعم قال : فلذلك سوده الله . فقال عمر : لولا علي لهلك عمر .

ومارواه مناقب السروى أن الهيثم كان فى جيش ، فلما جاء جاءت امرأته بعد قدومه بستة اشهر بولد ، فأنكر ذلك منها وجاء بها الى عمر وقص عليه القصة، فأمر برجمها فأدركها علي عليه السلام قبل ان ترجم ثم قال لعمر : أربع على نفسك انها صدقت يقول تعالى « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » ويقول «والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين» فالحمل والرضاع ثلاثون شهراً . فقال عمر : لولا علي لهلك عمر .

ومارواه عن الصادق عليه السلام : أن عقبة بن ابى عقبة مات ، فحضر علي عليه السلام جنازته وحضر جماعة وفيهم عمر ، فقال على عليه السلام لرجل كان

حاضراً : ان عقبة لما توفي حرمت عليك امرأتك فاحذر ان تقربها . فقال عمر: كل قضاياك عجيبة وهذه من أعجبها ، يموت انسان فيحرم على آخر امرأته . فقال : نعم ان هذا عبد كان لعقبة تزوج امرأة حرة وهى اليوم ترث بعض ميراث عقبة فقد صار بعض زوجها رقاً لها ، وبضع المرأة حرام على عبدها حتى تعتقه ويتزوجها . فقال عمر : لمثل هذا نسألك عما اختلفنا فيه .

ومارواه تشريف على بن طاوس عن مجموع محمد بن الحسين المرزبان ان شريح القاضى قال : كنت أقضي لعمر ، فأتانى رجل يوماً فقال : ان رجلا أودعنى امرأتين احداهما حرة مهيرة والاخرى سرية، فجعلتهما فى دار وأصبحت اليوم وقد ولدتا غلاماً وجارية وكلتاهما تدعى الغلام وتنتفى من الجارية فاقض بينهما بقضائك، فلم يحضرنى شىء فيهما فأتيت عمر فقصصت عليه القصة فقال : فما قضيت ؟ فقلت : لو كان عندى قضاء ماأتيتك . فجمع من حضره من الصحابة وامرنى فقصصت القصة وشاورهم ، فكلهم ردوا الرأى الي" واليه ، فقال عمر: لكنى أعرف حيث مفزعها واين منتزعها . فقالوا : كأنك اردت ابن ابى طالب . قال : نعم واين المذهب عنه .

قالوا : فابعث اليه يأتك فقال : لاله شمخة من هاشم واثرة من علم يؤتى لها ولايأتي وفى بيته يؤتى الحكم ، فقوموا بنا اليه فأتيناه فوجدناه فى حائط له يركل فيه على مسحاة ويقرأ «أيحسب الانسان ان يترك سدى» ويبكى ، فأمهلوه حتى سكن ثم استأذنوا عليه ، فخرج اليهم وعليه قميص قد نصّف أردانه فقال لعمر : ماالذى جاءك بـه ؟ فقال : امر عرض ، وامرنى فقصصت عليه القصـة . فقال : فبم حكمت فيها ؟ قلت : لم يحضرنى حكم فيها . فأخذ بيده من الارض شيئاً ثم قال : الحكم فيه أهون من هذا . ثم أحضر المرأتين واحضر قدحاً ثم دفعه الى احداهما فقال احلبى فيه ، فحلبت ثم وزن القدح ودفعه الى الاخرى فقال

احلبى فيه ، فحلبت فيه ثم وزنه ، فقال لصاحبة اللبن الخفيف خذى ابنتك ولصاحبة اللبن الثقيل خذى ابنك، ثم التفت الى عمر فقال : أما علمت ان الله تعالى حطّ المرأة عن الرجل فجعل عقلها وميراثها دون عقله وديته ، وكذلك لبنها دون لبنه . فقال عمر: لقد أرادك الحق يا ابا الحسن ولكن قومك أبوا . فقال علي عليه السلام : خفّض عليك اباحفص «ان يوم الفصل كان ميقاتاً» .

ورواه مناقب السروى وقال : وجعلت الاطباء ذلك اساساً فى الاستدلال على الذكر والانثى .

وماروى الكافى ان عمر أتي بامرأة وزوجها شيخ فان ، فلما ان واقعها مات على بطنها، فجاءت بولد فادعى بنوه انها فجرت وتشاهدوا عليها فأمر بها عمر أن ترجم ، فمر بها على عليه السلام فقالت : يا ابن عم النبى ان لى حجة . فقال: هاتى حجتك . فدفعت اليه كتاباً فقرأه فقال : هذه المرأة تعلمكم بيوم تزوجها ويوم واقعها ردوا المرأة، فلما كان من الغد دعا بصبيان أتراب ودعا بالصبى معهم فقال لهم : العبوا حتى اذا الهاهم اللعب قال لهم اجلسوا حتى اذا تمكنوا صاح بهم قوموا ، فقام الصبيان وقام الغلام فاتكى على راحتيه ، فدعا به علي عليه السلام وورثه من أبيه وجلد اخوته حد المفترين حداً حداً ، فقال له عمر : كيف صنعت ؟ قال : عرفت ضعف الشيخ فى اتكاء الغلام على راحتيه .

وماروى ان عمر اتي برجل قد قتل اخا رجل ، فدفعه اليه وامره بقتله ، فضربه الرجل حتى راى انه قد قتله فحمل الى منزله فوجدوا به رمقاً فعالجوه حتى برىء ، فلما برء اخذه اخو المقتول فقال : انت قاتل اخى ولي ان أقتلك، فقال قد قتلتنى مرة ، فانطلق به الى عمر فأمر بقتله، فمروا على علي عليه السلام فأخبره خبره فقال: لاتعجلوا حتى اخرج، فدخل على عمر فقال له: ليس الحكم فيه هكذا . فقال : ماهو ؟ فقال : يقتص هذا من اخى المقتول أولا ماصنع به

ثم يقتله بأخيه . فنظر الرجل انه ان اقتصّ منه اتى على نفسه فعفا عنه وتتاركا .

ورواه المناقب وزاد : فرفع عمر يده الى السماء وقال : الحمد لله الذى جعلكم اهل بيت الرحمة . ثم قال : لولا علي لهلك عمر .

وماقال فى ارشاد المفيد ان العامة والخاصة روتا ان امرأة شهد عليها الشهود انهم وجدوا فى بعض مياه العرب رجلا يطأها ليس ببعل لها ، فأمر عمر برجمها وكانت ذات بعل فقالت: اللهم انك تعلم انى بريئة، فغضب عمر وقال: وتجرحين الشهود ايضاً . فقال على عليه السلام : ردوها فاسألوها فلعل لها عذراً ، فردت فسئلت فقالت : كانت لاهلى ابل فخرجت فيها وحملت معى ماء ولم يكن فى ابل اهلى لبن وخرج معى خليطنا وكان فى ابله لبن ، فنفد مائى فاستسقيته فأبى ان يسقينى حتى امكنّه من نفسى ، فلما كادت نفسى تخرج مكنته كرهاً . فقال علي عليه السلام : الله اكبر « فمن اضطر غير باغ ولاعاد فلا اثم عليه » فخلى عمر سبيلها .

وما فى مناقب السروى قال تميم الاسدى : صبت امرأة بياض البيض على فراش ضرتها وقالت : قد بات عندها رجل ، وفتش ثيابها فأصابوا البيض ، فقصّ على عمر فهمّ ان يعاقبها ، فقال على عليه السلام : ايتونى بماء حار قد اغلي غلياناً شديداً ، ثم امرهم فصبوه على الموضع فاشتوى ذلك البياض فرمى به اليها وقال للمرأة : انه من كيد كن ان كيد كن عظيم ، وقال للرجل امسك عليك زوجك فانها حيلة تلك التى قذفتها وضربها الحد .

ومافيه ايضاً : ان امرأة محصنة فجر بها غلام صغير ، فأمر عمر ان ترجم فقال له على عليه السلام : لايجب الرجم انما يجب الحد ، لان الذى فجر بها ليس بمدرك .

ومافيه ايضاً : ان عمر اتي بامرأة مجنونة حبلى قد زنت فأمر برجمها فقال

له على عليه السلام : اما سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول : رفع القلم عن ثلاثة عن المجنون حتى يبرء ـ الخبر .

ورواه ارشـاد المفيد وزاد : لقدفرج الله عنك قدكدت ان اهلك. ومافى الارشاد ايضاً : ان العامة والخاصة روت ان قدامة بن مظعون شرب الخمر فأراد عمر ان يحده فقال له قدامة : انه لايجب عليّ الحد لان الله تعالى يقول «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنـاح فيمـا طعموا اذا ماتقّوا وآمنـوا وعملوا الصالحات» ، فدرأ عمرعنه الحد فبلغ ذلك علياً عليه السلام فمشى الى عمر فقال له : لم تركت الحد على قدامة ؟ فقال : تلاعلي هذه الاية . فقال عليه السلام : ليس قدامة من اهل هذه الاية ولامن سلك سبيله فى ارتكاب ماحرم ، ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لايستحلون حراماً فاردد قدامة واستتبه مما قال ، فان تاب فأقم عليه الحد وان لم يتب فاقتله فقد خرج عن الملة ، فاستيقظ عمر لذلك وعرف قدامة الخبر فأظهر التوبة ـ الخبر .

ومارواه الكافى عن زاذان: انرجلين استودعاامرأة وديعة وقالا لهالاتدفعيها الىواحد منا حتى نجتمع عندك، ثم انطلقا فغابا فجاء احدهما اليها فقال: اعطنى وديعتى وان صاحبى قد مات ، فأبت حتى كثر اختلافه ثم اعطته ، ثم جاء الاخر فقال هاتى وديعتى، فقالت المرأة اخذها صاحبك وذكر انك متّ، فارتفعا الى عمر فقال لها : ماأراك الاوقد ضمنت . فقالت المرأة :اجعل بينى وبينه علياًعليه السلام . فقال عمر له : اقض بينهما . فقال على: هذه الوديعة عندى وقد امرتماها ألاتدفعها الى واحد منكما حتى تجتمعا عندها فأتنى بصاحبك ـ ولم يضمنها .

ومافى المناقب ان مصقلة العبدى قال :

انا روينا فى الحديث خبرا ... يعرفه سائر من كان روى

ان ابن خطاب اتاه رجل ... فقال كم عدة تطلق الاما

فقال ياحيدر كم عدة تطليق للامه فاذكره فاومى المرتضى
باصبعيه فثنى الوجه الى سائله وقال اثنتان فانثنى
فقال له تعرف هذا قال لا قال هذا علي ذو العلا

ومافى الفقيه ان حفص بن غالب الاسدى قال : بينما رجلان جالسان فى زمن عمر اذ مر بهما عبد مقيّد، فقال احد الرجلين : ان لم يكن فى قيده كذا وكذا فامرأته طالق ثلاثاً ، فقال الاخر : ان كان فيه كما قلت فامرأته طالق ثلاثاً . فذهبا الى مولى العبد فقالا له : انا حلفنا على كذا وكذا فحل قيد غلامك حتى نزنه ، فقال مولى العبد : امرأته طالق ثلاثاً ان حللت قيد غلامى . فارتفعوا الى عمر فقصوا عليه القصة، فقال عمر: مولاه احق به اذهبوا بنا الى على بن ابى طالب لعله يكون عنده فى هذا شيء ، فأتوه فقصوا عليه فقال : ماهون هذا . ثم امر بجفنة وامر بقيده فشد فيه خيطاً وادخل رجليه والقيد فى الجفنة ثم صب عليه الماء حتى امتلاءت ثم قال عليه السلام ارفعوا القيد فرفعوه حتى أخرج من الماء ، فلما أخرج نقص الماء ثم دعا عليه السلام بزبر الحديد فأرسله فى الماء حتى تراجع الماء الى موضعه والقيد فى الماء ثم قال : زنوا هذه الزبر فهو وزنه .

ورواه فضائل ابن شاذان وزاد : فلما فعلوا ذلك وانفصلوا دخلت نساؤهم عليهم وخرجوا وهم يقولون نشهد انك عيبة علم النبوة .

وقال الصدوق بعد نقله : انما هدي عليه السلام الى معرفة ذلك ليخلص الناس من أحكام من يجيز الطلاق باليمين .

ومافى تذكرة سبط ابن الجوزى نقلا عن فضائل احمد بن حنبل مسنداً ان عمر كان يقول « اعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو حسن » . قال سعيد بن المسيب : ولهذا القول سبب ، وهو ان ملك الروم كتب الى عمر يسأله عن مسائل، فعرضها على الصحابة فلم يجد عندهم جواباً، فعرضها على امير المؤمنين

عليه السلام فأجاب عنها فى اسرع وقت بأحسن عبارات ، كان قيصر كتب اليه : انى سائلك عن مسائل فأخبرنى عنها : ما شىء لم يخلقه الله ، وما شيء لا يعلمه الله ، وما شىء ليس عند الله ، وما شىء كله فم ، وما شيء كله رجل ، وما شىء كله عين، وماشيء كله جناح ، وسائلك عن رجل لاعشيرة له ، وعن اربعة لم يحمل بهم رحم ، وعن شىء يتنفّس وليس فيه روح ، وعن صوت الناقوس ماذا يقول ، وعن ظاعن ظعن مرة واحدة ، وعن شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها مامثلها فى الدنيا ، وعن مكان لم تطلع عليه الشمس الامرة واحدة، وعن شجرة نبتت من غيرماء، وعن اهل الجنة يأكلون ويشربون ولايتغوطون ولايبولون مامثلهم فى الدنيا ، وعن موائد الجنة عليها القصاع فى كل قصعة ألوان لايختلط بعضها ببعض مامثلها فى الدنيا ، وعن جارية تخرج من تفاحة فى الجنة ولاينقص منها شىء ، وعن جارية تكون فى الدنيا لرجلين وهى فى الاخرة لواحد ، وعن مفاتيح الجنة ماهى .

فقرأ علي عليه السلام الكتاب وكتب فى الحال خلفه :

بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد فقد وقفت على كتابك ايها الملك وانا اجيبك بعون الله تعالى وبركة نبينا محمد صلى الله عليه وآله : اما الشىء الذى لم يخلقه الله فالقرآن لانه كلامه .

واما الذى لايعلمه الله فقولكم له ولد وله صاحبة وشريك «ماتخذ الله من ولد وماكان معه من اله» «لم يلد ولم يولد» .

واما الذى ليس عند الله فالظلم «وماربك بظلام للعبيد» .

وأما الذى كله فم فالنار تأكل كل مايلقى فيها . واما الذى كله رجل فالماء. واما الذى كله عين فالشمس . واما الذى كله جناح فالريح . واما الذى لاعشيرة له فآدم عليه السلام . واما الذين لم يحمل بهم رحم فعصى موسى عليه السلام

وكبش ابراهيم وشخص آدم وحواء. واما الذى يتنفس من غير روح فالصبح، قال تعالى «والصبح اذا تنفس» .

وأما الناقوس فانه يقول :

طقاً طقـاً حقاً حقـا
مهلا مهـلا عدلا عـدلا
صدقاً صدقاً ان الدنياقدغرتناواستهونا
تمضى الدنيا قرنـاً قرنـا ما من يوم يمضـى عنـا
الا أوهـى منـا ركنا ان الموتى قد أخبرتنـا
انـا نرحـل و استوطنـا

واماالظاعن مرة فطور سينا لما عصت بنو اسرائيل وكان بينه وبين الارض المقدسة ايام فقلع الله منه قطعة وجعل لها جناحين من نور فنتقها عليهم ، فذلك قوله تعالى « واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم » . وقال لبنى اسرائيل ان تؤمنوا والا أوقعته عليكم ، فلما تابوا رده الى مكانه .

وأما المكان الذى لم تطلع عليـه الشمس فأرض البحر لما فلقه الله تعالى لموسى وقام الماء أمثال الجبال ويبست الارض بطلوع الشمس عليها ثم عادماء البحر الى مكانه .

وأمـا الشجرة التى يسير الركب فى ظلها مائة عام فشجرة طوبى ، وهى سدرة المنتهى فى السماء السابعة تنتهى اليها أعمال بنى آدم ، وهى من اشجار الجنة ليس فى الجنة قصر ولا بيت الا وفيه غصن من أغصانها ، ومثلها فى الدنيا الشمس اصلها واحد وظلها فى كل مكان .

وأما الشجرة التى نبتت مـن غير ماء فشجرة يونس وكان ذلك معجزة لـه لقوله تعالى « وأنبتنا عليه شجرة من يقطين » .

واما غذاء اهل الجنة فمثلهم فى الدنيا الجنين فى بطن امه ، فانه يغتذى من سرة امه ولا يبول ولا يتغوط. واما الالوان فى القصعة الواحدة فمثله فى الدنيا البيضة فيها لونان ابيض واصفر ولا يختلطان .

وأما الجارية التى تكون بين اثنين فالنخلة التى تكون فى الدنيا لمؤمن وكافر، فهى للمؤمن فى الاخره لانها فى الجنة والكافر لايدخلها . وأما مفاتيح الجنة فلااله الا الله محمد رسول الله .

فلما قرأ قيصر الكتاب قال : ما خرج هذا الكلام الا من بيت النبوة ، ثم سأل عن المجيب فقيل له ابن عم محمد صلى الله عليه وآله .

وروى سبط ابن الجوزى فى تذكرته عن فضائل احمد بن حنبل وعن مسنده قضايا اربع قال عمر فى بعضها « لأبقاني الله بعد ابن ابى طالب » وفى بعضها « اللهم لاتبقني لمعضلة ليس لها ابن ابى طالب » وفى بعضها « لولا علي لهلك عمر » .

ثم قال السبط : وفى هذا المعنى يقول الصاحب بن عباد :

حب النبى واهل البيت معتمدى ... اذ الخطوب اساءت رأيها فينا

يا مذرة الدين يا فرد الزمان اصخ ... لمدح مولى يرى تفضيلكم دينا

ايا ابن عم رسول الله افضل من ... ساد الانام وساس الهاشميينا

هل مثل سبقك فى الاسلام لو عرفوا ... و هذه الخصلة الغراء تكفينا

هل مثل علمك ان زلوا وان وهنوا ... وقد هديت كما اصبحت تهدينا

هل مثل جمعك للقرآن تعرفه ... لفظاً ومعنى وتأويلا وتبيينا

هل مثل صبرك اذ خانوا واذ فشلوا ... حتى جرى ما جرى فى يوم صفينا

هل مثل بذلك للعانى الاسير ولك ... طفل الصغير وقد اعطيت مسكينا

هل مثل قولك اذ قالوا مجاهرة ... لولا علي هلكنا فى فتاوينا

وروى الكافي ان ابابكر لما قام بالامر أتي برجل قد شرب الخمر فقال ابو بكر : لم شربتها وهي محرمة؟ فقال : انى أسلمت ومنزلي بين ظهراني قوم يستحلونها ولو أعلم انها حرام اجتنبتها . فقال ابو بكر لعمر : ما تقول في امر هذا الرجل ؟ فقال عمر : معضلة وابو الحسن لها . فقال ابو بكر : يا غلام ادع لنا علياً . فقال عمر: يؤتى الحكم في منزله . فأتوه وعنده سلمان ، فأخبروه فقال عليه السلام لابي بكر : ابعث معه من يدور به على مجالس المهاجرين والانصار فمن كان تلا عليه آية التحريم فليشهد ، فان لم يكن تليت عليه فلا شيء عليه . ففعل فلم يشهد عليه أحد فخلي سبيله . فقال سلمان له عليه السلام : لقد أرشدتهم فقال عليه السلام : انما اردت ان اجدد تأكيد قوله تعالى« افمن يهدي الى الحق احق ان يتّبع امن لايهدّى الاان يهدى فمالكم كيف تحكمون » فيّ وفيهم.

ومن اراد الوقوف على غرائب قضاياه عليه السلام اكثر من هذا فعليه بكتابنا المؤلف في قضاياه عليه السلام فقد تكفل من ذلك مقداراً مشبعاً، وله عليه السلام قضايا في حياة النبي صلى الله عليه وآله ، وقضايا في امرة الثلاثة ، وقضايا في ايام خلافته .

٣/٢٧١/٢ / وروى انه عليه السلام رفع اليه رجلان سرقا من مال الله احدهما عبد من مال الله والاخر من عروض الناس ، فقال عليه السلام: اما هذا فهو من مال الله ولا حد عليه مال الله اكل بعضه بعضاً ، وأما الاخر فعليه الحد الشديد فقطع يديه .

أقول : روى الرواية الكافي في الصحيح في نوادر حدوده هكذا : قضى عليه السلام في رجلين سرقا من مال الله أحدهما عبد لمال الله فقال أما هذا فمن مال الله ولا حد عليه مال الله اكل بعضه بعضاً ، وأما الاخر فقدمه فقطع يده ، ثم امر أن يطعم السمن واللحم حتى برئت يده .

ثم ما في المتن « من عروض الناس » هو في المصرية والصواب « من عرض

الناس »كما فى « حد » و« ثم » والخطية بل وفى مستنده .

ثم ونظير قوله عليه السلام في سرقة رجل من عرض الناس من بيت المال وسرقة عبد من بيت المال باختصاص القطع بالاول لما ذكره عليه السلام من كونه مال الله أكل بعضه بعضاً ولان فى قطعه اضراراً اكثر ببيت المال . قوله عليه السلام فى سرقة العبد من مولاه ومن غيره فروى الكافى ايضاً عنه عليه السلام قال : عبدى اذا سرقنى لم أقطعه ، وعبدى اذا سرق غيرى قطعته ـ الخبر .

ثم مافى المتن« وأما الاخر فعليه الحد الشديد » انما هوفى « حد »واخذه عنه المصرية وليس فى « ثم » والخطية وليس فى مستنده ولا وجه له .

وقال « حد » بعد العنوان : هذا مذهب الشيعة فى أن عبد المغنم اذا سرق من المغنم لم يقطع وأما العبد الغريب فيقطع اذا كان ما سرق زائداً عمايستحقه بمقدار نصاب القطع ربع دينار ، وأما الفقهاء فانهم لايوجبون القطع على من سرق من الغنيمة قبل القسمة مطلقاً لان مخالطة حقه شبهة تمنع من القطع .

قلت : ان « حد » قد خبط وخلط ، فالشيعة ايضاً يمنعون القطع فى من سرق ممالـه شرك فيه مطلقا ، روى كافى محمد بن يعقوب الكلينى فى (باب ما لا يقطع فيه السارق) انه عليه السلام اتي برجل قد سرق من بيت المال فقال : لا يقطع فان له فيه نصيباً .

وروى فى (باب ما يجب على الطرار والمختلس) عنه عليه السلام قال : اربعة لاقطع عليهم: المختلس، والغلول ، ومن سرق من الغنيمة ، وسرقة الاجير فانها خيانة .

وروى فى (باب حد القطع و كيف هو) ان رجلا أخذ بيضة من المغنم وقالوا له : قد سرق اقطعه . فقال عليه السلام : انى لا أقطع احداً له فيما اخذ شرك .

وانما عنوان النهج السرقة من مال الله أى الصدقات ، وحينئذ فيفصل فيه بما

قاله عليه السلام من اختلاف حكم سرقة عبد الصدقات من الصدقات وسرقة غيره من العبيد بقطع الثاني دون الاول لانه مال الله أكل بعضه بعضاً ، واما الاول فيشمله عموم الاية ولاحق له في الصدقات لان نفقته على مولاه .

ومثل الصدقات الغنائم لو سرق عبد منها منها لا يقطع للعلة ، ولو سرق منها عبد أجنبي يقطع لان الغنائم للاحرار دون العبيد . وقول « حد » غلط فاحش ونسبته الى فقهائهم انهم لا يقطعونه بهتان .

هذا وقالوا انه فقد في دار بعض الرؤساء مشربة فضة ، فوجّه ذاك الشخص الى ابن ماهان المنجم يسأله ، فقال ابن ماهان : المشربة سرقت نفسها. فكشف ان في الدار جارية اسمها فضة سرقت تلك المشربة من الفضة .

الفصل الثالث عشر

(فى اجوبته التمثيلية وادب السؤال والجواب)

١/١٣٧/١/ ومن كلام له عليه السلام : ايها الناس من عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق فلايسمعن فيه أقاويل الرجال ، أما انه قد يرمى الرامى ويخطىء السهام ويحيل الكلام ، وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد ، اما انه ليس بين الباطل والحق الا أربع أصابع .

قال الشريف : فسئل عن معنى قوله هذا فجمع أصابعه ووضعها بين اذنه وعينه ثم قال : الباطل أن تقول سمعت والحق ان تقول رأيت .

(ايها الناس انه من عرف من اخيه) اى فى الدين ، فقد قال تعالى « انما المؤمنون اخوة » (وثيقة دين) اى استحكامه فى دينه (وسداد) بالفتح اى استقامة (طريق) اى فى عمله ومسلكه (فلا يسمعن فيه أقاويل) الظاهر كونه جمعاً ثانياً لاقوال (الرجال) بأنه كذا وكذا .

روى الكافى عنه عليه السلام قال : ضع أمر اخيك على أحسنه حتى يأتيك

مايغلبك منه ، ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوء وانت تجدلها فى الخير محمـلا .

(اما انه قديرمى الرامى ويخطىء السهام) هو كالمثل .

ومن امثالهـم « قرينك سهمك يخطىء ويصيب » ومنها ايضاً « رماه بنبلـه الصائب » قال لبيد :

فرميت القوم نبلا صائبـا ليس بالعضل ولا بالمفتعـل

والمراد أن اقاويل الرجال ليست دائماً حقاً عن علم وعرفان ، بل تصدر كثيرا عن حدس وتخمين وسماع أخبار أراجيف ، والغالب فيها الخطأ والاشتباه فلا يجوز أن يدع عرفانه لاقاويل هكذا .

وقال « حد » كلامه عليه السلام خلاصة قوله تعالى « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة » .

قلت: هو كما ترى ، فالاية فى مقام وكلامه عليه السلام فى مقام آخر، فمفاد الاية عدم جواز الاعتماد على خبر الفاسق مطلقاً ولو فى حق من لاتعرفه، ومفاد كلامه عليه السلام عدم جواز قبول خبر المجاهيل على الثقات .

(ويحيل الكلام) هكذا فى المصرية ولكن فى الخطية « ويحيك الكلام » وكذا فى «ثم» الا أنه قال « وروى ويحيل » وأشار الـى نقل « حد » فانه نقله «ويحيل» ولكن قال «ومن الناس من يرويه ويحيك » وهو دليل على أن الراوندي ايضاً نقله « ويحيك » فهو الصحيح .

مع ان « ويحيل » مـن أحال ، ومعناه أتى بالمحال لا يناسب ما بعده مـن قوله « وباطل ذلـك يبور » ، لان المحال كله باطـل ، بخلاف « ويحيك » بالضم والفتح من « حـاك السيف وأحاك » اى اثره ، فان ما بعده معه فى غاية المناسبة .

ومما يشهد لحيك الكلام وتأثيره ان الربيع بن زياد العبسى كان نديماً للنعمان ابن المنذر ، فدخل عليه لبيد بن ربيعة وكان الربيع ذم أعمام لبيد عند النعمان ومنعه من اكرامهم ، فرأى الربيع يأكل مع النعمان ، فأنشأ انتصاراً لاعمامه يقول للنعمان مع صغره :

مهلا أبيت اللعن لاتأكل معه ... انّ استه من برص ملمعه

وانه يدخل فيها اصبعه ... يدخلها حتى يوارى اشجعه[1]

كأنه يطلب شيئاً ضيعه

فرفع النعمان يده من الطعام وقال للربيع : اكذاك أنت ؟ قال: لا واللات كذب ابن الفاعلة ابعث من يفتشنى . فقال له النعمان :

شرد برحلك عنى ولا ... تكثر علي ودع عنك الاباطيلا

فقد رميت بداء لست غاسله ... ما جاور النيل يوماً أهل ايليلا

قد قيل ذلك ان حقاً وان كذباً ... فما اعتذارك من قيل اذا قيلا

(وباطل ذلك يبور) أى يكسد ويفنى، وهو نظير قوله تعالى « ومكر أولئك هو يبور » .

وقال « حد » : وهو من قوله تعالى « قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » وهو كما ترى .

(والله سميع) لاقوال عباده (شهيد) على أعمالهم، فعليهم الايقولوا الا الحق ولايعملوا الا الصالح .

(أما انه ليس بين الباطل والحق) هكذا فى المصرية والصواب « بين الحق والباطل » كما فى « حد » و« ثم » والخطية (الاربع أصابع) انث الاصبع هنا،

---

١)الاشجع اصل الاصبع المتصل بعصب ظاهر الكف .

وقال الجوهرى يذكر ويؤنث .

(قال الشريف) هكذا فى المصرية ، والجملة زائدة فليست فى «حد» و«ثم» والخطية .

(فسئل عن معنى قوله هذا) اى ليس بين الحق والباطل الا أربع أصابع (فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال : الباطل ان تقول سمعت) لان كثيراً من المسموعات لاحقيقة لها (والحق أن تقول رأيت) بعينى، بمعنى أنه لايجوز أن تخبر الا بما تتيقن به امابرؤيتك واما مثل رؤيتك مما اشتمل على الشواهد القطعية .

ومما يشهد لاتفاق كون قول ما لم تره بعينك باطلا مافى الطبرى ـ فى طي فتح قتيبه لبيكند ـ ان مسلماً الباهلى قال لو الان العدوى: ان عندى مالا أحب ان استود عكه . قال : أتريد أن يكون مكتوماً اولا ؟ قال : أريد أن يكون مكتوماً . قال : ابعث به مع رجل تثق به الى موضع كذا وكذا ومره اذا رأى رجلا فى ذلك الموضع ان يضع ما معه وينصرف. قال: نعم، فجعل مسلم المال فى خرج ثم حمله على بغل وقال لمولى له : انطلق بهذا البغل الى موضع كذا وكذا ، فاذا رأيت رجلا جالساً فخل عن البغل وانصرف. فانطلق الرجل بالبغل ـ وقد كان والان أتى الموضع لميعاده فأبطأ عليه رسول مسلم ومضى الوقت الذى وعده ، فظن انه قد بداله فانصرف ، وجاء رجل من بنى تغلب فجلس فى ذلك الموضع وجاء مولى مسلم فرأى الرجل جالساً فخلى عن البغل ورجع . فقام التغلبى الى البغل ، فلما رأى المال ولم يرمع البغل احداً قاد البغل الى منزله وأخذ المال ، وظن مسلم ان المال قد صار الى والان فلم يسأل عنه حتى احتاج اليه فلقيه فقال : مالى . فقال: ماقبضت شيئاً ولالك عندى مال . فكان مسلم يشكوه وينتقصه فأتى يوماً مجلس بنى ضبيعة فشكاه والتغلبى جالس ، فقام اليه وخلابه

وسأله عن المال فأخبره فانطلق به الى منزله وأخرج الخرج فقال: أتعرفه؟ قال: نعم. قال: والخاتم؟ قال: نعم. قال: اقبض مالك واخبره الخبر، فكان مسلم يأتي الناس والقبائل التي كان يشكو اليهم من والان فيعذره ويخبرهم الخبر .

وما في وزراء هلال الصابي ان المقتدر قلد في سنة (٣٠١) علي بن عيسى وزارته بعد ابن الفرات والخاقاني ، فعمد الى تخفيف المؤن وحذف الكلف ونقص الخرج والمضايقة في الجاري والرزق ورد كثيراً مما وقّع به الخاقاني من الزيادات ، فأوحش بذلك خواص المقتدر وكثرت به السعاية عليه والوقيعة فيه ، ووقع الشروع في افساد أمره وتغيير رأي المقتدر فيه ، ورد ابن الفرات فعرف ذلك فبدأ بالاستعفاء ، وتحدث في دار المقتدر ان ابن الفرات شديد العلة واتفق ان مات هارون الشاري الذي كان محبوساً في دار السلطان ، وكان التدبير في امر الشراة ان يكتم موت من يؤخذ من ائتم لانهم لا يرون اقامة غيره وهو حي، فأظهر انه ابن الفرات وكفن واخرجت جنازته على انها جنازة ابن الفرات ، فصلى عليه علي بن عيسى وانصرف موجعاً الى داره وقال لخواصه: اليوم ماتت الكتابة. ومضت أيام ووقف علي بن عيسى على ان ابن الفرات حي وقدتم السعي له مع المقتدر ، فعجب وقال: ما ينبغي لاحد أن يحدّث بكل ما يسمع ويصدق بجميع ما يخبر .

هذا ، وفي العقد الفريد: سأل علي بن ابي طالب عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام كم بين الايمان واليقين ؟ فقال : اربع أصابع . قال: وكيف ذلك. قال : الايمان كل ما سمعته اذناك وصدقه قلبك ، واليقين ما رأته عيناك فأيقن به قلبك ، وليس بين العين والاذنين الا اربع أصابع .

وهو معنى آخر غير ما في العنوان ، لان هذا في الفرق بين اليقين بشيء من مشاهدته ، والايمان بشيء من سماعه واعتقاد القلب به .

ولعله أشارة الى قوله تعالى «كلالو تعلمون علم اليقين *لترونّ الجحيم* ثم لترونها عين اليقين» بأن يكون علم اليقين هو ايمان يحصل من السماع من رسل الله ، وعين اليقين ما يشاهدونه فى القيامة فيقولون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .

٢/٣٠٠/٣/ وسئل عليه السلام :كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم ؟ فقال عليه السلام :كما يرزقهم على كثرتهم . فقيل :كيف يحاسبهم ولا يرونه؟ فقال :كما يرزقهم ولا يرونه .

اقول :كان السائل ـ كما فى العقد الفريد ـ سلمان الفارسى ، ففيه : وقّع على عليه السلام فى كتاب سلمان الفارسي وسأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة « يحاسبون كما يرزقون » .

ونظير جوابه عليه السلام عن محاسبة الخلق فى القيامة مع كثرتهم وعدم رؤيتهم له تعالى جوابه عليه السلام عن عدم انتهاء علوم القرآن كعدم نفاد ثمار الجنة، فروى المصنف في خصائصه أن اسقف نجران قدم على عمر وسأله عن مسائل وعمر كان يحيله عليه عليه السلام ، ومنها ان الاسقف قال لعمر : أخبرنى عن شيء فى ايدى اهل الدنيا شبيه بثمار اهل الجنة . فقال : سل الفتى يعنيه . فقال عليه السلام : هو القرآن يجتمع عليه أهل الدنيا فيأخذون منه حاجتهم ولا ينقص منه شيء وكذلك ثمار الجنة . قال الاسقف : صدقت يافتى .

وكذلك جوابه عليه السلام عن محل الجنان فى القيامة، ففى المناقب عن تفسير القطان عن وكيع عن الثورى عن السدّى قال : كنت عند عمر اذ أقبل كعب بن الاشرف ومالك بن صيفى وحيي بن اخطب فقالوا : ان فى كتابكم « وجنة عرضها السماوات والارض » اذا كانت سعة جنان واحدة كسبع سماوات وسبع ارضين فالجنان كلها يوم القيامة أين تكون ؟ فقال عمر : لا اعلم ، فبيناهم فى ذلك اذ دخل علي عليه السلام فقال: فى أي شيء انتم . فذكروا فقال: خبّرونى

عن النهار اذا أقبل الليل أين يكون ، وعن الليل اذا اقبل النهار أين يكون . قالوا : فى علم الله. قال عليه السلام : وكذلك الجنان فى علم الله تعالى يكون، ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وآله واخبره بذلك فنزل « فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون » .

وكذلك جوابه عليه السلام عن وجه الرب سبحانه ، فروى ابن بابويه فى توحيده عن سلمان الفارسى - فى خبر قدوم الجاثليق مع مائة من النصارى بعد النبى صلى الله عليه وآله الى ابى بكر وسؤاله عن مسائل عجز عن جوابها فأرشد اليه عليه السلام، فكان فيما سأل ان قال : أخبرنى عن وجه الرب تعالى . فدعا عليه السلام بنار وحطب واضرمه ، فلما اشتعلت قال له: أين وجه هذه النار . قال الجاثليق: هى وجه من جميع حدودها. فقال عليه السلام: هذه النار مدبّرة مصنوعة لايعرف وجهها وخالقها لايشبهها وله المشرق والمغرب، فأينما تولّوا فثم وجه الله لايخفى على ربنا خافية .

وكذلك جوابه عليه السلام عن مثل سدرة المنتهى فى الدنيا، روى تذكرة سبط ابن الجوزى ان قيصر كتب الى عمر كتاباً سأله فيه عن مسائل، فكتب علي عليه السلام جوابه : وأما الشجرة التى يسير الراكب فى ظلها مائة عام فشجرة طوبى ، وهى سدرة المنتهى فى السماء السابعة ، اليها ينتهى اعمال بنى آدم ، وهى من اشجار الجنة، وليس فى الجنة قصر ولا بيت الا وفيه غصن من أغصانها، ومثلها فى الدنيا الشمس اصلها واحد وضوؤها فى كل مكان .

وكذلك جوابه عليه السلام عن مثل غذاء اهل الجنة بلامدفوع ومثل كون ألوان من طعامهم فى وعاء واحد بلا اختلاط ، ففى الكتاب المتقدم : وأما غذاء اهل الجنة فمثلهم فى الدنيا الجنين فى بطن أمه، فانه يغتذى من سرتها ولايبول ولايتغوط ، واما الالوان فى القصعة الوحداة فمثله فى الدنيا البيضة فيها لونان أبيض واصفر ولايختلطان .

هذا، وفي ديوان معاني ابي هلال العسكري قال ثعلب: قلت لابن الأعرابي من احمق الاعراب؟ قال: أعرابي سبق الناس الى الموسم وجعل يدعو الله لحاله وشأنه ويقول: اللهم اقض حاجاتي قبل ان يدهمك الوفد. فقلت له: أفلا ادلك على احمق منه الذي يقول:

خلق السماء وارضه في ستّة وابوك يمدر حوضه في عام

٣/٣٥٦/٣ وقيل له عليه السلام: لوسد على رجل باب بيته وترك فيه من أين كان يأتيه رزقه؟ فقال: من حيث يأتيه اجله.

اقول: مصداق ماقاله عليه السلام من اتيان الرزق على من سدّ عليه باب بيته ما نقله الجاحظ في حيوانه عن ابي اليقظان وابي عبيدة والمدائني ان طاعوناً جارفاً جاء على أهل دار فلم يشك اهل تلك المحلّة انه لم يبق فيها صغير ولا كبير، وقد كان فيها صبي يرتضع ويحبو ولايقوم على رجليه، فعمد من بقي من المطعونين من أهل تلك المحلة الى باب تلك الدار فسده، فلما كان بعد ذلك بأشهر تحوّل فيها بعض ورثة القوم ففتح الباب، فلما أفضى الى عرصة الدار اذا هو بصبي يلعب مع اجراء كلبة قد كانت لاهل الدار، فراعه ذلك فلم يلبث ان اقبلت كلبة كانت لاهل الدار فلما رآها الصبي حبا اليها فأمكنته من اطباءها فمصها، فظنوا ان الصبي لما بقي في الدار وبقي منسياً واشتد جوعه ورأى اجراءها تستقي من اطبائها حبا اليها فعطفت عليه فلما سقته مرة ادامت ذلك له وادام هو الطلب، والذي الهم هذا المولود مص ابهامه ساعة يولد من بطن أمه ولم يعرف كيفية الارتضاع هو الذي هداه الى الارتضاع من اطباء الكلبة.

وبالجملة الرزق كالاجل يأتي صاحبه اينما كان، ولايختص بالانسان بل يجري في كل ذي حياة، فكما أعطاه الحياة يعطيه الرزق، قال تعالى «ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين» وفي

تفسير القمي اتى بختنصر بعدقتل بنى اسرائيل على دم يحيى بابل فبنى بهامدينة وحفر بئراً فألقى فيها دانيال وألقى معه لبوة، فجعلت اللبوة تأكل طين البئر ويشرب دانيال لبنها ، فلبث بذلك زماناً ، فأوحى تعالى الى نبى كان ببيت المقدس أن اذهب بهذا الطعام والشراب الى دانيال واقرأه منى السلام . قال : واين هو ؟ قال : فى بئر ببابل فى موضع كذا وكذا . فأتاه فاطلع فى البئر فقال: يادانيال. قال: لبيك صوت غريب . قال : انربك يقرؤك السلام وقد بعث اليك بالطعام والشراب فدلاهما اليه، فقال: الحمد لله الذى من توكل عليه كفاه ، الحمد لله الذى لاينسى من ذكره ، الحمد لله الذى لايخيب من دعاه ، الحمدلله الذى من وثق به لم يكله الى غيره ، الحمد لله الذى يجزي بالاحسان احساناً ، الحمدلله الذى يجزى بالصبر نجاة ، الحمد لله الذى يكشف ضرنا عند كربتنا ، الحمدلله الذى هو ثقتنا حين تنقطع الحيل منا ، الحمد لله الذى هو رجاؤنا حين ساء ظننّا بأعمالنا .

فأري بختنصر في منامه كأن رأسه من حديد ورجلاه من نحاس وصدره من ذهب ، فدعا المنجمين فقال لهم : ما رأيت . فقال : انا أجري عليكم الارزاق منذ كذا وكذا ولا تدرون ما رأيت في المنام ، فأمر بهم فقتلوا ، فقال له بعض من كان عنده : ان كان عند أحد شيء فعند صاحب الجب فان اللبوة لم تتعرض له تأكل الطين وترضعه ، فبعث اليه فقال: ما رأيت فى المنام ؟ قال : رأيت كأن رأسك من حديد ورجلاك من نحاس وصدرك من ذهب . قال : هكذا رأيت فما ذاك؟ قال : ذهب ملكك وانت مقتول الى ثلاثة أيام ، يقتلك رجل من فارس ـ الخبر .

وفى تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام لما قال يوسف عليه السلام لفتى ظن انه ناج اذكرنى عند ربك اتاه جبرئيل فضرب برجله حتى كشط له عن

الارض السابعة وقال له: أنظر ماذا ترى؟ قال : أرى حجراً صغيراً ، ففلق الحجر فقال : ماذا ترى ؟ قال: أرى دودة صغيرة . قال : فمن رازقها . قال : الله . قال فان ربك يقول لم أنس هذه الدودة فى تلك الحجر فى قعر السابعة ظننت انى انساك حتى تقول للفتى « اذكرنى عند ربك » ، لتلبثن فى السجن بمقالتك هذه بضع سنين .

هذا ، والمراد انه لو سد عليه وكان عمره باقياً يأتيه رزقه كأجله وان لم يكن عمره باقياً يكون بالسد عليه موته كما اتفق لكثير .

وفى معارف ابن قتيبة فى أعشى قيس: كان ابوه يدعى قتيل الجوع، وذلك انه كان فى جبل فدخل غاراً فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعاً.

٣/٢٩٤/٤/ وقد سئل عليه السلام عن مسافة ما بين المشرق والمغرب فقال عليه السلام : مسيرة يوم للشمس .

اقول : هكذا فى المصرية والصواب « وقال عليه السلام وقد سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب ـ مسيرة يوم للشمس » فهكذا فى حد وثم ، لكن مع زيادة « فقال » قبل « مسيرة يوم للشمس » لكن بعد قوله أولا « وقال » هى تأكيدية أو زائدة .

رواه قضايا القمى ورواه بيان الجاحظ مع زيادة فقال: قيل لعلى عليه السلام كم بين السماء والارض؟ فقال : دعوة مستجابة. فقالوا : كم بين المشرق والمغرب قال : مسيرة يوم للشمس ، ومن قال غير هذا فقد كذب .

وفى خبر ان السائل له عما بين المشرق والمغرب ابن الكوا ، وروى غارات الثقفى انه عليه السلام سئل عما بين السماء والارض فقال : مدّ البصر ودعوة المظلوم .

وروى انه قيل له عليه السلام : ما طعم الماء ؟ فقال : طعم الحياة .

وفى الاغانى انشد البحترى من شعر أبى سهل بن نوبخت ، فجعل يحرك رأسه فقيل له : ما تقول فيه ؟ فقال : هو يشبه مضغ الماء ليس له طعم ولا معنى .

٣/٤٣٧/٥ وسئل عليه السلام: أيما افضل العدل أو الجود ؟ فقال عليه السلام العدل يضع الامور مواضعها والجود يخرجها من جهتها ، والعدل سائس عام والجود عارض خاص ، فالعدل أفضلهما وأشرفهما .

قول المصنف (وسئل عليه السلام) زاد المصرية «منه» وهو غلط فليس فى «ثم» و « حد » (ايّما) هكذا فى النسخ ويحتمل كون الاصل فيه «ايهما» (افضل) مع كون كل منهما ذا فضيلة (العدل او) بمعنى الواو (الجود . فقال عليه السلام العدل يضع الامور مواضعها) كما ان العدلين يجب أن يكونا فى موضعهما (والجود يخرجها) اى يخرج الامور والمراد بها الاموال (من جهتها) هكذا فى المصرية والصواب «عن جهتها» كما فى «حد» و«ثم» والخطية .

(والعدل سائس) أى مصلح (عام) للاموال والاعمال وفى جميع الاحوال (والجود عارض خاص) يختص ببذل المال (فالعدل افضلهما وأشرفهما) فان الجود وان كان من الصفات الفاضلة والشيم الشريفة حتى ورد ان النبى صلى الله عليه وآله اتي بأسارى فقدم رجل منهم ليضرب عنقه فقال له جبرئيل : ان ربك يقول ان أسيرك هذا يطعم الطعام ويقرى الضيف ويصبر على النائبة ويحمل الحمالات. فقال له النبى صلى الله عليه وآله : ان جبرئيل أخبرنى فيك عن الله تعالى بكذا وكذا وقد اعتقتك . فقال : وان ربك ليحب هذا ؟ فقال : نعم . فقال : أشهد الا اله الا الله وانك رسوله ، والذى بعثك لا رددت عن مالى احداً أبدا . الا اين هو من العدل الذى به قامت السماوات والارضون ، وهو أرفع من السماء وأوسع من الارض .

وعن الصادق عليه السلام: العدل أحلى من الشهد ، وألين من الزبد، وأطيب

من المسك .

وعنه عليه السلام : العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن ، ما أوسع العدل اذا عدل فيه .

هذا وروى أمالى الشيخ عن زيد بن على عن ابيه قال : سئل امير المؤمنين عليه السلام من افصح الناس ؟ قال : المجيب المسكت عند بديهة السؤال .

٦/٣/٣٢٠/ وقال عليه السلام لسائل سأله عن معضلة : سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً ، فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم ، وان العالم المتعسف شبيه بالجاهل .

قول المصنف (وقال عليه السلام لسائل سأله عن معضلة) اى مسألة شديدة مشكلة، والسائل كان ابن الكوا الخارجى. روى المصنف فى خصائصه عن الاصبغ ان ابن الكوا ـ وكان متعنتاً فى المسائل ـ قال له عليه السلام : خبّرنى عن الله تعالى هل كلم احداً من ولد آدم قبل موسى؟ فقال له عليه السلام : كلم الله جميع خلقه برهم وفاجرهم وردوا عليه الجواب. فثقل ذلك على ابن الكوا ولم يعرفه فقال: وكيف كان ذلك ؟ قال عليه السلام : أما تقرأ كتاب الله تعالى اذ يقول لنبينا « واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » فقد أسمعهم كلامه وردوا عليه الجواب فى قول الله يا ابن الكـوا .

وعن صفوة الاخبار: قام ابن الكوا اليه عليه السلام فقال : اخبرنى عن بصير بالليل بصير بالنهار ، وعن بصير بالنهار اعمى بالليل ، وعن بصير بالليل أعمى بالنهار . فقال عليه السلام له : سل عما يعنيك ودع مالايعنيك ، أما بصير بالليل بصير بالنهار فهذا رجل آمن بالرسل الذين مضوا وادرك النبى صلى الله عليه وآله فآمن به فأبصر فى ليله ونهاره، واما اعمى بالليل بصير بالنهار فرجل جحد

الانبياء الذين مضوا وادرك النبى فآمن بـه فعمى بالليل وأبصر بالنهار ، وأما اعمى بالنهار بصير بالليل فرجل آمن بالانبياء وجحد النبى فأبصر بالليل وعمى بالنهـار .

قوله عليه السلام (سل تفقّهاً) اى تفهماً (ولا تسأل تعنّتاً) اى بايقاع المسئول فى المشقة والزلة .

روى ان ابن الكوا سأله عن قوله تعالى « والذاريات ذروا » فقال عليه السلام له : اجلس فانك متعنّت ولست بمتفقه ، ولكن سل عما بدالك ان شئت تعنتاً وان شئت تفقهاً ، ويلك هى الرياح ـ الخبر .

(فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم) حيث أن قصده التفقه فيتعلم فيصير عالماً بما تعلمه (وان العالم المتعسّف) أى الاخذ على غير الطريق (شبيه بالجاهل) حيث أن عمله نوع جهالة .

وزادت المصرية « المتعنّت » وهو غلط فليس فى « حد » و« ثم » والخطية ولا معنى له ، فان المراد تشبيه العالم المتعسف بالجاهل كتشبيه الجاهل المتعلم بالعالم .

فى العقد الفريد كان ابن سيرين اذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للسائل: أمسكها حتى تسأل عنها اخاك ابليس .

وفيه سأل عمرو بن قيس مالك بن انس عن محرم نزع نابى ثعلب فلم يرد عليه شيئاً .

٣/٨٥/٧/ وقال عليه السلام : من ترك قول لا أدرى اصيبت مقاتله .

اقول : نسبه الجاحظ فى بيانه وابن قتيبة فى عيونه الى ابن عباس ، الاانه بعد نقل ذلك عنه عليه السلام قبلا لو ثبت ان ابن عباس قاله فلابد انه أخذه منه عليه السلام .

وكيف كان ، فمقاتل الانسان المواضع التى اذا أصيبت قتلته، فهو جمع المقتل لا المقتول ، وفى الخبر مقتل الرجل بين فكيه .

وادعى كثير أنه يدرى كل شيء فافتضح واصيبت مقاتله ، ومنهم مقاتل ففي العقدالفريد قال مقاتل وقد دخلته أبهة العلم: سلوني عماتحت العرش الى أسفل من الثرى . فقام اليه رجل وقال : لا نسألك عما تحت العرش ولا أسفل الثرى ولكن نسألك عماكان فى الأرض وذكره الله فى كتابه، ماكان لون كلب أهل الكهف فأفحمه .

وقاله آخر فسئل عن نملة سليمان ذكراً كانت ام انثى فلم يدر وافحم.

وفيه ايضاً قال قتادة : ماسمعت شيئاً قط ولا حفظت شيئاً فنسيته ، ثم قال : ياغلام هات نعلى ، فقال هما فى رجليك .

وفى عيون ابن قتيبة قال الخليل : الرجال أربعة : رجل يدرى ويدرى انه يدرى فسلوه ، ورجل يدرى ولا يدرى انه يدرى فذاك ناس فذكّروه ، ورجل لايدرى ويدرى أنه لايدرى فذاك مسترشد فعلموه ، ورجل لايدرى ولايدرى انه لايدرى فذاك جاهل فارفضوه .

وقال « حد » جاءت امرأة الى بزرجمهر فسألته عن مسألة فقال : لاادرى . فقالت: أيعطيك الملك كل سنة كذا وكذا وتقول لاأدري، فقال انما يعطينى على ما أدرى ، ولو اعطانى على مالا ادرى لماكفانى بيت ماله .

٣/٣٦٤/٨/ وقال عليه السلام : لاتسأل عما لايكون ففى الذى قدكان لك شغل .

اقول: هكذا فى المصرية ونسخة « ثم » ولكن فى « حد » والخطية «لاتسأل عما لم يكن » .

وكيف كان ففى بيان الجاحظ قال ابن ابى الزناد : كنت كاتباً لعمر بن عبد

العزيز ـ وكان يكتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فى المظالم ـ وكان عبدالحميد يراجعه ويسأله عما لامعنى له ،فكتب اليه انه يخيّل الي أني لو كتبت اليك ان تعطي رجلا شاة لكتبت الي اضأن ام ماعز ، وان كتبت اليك بأحدهما كتبت الـى اذكر أو انثى ، فان كتبت اليك بأحدهما كتبت الي صغير أم كبير ، فاذا أتاك كتابى فى مظلمة فلا تراجعنى .

وفى البيان ايضاً : كتب المنصور الـى سلم يأمره بهدم دور من خرج مع ابراهيم وعقر نخلهم ، فكتب اليه سلم : بأي ذلك نبدأ بالدور ام بالنخل. فكتب المنصور اليه : اني لو كتبت اليك بافساد ثمرهم لكتبت الي تستأذننى بأية نبدأ بالبرنى ام بالشهريز .

ومن السؤال عما لم يكن الاشتغال بتعلم فنون لاحقيقة لها ولا معنوية كأكثر مباحث المتأخرين : نظير بحثهم عن أصالة الوجود أم الماهية ، وهل الوضع والموضوع لـه فى أسماء الاشارات خاص أم عام ، وهل الوضع للصحيح أو الاعم، وكذا كثير من مباحث الفن الذى سموه بأصول الفقه الذى أصله من ابى حنيفة ، وقد قال شريك ان ابا حنيفة اعلم الناس بما لا يكون واجهلهم بما يكـون .

هذا وقال« حد » بعد العنوان : من هذا الباب قول المتنبى فى سيف الدولة:

ليس المدايح تستوفى مناقبـه ... فمن كليب واهل العصـر الاول

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت بـه ... فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

وقال« ثم » بعد العنوان : امر عليه السلام بالسلو عما لايكون من زيادة رزق ونحوه من المطالب الدنيوية بما كان ووقع من المطالب التى اعطاها الانسان وكل منهما كما ترى .

٣/٢٤٣/٩ وقال عليه السلام : اذا ازدحم الجواب خفى الصواب .

أقول : وقالوا اللغط يوجب الغلط .

وفي معجم الحموي عن أمالى جحظة ، قال العتابى : لو سكت من لا يعلم عما لا يعلم سقط الاختلاف .

وفيه قال المأمون لهاشمى رفع صوته على آخر : الصواب فى الاسدّ لا الاشد .

١٠/٢٦٦/ وسأله رجل ان يعرفه الايمان فقال عليه السلام : اذا كان الغد فأتنى حتى اخبرك على اسماع الناس ، فان نسيت مقالتى حفظها عليك غيرك ، فان الكلام كالشاردة يثقفها هذا ويخطئها هذا .

وقد ذكرنا ما اجابه به فيما تقدم من هذا الباب ، وهو قوله « الايمان على اربع شعب » .

قول المصنف (وسأله رجل) هكذا فى المصرية وفى «ثم» والخطية، ولكن فى نسخة حد « وقال عليه السلام حين سأله رجل ».

(ان يعرّفه الايمان) هكذا فى المصرية والصواب «ما الايمان» كما فى حد وثم والخطية .

(فقال عليه السلام اذا كان الغد) هكذا فى المصرية والصواب «غد» بدون اللام كما فى ثم وحد والخطية ، ولكن حد جوّز «غد» بالرفع بكون «كان» تامة و« غداً » بالنصب بكون «كان» ناقصة .

قلت : الصواب كون «كان» تامة، لعدم وجود اسم وخبره ، والمعنى اذا وجد غد . وكون « غد » بالضم بلا تنوين لان المراد غد يوم السؤال، ولو نوّن يكون نكرة يشمل كل غد .

(فأتني حتى اخبرك على اسماع) بالفتح جمع سمع (الناس) حين يجتمعون عنده فيسمعون كل ما قاله عليه السلام (فان نسيت مقالتى) فى حقيقة الايمان

(حفظها عليك غيرك) حتى لايذهب جوابه عليه السلام هدراً ، ولذا قال الصادق عليه السلام ـ كما روى الكافى ـ لابى بصير : اكتبوا فانكم لا تحفظون حتى تكتبوا .

(فان الكلام كالشاردة) اى كالدابة الشاردة ، قال ابن دريد : شرد البعير اذا ذهب على وجهه ، وقواف شوارد تشرد فى البلاد كما يشرد البعير .

(ينقفها) هكذا فى المصرية والصواب « يثقفها » كما فى حد وثم والخطية بمعنى يجدها ويظفر بها ، قال تعالى « فاما تثقفنهم فى الحرب » . وأما النقف ـ وهو كسر الهامة عن الدماغ ـ فلا مناسبة له هنا .

(هذا ويخطئها) ولا يقف عليه (هذا) فلا قاعدة فيمن يجدها ومن لايجدها.

(وقد ذكرنا ما أجابه) هكذا فى المصرية وفيها سقط فزاد حد وثم والخطية بعده « عليه السلام » (به فيما تقدم من هذا الباب) اى الباب الثالث (وهو قوله) هكذا فى المصرية ، وفيها ايضاً سقط فزاد حد وثم والخطية بعده «عليه السلام» (الايمان على اربع شعب) الخ في العنوان الثلاثين لكن فيه «على اربع دعائم» لاشعب.

الفصل الرابع عشر

(في زهده عليه السلام واعراضه عن الدنيا وعدله)
(وتواضعه وفيه ذكر الحقوق)

١/٢٠٤/ ومن كلام له عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من اصحابه يعوده ، فلما رأى سعة داره قال : ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا ، أما أنت اليها في الاخرة كنت احوج . وبلى ان شئت بلغت بها الاخرة تقرى فيها الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها ، فاذا انت قد بلغت بها الاخرة .

فقال له العلاء : يا امير المؤمنين أشكو اليك اخي عاصم بن زياد . قال : ومالة ؟ قال : لبس العباءة وتخلى عن الدنيا . قال : على به . فلما جاء قال : يا عدي نفسه لقد استهام بك الخبيث ، اما رحمت اهلك وولدك، اترى الله احل لك الطيبات وهو يكره ان تأخذها ، انت اهون على الله في ذلك . قال : يا امير المؤمنين هذا انت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك . قال : ويحك اني لست كأنت ، ان الله فرض على ائمة العدل أن يقدروا انفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره .

قال« حد » : الذى رويته عن الشيوخ ورأيته بخط ابن الخشاب ان الربيع ابن زياد الحارثي اصابته نشابة فى جبينه فكانت تنتقض عليه فى كل عام ، فأتاه على عليه السلام عائداً فقال له : كيف تجدك ؟ قال : اجدنى لو كان لايذهب ما بى الا بذهاب بصري لتمنيت ذهابه . قال : وما قيمة بصرك عندك ؟ قال : لو كانت لي الدنيا لفديته بها . قال : لاجرم ليعطينك الله على قدر ذلك ، ان الله تعالى يعطي على قدر المصيبة وعنده تضعيف كثير .

قال الربيع : اشكو اليك عاصم بن زياد اخى . قال : ماله ؟ قال : لبس العباء وترك الملاء وغم اهله وحزن ولده . فقال عليه السلام : ادعو لي عاصماً، فلما أتاه عبس فى وجهه وقال : ويحك ياعاصم أترى الله اباح لك اللذات وهو يكره ماأخذت منها ، لانت أهـون على الله من ذلك، أو ماسمعته يقول « مرج البحرين يلتقيان» ثم قال «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» وقال «ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها» ، اماوالله ابتذال نعم الله بالفعال احب اليه من ابتذالها بالمقال، وقد سمعتم الله يقول «وأما بنعمة ربك فحدّث» ويقول «من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق» ان الله تعالى خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال « يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » وقال « ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً» وقال النبى صلى الله عليه وآله لبعض نسائه: مالي اراك شعثاء مرهاء سلتاء .

قال عاصم: فلم أقتصرت ياامير المؤمنين على لبس الخشن واكل الجشب؟ قال: ان الله افترض على ائمة العدل ان يقدّروا لانفسهم كيلا يتبيّغ بالفقير فقره. فما قام علي عليه السلام حتى نزع عاصم العباء ولبس ملاءه .

قلت : لاريب ان من دخل امير المؤمنين عليه السلام عليه يعوده الربيع ابن زياد الحارثي لاالعلاء بن زياد كما قال المصنف ، فقد اتفقت الخاصة والعامة على جعـل الربيع صاحبه عليه السـلام فى ذلك . رواه ابن عبد ربه فى عقده

وسبط ابن الجوزى فى تذكرته والكلينى في كافيه .

رواه الاول مثل «حد» ، وقال الثانى جاء الربيع بن زياد الحارثي الىعلى عليه السلام فقال : أعد لي على اخى عاصم . فقال عليه السلام : مابالله ؟ فقال: لبس العباء وتنسك وهجر أهله . فقال : عليّ به ، فجاء وقد ائتزربعباءة وارتدى بأخرى اشعث اغبر . فقال له : ويحك ياعاصم أما استحييت من اهلك ، أما رحمت ولدك، ألم تسمع الى قوله تعالى «ويحلّ لهم الطيبات» أترىاللهأباحها لك ولامثالك وهو يكره أن تنال منها، أما سمعت قول النبى صلى الله عليه وآله ان لك لنفسك عليك حقاً . فقال عاصم : فما بالك فى خشونة ملبسك وجشوبة مطعمك وانما تزييت بزيك ؟ فقال : ويحك ان الله فرض على ائمة الحق ان يتصفوا بأوصاف رعيتهم ـ او بأفقر رعيتهم ـ لئلا يزدري الفقير بفقره وليحمد الله الغنى على غناه .

وقال الثالث فى البـاب ١٠٢ من كتاب حجة الكافى : على بن محمد عن صالح بن ابى حمادوعدة من أصحابنا عن احمد بن محمدوغيرهما بأسانيدمختلفة فى احتجاج امير المؤمنين عليه السلام على عاصم بن زياد حين لبس العباءوترك الملاء وشكاه اخوه الربيع اليه عليه السلام ، فلما رآه عبس فى وجهه وقال له: أما استحييت من اهلك ، أما رحمت ولدك ، أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره اخذك منها، انت أهون على الله من ذلك، أوليس الله يقول « مرج البحرين ـ الى ـ يخرج منهمااللؤلؤ والمرجان» ، فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحب اليه من ابتذاله لها بالمقال ، وقد قال تعالى «وأما بنعمة ربك فحدث» . فقال عاصم: فعلى مااقتصرت في مطعمك على الجشوبة ؟ فقال : ويحك ان الله تعالى فرض على ائمة العدل ـ الخ .

هذا ، وفى فتوح البلاذري : لما توجه عبد الله بن عامر فى سنة (٣٠) الى

خراسان وجه الربيع بن زياد الحارثي الى سجستان ، فسار الربيع حتى أتى رستاق زالق ـ حصن على خمسة فراسخ من سجستان ـ فأغار على اهله في يوم مهرجان ، فأخذ دهقانه فافتدى نفسه بأن ركز عنزته ثم غمرها ذهباً وفضة وصالح الدهقان على حقن دمه . الى ان قال : ثم حاصر الربيع مدينة زرنج فبعث اليه مرزبانها يستأمنه ليصالحه ، فأمر بجسد من أجساد القتلى فوضع له فجلس عليه واتكأ على آخر وأجلس اصحابه على القتلى ـ وكان آدم أخوه طويلا ـ فلما رآه المرزبان هاله فصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب . الى ان قال : وأتى القريتين ـ وهناك مربط فرس رستم ـ فقاتلوه فظفر بهم .

وفي الاسد : قال عمر دلوني على رجل اذا كان في القوم أمير أفكأنه ليس بأمير واذا كان في القوم وليس بأمير فكأنه امير . فقالوا : ما نعرف الا الربيع بن زياد. فقال: صدقتم . واستعمله زياد لما كان على الكوفة والبصرة من قبل معاوية على خراسان ، وكان لا يكتب الى زياد الا في اختيار منفعة أو دفع مضرة ولا كان في مواكب قط فتقدمت دابته على دابة من الى جانبه ولا مس ركبته ركبته .

وقال ابن حبيب : كتب زياد الى الربيع ان معاوية يأمرك ان تحرز الصفراء والبيضاء وتقسّم ماسوى ذلك. فكتب اليه الربيع : اني وجدت كتاب الله قبل كتاب معاوية، ونادى في الناس : ان اغدوا على غنائمكم ، فأخذ الخمس وقسّم الباقي على المسلمين ودعا الله أن يميته فما جمّع حتى مات. قال: ومرأن هذا القول قاله الحكم بن عمرو الغفاري ، وأما الربيع فانه لما أتاه مقتل حجر بن عدي قال: اللهم ان كان للربيع عندك خير فاقبضه فلم يبرح من مجلسه حتى مات.

قول المصنف (وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من اصحابه) كما ان جعل المصنف دخوله عليه السلام على العلاء وهم كما عرفت من

الاتفاق على كون دخوله عليه السلام على الربيع ـ كذلك كون العلاء من اصحابه عليه السلام فكان من مبغضيه . ففي غارات الثقفي عن اسماعيل بن حكيم عن ابى مسعود الجريرى قال : كان ثلاثة من أهل البصرة يتواصلون على بغض علي : مطرف بن عبد الله بن الشخير ، والعلاء بن زياد ، وعبد الله بن شقيق .

ومن الغريب ان «حد» قال: وأما العلاء بن زياد الذي ذكره الرضي فلا اعرفه لعل غيري يعرفه ، مع انه نقل الخبر في موضع آخر. كما ان من العجيب ان «ثم» مع انه رأى كلام «حد» لم يقل شيئاً في كلام المصنف بنفي ولا اثبات .

(يعوده) العيادة احدى حقوق المسلم على اخيه، وكان عليه السلام اذا مرض احد اصحابه يعوده . روى الكشي ان صعصعة مرض فعاده عليه السلام وقال له: لاتتخذن عيادتي ايـاك ابهّة على قومك . فقال صعصعة : بلى والله اعدّها منّة عليّ وفضلا . فقال عليه السلام له: اني ماعلمتك لخفيف المؤنة حسن المعونة. فقال صعصعة له عليه السلام: وانت والله ماعلمتك الاّ بالله عليماً وبالمؤمنين رؤفاً رحيماً . وفي خبر : وكان الله في صدرك عظيماً .

وفي كامل المبرد : دخل علي عليه السلام على الحرب بن رويم يعود ابنه يزيد ، فقال له : عندي جارية لطيفة الخدمة أبعث بها اليك فسماها يزيد لطيفة .

(فلما رأى سعة داره) روى الكافي ان رجلا من الانصار شكا الى النبى صلى الله عليه وآله ان الدور قد اكتنفته . فقال صلى الله عليه وآله : ارفع صوتك مااستطعت وسل الله ان يوسع عليك .

وقال صلى الله عليه وآله : من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع .

وعن ابى جعفر عليه السلام : من شقاء العيش ضيق المنزل .

وعن ابى الحسن عليه السلام: فضل العيش سعة المنزل وكثرة المحبين.

وعن ابى عبدالله عليه السلام: ثلاثة المؤمن فيها راحة: دار واسعة توارى

عورته وسوء حاله من الناس ، وامرأة صالحة تعينه على امر الدنيا والاخرة ، وابنة او اخت يخرجها من منزله اما بموت اوبتزويج .

وروى ان ابا الحسن عليه السلام قال لمولى له : منزلك ضيق، فاشترى له داراً وامره بالتحول اليها فقال: ان هذه الدار قد احدثها ابى. فقال عليه السلام: انكان ابوك احمق ينبغى ان تكون مثله .

(قال : ماكنت تصنع بسعة هذه الدار فى الدنيا، اما انت فى الاخرة كنت احوج) هكذا فى المصرية و « حد » ولكن فى «ثم» « ما انت اليها فى الاخرة احوج » ونسب « اما انت فى الاخرة كنت احوج » الى رواية ، والظاهر انه اشار الى نقل « حد » مع ان الاصح نقله لكون نسخة الرضي عنده، وحينئذفان « ما » في الكلام بمعنى مادام ، قال تعالى « وان الدار الاخرة لهي الحيوان » .

(وبلى ان شئت بلغت بها الاخرة) الدنيا اذاكانت مقدمة للاخرة ممدوحة ، وانما كانت مذمومة اذاكانت منظورة من حيث هي .

(تقري فيها الضيف) عن اخبار زمان المسعودي : ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم عليه السلام انك لمّا سلمت مالك للضيفان وولدك للقربان ونفسك للنيران وقلبك للرحمن اتخذناك خليلا .

وفى الكافى عن عبدالله بن محمد الجعفري : ان النبى صلى الله عليه وآله كان فى بعض مغازيه ، فمر به ركب وهو يصلي، فوقفوا على أصحابه وسائلوهم عنه ودعوا وأثنوا وقالوا : لولا انا عجال لانتظرناه فاقرأوه منا السلام ومضوا، فلما انصرف من صلاته قال لهم: يقف عليكم الركب ويسألونكم عني ويبلغوني السلام ولاتعرضون عليهم الغداء ليعزّ على قوم فيهم خليلى جعفر أن يجوزوه حتى يتغدوا عنده .

وعن عبد الرحمن بن الحجاج : أكلنا مع ابى عبدالله عليه السلام فأتينا

بقصعة من ارز فجعلنا نعذر فقال : ما صنعتم شيئاً ، ان أشدكم حباً لنا أحسنكم اكلا عندنا فرفعت كسيحة المائدة فقال نعم الان ، وانشأ يحدثنا ان النبى صلى الله عليه وآله اهدي اليه قصعة من الارز فدعا سلمان واباذر والمقداد ، فجعلوا يعذرون فى الاكل فقال ماصنعتم شيئاً أشدكم حبّاً لنا احسنكم اكلا عندنا ، فجعلوا يأكلون اكلا جيداً . ثم قال ابو عبدالله عليه السلام : رحمهم الله ورضي عنهم وصلى عليهم .

وعن الباقر عليه السلام: مما علم النبى صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ـ وعن الصادق عليه السلام مما علم النبى فاطمة عليها السلام ـ من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه .

وعن الصادق عليه السلام: ان يعقوب كان له مناد ينادي كل غداة من منزله على فرسخ: ألامن اراد الغداء فليأت الى منزل يعقوب، واذا أمسى ينادي: ألامن أراد العشاء فليأت الى منزل يعقوب عليه السلام .

(وتصل فيها الرحم) قال تعالى « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيباً » .

وفى الكافى عن النبى صلى الله عليه وآله: أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم ومن فى اصلاب الرجال وارحام النساء الى يوم القيامة ان يصل الرحم وان كان الرحم على مسيرة سنة فان ذلك من الدين .

وعن مولاة ابى عبد الله عليه السلام قالت : كنت عنده عليه السلام حين وفاته ، فأغمي عليه فلما أفاق قال : اعطوا الحسن بن على بن الحسين ـ وهو الافطس ـ سبعين ديناراً ، فقلت : أتعطي رجلا حمل عليك بالشفرة. قال: تريدين ألا اكون من الذين قال تعالى « الذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب » ان الله خلق الجنة وطيّب ريحها وانها لتوجد من

مسيرة ألفي عام ولايجد ريحها عاقٌ ولاقاطع رحم .

وعنه عليه السلام: ان القوم ليكونون فجرة فيصلون أرحامهم فينمى اموالهم ويطول أعمارهم ، فكيف اذاكانوا بررة .

(وتطلع منها الحقوق مطالعها) عن الصادق عليه السلام : من منع درهماً في حق أنفق درهمين في غير حقه، ومن منع حقاً في ماله طوّقه الله به حية من نار يوم القيامة .

وعنه عليه السلام يقول ابليس: ماأعياني في ابن آدم فلن يعيني منه واحدة من ثلاث : أخذ ماله من غير حله ، أو منعه من حقه ، أووضعه في غير وجهه .

وعن الباقر عليه السلام: يبعث يوم القيامة ناس مشدودة أيديهم الى اعناقهم معهم ملائكة يعيرونهم يقولون : هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلا من خير كثير ، هؤلاء الذين اعطاهم الله فمنعوا حق الله في أموالهم .

(فاذا أنت قدبلغت بها) أي بتلك الدار (الاخرة) لانه جعلها وسيلة تحصيلها.

(فقال له العلاء) قد عرفت ان الصواب « الربيع » (ياامير المؤمنين اشكو اليك أخي عاصم بن زياد) وكان للربيع أخ آخر غير عاصم، مهاجر بن زياد قتل في كور الاهواز ايام عمر ، استقتل صائماً فشكاه الربيع ايضاً الى اميرهم ابى موسى . ففي فتوح البلاذري سار ابو موسى الى مناذر فحاصر أهلها فاشتد قتالهم ، فكان المهاجر بن زياد الحارثي اخو الربيع في الجيش، فأرادأن يشرى نفسه ـ وكان صائماً ـ فقال الربيع لابى موسى : ان المهاجر عزم على ان يشري نفسه وهو صائم . فقال أبو موسى : عزمت على كل صائم ان يفطر او لايخرج الى القتال ، فشرب المهاجر شربة ماء وقال : قد ابررت عزمة اميري ، والله ما شربتها من عطش ، ثم راح في السلاح فقاتل حتى استشهد ، وأخذ اهل مناذر رأسه ونصبوه على قصرهم بين شرفتين .

(قال : وماله ؟ قال : لبس العباءة) هكذا في المصرية والصواب « العباء » كما فى «حد» و«ثم» والخطية (وتخلى عن الدنيا) هكذا فى المصرية والصواب « من الدنيا » كما فى « حد » و « ثم » والخطية .

(قال علّي به، فلما جاء قال: يا عدّي) تصغير عدوّ (نفسه لقد استهام بك) أي جعلك هائماً متحيراً (الخبيث) أي الشيطان فأضلّك بهذا الطريق . فقالوا عليهم السلام : ليس منا من ترك دنياه لاخرته كمن ترك آخرته لدنياه .

وسأل الصادق عليه السلام عن رجل ، فقيل صالح ولكنه ترك التجارة ، فقال عليه السلام ـ ثلاثاً ـ عمل الشيطان ، أما علم ان النبى صلى الله عليه وآله اشترى عيراً اتت من الشام فاستفضل فيها ماقضى دينه وقسّم في قرابته .

هذا ، وفى الاغانى ـ بعد ذكر توبة ابى العتاهية ـ قال مخارق المغنى : تشوقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي، فدخلت فاذا هو قد اخذ قوصرتين وثقب احداهما وادخل رأسه ويديه فيها واقامها مقام القميص وثقب أخرى واخرج رجليه منها واقامها مقام السراويل ، فلما رأيته نسيت كل ماكان عندي من الغم والوحشة لعشرته وضحكت والله ضحكاً ماضحكت مثله قط، فقال: من أي شيء تضحك ؟ فقلت : اسخن الله عينك ، هذا اي شيء هو ، من بلغك عنه انه فعل مثل هذا من الانبياء والزهاد والصحابة والمجانين، انزع هذا عنك ياسخين العين ـ فكأنه استحى منى .

(أما رحمت اهلك وولدك) روى الخطيب ان زيد بن صوحان كان يقوم الليل ويصوم النهار، واذا كانت ليلة الجمعة احياها، فان كان ليكرهها اذا جاءت مما يلقى فيها ، فبلغ سلمان ماكان يصنع فأتاه فقال : اين زيد ؟ قالت امرأته : ليس ههنا. قال : فانى اقسم عليك لما صنعت طعاماً ولبست محاسن ثيابك ثم بعثت الى زيد. فجاء زيد فقرب الطعام ، فقال سلمان : كل يا زييد لاينقص دينك ، ان شر السير الحقحقة

ان لعينك عليك حقاً وان لبدنك عليك حقاً وان لزوجتك عليك حقاء ، كل يازييد. فأكل وترك ماكان يصنع .

وفى الا ستيعاب روى ابو جحيفة ان سلمان جاء يزور ابا الدرداء ، فرأى ام الدرداء مبتذلة فقال : ما شأنك ؟ قالت له : ان اخاك ليس له حاجة فى شيء من الدنيا . فلما جاء ابو الدرداء رحب بسلمان وقرب له طعاماً فقال سلمان اطعم قال انى صائم، قال: اقسمت عليك اني لست بآكل حتى تطعم. وبات عند ابى الدرداء ، فلماكان الليل قام ابو الدرداء فحبسه سلمان وقال له : ان لربك عليك حقاً وان لجسدك عليك حقاً فأعط لكل ذي حق حقه . فلماكان وجه للصبح قال قم الان. فقاما فصليا ثم خرجا الى الصلاة، فلما صلى النبى صلى الله عليه وآله قام اليه ابو الدرداء واخبره بما قال سلمان ، فقال النبى مثل ما قال سلمان .

(أترى الله احل لك الطيبات) « قل احل لكم الطيبات » « اليوم احلّ لكم الطيبات » « كلوا مما في الارض حلالا طيباً » .

(وهو يكره ان تأخذها) كيف وقد قال « لاتحرّموا طيبات ما احلّ الله لكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين * وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً » .

وروى الكافي انه عليه السلام بعث ابن عباس الى ابن الكواء واصحابه وعليه قميص رقيق وحلة ، فلما نظروا اليه قالوا له : انت خيرنا في انفسنا وانت تلبس مثل هذا اللباس ؟ فقال: وهذا اول ما اخاصمكم فيه « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق » وقال تعالى « خذوا زينتكم عند كل مسجد » .

وروى ان سفيان الثوري مر على الصادق عليه السلام فى المسجد الحرام وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان، فقال : والله لاتينه ولا وبخنّه . فدنا منه وقال له: ما لبس النبى صلى الله عليه وآله مثل هذا اللباس ولا علي عليه السلام . فقال عليه السلام له :كان النبى في زمان قتر مقتر وكان يأخذ لقتره واقتاره ، وان الدنيا

بعد ذلك أرخت عزاليها ، فأحق اهلها بها أبرارها ، ثم تلا عليه السلام « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ونحن احق من أخذمنها ما اعطاه الله ، غير اني يا ثوري ما ترى علي من ثوب انما ألبسه للناس . ثم جذب ثوباً على سفيان اعلاه غليظ خشن وداخل ذلك ثوب لين ، فقال : لبست هذا الاعلى للناس ولبست هذا لنفسك تسترها .

وروى ايضاً ان الصادق عليه السلام بينا هو في الطواف اذاً بعباد بن كثير البصري يجذب ثوبه وقال : تلبس مثل هذه الثياب وأنت في هذا الموضع مع المكان الذي أنت فيه من على عليه السلام . فقال عليه السلام : ثوب قرقبى اشتريته بدينار، وكان على عليه السلام في زمان يستقيم له مالبس فيه، ولو لبست مثل ذلك اللباس في زماننا لقال الناس هذا مراء مثل عباد .

(أنت اهون على الله من ذلك) بأن يخصك كالانبياء والائمة عليهم السلام بترك لذائذ الدنيا مع حليتها لحكم كما يأتي في كلامه عليه السلام .

في الطبرى : ان عبد الله بن ابى السمط قال : ان المأمون لايبصر الشعر . فقال له عمارة بن عقيل : ومن ذا يكون أعلم به منه ، ننشده أول البيت فيسبقنا الى آخره . فقال : أنشدته بيتاً اجدت فيه فلم أره تحرك له . فقال له : ماأنشدته؟ قال : أنشدته :

اضحى امام الهدى المأمون مشتغلا بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

فقال له : انك والله ما صنعت شيئاً ، وهل زدت على ان جعلته عجوزاً في محرابها في يدها سبحتها، فمن القائم بأمر الدنيا اذا تشاغل عنها وهو المطوّق بها ، هلا قلت فيه كما قال عمك جرير في عبد العزيز بن الوليد :

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

فقال قد اخطأت .

(قال : يا امير المؤمنين هذا أنت فى خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك)قال الجوهرى : طعام جشب أي غليظ ، ويقالهو الذى لا أدام معه .

روى المناقب عن الاشعث العبدي قال : رأيت علياً عليه السلام اغتسل فى الفرات يوم جمعة ثم ابتاع قميصاً كرابيس بثلاثة دراهم فصلى بالناس الجمعة وما خيط جربانه بعد .

وروى عن جندب : ان علياً عليه السلامقدم اليه لحم غثّ ، فقيل لهنجعل لك فيه سمناً ، فقال عليه السلام : انا لانأكل ادامين جميعاً .

واجتمععنده عليه السلام فىيوم عيد أطعمة فقال: اجعلها باجاد ـ اي خلط بعضها ببعض ـ فصارت كلمته عليه السلام مثلا .

(فقال عليه السلام : اني لست كأنت) فلكل وظيفة (ان الله فرض على أئمة العدل) هكذا فى المصرية ، والصواب ما فى حد وثم « ان الله تعالى فرضعلى ائمة الحق » (ان يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيّغ)من تبيغ الدم به أي هاج ، قالالجوهرى وقيل اصل تبيّغ بغيفقلب مثل جبذ وجذب (بالفقير فقره) فينكر على الله تعالى ويهلك .

١/١٥٥/٢ والله لقدرقعت مدرعتى هذه حتى استحييتمن راقعها ، وقد قال لى قائل الا تنبذها عنك فقلت أعزب عنى (فعند الصباح يحمدالقوم السرى) .

اقول : رواه امالى الصدوق عن الدقاق عن محمد بن الحسن عن محمد ابن الحسين عن محمدبن محسن عن المفضل عن الصادق عن آبائه عليهم السلام عنه عليه السلاممع زيادات هكذا : قالعليه السلام: واللهمادنياكم عندي الاكسفر على منهل حلو اذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا ، ولا لذاذتها فى عينى الاكحميم اشربه غساقاً وعلقم اتجرعه زعاقاً وسم افعاة اسقاه دهاقاً وقلادة من نار أوهقها

خناقاً ، ولقد رقعت مدرعتي هـذه حتى استحييت من راقعها وقال اقذف بهـا فذوالاتن لايرتضيهالبراذعها، فقلت له أعزب عنيفعند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلى عنهم غيابات الكرى، ولوشئت لتسربلت بالعبقري المنقوش من ديباجكم ولاكلت لباب هذا البر بصدور دجاجكم ولشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم ولكنني أصدق الله جلت عظمته حيث يقول « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيهالايبخسون*اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار » .

(والله لقد رقعت مدرعتي هذه) فى جمل المفيد روى ابـو مخنف انه عليه السلام لما أراد التوجه من البصرة قام فيهم فقال: ما تنقمون علي ياأهل البصرة والله انهما ـ واشار الى قميصه وردائه ـ لمن غزل أهلى ، وما تنقمون مني يـا أهل البصرة والله ما هي ـ واشار الى صرة فى يده ـ الا من غلتي بالمدينـة ، فانأنا خرجت من عندكم بأكثر مما ترون فأنا من الخائنين . ثم خرج وشيّعه الناس .

وقال« حد » انه عليه السلام كان يطوف الاسواق مؤتزراً بأزار مرتدياً برداء ومعه الدرة كأنه اعرابي بدوي، فطاف مرة حتى بلغ سوق الكرابيس فقال لواحد: بعنى قميصاً قيمته ثلاثة دراهم ، فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً ثم اتى آخر فلما عرفه لم يشترمنه شيئاً ، فأتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ، فلما جاء ابوه اخبروه فأخذ درهماً ثم جاء اليه عليه السلام وقال له: ان القميص الذى باعك ابني كان يساوى درهمين ، فلم يأخذ عليه السلام الدرهم وقال : باعنى رضاي وأخذ رضاه .

وقال : وعن ابى النوار بائع الخام بالكوفة قال : جاءني علي عليه السلام الى السوق ومعه غلام له وهو خليفة ، فاشترى مني قميصين وقال لغلامه : اختر

أيهما شئت. فأخذ احدهما واخذ علي عليه السلام الاخر ، ثم لبسه ومديده فوجد كمه فاضلة قال : اقطع الفاضل ، فقطعه ثم كفه وذهب .

وعن الصمال بن عمير قال : رأيت قميص علي عليه السلام الذى اصيب فيه وهو كرابيس سبيلانى ، ورأيت دمه سال عليه كالدري .

وقال احمد بن حنبل : لما أرسل عثمان الى علي عليه السلام وجدوه مؤتزراً بعباءة محتجزاً بعقال وهو يهنا بعيراً له .

(حتى استحييت من راقعها) وللحمدونى فى طيلسان مرقوع :

طيلسان رفوته ورفوت ... الرفو منه حتى رفوت رقاعه

فاطاع البلى وصار حليقا ... ليس يعطى الرفا على الرفو طاعه

(ولقد قال لى قائل آلا تنبذها) أي تطرحها (فقلت اعزب) اى أبعد - بضم الهمزة وكسرها (عني فعند الصباح يحمد القوم السرى) أى السير بالليل . وقد عرفت من مستنده ان بعده « وتنجلى عنهم غيابات الكرى » وكلاهما شعر جاء مثلا لتعب آخره راحة طويلة ، ولا يعلم الاصل فى المثل ، وربع فى الشعر فقيل :

يانفس قومي بى فقد نام الورى ... ان تفعلى خيراً فذو العرش يرى

وانت ياعين دعي عنك الكرى ... عند الصباح يحمد القوم السرى

ولكن قال العسكرى هو فى شعر للخيم يقول فيه :

تسألنى عن بعلها أي فتى ... خب جبان واذا جاع بكى

لاخطب القوم ولاالقوم سقى ... ولاركاب القوم اذا ضاعت بغا

كأنه غرارة ملأ خشى ... لمارأى الرمل وفيران الغضى

بكا وقال هل ترون ماارى ... اليس للسير الطويل منقضى

قلت اعرى صاحبى الابلا ... عندالصباح يحمدالقوم السرى

وتنقضى عنهم غيابات الكرى

وقال في امثال الكرماني : قال المفضل بعث ابو بكر الى خالد بن الوليد وهو باليمامة ان سر الى العراق ، فأراد سلوك المفازة فقال له رافع الطائي :قد سلكتها في الجاهلية هي خمس للابل الواردة ولاأظنك تقدر عليها الا أن تحمل من الماء، فاشترى ماه شارف فعطشها ثم سقاها الماء حتى رويت، ثم كبتها وكعم أفواهها ، ثم سلك المفازة حتى اذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيل وخشي ان يذهب ما في بطون الابل ، نحر الابل فاستخرج مافي بطونها من الماء فسقى الناس والخيل ومضى، فلما كان في الليلة الرابعة قال رافع: أنظروا هل ترون سدراً عظاماً، فان رأيتموها والافهو الهلاك ، فنظروا فرأوا فأخبروه، فكبّر وكبر الناس ثم هجموا على الماء ، فقال خالد :

لله در رافع انى اهتدى ... فوزّ من قراقر الى سوى

خمساً اذا ساربه الجيش بكى ... ماسارها من قبله ليس يرى

عند الصباح يحمد القوم السرى ... وتنجلى عنهم غيابات الكرى

وقريب من المثل قولهم «التمر في البئر» يعني مالم تستق من البئر للنخيل لم تصر صاحب التمر .

ومن امثالهم في السرى والصباح وان كان في مقام آخر قولهم «اذا سمعت بسرى القين فاعلم أنه مصبح» . قال الكرماني قال الاصمعي : اصله أن القين بالبادية ينتقل في مياههم فيقيم بالموضع أياماً فيكسد عليه عمله ثم يقول لاهل الماء: اني راحل عنكم الليلة ، وان لم يرد ذلك ولكنه يشيعه ليستعمله من يريد استعماله ، فكثر ذلك من قوله حتى صار لايصدق .

عن تفسير الثعلبي قال جعفر بن محمد عليه السلام : رأى النبي صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام وعليها كساء من جلة الابل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها ، فدمعت عينا النبي فقال : يابنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الاخرة . فقالت : الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه ، فأنزل تعالى « ولسوف

يعطيك ربك فترضى » .

هذا ، وفى السير أن المعتز ولى يعقوب بن الليث وعلى بن شبل كرمان ليغلب احدهما الاخر ، فأقبل يعقوب وطوق بن المغلس من قبل ابن شبل الى كرمان ولم يقاتلا ، وارتحل يعقوب بعد شهرين وأظهر الارتحال الى سجستان، فقعد طوق للاكل والشرب والملاهى واذا هو بيعقوب قد رفع طوى مرحلتين فى يوم، ففر أصحاب طوق واسر طوق فنزع يعقوب خفه فتساقط منه كسر خبز يابسة ، فقال لطوق : هذا خفي لم أنزعه منذ شهرين من رجلى وخبزى فيه آكل منه وأنت جالس فى الشراب .

وقال ابو تمام :

رب خفض تحت السرى وغناء ... من عناء ونضرة من شحوب

وقال آخر :

اذا شام الفتى برق المعالى ... فأهون فائت طيب الرقاد

ايضاً :

فليس بياض المجد الالمكتس ... سواد الليالى ساهراً غير راقد

وكم ليلة راعيت فيها فراقدا ... لكسب على فوق السها والفراقد

وذكروا أن بقابس مناراً كبيراً يحدو به الحادي اذا ورد من مصر يقول :

ياقوم لانوم ولاقرارا ... حتى نرى قابس والمنارا

وقال عمر بن ابى ربيعة :

ومن اجل ذات الخال اعملت ناقتى ... اكلفها سير الكلال مع الظلع

ومن اجل ذات الخال احببت منزلا ... تحلّ به لا ذا صديق ولازرع

هذا ، وفى دار السلام عن زين العابدين السلماسي : رأيت فى الطيف بيتاً عالياً له باب كبير وعلى جدرانه مسامير من الذهب، فسألت عن صاحبه فقيل لى:

انه للسيد محسن الكاظمي ـ وهو صاحب الوسائل والوافي ـ فتعجبت وقلت داره في الكاظمية صغيرة حقيرة ضيقة الباب والفناء فمن اين اوتي هذا البناء . قالوا: لما دخل من ذاك الباب الحقير اعطاه الله تعالى هذا البيت العالي الكبير. قال: وكان بيته في غاية الحقارة ولم يكن له مايضع سراجه فيه، فكان يوقد الشمعة على الطابوق والمدر .

٣/١٠٣/٣/ ورؤى عليه ازارخلق مرقوع ، فقيل له في ذلك فقال:يخشع له القلب وتذل به النفس ويقتدى به المؤمنون .

اقول : رواه احمد بن حنبل في فضائله هكذا : قيل لعلي عليه السلام لم ترقّع قميصك ؟ قال : ليخشع القلب ويقتدى بي المؤمنون .

روى ابو نعيم في حليته عن زيد بن وهب قال : قدم على علي عليه السلام وفد من اهل البصرة فيهم خارجي، فعاتب علياً عليه السلام في لبوسه فقال :مالك وللبوسي ، ان لبوسي ابعد من الكبر .

٤/ في ٢/٤٥ومن هذا الكتاب وهوآخره : اليك عنا يا دنيا ، فحبلك على غاربك ، قد انسللت من مخالبك وأفلت من حبائلك واجتنبت الذهاب في مداحضك ، اين القوم الذين غررتهم بمداعبك ، اين الامم الذين فتنتهم بزخارفك ، هاهم رهائن القبور ومضامين اللحود ، والله لوكنت شخصاً مرئياً وقالباًحسياً لاقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالاماني وألقيتهم في المهاوي وملوك اسلمتهم الى التلف واوردتهم موارد البلاء اذ لاورد ولا صدر . هيهات من وطيء دحضك زلق ، ومن ركب لججك غرق ، ومن ازور عن حبالك وفق ، والسالم منك لا يبالي ان ضاق به مناخه ، والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه . اعزبي عني، فوالله لا اذل لك فتستذليني ولا اسلس لك فتقودیني ، وأيم الله يميناً استثني فيها بمشية الله

لاروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص اذا قدرت عليه مطعوماً وتقنع بالملح مأدوماً ، ولادعن مقلتي كعين الماء نضب معينها مستفرغة دموعها، أتمتلى السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل على من زاده فيهجع ، قرت اذن عينه ، اذن اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية . طوبى لنفس ادت الى ربها فرضها ، وعركت بجنبها بؤسها ، وهجرت في الليل غمضها، حتى اذا غلب الكرى عليها افترشت ارضها وتوسدت كفها ، في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربهم شفاههم، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم ،اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون.

قول المصنف (ومن هذا الكتاب وهو آخره) هكذا في المصرية أخذاً من «حد» لكنه ليس في «ثم» ونسخته بخط المصنف. قوله عليه السلام (اليك) اي امسكي (عني يادنيا فحبلك على غاربك) الغارب مابين سنام الابل وعنقها ، شبّه عليه السلام في هذه الفقرة حاله مع الدنيا بامرأة غير موافقة طلقها زوجها واجرى صيغة طلاقها، فالفقرة من كنايات الطلاق عند العرب ، واصله ان الناقة اذا رعت وعليها الخطام لم يهنها شيء .

(قد انسللت) اي خرجت خفيفة (من مخالبك) والمخالب للسباع كالاظفار للانسان. شبه عليه السلام في هذه الفقرة حاله مع الدنيا بسبع صاد صيداً واخذه بمخالبه فانسل الصيد منها وهرب .

(وافلتّ) اى خرجت دفعة (من حبائلك) التى تصيد بها. شبه عليه السلام فى هذه الفقرة حاله معها بصيد وقع فى حبالة صياد فأفلت منها فلايقربها بعد (واجتنبت الذهاب فى مداحضك) والمدحض مكان زلق . شبه عليه السلام حاله معها فى هذه الفقرة بمن كان فى طريقه مواضع دحض فاجتنب المرور عليها لئلا

يخرّ ويهوى .

(اين القوم) هكذا فى المصرية و «ثم» ولكن فى «حد» والخطية «القرون» (الذين غررتهم بمداعبك) اي مزاحاتك .

(أين الامم الذين فتنتهم بزخارفك) أى تزويراتك وتمويهاتك .

والاقوام الذين غرّتهم والامم الذين فتنتهم بمداعبها وزخارفها كانوا في كل عصر كثيرين ولم يبق منهم أثر .

فى المروج: كتب ملك الصين الى انوشروان :من يعبور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذى يجري فى قصره نهران يسقيان العود والكافور الذي يوجد رائحته على فرسخين، والذى تخدمه بنات ألف ملك ، والذي فى مربطه ألف فيل أبيض ، الى اخيه كسرى انوشروان. وأهدى الى انوشروان فرساً من درمنضّد عليه فارس عينا الفارس والفرس من ياقوت احمر وقائم سيفه من نابت منضد بالجوهر، وثوباً حريراً فيه صورة الملك جالساً في أيوانه وعليه حليته وتاجه وعلى رأسه الخدم وبأيديهم المذاب صورة منسوجة بالذهب وارض الثوب لازورد فى سفط من ذهب ، تحمله جارية تغيب فى شعرها تتلأ لأجمالا . وهدايا أخر من عجائب الصين .

وكتب اليه ملك الهند : من ملك الهند وعظيم اراكتة المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت والدر، الى اخيه ملك فارس صاحب التاج والراية كسرى انو شروان واهدى اليه الفاً من عود هندي يذوب فى النار كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع فتبين فيه الكتابة ، وجاماً من الياقوت الاحمر فتحه شبر مملوداً ، وعشرة امنان كالفستق واكبر ، وجارية طولها سبعة أشبار تضرب أشفار عينها خدها وكأن بين جفونها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ودقة تخطيطها واتقان تشكيلها، مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرها، وفرشاً

من جلود الحيات ألين من الحرير واحسن من الموشى ، وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكاذى مكتوب بالذهب الاحمر، وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين ، وهو نوع من النبات عجيب ذولون حسن وريح طيب لحاؤه ارق من الورق الصينى يتكاتب فيه ملوك الصين والهند .

وأهدى اليه خاقان ملك التبت انواعاً من عجائب ارض تبّت ، منها اربعة آلاف منّ من المسك في نوافج غزلانه ـ الى ان قال ـ وقال عدي بن زيد العبادي :

اين كسرى انو شروان ام ابن قبله سابور
لم يهبه ريب المنون فولى الملك عنه فبابه مهجور
حين ولوا كأنهم ورق جف تذرى به الصبا والدبور

وقال سلم الخاسر في المنصور وبنائه بغداد :

اين رب الزوراء اذ قلدته الملك عشرين حجة واثنتان

وفى تاريخ بغداد: قال المنصور للربيع: هل تعلم في بنائى هذا موضعاً ان اخذني فيه الحصار خرجت خارجاً منه على فرسخين ؟ قال : لا. قال: بلى فيه كذا موضعاً ـ الخ .

قلت : ولم ينجه ذلك لمّا حاصره الموت .

(هاهم رهائن القبور ومضامين اللحود) في الخبر انطلق ذوالقرنين يسير في البلاد حتى مر بشيخ يقلّب جماجم الموتى، فوقف عليه بجنوده فقال له: أخبرنى ايها الشيخ لاي شيء تقلّب هذه الجماجم ؟ قال: لاعرف الشريف من الوضيع والغنى من الفقير فما عرفت، وانى لاقلبها منذ عشرين سنة. فانطلق ذوالقرنين وتركه وقال : ما عنيت بهذا أحداً غيري .

وفى عيون ابن قتيبة : تذاكر حذيفة وسلمان أمر الدنيا، فقال سلمان: ومن

أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدي سرير كسرى - وفي العرصة سرير رخام كان يجلس عليه كسري فتصعد غنيمات الغامدي الى ذلك السرير .

وقال ابو حامد الشهرزوري :

ومن عرف الدنيا ولؤم طباعها ... واصبح مغروراً بها فهو الام

ترديك وشياً معلماً وهو صارم ... وتعطيك كفاً رخصة وهو لهذم

وتصفيك وداً ظاهرا وهي فارك ... وتسقيك شهداً رائقا وهو علقم

فأين ملوك الارض كسرى وقيصر ... واين مضى من قبل عاد وجرهم

كأنهم لم يسكنوا الارض مرة ... ولم يأمروا فيها ولم يتحكموا

(والله لو كنت شخصاً مرئياً وقالباً حسياً لاقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالاماني) أي التمنيات (وامم ألقيتهم في المهاوي) جمع المهواة مابين الجبلين .

وللوحيد البغدادي :

لو تجلى لي الزمان للاقى ... مسمعيه مني عتاب طويل

انما نكثر الملامة للدهر ... لان الكرام فيه قليل

(وملوك اسلمتهم الى التلف واوردتهم موارد) أي مشارع (البلاء اذ لاورد) في ماء رخاء (ولاصدر) عنه . قال :

حيران يعمه في ضلالته ... مستورد الشرائع الظلم

قال الفيروز آبادي في قاموسه : المنصورة بلدة بالسند اسلامية ، وبلدة بنواحي واسط ، واسم خوارزم القديمة التي كانت شرقي جيحون، وبلدة قرب القيروان ، وبلدة ببلاد الديلم ، وبلدة من القاهرة والدمياط . ومن العجب ان كلامنها بناها ملك عظيم في جلال سلطانه وعلو شانه وسماها المنصورة تفؤلا بالنصر والدوام ، فخربت جميعها واندرست ونقضت رسومها واندحضت .

(هيهات من وطىء) أي وضع قدمه (دحضك) أي مزلتك (زلق) وما قدر على الثبات . قال الشاعر :

ان هذى الديار قد نزلت قبل وحلت ... فأين اهل الديار

اين اين الملوك فى سالف الدهر ... وما اثروا من الاثار

كل ذى نخوة وامر مطاع ... وامتناع وعسكر جرّار

ملكوا برهة فسادوا وقادوا ... ثم صاروا احدوثة السمار

لم تخلدهم الكنوز التى قد كنزوها ... من فضة ونضار

لم تغثهم يوم الحساب ولكن ... حملوا وزرها مع الاوزار

(ومن ركب لججك غرق) هذا تشبيه للدنيا بالبحر، مضافاً الى التشبيهات الاربعة المتقدمة بمرأة سليطة غادرة ، وسبع ذى مخلب ، وصياد ذى حبالة ، ومكان زلق .

وعن الكاظم عليه السلام قال لقمان لابنه : يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان وشراعها التوكل وقيّمها العقل ودليلها العلم وسكانها الصبر .

(ومن ازور) أي عدل (عن حبالك) حتى لايقع فيها (وفق) لانه أتى بما يقتضيه العقل .

فى الكافى عن الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم: يا هشام ان العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم. ياهشام ان العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب ، وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض . يا هشام ان العاقل نظر الى الدنيا والى أهلها فعلم انها لاتنال الا بالمشقة ، ونظر الى الاخرة فعلم أنها لاتنال الا بالمشقة، فطلب بالمشقة أبقاهما. يا هشام ان العقلاء زهدوا فى الدنيا ورغبوا فى

الاخرة لانهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة وان الاخرة طالبة مطلوبة، فمن طلب الاخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الاخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

(والسالم منك) يادنيا (لايبالي) لنجاته من هلكة شديدة (ان ضاق بهمناخه) بضم الميم ، أي مستقره والاصل فيه « انخت الجمل فاستناخ » اى ابركته فبرك .

هذا و (تنوخ) ليس من هذاكما توهم الجوهري ، فقال ابن دريد : تنخ بالمكان اقام به ، ومنه تنوخ . وهذا من نوخ الابل .

ووجه عدم مبالاته بضيق مناخه لان من سلم منها كمن سلم ممن يريداهلاكه بالاختفاء فى موضع ضيق، فهو لايحس ضيق ذاك المكان مادام همه النجاة .

(والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه) أي صار وقت تقضيه .

قال الصادق عليه السلام : اصبروا على طاعة الله وتصبروا عن معاصي الله، فانما الدنيا ساعة فمامضى فلست تجدله سروراً ولاحزناً ومالم يأت فلست تعرفه، فاصبر على تلك الساعة التى انت فيها فكأنك قد اغتبطت .

(اعزبى) بالضم والكسر ، اي ابعدى يا دنيا (عنى فوالله لااستذل لك) أي لااكون لك ذلولا (فتستذليني) أي تجعلينى ذليلا (ولا أسلس) اى لاانقاد (لك فتقوديني) حيث شئت .

عن الصادق عليه السلام فيما ناجى الله تعالى به موسى عليه السلام: ياموسى لاتركن الى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها أباً واماً ، يا موسى لو وكلتك الى نفسك لتنظر لها لغلب اذن عليك حب الدنيا وزهرتها .

(وأيم الله) قال الجوهرى أيمن الله بضم الميم والنون اسم وضع للقسم ـ الى أن قال ـ وربما حذفوا منه النون فقالوا أيم الله وايم الله بكسر الهمزة .

(يميناً) قال الجوهري : اليمين القسم ، يقال سمّي بذلك لانهم كانوا اذا تحالفوا ضرب كل واحد منهم يمينه على يمين صاحبه ـ الخ. ونصبه على المصدرية .

(استثنى فيها بمشية الله) اشارة الى قوله تعالى «ولاتقولن" لشيء انى" فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله» .

(لاروضن) والاصل فيه من «رضت المهر» داراه حتى يركبه .

(نفسي رياضة) والاصل رواضة (تهش) اي ترتاح النفس (معها) أي مع تلك الرياضة (الى القرص) من الخبز (اذا قدرت عليه مطعوماً) .

فى الكشى عن أبى عبد الله عليه السلام: أرسل عثمان الى ابى ذر مولبين له ومعهما مائتا دينار وقال لهما: قولا له يقول لك عثمان استعن بهما على مانابك. فقال لهما : هل أعطى أحداً مثل ماأعطانى ؟ قالا : لا . قال : فانما أنا رجل من المسلمين يسعني مايسعهم . قالا له : يقول عثمان انها من صلب مالي وماخالطها حرام . قال : لاحاجة لي فيها ، وأنا من أغنى الناس . فقالا له : مانرى فى بيتك قليلا ولاكثيراً . فقال : بلى تحت هذا الاكاف الذي ترون رغيفا شعير قد أتى عليهما أيام ، فما اصنع بهذه الدنانير .

(وتقنع بالملح مأدوماً) أي مايؤكل الخبز معه .

فى المناقب : رآه عليه السلام عدي بن حاتم وبين يديه شنة فيها قراح ماء وكسرات من خبز شعير وملح ، فقال له عليه السلام : انى لاراك تظل نهارك طاوياً مجاهداً وبالليل ساهراً مكابداً ثم يكون هذا فطورك . فقال عليه السلام :

علل النفس بالقنوع والا طلبت منك فوق مايكفيها

وفيه ترصد عمرو بن حريث غذاءه عليه السلام ، فأتت فضة بجراب مختوم فأخرج منه خبزاً متغيراً خشناً، فقال عمرو: يافضة لو نخلت هذا الدقيق وطيبته. قالت : كنت أفعل فنهاني وختم الجراب. ثم انه عليه السلام فته فى قصعة وصب"

عليه الماء ثم ذرّ عليه الملح وحسر عن ذراعه وأكل ، فلما فرغ قال : ياعمرو لقد جاءت هذه ـ واشار الى محاسنه ـ وحسرت هذا ـ واشار الى بطنه ـ ان ادخلها النار من أجل طعامه وهذا يكفيني .

وفي كامل المبرد: قال ابو نيزر جاءني على عليه السلام وانا اقوم بالضيعتين ـعين ابى نيزر والبغيبغة ـ فقال لي: هل عندك طعام ؟ فقلت : طعام لاأرضاه لك، قرع من قرع الضيعة صنعته باهالة سنخة . فقال : عليّ به ـ الى أن قال ـ وقال من أدخله بطنه النار فأبعده الله .

هذا وفي الكافي عن الصادق عليه السلام : ان يوسف عليه السلام لما كان في السجن شكا الى ربه الخبز وحده وسأل اداماً يأتدم به وقد كان كثر عنده قطع الخبز اليابس، فأمره ان يأخذ الخبز ويجعله في خابية ويصب عليه الماء والملح فصار مرياً وجعل يأتدم به .

(ولادعن) أي أتركن (مقلتي) شحمة العين التي تجمع البياض والسواد (كعين ماء نضب) أي غار وسفل (معينها) أي جاريها . ومعين فعيل وقيل هو مفعول من «عنت الماء» اذا استنبطته .

(مستفرغة) حال من «مقلتي» (دموعها) روى الكافي انه عليه السلام أقبل ذات يوم على الناس بعد صلاة فجره وقال : لقد ادركت اقواماً يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، يخالفون بين جباههم وركبهم كأن زفير النار في آذانهم ، اذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر . ثم قام عليه السلام فما رئي ضاحكاً حتى قبض .

(اتمتلى السائمة) اي الماشية الراعية (من رعيها) بالكسر ، اي كلاءها ، واما بالفتح فمصدر ، حملناه على الاول لقوله عليه السلام بعد «وتشبع الربيضة من عشبها» .

(فتبرك) من برك البعير اذا استناخ .

وفى الاساس : وصف اعرابى ارضاً خصبة فقال : تركت كلاءها كأنه نعامة باركة . وابتركوا فى الحرب جثوا على الركب .

(وتشبع الربيضة) قال الجوهري : ربوض البقر والغنم والفرس والكلب مثل بروك الابل وجثوم الطير، والمرابض للغنم كالمعاطن للابل، والربيض الغنم برعاتها المجتمعة فى مربضها .

(من عشبها) اي علفها (فتربض) بكسر العين ، اي تنام على الركب .

(ويأكل على من زاده فيهجع) اي ينام ليلا (قرت اذن عينه) كلام تهكّمى.

(اذن اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة) اي بلاراع (والسائمة المرعية) التي لها راع .

(طوبى لنفس) اتصفت بما قاله عليه السلام بعد لانها المخاطبة بقوله تعالى «ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية * فادخلي فى عبادى وادخلى جنتى» .

(ادت الى ربها فرضها) فأعبد الناس من اقام الفرائض ولم يخل بشىء منها.

(وعركت) اي دلكت (بجنبها بؤسها) اي شدتها ، من قولهم «عرك البعير جنبه بمرفقه» والمراد احتملت الشدائد وتحملتها بنفسها . قال الشاعر :

اذا انت لم تعرك بجنبك بعض ما يسوء من الادنى جفاك الاباعد

(وهجرت) اي تركت (فى الليل غمضها) بالضم ، اي نومها ، قال تعالى «كانوا قليلا من الليل مايهجعون» وفسرت بأنهم كانوا اقل الليالى تفوتهم حتى لايقومون .

(حتى اذا غلب الكرى) اي الميل الى النوم (عليها) هكذا فى المصرية «وثم» ولكن فى «حد» والخطية بدل حتى اذا غلب الكرى عليها «حتى اذا الكرى

غلبها » وقلنا غير مرة ان المقدم نقل «ثم» لكون نسخته بخط مصنفه .

(افترشت ارضها) اي جعل الارض فراشها (وتوسدت كفها) اي جعل كفها وسادها ، والمراد انه اذا غلب النوم عليها تركت القيام ونامت لقوله تعالى «ولاتقربوا الصلاة وانتم سكارى» اي من النوم -كما فسرفى خبر - ليفهم مايقول لكن ليس نومه نوم استراحة واطمئنان بل هكذا ليقوم ثانياً بعدرفع غلبة النوم .

وفى تذكرة السبط : وفى الصحيحين ومسند احمد بن حنبل عن ابى حازم قال : جاء رجل الى سهل بن سعد فقال: هذا فلان يذكر علي بن ابى طالب عند المنبر . فقال : مايقول؟ قال : يقول ابوتراب ويلعن. فغضب سهل وقال : والله ماكناه به الا النبى صلى الله عليه وآله ، وماكان اسم احب اليه منه ، دخل على فاطمة عليهاالسلام فأغضبته فخرج الى المسجد فاضطجع على التراب وخلص التراب على ظهره، فجاءالنبى صلى الله عليه وآله فمسح التراب عن ظهره وقال: اجلس اباتراب .

وفى الطبرى مسنداً عن عمار قال : كنت انا وعلى عليه السلام رفيقين مع النبى صلى الله عليه وآله فى غزوة العشيرة - وكانت فى السنة الثانية من الهجرة، وكان النبى خرج فيها يعترض لعيرات قريش ، فنزلنا منزلا فرأينا رجالا من بني مدلج يعملون فى نخل لهم، فقلت: لو انطلقنا فنظرنا اليهم كيف يعملون .فانطلقنا فنظرنا اليهم ساعة ثم غشينا النعاس ، فعمدنا الى صور من النخل فنمنا تحته فى دقعاء من التراب ، فما ايقظنا الاالنبى صلى الله عليه وآله اتانا وقد تتربنا فى ذلك التراب ، فحرك علياً عليه السلام برجله فقال: قم يااباتراب الااخبرك بأشقى الناس، احمر ثمود عاقر الناقة والذي يضربك على هذا - يعنى قرنه - فيخضب هذه - واخذ بلحيته - منها .

(فى معشر أسهر) أي منع من النوم (عيونهم خوف المعاد) فى الكافى عن

الصادق عليه السلام : صلى النبى صلى الله عليه وآله الصبح بالناس فنظر الى شاب فى المسجد وهو يخفق ويهوى برأسه مصفراً لونه قد نحف جسمه وغارت عينه فى رأسه ، فقال له النبى صلى الله عليه وآله : كيف أصبحت يافلان ؟ قال: موقناً . فعجب النبى من قوله وقال : ان لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟قال: انّ يقينى هو الذى أحزنني واسهر ليلى واظمأ هواجري فعزفت نفسى عن الدنيا ومافيها ، كأنىّ انظر الى عرش ربى وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم ،وكأنىّ انظر الى اهل الجنة يتنعمون فى الجنة ويتعارفون على الارائك متكئون ، وكأنى انظر الى اهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون، وكأنىّ الان أسمع زفير النار يدور فى مسامعي . فقال النبى صلى الله عليه وآله لاصحابه : هذا عبد نوّر الله قلبه بالايمان . ثم قال له : الزم ماأنت عليه . فقال الشاب له صلى الله عليه وآله : ادع لي أن أرزق الشهادة معك ، فدعا له فلم يلبث أن خرج فى بعض غزوات النبى فاستشهد بعد تسعة وكان هو العاشر .

(وتجافت) أي نبت (عن مضاجعهم) وفرشهم (جنوبهم) قال تعالى «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون * فلاتعلم نفس ماأخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون» .

(وهمهمت) أي رددت الصوت ، من همهم الاسد (بذكر ربهم شفاههم) قال تعالى «الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ـ الى ـ فاستجاب لهم ربهم اني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر او أنثى» .

(وتقشّعت) أي تفرقت (بطول استغفارهم ذنوبهم) وفى الخبر : لكل شىء دواء ودواء الذنوب الاستغفار .

وروي انّ عباد البصري قال للصادق عليه السلام : بلغنى انك قلت مامن

عبد يذنب ذنباً الأأجّله الله سبع ساعات من النهار . فقال : ليس هكذا قلت ، ولكن قلت مامن مؤمن وكذلك كان قولي .

(اولئك حزب الله ألاان حزب الله هم المفلحون) هكذا في المصرية والخطية، وليس الكلام كله في « حـد » و « ثم » ، وكيف فالمفلحون انما حزبه تعالى والاحزاب الاخرهم الخاسرون .

٣٢/٥/ ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال اهل البصرة . قال عبدالله بن العباس : دخلت على امير المؤمنين عليه السلام بذي قاروهو يخصف نعله ، فقال لي : ما قيمة هذه النعل ؟ فقلت : لاقيمة لها . فقال عليه السلام : والله لهي أحب الى من امرتكم الا ان اقيم حقاً او ادفع باطلا . ثم خرج فخطب الناس فقال ـ الخ .

ومر في (٢٠) التوحيد في الخطبة ١٧٧ عن نوف انه عليه السلام خطب قائماً على حجارة وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف وكأن جبينه ثفنة بعير .

قول المصنف (قال عبدالله بن العباس دخلت على امير المؤمنين عليه السلام بذي قار) وفي رواية ارشاد شيخه المفيد انّ ذلك كان بالربذة ، فقال : لماتوجه عليه السلام الى البصرة نزل الربذة فلقيه بها آخر الحاج فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه وهو في خبائه ، قال ابن عباس : فأتيته فوجدته يخصف نعله ، فقلت له: نحن الى ان تصلح أمرنا احوج منّا الى ماتصنع . فلم يكلّمني حتى فرغ من فعله ثم ضمها الى صاحبتها وقال لي قوّمهما ، فقلت : ليس لهما قيمة . قال : على ذاك . قلت : كسر درهم . قال : والله لهما أحبّ اليّ من أمركم هذا الا ان اقيم حقاً او أدفع باطلا . قال: قلت ان الحاجّ اجتمعوا ليسمعوا من كلامك فتأذن لي ان اتكلّم ، فان كان حسناً كان منك وان كان غير ذلك كان مني . قال:

لا أنا اتكلّم . ثم وضع يده على صدري - وكان شثن الكفين - فآلمني . ثم اخذت بثوبه وقلت: نشدتك الله والرحم. فقال : لاتنشدني ، ثم خرج فاجتمعوا عليه - الخ .

(وهو يخصف نعله) قال الفيومي خصف النعل كرقع الثوب .

وكان عليه السلام يخصف نعله كالنبي صلى الله عليه وآله يخصف عليه السلام نعله ونعل النبي ، وحديث خاصف النعل فيه مشهور . روى الخطيب مع نصبه في (ربعي بن حراش) الذي قال فيه تابعي ثقة ويقال انه لم يكذب كذبة قط - ونقل شاهداً في ذلك - مسنداً عنه قال: سمعت علياً عليه السلام وهو بالمدائن قال: جاء سهيل بن عمرو الى النبي صلى الله عليه وآله فقال: انه قد خرج اليك ناس من ارقائنا ليس بهم الدين تعبّداً فارددهم علينا . فقال ابو بكر وعمر : صدق . فقال النبي صلى الله عليه وآله : لن تنتهوا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلا امتحن الله قلبه بالايمان يضرب رقابكم وانتم مجفلون عنه اجفال النعم . فقال ابو بكر: اناهو . قال:لا . قال عمر: أنا هو. قال : ولالكنه خاصف النعل . وفي كف علي نعل يخصفها للنبي - ورواه الترمذي مثله - .

وروى احمد بن حنبل في فضائله - كما في تذكرة السبط - مسنداً عن انس قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : لينتهين بنو وليعة أو لابعثن اليهم رجلا كنفسي ، يمضي فيهم امري، يقتل المقاتلة ويسبي الذرية . قال ابوذر : فماراعني الابرد كفّ عمر من خلفي . فقال : من تراه يعني ؟ فقلت : مايعنيك وانما يعني خاصف النعل علي بن ابي طالب - الخ .

(فقال عليه السلام: والله لهي احب الي من امرتكم الا ان اقيم حقاً او ادفع باطلا) ومر في الشقشقية قوله عليه السلام «أما والذي فلق الحبة وبرء النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ألايقارّوا على كظّة

ظالم ولاسغب مظلوم ، لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس اولها ولالفتيم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز» .

قول المصنف في الثاني (وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه من ليف وفي رجليه نعلين من ليف) في المناقب رآه عليه السلام عقيل الخولاني جالساً على برذعة حمار مبتلة ، فقال لاهله في ذلك فقالت : مايرى شيئاً ينكره الا أخذه فطرحه في بيت المال .

وفي خبر : قال عليه السلام لاهل البصرة : ان قميصي لمن غزل أهلي .

(وكأن جبينه ثفنة بعير) من كثرة سجداته، وثفنات البعير مايقع على الارض من أعضائه اذا استناخ .

وفي العدد عن الباقر عليه السلام : ولقد كان أبي تسقط منه كل سنة سبع ثفنات من موضع سجوده لكثرة صلواته وكان يجمعها فلما مات دفنت معه .

وفي أمالي الشيخ ان فاطمة بنت علي عليه السلام أتت جابر الانصاري وقالت له : هذا علي بن الحسين بقية أخي الحسين عليه السلام قد انخرم أنفه وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه ادآباً منه لنفسه في العبادة ـ الخبر .

وكان عليه السلام اذا اكثروا عليه في عبادته قال: أين تقع عبادتي من عبادة جدي .

٦/٢٣٦/ وقال عليه السلام : والله لدنياكم هذه اهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم .

ومر في سابقه قوله «ولالفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز» .

وفي ١/٢١٩/ : وان دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، مالعلي ولنعيم يفنى ولذة لاتبقى ، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل .

هذا ، وفي الصحاح : العرق بالفتح العظم الذي أخذ عنه اللحم، والجمع

عراق بالضم . وفى الاساس قيل لبنت الخس ما أطيب العراق . قالت عـراق الغيث ، اى ما خرج من النبات على اثر الغيث، لان الماشية تسمن عليه فيطيب عراقها .

وفى انساب السمعانى قال المدائنى: خطب الديباج محمد بن عبدالله بن عمر بن عثمان والديباج عبد العزيز بن عبدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب امرأة، فجعلت تبحث عن أحسنهما، فخرجت فى ليلة مقمرة فرأتهما يتعاتبان فى أمرها او امرآخر، وكان وجه عبد العزيز اليها فرأت بياضه وطوله فقالت حسبى به فتزوجها هو ودعا الاخر فى وليمتها فأكل ثم خرج وهو يقول :

بينا ارجى ان اكـون وليها رضيت بعرق من وليمتها سخن

/٣/٧٧/٧ ومـن خبر ضرار بن ضمرة الضبابى عند دخوله على معاويـة ومسألته لـه عن امير المؤمنين عليه السلام قال : فأشهد لقـد رأيته فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله ، وهوقائم فى محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول : يا دنيا يا دنيـا اليك عنى، ابى تعرضت ام الى تشوقت ، لاحان حينك. هيهـات غرى غيـرى، لا حاجة لى فيـك، قد طلقتك ثلاثاً لارجعة فيها ، فعيشك قصيـر وخطرك يسير وأملك حقير، آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظيم المورد .

اقول : رواه مروج المسعودي هكذا قال : دخل ضرار بن ضمرة ـ وكان من خواص علي عليه السلام ـ على معاوية وافداً ، فقال له صف لي علياً. قال : اعفني . قال : لابد من ذلك. فقال: أمااذاكان لابد منه ـ فانه كان والله بعيدالمدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يعجبه من الطعام ما خشن ومن اللباس ما قصر ، وكان والله يجيبنا

اذادعوناه ويعطينا اذا سألناه، وكنّا والله على تقريبه لنا وقربه منا لانكلّمه هيبة له ولانبتدؤه لعظمه فى نفوسنا،يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين ويرحم المساكين ويطعم فى المسغبة يتيماًذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ، يكسو العريان وينصر اللهفان ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل وظلمته ، وكأني به وقدارخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو فى محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول : يا دنيا غري غيرى ، ألي تعرضت ام الي تشوقت، هيهات هيهات لاحان حينك قد ابنتك ثلاثاً لارجعة لي فيك ، عمرك قصير وعيشك حقير وخطرك يسير ، آه من قلة الزاد ووحشة الطريق . فقال له معاوية : زدنى شيئاً من كلامه .

الى أن قال: قال كيف حزنك عليه؟ قال: حزن من ذبح ولدها على صدرها، فماترقأ عبرتها ولايسكن حزنها .

ورواه المصنف فى خصائصه ـ وفى روايته ـ فان تبسم فعن غير أشر ولا اختيال ، وان نطق فعن الحكمة والصواب ، يعظم أهل الدين ويحب المساكين ولايطمع الغنى فى باطله ولايؤيس الضعيف من حقه. الى أن قال: فوكفت دموع معاوية ما يملكها ويقول : هكذاكان علي ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزنى عليه حزن من ذبح واحدها فى حجرها فلاترقى دمعتها ولاتسكن حرارتها .

ورواه ابن بابويه فى أماليه مسنداً عن الاصبغ قال : دخل ضراربن ضمرة النهشلي على معاوية فقال : صف لي علياً . قال : أو تعفينى . قال : لا . فقال ضرار :كان والله فيناكأحدنا ، يبدأ بنا اذا أتيناه ويجيبنا اذا سألناه ويقربنا اذا زرناه، لايغلق له دوننا باب ولايحجبناعنه حاجب، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لانكلمه لهيبته ولانبتدؤه لعظمته ، فاذا تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ـ .

فقال معاوية: زدنى فى صفته . فقال ضرار :كان والله كثير السهاد قليل الرقاد،

يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار ، يجود لله بمهجته وينيب اليه بعبرته، لاتعلق له الستور ولايد خر عنا البدور ، ولايستلين الاتكاء ولايستخشن الجفاء ، ولو رأيته اذمثل في محرابه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهوقابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين وهو يقول : يادنيا ابي تعرضت ام الي تشوقت . الى أن قال : فبكى معاوية وقال : حسبك يا ضرار ، كذلك والله كان علي ، رحم الله ابا الحسن .

وروى الاستيعاب في عنوانه عليه السلام عن الحرمازي قال : قال معاوية لضرار الصدائى : صف لى علياً . قال : اعفني . قال : لتصفنه. قال: أما اذ لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فضلا ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان غزير العبرة طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن،كان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه وينبئنا اذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لانكاد نكلمه هيبة له، يعظم اهل الدين ويقرب المساكين ، لايطمع القوي فى باطله ولاييأس الضعيف من عدله ، واشهد أنى لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدلته وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول : يادنيا غري غيري، ألي تعرضت ام ألي تشوقت ، هيهات هيهات قد باينتك ثلاثاً لارجعة فيها فعمرك قصير وخطرك قليل ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. فبكى معاوية وقال : رحم الله ابا الحسن ،كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار ؟ قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها .

وقال « حد » رواه الرياشى ونقلته انا من كتاب عبد الله بن اسماعيل الحلبى في التذييل على النهج ، قال : دخل ضرار على معاوية ـ وكان من صحابة علي

عليه السلام ـ فقال له معاوية : صف لي علياً. قال : أو تعفيني . قال : لا . قال: ماأصف به ،كان والله شديد القوى بعيدالمدى، يتفجر العلم من أنحائه والحكمة من أرجائه ، حسن المعاشرة سهل المباشرة، خشن المأكل قصير الملبس،غزير العبرة طويل الفكرة ، يقلّب كفه ويخاطب نفسه ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا اذا سألنا ويبتدينا اذا سكتنا ، ونحن مع تقريبه لنا أشد ما يكون صاحب لصاحب هيبة ، لانبتديه الكلام لعظمته ـ الخ . ثم نقله عن الاستيعاب .

واقول : فى تلك الروايات « فوكت دموع معاوية ما يملكها وقال هكذا والله كان ابو الحسن » اثرت حقيقة امير المؤمنين عليه السلام فى معاوية مع أنه لعمرى كان ممّن قال تعالى فيهم « ولو أنّنا نزّلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا » .

وأما قوله له « كيف حزنك عليه » ـ الخ فمثله ابو الطفيل، ففى المروج قال له معاوية : كيف وجدك على خليلك أبى الحسن ؟ قال : كوجد أم موسى على موسى واشكو الى الله التقصير .

وقول المصنف (ومن خبر ضرار بن حمزة) هكذا فى المصرية والصواب « بن ضمرة » كما فى حد وثم والخطية (الضبائى) هكذا فى المصرية والصواب « الضبابى » كما فى حد وغيره ، ولكن الاستيعاب جعله « الصدائى » كما وجدت وان نقل حد ايضاً عنه « الضبابى » ، وقد عرفت ان الامالى قال « النهشلي » والحقيقة غير معلومة ، ونهشل من تميم وصداء من مذحج وضباب عدة قبائل بعضها بالفتح وبعضها بالكسر .

وأما قول ثم « الضباب بطن من فهر بن مالك بن النضر بن كنانة » الدال على أن هذا من ضباب قريش فبلا شاهد، مع أن قوله « بطن من فهر » كالتعريف بالجنس البعيد، وانما الصواب أن يقال بطن من عامر بن لؤى لو قام دليل على كونه من قريش .

(عند دخوله على معاوية ومسألته له عن امير المؤمنين عليه السلام) بوصفه له (وقال) هكذا في المصرية والصواب « قال » كما في حد وثم .

(فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد ارخى) اى أرسل (الليل سدوله) أي استاره ، وارخاء الليل سدوله كناية عن شدة ظلامه .

(وهو قائم في محرابه) عن ابانة العكبري قالت ام سليمان بن المغيرة : سألت ام سعيد سرية علي عليه السلام عن صلاته في شهر رمضان فقالت : شهر رمضان وشوال سواء ، كان يحيي الليل كله .

وفي امالي ابن بابويه عن انس سمعه رجل انه قال : نزل قوله تعالى « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه » في علي عليه السلام . قال : فأتيته عليه السلام لانظر الى عبادته ، فأشهد بالله لقد أتيته وقت المغرب فوجدته يصلي بأصحابه المغرب ، فلما فرغ جلس في التعقيب الى أن قام الى العشاء ، فلما فرغ دخل منزله ، فدخلت معه فوجدته طول الليل يصلي ويقرأ القرآن الى أن طلع الفجر ، ثم جدد وضوءه وخرج الى المسجد وصلى بالناس صلاة الفجر ، ثم جلس في التعقيب الى ان طلعت الشمس ، ثم قصده الناس فجعل يختصم اليه رجلان فاذا فرغا قاما واختصم آخران ، الى ان قام فجدد الصلاة الظهر وضوء ثم صلى بأصحابه الظهر ، ثم قعد في التعقيب الى ان صلى بهم العصر ، ثم أتاه الناس فجعل يقوم رجلان ويقعد آخران يقضي بينهم ويفتيهم الى أن غابت الشمس ، فخرجت وأنا اقول : أشهد بالله لقد نزلت هذه الاية فيه .

(قابض على لحيته وهو يتململ) أي مايستقر كأنه على ملة اى حفرة أوقدت فيها النار (تململ السليم) أى من لدغته حيّة ، قالوا له السليم تفؤلا له بالسلامة (ويبكي بكاء الحزين) .

روى أمالي ابن بابويه مسنداً عن عروة بن الزبير قال : كنا جلوساً في مسجد

النبى صلى الله عليه وآله فتذاكرنا أعمال اهل بدر وبيعة الرضوان ، فقال ابو الدرداء : ألا اخبركم بأقل القوم مالاواكثرهم ورعاً وأشدهم اجتهاداً فى العبادة فقالوا : قل . قال : على بن ابى طالب عليه السلام ، فما كان في المجلس احد الا أعرض عنه بوجهه ، ثم انتدب له رجل من الانصار فقال له : يا عويمر لقد تكلمت بكلمة ما واقفك عليها أحد منذ أتيت بها ، فقال : انى قائل ما رأيت وليقل كل قوم منكم ما رأوا ، شهدت علياً عليه السلام بشويحاط بنى النجار وقد اعتزل عن مواليه واختفى مما يليه واستتر بمغيلات النخل ، فافتقدته فقلت : لحق بمنزله ، فاذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول : « الهى كم من موبقة حلمت عنّي فى مقابلتها بنعمتك ، وكم من جريرة تكرّمت عن كشفها بكرمك ، الهى ان طال في عصيانك عمري وعظم فى الصحف ذنبى فما انا مؤمّل غير غفرانك ولا انا براج غير رضوانك » .

ثم فزع الى الدعاء والبثّ والشكوى ، فكان مما ناجى الله به ان قال « الهى أفكّر في عفوك فتهون علي خطيئتى ، ثم أذكر العظيم من اخذك فتعظم علّي بليّتى آه ان قرأت فى الصحف سيئة انا ناسيها وانت محصيها فتقول خذوه ، فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته ، يرحمه الملأ اذا أذن فيه بالنداء ، آه من نار تنضج الاكباد والكلى ، آه من نار نزاعة للشوى ، آه من غمرة من ملهبات لظى » .

ثم أنعم فى البكاء فلم اسمع له حسّاً ، فقلت : غلبه النوم لطول السهر أوقظه لصلاة الفجر ، فأتيته فاذا هو كالخشبة الملقاة فحرّكته فلم يتحرك ، فقلت : انا لله وانا اليه راجعون مات والله علي . فأتيت منزله مبادراً أنعاه ، فقالت فاطمة عليها السلام : ما كان من شأنه فأخبرتها فقالت : هى والله يا أبا الدرداء الغشية التى تأخذه من خشية الله ـ الخبر . ولابن فارض فيه عليه السلام :

هو البكّاء فى المحرب ليلا هو الضحاك اذا اشتد الضراب

(ويقول يا دنيا يا دنيا اليك) أي أمسك (عني ابى تعرضت ام التي تشوقت لاحان حينك) أى لاصار ذاك الوقت . قالت بثينة :

وان سلوّي عن جميل لساعة من الدهر ما حانت ولاحان حينها

فى المناقب : يروى انه عليه السلام كان فى بعض حيطان فدك وفى يده مسحاة، فبحت عليه امرأة من اجمل النساء فقالت : يا ابن ابى طالب ان تزوجني أغنيك عن هذه المسحاة وادلّك على خزائن الارض ويكون لك الملك مابقيت قال لها : فمن أنت ؟ قالت : انا الدنيا. فقال عليه السلام : ارجعى فاطلبى زوجاً غيرى فلست من شأنى ، واقبل على مسحاته وانشأ يقول :

لقد خاب من غرّته دنياً دنية وما هى ان غرّت قروناً بطائل
اتتنا على ذى العروس بثينة وزينتها فى تلك الشمائل
فقلت لها غرّى سواى فاننى عزوف عن الدنيا ولست بجاهل
وما انا والدنيا وان محمداً رهين بقفر بين تلك الجنادل
وهبنا اتتنا بالكنوز ودرّها واموال قارون وملك القبائل
أليس جميعاً للفناء مصيرها و يطلب من خزّانها بالطوائل
فغرّى سواى اننى غير راغب لما فيك من عز وملك ونائل
وقد قنعت نفسى بما قد رزقته فشانك يادنيا واهل الغوائل
فانى اخاف الله يوم لقائه و اخشى عذاباً دائماً غير زائل

(هيهات غري غيرى) عن ابى الاسود الدؤلى ـ وقد نقله « حد » في موضع آخر ـ قال : لما ظهر علي عليه السلام يوم الجمل دخل بيت المال بالبصرة فى ناس من المهاجرين والانصار وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه قال «غري غيرى» مراراً ـ ثم نظر الى المال وصعّد فيه بصره وصوّب فقال : اقسموه بين اصحابى

خمسمائة ، فقسّم بينهم فلا والذى بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق ما نقص درهماً ولا زاد درهماً كأنه كان يعرف مبلغه ، ومقداره كان ستة الف درهم والناس اثنا عشر ألفاً .

وعن حبة العرنى : قسّم علي عليه السلام بيت المال بالبصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة واخذ خمسمائة درهم كواحد منهم ، فجاءه انسان لم يحضر الوقعة فقال له عليه السلام : كنت شاهداً معك بقلبي وان غاب عنك جسمى فاعطني من الفيء شيئاً ، فدفع اليه الذى أخذه لنفسه خمسمائة ولم يصب من الفيء شيئاً .

وفى غارات الثقفى وفي المناقب : واتى عليه السلام بمال فكوّم كومة من ذهب وكومة من فضة وقال : يا صفراء يا اصفرا يا بيضاء يا ابيضا غري غيري.

هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه

هذا، وفى قصة يوذا سفر وبلوهر التى رواها الاكمال في بابه (٥٤) ان رجلا كان في قوم فركبوا سفينة فساروا فى السحر ليالي واياماً ، ثم انكسرت سفينتهم بقرب جزيرة فيها الغيلان فغرقوا سواه وألقاه البحر الى الجزيرة ، وكانت الغيلان يشرفن من الجزيرة الى البحر ، فأتى غولا فهواها ونكحها حتى اذا كان مع الصبح قتلته وقسّمت أعضاءه بين صواحبها، واتفق مثل ذلك لرجل آخر فأخذته ابنة ملك الغيلان فانطلقت به فبات معها ينكحها ـ وقد علم الرجل ما لقي من كان قبله ـ فليس ينام حذراً ، حتى اذا كان مع الصبح نامت الغول فانسل الرجل حتى اتى الساحل فاذا هو بسفينة فنادى أهلها واستغاث بهم فحملوه حتى أتوا به اهله، فأصبحت الغيلان فأتوا الغولة التى باتت معه فقالوا لها : أين الرجل الذي بات معك؟ قالت : انه قد فرّ مني فكذبوها وقالوا أكلتيه واستأثرت به علينا فلنقتلنك ان لم تأتنا به ، فمرت فى الماء حتى أتته فى منزله ورحله فدخلت عليه وجلست عنده وقالت له: ما لقيت

في سفرك هذا ؟ قال: لقيت بلاء خلّصني الله منه ـ وقصّ عليها ذلك ـ فقالت: وقد تخلصت ؟ قال : نعم. فقالت : أنا الغول وجئت لاخذك . فقال لها : أنشدك الله ان تهلكيني فانّي أدلك على مكان رجل ، قالت فاني ارحمك ، فانطلقا حتى اذا دخلا على الملك قالت : اسمع منا أصلح الله الملك ، اني تزوجت بهذا الرجل وهو من أحبّ الناس الّي ، ثم انه كرهني وكره صحبتي ، فانظر في أمرنا، فلما رآها الملك أعجبه جمالها فخلا بالرجل فسارّه وقال له: اني أحببت ان تتركها فأتزوجها . قال : نعم ما تصلح الا للملك . فتزوج بها وبات معها حتى اذا كانت مع السحر ذبحته وقطعت أعضاءه وحملته الى صواحبها .

وفي المناقب: وسأله عليه السلام اعرابي شيئاً فأمر له بألف، فقال الوكيل: من ذهب أو فضة . فقال عليه السلام : كلاهما عندي حجران فاعط الاعرابي أنفعهما له .

وفي جمل المفيد: لما خرج عثمان بن حنيف من البصرة وعاد طلحة والزبير الى بيت المال فتأملا الى مافيه من الذهب والفضة قالوا: هذه الغنائم التي وعدنا الله بها واخبرنا أنه يعملها لنا . قال ابو الاسود : سمعت هذا منهما ورأيت علياً عليه السلام بعد ذلك وقد دخله ، فلما رأى ما فيه قال : يا صفراء يابيضاء غري غيري ، المال يعسوب الظلمة وأنا يعسوب المؤمنين . فلا والله ما التفت الى ما فيه .

(لاحاجة لي فيك قد طلّقتك ثلاثاً لارجعة فيها) قال تعالى « الطلاق مرتان» الى ان قال«فان طلقها فلاتحل له من بعد » ـ الاية . ولقد اجاد العطار النيسابوري بالفارسية في وصفه عليه السلام :

چنان مطلق شد اندر فقر وفاقه — كه زر ونقره بودش سه طلاقه

اگر علمش بدی بحر مصور — دراويك قطره بودی بحر اخضر

چه درسرعطا اخلاص اورا است　　سه نان‌هفده آیه خـاص اوراست
گرفته این جهان وصف سنانش　　گذشته‌زان جهان وصف‌سه‌نانش

وفي العقد : كان علي عليه السلام يقسّم بيت المال فى كل جمعة حتى لايبقى منه شيئاً ، ثم يرش له ويقيل ويتمثل بهذا البيت :

هـذا جناي وخياره فيـه　　اذ كـل جان يده الى فيـه

هذا ، وقال المعري مخاطباً للدنيا:

يـا ام دفـر نحـاك الله والـدة　　فيك الخناء وفيك البؤس والسرف
لوانك العرس اوقعت الطلاق بها　　لكنك الام مـالى عنك منصـرف

ولبعضهم :

طلـق اللهو فؤادى ثلاثـا　　لاارتجاع لى بعـد الثلاث

وقالوا: كان المعدل وأويس يطلقان ثم يرجعان ، فطلق رجل آخر امرأته ـ وكانت من بني غلاب ـ فقال :

لقدطلقت اخت بنى غلاب　　طلاقاً مـا اظن له ارتـدادا
ولم أك كالمعدل او اويس　　اذا ما طلقا ندمـا فعادا

وقال احمد بن اسحق بن بهلول في ابن الفرات وقدكان صار وزيراً ثلاث مـرات :

قل لهذا الوزير قول محـق　　بثّه النصح ايمـا ابثاث
قد تقلدتها ثلاثـاً ثلاثـاً　　وطلاق البتات عند الثلاث

وكان الامر كما قاله فقتل ابن الفرات فى وزارته الثالثة فى محبسه .

(فعيشك قصير) فقالوا : الدنيا أشبه شيء بظل الغمام وحلم النيام .

وفى السير : انّ عبد الملك لـمّا قتل مصعباً وملك العراق ودخل الكوفة صنع عمرو بن حريث لهطعاماً كثيراً وامرّ به الى الخورنق واذن اذناً عاماً، فدخل

الناس وأخذوا مجالسهم وأجلس عبدالملك عمروبن حريث معه على سريره ، ثم جاءت الموائد فأكلوا، فقال عبدالملك: ما ألذّ عيشنا لودام ولكنّا كما قال الاول :

وكل جديد يـا أميم الـى بلى وكل امرىء يوماً يصيرالى كان

فلما فرغوا من الطعام طاف عبدالملك فى القصر وعمروبن حريث معه وهو يسأله لمن هذا البيت ومن بنى هذا البيت وعمرو يخبره ، فقال عبدالملك :

اعمل على مهل فـانك ميت واكـدح لنفسك أيها الانسان

فكأنما قدكان لم يك اذ مضى وكأن ماهو كائن قـد كان

(وخطرك) أي قدرك ومنزلتك (يسير) فى الخبر لوكانت الدنيا عند الله تعالى تساوي جناح بعوضة لما سقي الكافر منها شربة ماء .

(وامل حقير) قالوا : المرء في دنياه بين اماني ممدودة وعوارى مردودة .

وقال تعالى « زيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب * قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عنـد ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد * الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار * الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار » .

(آه) في القاموس بكسر الهاء بدون التنوين ومعـه ، تقال عند الشكايـة أو التوجع (من قلة الزاد) أي زاد الاخرة وهى التقوى .

هذا ، وفى القاموس ازواد الركب مسافر بن ابى عمرو وزمعة بن الاسود وابو امية بن المغيرة ، لانه لم يكن يتزودمعهم احد فى سفر يطعمونه ويكفونه الزاد . وزاد الركب فرس اعطاه سليمان عليه السلام للازد لما وفدوا عليه .

(وطول الطريق) فى البرزخ (وبعد السفر) فى المحشر (وعظيم المورد) النار «قالوا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون» « يومأيجعل الولدان شيباً » « وان منكم الاواردها كان على ربك حتماً مقضياً * ثم ننجّى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » .

٣/١٠٤/٨/ وعن نوف البكالى قال : رأيت امير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر فى النجوم فقال لى : يا نوف أراقد انت ام رامق ؟ فقلت : بل رامق . قال : يا نوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الاخرة ، اولئك قوم اتخذوا الارض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والقرآن شعاراً والدعاء دثاراً ، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح .

يا نوف ان داود عليه السلام قام فى مثل هذه الساعة من الليل فقال: انها ساعة لا يدعو فيها عبد الا استجيب له ، الا ان يكون عشاراً او عريفاً او شرطياً او صاحب عرطبة ـ وهى الطنبور ـ اوصاحب كوبة ـ وهى الطبل ـ وقد قيل ايضاً ان العرطبة الطبل والكوبة الطنبور .

اقول رواه المسعودي فى مروجه والكراجكي فى كنزه والصدوق في خصاله والمفيد فى أماليه .

أما الاول فقال : كان محمد بن علي الربعى ممّن يكثر ملازمة المهتدى، فقال محمد : قال لي المهتدي ذات ليلة أتعرف خبر نوف الذي حكاه عن على عليه السلام حين كان يأتيه ؟ قلت : نعم ، ذكر نوف قال : رأيت علياً عليه السلام قد اكثر الخروج والدخول والنظر الى السماء ثم قال لي: يا نوف انائم أنت؟ قلت: بل رامق أرمق بعيني منذ الليلة امير المؤمنين. فقال لي: يانوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الاخرة، اولئك قوم اتخذوا ارض الله بساطاً وترابها ثياباً

وماءها طيباً والكتاب شعاراً والدعاء دثاراً، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . يا نوف ان الله تعالى أوحى الى عبده ان قل لبني اسرائيل ألايد خلوا الي الابقلوب وجلة وأبصار خاشعة واكف نقية ، واعلم أني لاأجيب لاحد منهم دعوة ولاحد من خلقي قبلهم مظلمة . قال الربعي : فوالله لقد كتب المهتدي هذا الخبر بخطه ولقد كنت أسمعه في جوف الليل وقد خلا بربه في بيت كان لخلوته وهو يبكي ويقول: يانوف طوبى ـ ويمر في الخبر الى آخره . الى ان كان من امره ماكان مع الاتراك وقتلهم اياه .

واما الثاني فروى مسنداً عن الباقر عن آبائه عليهم السلام ان علياً عليه السلام قال لمولاه نوف الشبامي ـ وهو معه في السطح ـ يانوف أراقد انت ام نبهان؟ قال : بل نبهان ارمقك ياأمير المؤمنين . قال : هل تدري من شيعتي ؟ قال : لا والله . قال : شيعتي الذبل الشفاه الخمص البطون الذين تعرف الرهبانية والربانية في وجوههم ، رهبان بالليل أسد بالنهار ، اذا جنّهم الليل اتزروا على اوساطهم وارتدوا على أطرافهم وصفوا أقدامهم وافرشوا جباههم ، تجري دموعهم على خدودهم يجأرون الى الله في فكاك رقابهم ، وأما النهار فحلماء علماء أبرار كرام نجباء ابرار اتقياء . يا نوف شيعتي الذين اتخذوا الارض بساطاً والماء طيباً والقرآن شعاراً، ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا، شيعتي من لم يهرّ هرير الكلب ولايطمع طمع الغراب ولم يسأل الناس ولو مات جوعاً ، ان رأى مؤمناً اكرمه وان رأى فاسقاً هجره ، هؤلاء والله يانوف شيعتي شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة وحوائجهم خفيفة وأنفسهم عفيفة ، اختلفت بهم الابدان ولم تختلف قلوبهم . قلت : جعلني الله فداك أين أطلب هؤلاء ؟ قال : في أطراف الارض .

واما الثالث فروى مسنداً عن نوف قال : بتّ ليلة عند امير المؤمنين عليه

السلام ، فكان يصلى الليل كله ويخرج ساعة بعد ساعة فينظر الى السماء ويتلو القرآن ، فمرّ بى بعد هدوّ من الليل فقال: يانوف أراقد انت أم رامق ؟قلت : بل رامق أرمقك ببصري . قال : يانوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الاخرة، اولئك الذين اتخذوا الارض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والقرآن دثاراً والدعاء شعاراً، قرضوا من الدنيا تقريضاً على منهاج عيسى بن مريم عليه السلام، ان الله عز وجل اوحى الى عيسى قل للملأ من بني اسرائيل لايدخلوا بيوتاً من بيوتى الابقلوب طاهرة وأبصار خاشعة واكف نقيّة، وقل لهم اني غير مستجيب لاحد منكم دعوة ولاحد من خلقى قبله مظلمة. يانوف اياك ان تكون عشاراً أو شاعراً أو شرطياً أو عريفاً أو صاحب عرطبة ـ وهى الطنبور ـ أو صاحب كوبة ـ وهى الطبل ـ فان نبى الله داود خرج ذات ليلة فنظر الى السماء فقال: انها الساعة لاتردّ فيها دعوة الادعوة عرّيف أو دعوة شاعر أو دعوة عاشر او شرطي او صاحب عرطبة او صاحب كوبة .

واما الرابع فرواه مثل الثالث لكن فيه «وترابه وساداً» وفيه «يقرضون الدنيا قرضاً على منهاج المسيح عليه السلام» وفيه «ان الله تعالى اوحى الى عيسى : ياعيسى عليك بالمنهاج الاول تلحق بلاحق المرسلين، ياأخا المرسلين قل لقومك ياأخا المنذرين ألايدخلوا بيتاً من بيوتى الابقلوب طاهرة وأيدنقية وابصار خاشعة، فانى لاأسمع من داع دعانى ولاحد عنده مظلمة ولااستجيب له دعوة ولي قبله حق لم يردّه اليّ ، فان استطعت ان لاتكون عريفاً ولاشاعراً ولاصاحب كوبة ولاصاحب عرطبة فافعل ، فانّ داود رسول رب العالمين خرج ليلة من الليالي فنظر فى نواحي السماء ثم قال : والله رب داود ان الساعة لساعة مايوافقها عبد مسلم يسأل فيها خيراً الا اعطاه اياه الا أن يكون عرّيفاً او شاعراً او صاحب كوبة او صاحب عرطبة .

قول المصنف (وعن نوف البكالي) هكذا في المصرية و«ثم» ولكن في حد «وعن نوف البكائى وقيل البكالى باللام وهو الاصح» ولعله كان حاشية خلط بالمتن .

وكيف كان فقال «حد» : الظاهر انّ بكالا قبيلة من اليمن، وأما بكيل فحيّ من همدان واليهم اشار الكميت فى قوله :

* فقد شركت فيه بكيل وارحب *

فأما البكالي فى نسب نوف فلاأعرفه .

قلت: اخذ كلامه بكيل من همدان واليهم اشار الكميت فى قوله «فقد شركت فيه بكيل وارحب» من الصحاح، فلم لم يأخذ كلامه في بكال فقال : وبنو بكال من حمير منهم نوف البكالي . ثم تعبيره «الظاهر ان بكالا من اليمن وأما بكيل فمن همدان» غلط، فهمدان ايضاً من اليمن ولامعنى لجعل التقابل بين العام والخاص.

ثم الاظهر كون بكال بالكسر كبكيل بالفتح كل منهما من همدان . قال ابن دريد فى جمهرته : وبنو بكال وبنو بكيل أحسبهما من همدان . ثم جعل كون بكيل من همدان وبكال من حمير احتمالا ، ولم اجد خلافاً فى الثانى .

ويمكن الاستدلال للاول بأن الطبرى فى عنوان (ذكر خبر الخوارج) روى عن جبر بن نوف ابى وداك الهمدانى . وفي المغرب ان جبرا بن نوف البكالي . والسمعانى قال فى بكال : ينسب اليه نوف بن فضالة البكالى وابو الوداك جبر بن نوف البكالى وقيل البكيلي . وقال فى بكيل : بكيل بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان رهط ابى الوداك جبر بن نوف البكيلى . فأتى بالاختلاف .

واما قول القاموس فى « خير » بالخاء ثم المثناة وخيران ولد نوف بن همدان . فلا ينافي ما قاله المغرب ، لان ذاك ابن نوف البكالى وهذا ابن نوف

ابن همدان . الا ان البلدان قال فى بكيل : هو جشم بن خيـوان بن نوف بن همـدان . والمفهـوم من خليفة كون بكال لا من همدان ولا من حمير ، فعنـون الاستيعاب (عمرو البكالى) وقال : قال خليفة هومن بنى بكال بن دعمي بن سعد ابن‌عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن كهلان . وكيف كان فهمدان من كهـلان ابن سبأ ، فهو كما في المعارف ابن ربيعة بن خيار بن مالك بن زيد بن كهلان وحمير هو ابن سبأ .

هذا ، وفى ذيل الطبرى والسمعانى ان نوف البكالى ابن امرأة كعب الاحبار.

ومما يؤيد كون نوف همدانياً ان كنز الكراجكى كما عرفت وصفه بالشبامى . وفى اللباب شبام هو ابن اسعد بن جشم بن حاشد بن حشم بن خيران بن نوف ابن همدان بن عبدالله ، وهو شبام : جبل سكنه عبدالله . واما قول « ثم» البكال منسوب الى بكالة قرية من اليمن . ففى غاية السقوط ، فلم يقل ذلك احد .

(قـال رأيت امير المؤمنيـن عليه السلام ذات ليلة وقد خـرج من فراشه فنظر فى النجوم) هكذا فى المصرية والصواب « الى النجوم » كما فى «حد» و « ثم » والخطية .

فى الفقيه : مدح الله تعالى امير المؤمنين عليه السلام فى كتابه بقيام الليل فقال « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه».

وفيه : كان ابو عبد الله عليـه السلام اذا قام آخر الليل رفع صوتـه حتى يسمع اهل الدار يقول« اللهم أعنّي على هول المطلّع ووسّع علىّ المضطجع».

وفيه عن ابى جعفر عليه السلام: اذا قمت من فراشك فانظر في أفق السماء وقل « الحمد لله الذى ردعلىّ روحى أعبده واحمده ، اللهم انه لا يواري منك ليل داج ولاسماء ذات ابراج ولا ارض ذات مهاد ولا ظلمات بعضها فوق بعض ولا بحر لجيّ بين يدي المدلج من خلقك ، تعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور

غارت النجوم ونامت العيون وأنت الحي القيوم ، لاتأخذك سنة ولا نوم، سبحان رب العالمين واله المرسلين وخالق النبيين والحمد لله رب العالمين . اللهم اغفرلي وارحمني وتب عليّ انك انت التواب الرحيم» ثم اقرأ خمس آيات من آخر آل عمران « ان فى خلق السماوات والارض لايات ـ الى ـ انك لاتخلف الميعاد » .

وعنه عليه السلام فى قوله تعالى « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً » نزلت فى امير المؤمنين عليه السلام واتباعه من شيعتنا ، ينامون في أول الليل ، فاذا ذهب ثلثا الليل او ماشاء الله فزعوا الى ربهم راغبين راهبين طائعين فيما عنده ، فذكرهم الله تعالى فى كتابه لنبيه صلى الله عليه وآله و أخبرهم بما اعطاهم وانه اسكنهم فى جواره وأدخلهم جنته وآمن خوفهم وروعتهم .

(فقال لي يانوف أراقد) أي نائم (انت أمرامق) اي ناظر، وقد عرفت ان فى رواية الكراجكي« أراقد أم نبهان » وهو الاصح، ففى مقابل الرقود النبه واليقظة لا الرمق ، ولا وجه لان يقوله عليه السلام ، وانما المناسب ان يقوله نوف كما عرفته من رواية الكراجكى انه قال له عليه السلام « نبهان أرمقك » . وكيف كان فهكذا فى المصرية بلا زيادة وفيها سقط ، ففى حد وثم والخطية « بل رامق يا امير المؤمنين » .

(فقال يانوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الاخرة) ومن كلامه عليه السلام ايضاً : طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ، ولم ينس ذكر الله بما يسمع اذناه ، ولم يحزن صدره بما أعطي غيره .

(أولئك الذين اتخذوا الارض بساطاً وترابها فراشاً) وفى رواية المفيد

« وساداً » .

(وماءها طيباً) لاعراضهم عن زهرة الحياة الدنيا .

(والقرآن شعاراً) أي ما ولي الجسد من الثياب .

(والدعاء دثاراً) ما كان فوق الشعار من الثياب .

(ثم قرضوا الدنيا) أي جازوها ، قال تعالى « واذا غربت تقرضهم ذات الشمال » اى تجوزهم وتتركهم فى شمالها . وقال ذو الرمة :

الى ظعن يقرضن اجواز مشرف شمالا و عن ايمانهن الفوارس

(قرضاً على منهاج المسيح) الذى كانت دابته رجليه وسراجه فى الليل القمر .

(يا نوف ان داود عليه السلام قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال : انها ساعة لا يدعو فيها عبد الا استجيب له) فى الكافى عن الصادق عليه السلام : ان فى الليل لساعة ما يوافقها عبد مسلم يصلّى ويدعو الله فيها الا استجيب له فى كل ليلة . قلت : فأيّة ساعة هي من الليل. قال: اذا مضى نصف الليل فى السدس الأول من النصف الباقي .

(الا أن يكون عشّاراً) من يأخذ من قبل السلطان عشر أموال الناس (او عريفاً) القيّم بأمر الناس بعد الرئيس يعرّفهم له (أو شرطياً) اى جنديا من « اشرط نفسه لامر كذا » أى أعلمها ، والجند يجعلون لا نفسهم علامة يعرفون بها .

فى الاغاني عن المدائنى: لما مات أمية بن الاسكر عاد ابنه كلاب الى البصرة فكان يغزو مع المسلمين ويشهد فتوحات كثيرة، وبقى الى ايام زياد فولّاه الابلة فسمع كلاب يوماً عثمان بن ابى العاصي يحدث أن داود نبي الله كان يجمع أهله فى السحر يقول « ادعوا ربكم فان السحر ساعة لايدعو فيها عبد مؤمن الاغفر

له الان يكون عشّاراً أو عريفاً ». فلما سمع ذلك كلاب كتب الى زيادفاستعفاه من عمله فأعفاه .

وفى الاستيعاب عن زوجة ابى ذر قالت : لما حضرته الوفاة بكيت فقال : مايبكيك ؟ قلت : تموت بفلاة وليس عندى ثوب يسعك كفناً ـ الى ان قال بعد ذكر نزول جمع عليه ـ قال لهم: سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول لنفر أنا فيهم : ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض تشهده عصابة من المؤمنين ، وليس من اولئك النفر أحد الامات فى قرية، فأنا ذلك الرجل، والله ماكذبت ولاكذبت ولو كان عندي ثوب يسعنى كفناً لي او لامرأتى لم اكفّن الا فى ثوب هولـى أولها ، وانى انشدكم الله ان لايكفننى رجل منكم كان اميراً او عريفاً أو بريداً او نقيباً، وليس من اولئك النفر احد الا وقد قارف بعض ما قال الافتى من الانصار فقال : انا اكفنّك ياعم فى ردائى هذا وفى ثوبين فى عيبتى من غزل امى. قال: انت تكفنني .

(او صاحب عرطبة ـ وهى الطنبور ـ او صاحب كوبة ـ وهى الطبل ـ) فى الكافى عن الصادق عليه السلام: ان شيطاناً يقال له القنفذ اذا ضرب فى منزل الرجل أربعين صباحاً بالبربط ودخل عليه الرجال وضع ذلك الشيطان كل عضو منه على مثله من صاحب البيت ثم نفخ فيه نفخة ، فلايغار بعد هذا حتى يؤتى نساؤه فلايغار .

وفى الفقه الرضوي : واياك والضرب بالصولجان ، فان الشيطان يركض معك والملائكة تنفر عنك .

وعن النبى صلى الله عليه وآله: ان الله تعالى بعثني لامحق المعازف والمزامير وامور الجاهلية ـ الخبر .

(وقد قيل ايضاً ان العرطبة الطبل والكوبة الطنبور) ذهب اليه ابن دريد

فى جمهرته ، وقال الجوهرى العرطبة العود ، وقال الزمخشرى الكوبة النرد أو الشطرنج . وكيف كان فمن الغريب ان فى «حد» ـ كما في نسخته ـ «أوصاحب عرطبة اوصاحب كوبة» بدون نقل تفسير فضلا عن نقل خلاف .

هذا، وفى الطبرى عن بشر مولى هشام : اوتى هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط فقال: اكسروا الطنبور على رأسه، وضربه فبكى، قال بشر: فقلت له وانا اعزّيه ـ عليك بالصبر . فقال : أترانى ابكى للضرب انما ابكى لاحتقاره للبربط اذ سماه طنبوراً .

٢١١/٩/ ومن خطبة له عليه السلام خطبها بصفين: اما بعد ، فقد جعل الله لى عليكم حقاً بولاية امركم ولكم على من الحق مثل الذى لى عليكم، فالحق اوسع الاشياء فى التواصف واضيقها فى التناصف ، لايجرى لاحد الاجرى عليه ولا يجرى عليه الا جرى له ، ولوكان لاحد أن يجرى له ولا يجرى عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله فى كل ما جرت عليه صروف قضائه ، ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه وتوسعاً بما هو من المزيد اهلـه .

ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافأ فى وجوهها ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها الا ببعض، واعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالى على الرعية وحق الرعية على الوالى ، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل ، فجعلها نظاماً لالفتهم وعزاً لدينهم ، فليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة ولا يصلح الولاة الا باستقامة الرعية، فاذا أدت الرعية الى الوالى حقه وأدى الوالى اليها حقها عز الحق بينهم وقامت منـاهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على

اذلالها السنن ، فصلح بذلك الزمان وطمع فى بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء ، واذا غلبت الرعية واليها أو اجحف الوالى برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الادغال فى الدين وترك محاج السنن ، فعمل بالهوى وعطلت الاحكام وكثرت علل النفوس ، فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولالعظيم باطل فعل .

فهنالك تذل الابرار ، وتعز الاشرار ، وتعظم تبعات الله عند العباد، فعليكم بالتناصح فى ذلك وحسن التعاون عليه ، فليس احد وان اشتدعلى رضى الله حرصه وطال فى العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله اهله من الطاعة له ، ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على اقامة الحق بينهم .

وليس امرؤ - وان عظمت فى الحق منزلته وتقدمت فى الدين فضيلته - بفوق ان يعان على ما حمله الله من حقه ، ولا امرؤ - وان صغرته النفوس واقتحمته العيون - بدون ان يعين على ذلك او يعان عليه .

فأجابه عليه السلام رجل من اصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له ، فقال عليه السلام : ان من حق من عظم جلال الله فى نفسه وجعل موضعه من قلبه ان يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه ، وان أحق من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف احسانه اليه ، فانه لم تعظم نعمة الله على احد الا ازداد حق الله عليه عظماً ، وان من اسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان يظن بهم حب الفخر ويوضع امرهم على الكبر، وقد كرهت ان يكون جال فى ظنكم انى احب الاطراء واستماع الثناء ، ولست بحمدالله كذلك ، ولوكنت احب ان يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو احق به من العظمة والكبرياء.

وربمااستحلى الناس الثناءبعدالبلاء ، فلا تثنوا على بجميل ثناءلاخراجي نفسي الى الله واليكم منهم من التقية في حقوق لم افرغ من ادائها وفرائض لابد من امضائها، فلاتكلمونى بما تكلم به الجبابرة، ولاتتحفظوا منى بما يتحفظ به عند اهل البادرة ، ولا تخالطونى بالمصانعة، ولاتظنوا بى استثقالا فى حق قيل لى ولا التماس اعظام لنفسى ، فانه من استثقل الحق ان يقال له او العدل ان يعرض عليه كان العمل بهما اثقل عليه ، فلا تكفوا عن مقالة بحق او مشورة بعدل ، فانى لست فى نفسى بفوق أن اخطىء ولا آمن ذلك من فعلى ، الا ان يكفى الله من نفسى ماهوامللك به منى ، فانما انا وانتم عبيد مملوكون لرب لارب غيره ، يملك منامالا نملك من انفسنا ، وأخرجنا مماكنا فيه الى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى واعطانا البصيرة بعد العمى .

أقول : رواها روضة الكافي مسندة فى خبره (٥٥٠) عن الباقر عليه السلام قال : خطب عليه السلام بصفين فحمد الله واثنى عليه وصلّى على النبى وآله ثم قال : أما بعد ، فقد جعل الله تعالى لي عليكم حقاً بولاية امركم ومنزلتى التى انزلنى الله عز ذكره بها منكم، ولكم علي من الحق مثل الذى لى عليكم ، والحق أجمل الاشياء فى التراصف واوسعها فى التناصف ، لايجري لاحد الاجرى عليه ولايجرى عليه الا جرى له ، ولوكان لاحد أن يجرى ذلك له ولايجرى عليه لكان ذلك لله عز وجل خالصاً دون خلقه ، لقدرته على عباده ولعدله فى كل ماجرت عليه ضروب قضائه ، ولكن جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعلت كفاءتهم عليه بحسن الثواب تفضّلا منه وتطولا بكرمه وتوسعاً بما هو من المزيد له اهلا .

ثم جعل من حقوقه حقوقاً فرضها لبعض الناس على بعض فجعلها تكافىء

فى وجوهها ويوجب بعضها بعضاً ولايستوجب بعضها الابعض، فأعظم ماافترض بعضها الله تعالى من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله عز وجل لكل على كل، فجعلها نظام الفتهم وعزاً لدينهم وقواماً لسير الحق فيهم، فليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة ولاتصلح الولاة الا باستقامة الرعية، فاذا أدت الرعية من الوالي حقه وأدى الوالي اليها كذلك عز الحق بينهم ، فقامت مناهج الدين واعتدل معالم العدل وجرت على اذلالها السنن ، فصلح بذلك الزمان وطاب به العيش وطمع فى بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء ، واذا غلبت الرعية واليهم والوالي الرعية اختلفت هنالك الكلمة وظهرت مطامع الجور وكثر الادغال فى الدين وتركت معالم السنن ، فعمل بالهوى وعطلت الاثار وكثرت علل النفوس، ولايستوحش لجسيم حد عطل ولالعظيم باطل اثل، فهنالك تذل الابرار وتعز الاشرار وتخرب البلاد وتعظم تبعات الله عز وجل عند العباد .

فهلّم أيها الناس الى التعاون على طاعة الله عز وجل والقيام بعدله والوفاء بعهده والانصاف له فى جميع حقه ، فانه ليس العباد الى شيء أحوج منهم الى التناصح فى ذلك وحسن التعاون عليه ، وليس احد ـ وان اشتد على رضاء الله حرصه وطال فى العمل اجتهاده ـ ببالغ حقيقة ماأعطى الله من الحق أهله ، ولكن من واجب حقوق الله عز وجل على العباد النصيحة له بملغ جهدهم والتعاون على اقامة الحق بينهم ، وليس امرؤ ـ وان عظمت في الحق منزلته وجسمت فى الخلق فضيلته بمستغن ان يعاون على ماحمله الله عز وجل من حقه ، ولا لامرىء وان خفضت به الامور واقتحمته العيون بدون ماأن يعين على ذلك ويعاون عليه. واهل الفضيلة فى الحال وأهل النعم العظام اكثر فى ذلك حاجة، وكل فى الحاجة الى الله عز وجل شرع سواء .

فأجابه رجل من عسكره لايدرى من هو ويقال انه لم يرفى عسكره قبل ذلك اليوم ولا بعده ، فقال ـ واحسن الثناء على الله عز وجل بما أبلاهم واعطاهم من واجب حقه عليهم والاقرار بما ذكر من تصرف الحالات به وبهم ـ انت أميرنا ونحن رعيتك ، بك اخرجنا الله عزوجل من الذل وبا عزازك عباده من الغل ، فاختر علينا فامض اختيارك وأتمر فامض ايتمارك ، فانك القائل المصدق والحاكم الموفق والملك المخول، لانستحل فى شيء من معصيتك ولانقيس علماً بعلمك، يعظم عندنا فى ذلك خطرك ويجل عنه في أنفسنا فضلك .

فأجابه امير المؤمنين عليه السلام : ان من حق من عظم جلال الله فى نفسه وجل موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كل من سواه، وان احق من كان كذلك من عظمت نعمة الله عليه ولطف احسانه اليه ، فانه لم تعظم نعمة الله على أحد الازاد حق الله عليه عظماً ، وان من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر ويوضع امرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جال فى ظنكم اني احب الاطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت احب ان يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ماهو أحق به من العظمة والكبرياء، وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء، فلا تثنوا علي بجميل ثناء لاخراجي نفسي الى الله واليكم من التقية فى حقوق لم أفرغ من ادائها وفرائض لابد من امضائها، فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولاتتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة ولا تخالطونى بالمصانعة ، ولاتظنوا بى استثقالا فى حق قيل لى ولا التماس اعظام لنفسي لما لايصلح لي، فانه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل ان يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق او مشورة بعدل ، فاني لست فى نفسى بفوق ان اخطىء ، ولا آمن ذلك من فعلى الا ان يكفى الله من نفسى ماهو املك به منى ، فانى وأنتم عبيد مملوكون لرب لارب غيره ، يملك منا مالا نملك من أنفسنا

واخرجنا مماكنا فيه الى ما صلحنا عليه ، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى واعطانا البصيرة بعد العمى ـ .

فأجابه الرجل الذي اجابه من قبل فقال : انت أهل ماقلت ، فبلاؤه عندنا ما لايكفر ، وقد حملك الله تعالى رعايتنا وولاك سياسة امورنا فأصبحت علمنا الذي نهتدي به وامامنا الذى نقتدى به ، وامرك كله رشد وقولك كله أدب، قد قرت بك فى الحياة أعيننا وامتلأت من سروربك قلوبنا وتحيرت من صفة مافيك من بارع الفضل عقولنا ، ولسنا نقول لك « أيها الامام الصالح » تزكية لك ولا نجاوز القصد فى الثناء عليك ، ولم يكن فى انفسنا طعن على يقينك أوغش فى دينك ، فنتخوف ان تكون احدثت بنعمة الله تعالى تجبراً أودخلك كبر ، ولكنا نقول لك ماقلنا تقرباً الى الله عزوجل بتوقيرك وتوسعاً بتفضيلك وشكراً باعظام امرك ، فانظر لنفسك ولنا وآثر أمر الله على نفسك وعلينا ، فنحن طوع فيما امرتنا ، ننقاد من الامور مع ذلك فيما ينفعنا .

فأجابه امير المؤمنين عليه السلام فقال: وانا استشهدكم على نفسى لعلمكم فيما وليت به من اموركم ، وعما قليل يجمعني واياكم الموقف بين يديه والسؤال عماكنا فيه، ثم يشهد بعضنا على بعض فلاتشهدوا اليوم بخلاف ماأنتم شاهدون غداً ، فان الله عز وجل لا تخفى عليه خافية ولايجوز عنده الامناصحة الصدور فى جميع الامور .

فأجابه الرجل ويقال لم يرالرجل بعد كلامه هذا له عليه السلام ـ أجابه وقد عال الذي فى صدره والبكاء يقطع منطقه وغصص الشجا تكسر صوته اعظاماً لخطر مرزئته ووحشته من كون فجيعته ـ ثم نصب فى المسألة الى الله عزوجل بالامتنان عليه . فقال له عليه السلام : يا ربانى العباد ويا سكن البلاد ، أين يقع قولنا من فضلك وأين يبلغ وصفنا من فعلك ، وانى نبلغ حقيقة حسن ثنائك

أونحصي جميل بلائك ، وكيف وبك جرت نعم الله علينا وعلى يدك اتصلت أسباب الخير الينا ، ألم تكن لذل الذليل ملاذاً وللعصاة هواناً ، فبمن الا بأهل بيتك وبك اخرجنا الله عزوجل من فظاعة تلك الخطرات، أوبمن فرج عناغمرات الكربات ، وبمن الابكم أظهر الله معالم ديننا واستصلح ماكان فسدمن دنيانا ، حتى استبان بعد الحور ذكرنا وقرت من رخاء العيش اعيننا ـ الى أن قال ـ ولكنانبكى من غير اثم لعز هذا السلطان ان يعود ذليلا وللدين والدنيا اكيلا ، فلانرى لك خلفاً نشكو اليه ـ الخ .

(اما بعد ، فقد جعل الله لي عليكم حقاً بولاية امركم) جعل تعالى له عليه السلام حقاً عليهم بولايته امرهم فى الظاهر بعد الثلاثة فى قوله تعالى «أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامرمنكم » وفى الباطن بعد رسوله صلى الله عليه وآله فى قوله تعالى « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » .

فى المستفيض من كونه عليه السلام المراد من الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، لنزول الاية لما أعطى عليه السلام خاتمه فى ركوع الصلاة للسائل كما رواه الثعلبى وغيره .

وفى قول رسوله صلى الله عليه وآله للناس فى حجة الوداع يوم خم فى المتواتر عنه : ألست اولى بكم من أنفسكم ؟ فقالوا بلى . فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

(ولكم علي من الحق مثل الذي لى عليكم) بانصاف مظلومكم من ظالمكم ـ والمثلية انماهى باعتبار اصل الحق ، فلا تنافى اختلاف الدرجة .

قال تعالى فى الازواج النساء والرجال « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم » .

(فالحق أوسع الاشياء في التواصف واضيقها في التناصف) هذا الكلام ايضاً من كلماته عليه السلام التي لاقيمة لها وان لم يذكروها فيها ، فكل من الناس يصف الحق ولا يعمل به الا أقل قليل ، لكن عرفت أن الروضة نقله « والحق اجمل الاشياء في التراصف وأوسعها في التناصف » والجملة الاولى منه عين الاولى من ذاك في المعنى وانما اختلافهما في اللفظ ، فرصف الحق ـ والاصل فيه رصف الحجارة ـ وصفه ، وأما الثانية فتختلف معنى ولكنه في نفسه في غاية الجودة فكما يصح أن يقال ان الحق اضيق الاشياء في التناصف بجعل فاعل التناصف الواصف الذى هو أحد من افراد الرعايا ، كذلك وأوسعها فيه اذا كان فاعل التناصف والى الناس .

(لايجري لاحد الاجرى عليه ولايجرى عليه الاجرى له) حتى أن الحيوانات المملوكة لها حقوق على مالكها لو لم يراعها كان مسئولا عند الله تعالى ، قال النبى صلى الله عليه وآله ـ كما روى الفقيه ـ للدابة على صاحبها حقوق : يبدأ بعلفها اذا نزل ، ويعرض عليها الماء اذا مرّ به ، ولايضرب وجهها ، ولايقف على ظهرها ، ولايحملها فوق طاقتها ، ولايكلفها من المشي الامايطيق.

ورأى صلى الله عليه وآله ـ كما روى ايضاً ـ ناقة معقولة وعليها جهازها ، فقال : مروا صاحبها يستعد غداً للخصومة .

(ولو كان لاحد ان يجرى له ولا يجرى عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه) روى الفقيه خبراً طويلا في الحقوق عن السجاد عليه السلام ـ وفي الخبر حق الله الاكبر عليك أن تعبده ولاتشرك به شيئاً ، فاذا فعلت ذلك باخلاص جعل لك على نفسه ان يكفيك امر الدنيا والاخرة .

ثم في الخبر ذكر باقي الحقوق ـ ففيه : وحق نفسك عليك أن تستعملها بطاعة الله تعالى ، وحق اللسان اكرامه عن الخناء وتعويده الخير وترك الفضول التي لافائدة فيها والبر بالناس وحسن القول فيهم ، وحق السمع تنزيهه عن سماع

الغيبة وسماع مالا يحل سماعه ، وحق البصر أن تغضه عما لايحل لك وتعتبر بالنظر به ، وحق يدك الا تبسطها الى مالا يحل لك ، وحق رجليك الا تمشي بهما الى مالايحل لك فبهما تقف على الصراط فانظر الا تزل بك فتردى فى النار ، وحق بطنك الاتجعله وعاء للحرام ولا تزيد على الشبع ، وحق فرجك أن تحصنه عن الزنا وتحفظه من ان ينظر اليه ، وحق الصلاة أن تعلم انها وفادة الى الله تعالى وأنت فيها قائم بين يديه عزوجل ، فاذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضرع المعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها وحقوقها وحق الحج أن تعلم انه وفادة الى ربك وفرار اليه من ذنوبك وقبول توبتك وقضاء الفرض الذى أوجبه الله تعالى عليك ، وحق الصوم ان تعلم انه حجاب ضربه الله تعالى على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك ليسترك به من النار فان تركت الصوم خرقت ستر الله عليك، وحق الصدقة ان تعلم انها ذخرك عند ربك ووديعتك التى لاتحتاج الى الاشهاد عليها وكنت لما تستودعه سراً أوثق منك بما تستودعه علانية وتعلم انها تدفع البلايا والاسقام عنك فى الدنيا، وحق السلطان ان تعلم انك جعلت له فتنة وانه مبتلى فيك بما جعل له عليك من السلطان وان عليك ألا تتعرض لسخطه فتلقى بيدك الى التهلكة وتكون شريكاً له فى ما يأتى اليك من سوء ، وحق سائسك بالعلم التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع اليه والاقبال عليه والا ترفع عليه صوتك ولاتجيب احداً يسأله عن شىء حتى يكون هو الذى يجيب ولاتحدث فى مجلسه احداً ولا تغتاب عنده احداً وان تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء وان تسترعيوبه وتظهر مناقبه ولا تجالس له عدواً ولاتعادى له ولياً فاذا فعلت ذلك شهد لك الملائكة بأنك تعلمت علمه لله تعالى لا للناس، واما حق سائسك بالملك فأن تطيعه ولا تعصيه الا فى ما يسخط الله تعالى فانه لا

طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، واما حق رعيتك بالسلطان فان تعلم انهم صاروا رعيتك لضعفهم وقوتك فيجب ان تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم وتغفر لهم جهلهم ولا تعاجلهم بالعقوبة وتشكره تعالى على ما آتاك من القوة عليهم وأما حق رعيتك بالعلم فان تعلم انه تعالى انما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك من العلم وفتح لك من خزائنه فان احسنت فى تعليمهم ولم تخرق بهم زادك الله من فضله وان انت منعتهم علمك او خرقت بهم كان حقاً عليه تعالى ان يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلك . وأما حق الزوجة فان تعلم انه تعالى جعلها لك سكناً وانساً وتعلم ان ذلك نعمة من الله تعالى عليك فتكرمها وترفق بها وان كان حقك عليها اوجب وان لها عليك ان ترحمها لانها اسيرك وتطعمها وتكسوها واذا جهلت عفوت عنها، وأما حق امك فان تعلم انها حملتك حيث لا يحتمل احد احداً واعطتك من ثمرة قلبها مالم يعط احد احداً ووقتك بجميع جوارحها ولم تبال ان تجوع وتطعمك وتعطش وتسقيك وتعرى وتكسوك وتضحى وتظلك وتهجر النوم لاجلك ووقتك الحر والبرد ولا تطيق شكرها الا بعونه وتوفيقه تعالى ، وأما حق ابيك فان تعلم انه اصلك فانه لولاه لم تكن وان رأيت فى نفسك ما يعجبك فاعلم انه اصل النعمة عليك فيه، وأما حق ولدك فان تعلم انه منك ومضاف اليك فى عاجل الدنيا بخيره وشره وانك مسئول عما وليته من حسن الادب ، وأما حق اخيك فان تعلم انه يدك وعزك فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله تعالى ولا عدة للظلم لخلق الله تعالى ولا تدع نصرته على عدوه والنصيحة له فان اطاع تعالى والا فليكن الله تعالى اكرم عليك منه ، وأما حق ذى المعروف عليك فان تذكر معروفه وتخلص له الدعاء فى ما بينك وبين الله ثم ان قدرت على مكافأته يوماً كافيته ، وأما حق المؤذن فان تعلم انه يذكرلك ربك تعالى وداع الى حظك وعونك على قضاء مافرض الله عليك، واما حق امامك فى صلاتك فان تعلم انه يقلد السفارة فيما بينك وبين ربك

تعالى فان كان نقص كان به دونك وان كان تماماً كنت شريكه ، واما حق جليسك فان تلين له جانبك وتنصفه في مجاراة اللفظ ولاتقوم من مجلسك الاباذنه ومن يجلس اليك يجوز له القيام عنك بغير اذنك وتنسى زلاته وتحفظ خيراته ولا تسمعه الاخيراً ، وأمـا حق جارك فحفظه غائباً واكـرامه شاهداً ونصرته اذا كان مظلوماً ولاتتبع له عورة فان علمت عليه سوء سترته عليه وان علمت انه يقبل نصيحتك نصحته في مابينك وبينه ولاتسلمه عند شدائده وتقيل عثرته وتغفر ذنبه وتعاشره معاشرة كريمة، وأماحق الصاحب فانتصحبه بالفضل والانصاف وتكرمه كما يكرمك ولاتدعه يسبقك الى مكرمة فان سبق كافيته وتزجره عما يهم به من معصية وكـن عليه رحمة لاعذاباً ، واما حق مالك فان تأخذه من حله وتنفقه في وجهه ولاتؤثر على نفسك من لايحمدك فاعمل به بطاعة ربك ولاتبخل فيه فتبوء بالحسرة والندامة مع التبعة، وأماحق غريمك فان كنت موسراً اعطيته وان كنت معسراً ارضيته بحسن القول ، وأمـا حق الخصم المدعى عليك فان كان صادقاً كنت شاهده على نفسك فأوفيته حقه وان كان كاذباً رفقت به ولم تسخط ربك ـ والذى تدعي عليه ان كنت محقاً اجملت مقاولته وان كنت مبطلا اتقيت الله وتركت، وأما حق المستشير فان علمت لك رأياً اشرت عليه والا ارشدته الى من يعلم ، وحق المشير عليك ألاتتهمه ان خالفك في رأيك وان وافقك حمدت الله تعالى ، وأماحق الكبير فتوقيره لسنه واجلاله في الاسلام قبلك وترك مقابلته عند الخصام ولاتسبقه الى طريق وان جهل عليك احتملته ، وحق الصغير رحمته في تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به ، وأما حق السائل فاعطاؤه على قدر حاجته، وحق المسئول ان اعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله وان منع فاقبل عذره .

وحق اهـل ملتك فاضمار الرحمة لهـم والرفق بمسيئهم وشكر محسنهم وتحب لهم ماتحب لنفسك وتكره لهم ماتكره لنفسك وان تكون شيوخهم بمنزلة ابيك

وشبانهم بمنزلة اخوتك وعجائزهم بمنزلة امك والصغار بمنزلة اولادك ، وأما حق اهل الذمة ان تقبل منهم ماقبل تعالى منهم ولاتظلمهم ماوفوا الله عز وجل بعهده .

(ولكنه جعل حقه على العباد ان يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه وتوسعاً بما هو من المزيد اهله) «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلايجزى الامثلها» «وما أموالكم ولااولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الامن آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون» .

(ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ) أي تتقابل (فى وجوهها) .

فى البيان : عاتب اعرابى اباه فقال له: ان عظيم حقك لايذهب صغير حقي عليك ، والذى تمت به أمت بمثله اليك ، ولست أزعم انا سواء ، ولكني اقول لايحل لك الاعتداء .

(ويوجب بعضها بعضاً ولايستوجب بعضها الابعض) فى كامل المبرد : قال عبد الله بن مصعب الزبيرى يذكر عبدالله بن الحسن بن الحسن بقلة الانصاف :

لـه حق وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجميل
وقدكان الرسول يرى حقوقاً عليه لغيره وهـو الرسول

وقيل لعلى بن الحسين عليه السلام : مابالك اذا سافرت كتمت نسبك أهل الرفقة . فقال : اكره ان آخذ برسول الله صلى الله عليه وآله مالا أعطي مثله .

(وأعظم ماافترض سبحانه من تلك الحقوق) وأهمها (حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي) حقهما (فريضة فرضها الله سبحانه) أي اوجبها (لكل) من الوالي والرعية (على كل) من الوالي والرعية (فجعلها نظاماً لالفتهم) فى دنياهم

(وعزّاً لدينهم فليست تصلح الرعية الابصلاح الولاة) .

قالت الحكماء ـ كما فى العقد ـ : امام عادل خير من مطر وابل .

وقال الافوه الاودى :

لاتصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولاسراة اذا جهّالهم سادوا

والبيت لايبنى الا له عمد ولاعماد اذا لم ترس اوتاد

وان تجمع اوتاد واعمدة يوماً فقد بلغوا الامر الذى كادوا

(ولاتصلح الولاة الاباستقامة الرعية) فى العقد قال النبى صلى الله عليه وآله: الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة . قالوا : لمن ؟ قال : لله ولرسوله ولاولى الامر منكم ، فنصح الامام ولزوم طاعته فرض واجب وامر لازم ولايتم ايمان الابه ، ولايثبت اسلام الاعليه .

قلت : هكذا فى العقد من جعل الكلام الى هنا من الخبر ومن قول النبى صلى الله عليه وآله، الأأن الظاهر انه يتم عند قوله « ولاولي الامر منكم» وبعده من كلام الرواة خلط بالخبر .

(فاذا أدت الرعية الى الوالي حقه وأدى الوالي اليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين) أي طرقه الواضحة (واعتدلت معالم العدل) اي آثاره وعلائمه الدالة عليه (وجرت على اذلالها) أي مجاريها وطرقها (السنن) اى السير (فصلح بذلك الزمان) لارتفاع موادّ الفساد عنه (وطمع فى بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء) فان العدو انما يطمع اذا رأى اختلافاً بين الوالي والرعية .

(واذا غلبت الرعية واليها اواجحف) أي تعدى (الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة) بين الوالي والرعية .

وفى العقد قالوا : لايكون الذم من الرعية لواليها الالاحدى ثلاث : كريم قصر به عن قدر فاحتمل لذلك ضغناً ، او لئيم بلغ به ما لايستحق فأورثه ذلك

بطراً ، اورجل منع حظه من الانصاف فشكا تفريطاً .

(وظهرت معالم الجور) فى العقد: أطلع مروان على ضيعةله بالغوطةفأنكر منها شيئاً ، فقال لوكيله : ويحك اني لاظنك تخونني . قال : تظنه ولاتستيقنه . قال : وتفعل ذلك . قال : اي والله ، اني لاخونك ، وانك لتخون الخليفة ،وان الخليفة يخون الله ، فلعن الله شر الثلاثة .

(وكثر الادغال) أيادخال الغش والفساد (فى الدين وتركت محاجّ) جمع المحجّة أيجوادّ طرق (السنن) من الشرع (فعمل بالهوى) أيهوى النفوس (وعطلت الاحكام) أي احكام الله (وكثرت علل النفوس) أي اعذارها الباطلة لاعمالهم الجائرة (فلايستوحش لعظيم حق عطل ولالعظيم باطل فعل) وقدعرفت رواية الروضة «اثل» أي اصل ، وهو الافصح .

وكذلك كان الامر فيأيام المتصدين للامر قبله عليه السلام، فعطل القصاص والحد من خالد بن الوليد القاتل لمالك بن نويرة غدراً والزاني بامرأته ايام ابى بكرحتى انكرذلك عليه عمر ، وعطل الثانى الرجم على المغيرة مع ثبوت زناه محصناً وان منع الشاهد الرابع من اتمام شهادته لهواه فيه، وأما ايام الثالث فشنائعه اكثر من أن تحصى ، ولو لم يكن له الاتوليته أخاه لامه الوليد بن عقبة الفاسق بنص القرآن الكوفة وشربه وصلاته بالناس فى سكره الصبح أربعاً وتغنيه في الصلاة واخراجه لمثل أبى ذر الذي أمر الله نبيه بحبه لكفاه .

(فهنالك تذل الابرار) فكان الابرار كعمار ونظرائه فىأيام عثمان اذلاء (وتعز الاشرار) وكان مروان بن الحكم طريد النبى صلى الله عليه وآله ولعينه وباقي بنى امية الشجرة الملعونة فى القرآن فى ايام عثمان اعزاء . وكذلك صارالامر بعده عليه السلام فى ايام معاوية ، فذل مثل حجربن عدي وأصحابه الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وعز مثل زياد بن ابيه وبسر بن ارطاة وباقي الفجار .

(وتعظم تبعات الله عند العباد) لادّاء ذلك الى قتل حجج الله كما فعلوا يوم الطف .

وقدعرفت انالروضه زاد« وتخرب البلاد » فنهبوا المدينة وقتلوا رجالهم وفجروا بنسائهم .

(فعليكم بالتناصح فى ذلك وحسن التعاون عليه) قد عرفت أن الروضةرواه هكذا « فهلم أيها الناس الىالتعاون على طاعة الله عزوجل والقيام بعدله والوفاء بعهده والانصاف له فى جميع حقه ، فانه ليس العباد الى شيء أحوج منهم الىالتناصح فى ذلك وحسن التعاون عليه » . ومنه يظهر أن فى رواية المصنف سقطاً .

(فليس احد وان اشتد على رضا الله حرصه وطال فى العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله اهله منالطاعة له ، ولكنمن واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم) فلا يكلف الله نفساً الا وسعها ، وقال تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » .

وفى الخبر عن الزهرى قال: دخلت مع على بن الحسين عليه السلام على عبد الملك ، فاستعظم ما رأى من اثر السجود بينعينيه فقالله : لقد بيّنعليك الاجتهاد ولقد سبق لك من الله الحسنىوأنت بضعة من النبي قريب النسبوكيد السبب ، وانك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوى عصرك ، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع مالم يؤته أحد مثلك ولا قبلك الا من مضى من سلفك ـ وأقبل يثنىعليه ويطريه ـ فقالعليه السلام : كل ما وصفته وذكرته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه فأين شكره على ما انعم ، كان النبى صلى الله عليه وآله يقف فى الصلاة حتى تورم قدماه ويظمأ فى الصيام حتى يعصب فوه ، فقيل له صلى الله عليه وآله : ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وماتأخر؟

فيقول : أفلا اكون عبداً شاكراً ، والله لو تقطعت اعضائى وسالت مقلتاي على صدرى ان اقوم لله تعالى بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من نعمه التي لايحصيها العادون لم ابلغ ، ولولا ان لاهلي علي حقاً ولسائر الناس من خاصهم وعامهم علي حقوقاً لايسعني الا القيام بها لرميت بطرفى الى السماء وبقلبى اليه تعالى ثم لم اردهما حتى يقضى الله على نفسي . ثم بكى عليه السلام فبكى عبد الملك وقال : شتّان بين من طلب الاخرة ومن طلب الدنيا .

(وليس امرؤ وان عظمت فى الحق منزلته وتقدمت فى الدين فضيلته) كالنبى و الامام (بفوق ان يعان على ما حمّله الله من حقه) لانه تعالى اوجب ذلك على عباده .

(ولا امرؤ وان صغرته النفوس واقتحمته) اى حقرته (العيون بدون) اى بأنقص (ان يعين على ذلك اويعان عليه) فقال تعالى عاماً « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

وقال « حد » قوله عليه السلام « وليس امرؤ » الخ . مثل قول زيد بن علي لهشام « ليس احد وان عظمت منزلته بفوق ان يذكر بالله ويحذّر من سطوته ، وليس احد وان صغّرته العيون بدون أن يذكر بالله ويخوّف من نقمته» .

قول المصنف (فأجابه عليه السلام رجل من اصحابه بكلام طويل يذكر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له) قدعرفت من رواية الروضة ان ذلك الرجل ما عرفوه ولم يرفى عسكره عليه السلام قبل ذاك اليوم ولابعده ، وان ذاك الرجل أجابه عليه السلام مرات كل مرة بكلام .

فقال عليه السلام (ان من حق من عظم جلال الله فى نفسه وجل موضعه من قلبه ان يصغر عنده لعظم ذلك كل ماسواه) فى توحيد الصدوق عن زينب العطّارة

قالت : سألت النبى صلى الله عليه وآله عن عظمة الله . فقال صلى الله عليه وآله: هذه الارض بمن فيهـا ومن عليها عند التى تحتها كحلقة فى فلاة قيّ ، وهاتـان ومن فيهما ومن عليهما عند التي تحتها كحلقة في فلاة قيّ، والثالثة حتى انتهى الى السابعة ، ثم تلا هذه الاية « خلق سبع سماوات ومـن الارض ومثلهن » ـ الخبر .

(وان احق من كانت كذلك) أى يكون كل ما سواه تعالى صغيراً عنده (لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف احسانه اليه) مثله عليه السلام (فانه لم تعظم نعمة الله على احد الا ازداد حق الله عليه عظماً) .

وفى الكافى عن الصادق عليه السلام: من عظمت نعمة الله عليه اشتدت مؤنة الناس عليه ، فاستديموا النعمة باحتمال المؤنة ولا تعرضوها للزوال ، فقلّ من زالت عنه النعمة فكادت ان تعود اليه .

(وان من اسخف حالات الولاة) وأقربها الى دقة عقولهم (عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر ويوضع امرهم على الكبر) وفي الكافى عن النبى صلى الله عليه وآله : آفة الحسب الافتخار .

وعن الصادق عليه السلام : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وآله فقال : أنا فلان بن فلان ـ حتى عدّ تسعة ـ فقال له النبى صلى الله عليه وآله : أما انك عاشرهم في النار .

(وقد كرهت أن يكون جال فى ظنكم اني احب الاطراء) أى المدح لـي (واستماع الثناء) علي .

قال « حد » ناظر المأمون البوشنجانى فى مسألة كلامية ، فجعل يستخذى له ، فقال له المأمون : اراك تنقاد الى ما أقوله لك قبل وجوب الحجة عليك ، وقد ساءنى منك ذلك ، ولو شئت ان اقتسر الامور بعزة الخلافة وهيبة الرياسة

لصدقت وان كنت كاذباً وعدلت وان كنت جائراً وصوبت وان كنت مخطئاً، ولكن لأقنع الا باقامة الحجة وازالة الشبهة ، وان أنقص الملوك عقلا واسخفهم رأياً من رضى بقولهم صدق الامير .

وقال ابن المقفع فى يتيمته : اياك اذا كنت والياً أن يكون من شأنك حب المدح والتزكية وان يعرف الناس ذلك منك ، فتكون ثلمة يقتحمون عليك منها وباباً يفتتحونك منه وغيبة يغتابونك بها ويسخرون منك لها .

(ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو احق به من العظمة والكبرياء) .

فى الكافى عن الصادق عليه السلام : أوحى الله الى داود : كما أن اقرب الناس من الله المتواضعون كذلك أبعد الناس المتكبرون .

وعن الباقر عليه السلام : انّ ملكاً اتى النبى صلى الله عليه وآله فقال : ان الله تعالى مخيّرك بين أن تكون عبداً متواضعاً او ملكاً رسولا . فنظر النبى صلى الله عليه وآله الى جبرئيل عليه السلام ، فأومى جبرئيل بيده ان تواضع، فقال النبى : عبداً متواضعاً رسولا .

وفى عقاب الاعمال عن الصادق عليه السلام: الكبرياء رداء الله ، فمن نازعه شيئاً من ذلك كبه الله في النار.

(فلاتثنوا عليّ بجميل ثناء لاخراجى نفسى الى الله واليكم من التقية فى حقوق لم أفرغ من ادائها وفرائض لابد من امضائها) قرأ حد من التقية « من البقية » لانه قال معنى كلامه عليه السلام « وربما استحلى الناس - الى - لابد من امضائها » ان بعض من يكره الاطراء والثناء قد يحب ذلك بعد البلاء والاختبار كما قال مرداس بن أديه لزياد « انما الثناء بعد البلاء وانما نثنى بعد أن نبتلى » فقال عليه السلام : لو فرضنا أن ذلك سائغ لم يجز لكم أن تثنوا علي فى وجهى

ولا جازلي أن اسمعه منكم لانه قد بقيت علي بقية لم أفرغ من ادائها وفرائض لم أمضها بعد ولابدلي من امضائها ، واذن لم يتم البلاء الذى قد فرضنا أن الثناء يحسن بعده .

واما « ثم » فقال : وفى خط الرضي « من التقية » بالتاء ، والمعنى فان الذى أفعله من طاعة الله انما هو اخراج لنفسي الى الله واليكم من تقية الخلق فيما يجب علي من الحقوق ، اذ كان عليه السلام انما يعبد الله غير ملتفت فى شيء من عبادته وأداء واجب حقه الى احد سواه خوفاً منه او رغبة اليه .

(فلا تكلمونى بما تكلم به الجبابرة) فى الطبرى خطب وليد بن عبدالملك بعد ابيه ـ وكان جباراً عنيداً ـ فقال : أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه .

(ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند اهل البادرة) أى اهل الحدة .

فى العقد : قام رجل الى هارون وهو يخطب بمكة فقال : « كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالا تفعلون » فأمر به فضرب مائة سوط ، فكان يئن الليل كله ويقول الموت الموت .

وفيه : بقي الوليد بن عبد الملك يوم الجمعة على المنبر حتى اصفرت الشمس ، فقام اليه رجل فقال : ان الوقت لاينتظرك وان الرب لايعذرك . قال: صدقت ، ومن قال مثل مقالتك فلاينبغى له أن يقوم مثل مقامك من ههنا من الحرس يقوم فيضرب عنقه .

(ولا تخالطونى بالمصانعة) فى العقد قال الربيع بن زياد الحارثي : كنت عاملا لابى موسى على البحرين، فكتب اليه عمر يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وان يستخلفوا من هو من ثقاتهم حتى يرجعوا، فلما قدمنا أتيت يرفأ ـ غلام عمر فقلت : يا يرفأ ابن سبيل مسترشد اخبرنى اي الهيئات أحب الى عمر أن يرى

فيها عماله . فأومى الى الخشونة ، فأخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت رأسي بعمامة دكناء ، ثم دخلنا على عمر فصفنا بين يديه وصعّد فينا نظره وصوب ، فلم تأخذ عينه احداً غيري فدعاني - الخ .

هذا ، وروى البصائر والمناقب عن ابراهيم بن عمر انه عليه السلام قال : لو وجدت رجلا ثقة لبعثت معه المال الى المدائن الى شيعته . فقال رجل من أصحابه في نفسه : لاتينه ولا قولن له أنا اذهب به فيثق بي فاذا أنا اخذته اخذت طريق الكرخة . فأتاه فقال له عليه السلام: انا أذهب بهذا المال الى المدائن . فرفع رأسه اليه ثم قال له : اليك عني خذ طريق الكرخة .

ورواه الخرائج ولكن فيه قال : فاذا أنا اخذته اخذت طريق الشام الى معاوية - الى ان قال - فقال عليه السلام له : اليك عني خذ طريق الشام.

(ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي ، ولا التماس اعظام لنفسي ، فانه من استثقل الحق أن يقال له او العدل ان يعرض عليه كان العمل بهما اثقل عليه)

في بلاغات نساء البغدادي عن الشعبي قال: استأذنت سودة بنت عمارة بن الاسك الهمدانية على معاوية ، فاذن لها، فلما دخلت قال لها معاوية : هية يا بنت الاسك ألست القائلة يوم صفين :

شمّر كفعل ابيك يا ابن عماره	يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر علياً و الحسين ورهطه	و اقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام اخو النبي محمد	علم الهدى ومنارة الايمان
فقه الحتوف و سر أمام لوائه	قدماً بأبيض صارم وسنان

قالت : أي والله ما مثلي من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب - الى أن قال - قالت لمعاوية : انك أصبحت للناس سيداً ولا مرهم متقلداً ، والله سائلك عن امرنا وما افترض عليك من حقنا، ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزك ويبطش

بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنادوس البقر ويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة ، هذا بسر بن ارطاة قدم علينا من قبلك فقتل رجالي وأخذ مالي يقول لي فوهى بما استعصم الله منه والجأ اليه فيه ـ تعني سبه عليه السلام ـ ولولا الطاعة لكان فينا عزومنعة، فاما عزلتهعنا فشكرناك واما لافعرفناك. فقال لهامعاوية: أتهددينى بقومك، لقد هممت أناحملك على قتب اشرس فأردك اليه ينفذ فيك حكمه . فأطرقت تبكي ثم قالت :

صلى الاله على جسم تضمنه قبر فأصبح فه العدل مدفونا

قد حالف الحق لايبغى به بدلا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال لها : ومن ذلك ؟ قالت : على بن ابى طالب. قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك ؟ قالت : قدمت عليه فى رجل ولاه صدقاتنا فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين، فأتيت علياً عليه السلام لاشكو اليه، فوجدته قائماً يصلي، فلما نظر الي انفتل من صلاته ثم قال لي برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال : اللهم انك أنت الشاهد علي وعليهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ولابترك حقك ، ثم اخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجواب فكتب فيها « بسم الله الرحمن الرحيم ، قد جائتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولاتبخسوا الناس اشيائهم ولاتعثوا فى الأرض مفسدين، بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين، وما أنا عليكم بحفيظ ، اذا قرأت كتابى فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم علينا من يقبضه منك ». فأخذته منه والله ماختمه بطين ولاخزمه بخزام فقرأته . فقال لها معاوية: لقدلمظكم ابن ابى طالب الجرأة على السلطان فبطيئاً ما تفطمون ـ الخ .

هذا ، وفى العقد : جلس المأمون للمظالم ، فتقدمت اليه امرأة فقال لها : اين خصمك ؟ قالت : الواقف على رأسك ـ واومأت الى العباس ابنه ـ فقال

لاحمد بن ابى خالد : خذبيده فأجلسه معها مجلس الخصوم ، فجعل كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها احمد اخفضى من صوتك فانك تكلمين الامير. فقال له المأمون : دعها فان الحق انطقها واخرسه . ثم أمر برد ضيعتها اليها .

(فلاتكفوا عن مقالة بحق اومشورة) بسكون الشين وفتح الواو، اوضم الشين وسكون الواو .

فى العقد : قيل لرجل من عبس ما اكثر صوابكم ؟ قال : نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ، فنحن نشاوره فكأنا الف حازم .

(فاني لست فى نفسي بفوق ان اخطىء ولا آمن ذلك) هكذا فى المصرية والصواب « ذاك » كما فى « حد » و « ثم » والخطية (من فعلي الان يكفى الله من نفسى ما هو امللك به منى) .

هذا منه عليه السلام كقول يوسف عليه السلام « وما ابرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء الامارحم ربى ان ربى غفور رحيم » ، وكقول النبى صلى الله عليه السلام - فى خبر - «ولا انا الاان يتداركني الله برحمته» فلا ينافى عصمته عليه السلام فان عصمتهم عليهم السلام انما بالله تعالى، قال تعالى « ولقد همّت به وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه » فقال عليه السلام ما قال على مقتضى الغرائز البشرية من حيث هي .

(فانما اناوانتم عبيد مملوكون لرب لارب غيره يملك منامالانملك من انفسنا) ولا حول ولاقوة لاحد الا به تعالى .

(واخرجنا مماكنا فيه الى ما صلحنا عليه ، فأبد لنا بعد الضلالة بالهدى واعطانا البصيرة بعد العمى) قال « حد » : لم يشر عليه السلام الى خاص نفسه لانه عليه السلام لم يكن كافراً فأسلم، ولكنه اشار الى القوم الذين يخاطبهم من افناء الناس ، واتى بصيغة الجمع توسعاً . ويجوز أن يكون معناه لولا الطاف

الله تعالى ببعثة النبى صلى الله عليه وآله لكان الجميع على عبادة الاصنام ، كما قال تعالى لنبيه «ووجدك ضالا فهدى» ، فليس معناه ان النبى كان كافراً، بل معناه انه لولا اصطفاء الله تعالى لك لكنت كواحد من قومك ، فكأنه كان ضالا بالقوة لا بالفعل .

قلت: وكأن فى الكلام سقطاً وان وجدنا رواية الروضة ايضاً كذلك، فعطف قوله « وأخرجنا » على قوله « يملك منا » كما ترى.

وكيف كان فقد عرفت من رواية الروضة ان من كلامه عليه السلام بعد مامر « وانا استشهدكم على نفسى ـ الى ـ ولا يجوز عنده الامناصحة الصدور فى جميع الامور » ولم ينقله المصنف .

١٢٧/١٠/ ومن كلام له عليه السلام : أيتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة الشاهدة ابدانهم والغائبة عنهم عقولهم، أظاركم على الحق وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الاسد ، هيهات ان أطلع بكم سرار العدل او أقيم اعوجاج الحق . اللهم انك تعلم انه لم يكن الذى كان منا منافسة فى سلطان ولا التماس شىء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح فى بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك . اللهم انى اول من اناب وسمع واجاب ، لم يسبقنى الا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة .

اقول : قال ابن الجوزى فى مناقبه ـ كما فى البحار ـ روى مجاهد عن ابن عباس قال: خطب امير المؤمنين عليه السلام يوماً على منبر الكوفة «ايتها النفوس» الخ مثله .

(أيتها النفوس المختلفة) فى الاراء (والقلوب المتشتّتة) فى العقائد (الشاهدة ابدانهم) فى المجالس (والغائبة عنهم عقولهم) فى العمل لمصالحهم ومعايشهم.

وفى العنوان ٢٨ « أيها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم » وفى (٩٣) « أيها الشاهدة أبدانهم الغائبة عقولهم المختلفة اهـواؤ هم المبتلى بهـم امراؤهم» .

(أظاركم) أي اعطفكم (على الحـق وانتم تنفرون عنه نفور المعزى مـن وعوعة) فى الجمهرة : سمعت وعوعة القوم أي اختلاط اصواتهم، ويسمى ابن آوى الوعوع . والوعوعة صوت الديك اذا دارك وكذلك الذئب فى عدوه ، قال امرؤ القيس :

كأن خضيعة بطن الجـواد وعوعة الذئب فى الفدفـد

(الاسد) كلامه عليه السلام « وانتم » الخ ، نظير قوله تعالى «كأنهم حمـر مستنفرة * فرت من قسورة » .

(هيهات) أي بعيد (ان اطلع بكم) أي اخرج بكم (سرار العدل) أي مخفيّه من سرار الشهر ليلة اوليلتين من آخر الشهر يستسّر فيهما القمر بطلوع الشمس (أو أقيم) بكم (اعوجـاج الحق) وزيغه ، لانهم منشأسرار العدل فكيف يطلع بهم وموجب اعوجاج الحق فكيف يقام بهم .

(اللهم انك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا) من ترغيبكـم الى جهاد العدو وتأنيبكم على تقاعدكم عن حفظ الثغور (منافسة) أي رغبة (فى سلطـان) الدنيا كالمتقدمين عليه عليه السلام (ولاالتماس) أي ولالطلب (شيء من فضول الحطام) الاصل فى الحطام ماتكسر من اليبيس، شبّه به متاع الدنيا .

(ولكن لنردّ المعالم من دينك) معالم الدين آثاره المستدل بهاعليه (ونظهر الاصلاح فى بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك) فى صفين نصر قال حبة العرنى : لما نزل على عليه السلام فى طريق صفيـن بمكان يقال له بليخ نزل راهب من صومعته فقال له عليه السلام ان عندنا كتاباً توارثناه

عن آبائنا كتبه عيسى بن مريم عليه السلام، اعرضه عليك ؟ قال عليه السلام: نعم ـ الى أن قال فيه ـ فاذا توفى الله نبيهم صلى الله عليه وآله اختلفت امته ثم اجتمعت فلبثت بذلك ماشاء الله ، ثم اختلفت فيمر رجل من امته بشاطىء هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضى بالحق ولايرتشى فى الحكم ، الدنيا عليه اهون من الرماد فى يوم عصفت الريح، والموت اهون عليه من شرب الماء فى الظمأ ، يخاف الله فى السر وينصح له فى العلانية ، ولا يخاف فى الله لومة لائم .

وفي الطبرى عن ناجية القرشي عن عمه يزيد بن عدي قال : رأيت علياً عليه السلام خارجاً من همدان، فرأى فئتين يقتتلان ففرق بينهما ـ ثم مضى فسمع صوتاً « ياغوثا بالله » ، فخرج يحضر نحوه حتى سمع خفق نعله وهو يقول : أتاك الغوث ، فاذا رجل يلازم رجلا فقال له عليه السلام : بعت هذا ثوباً بتسعة دراهم وشرطت عليه أن لايعطينى مغموزاً ولامقطوعاً ـ وكان شرطهم يومئذ ـ فأتيته بهذه الدراهم ليبدلها لي فأبى فلزمته فلطمنى فقال له : ابدلها له ففعل ، ثم قال عليه السلام: بينتك على اللطمة، فأتاه بالبينه فأقعده ثم قال : دونك فاقتص. فقال : اني قد عفوت . ثم ضرب الرجل تسع درات وقال : هذا حق السلطان.

ورواه فى اسناد آخر عنه عن ابيه ، وفيه : اشترى مني شاة وقد شرطت عليه ألايعطينى مغموزاً ولامحذفاً فأعطانى مغموزاً فرددته فلطمنى ـ الى أن قال ـ او اعفو. قال : ذاك اليك ، فلما جاز الرجل قال عليه السلام : يامعشر المسلمين خذوه، فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب ثم ضربه خمس عشر درة وقال : هذا نكال لما انتهكت من حرمته .

(اللهم اني أول من اناب) أي اقبل الى الله (وسمع) دعوة النبى صلى الله عليه وآله (وأجاب) وفى الارشاد قال عليه السلام : اخبركم بما يكون قبل أن

يكون لتكونوا منه على حذر ولتنذروا به من اتعظ واعتبر ، كأنى بكم تقولون ان علياً يكذب ، كما قالت قريش لنبيها وسيدها نبى الرحمة ، فياويلكم أفعلي من اكذب ، أعلى الله، فأنا اول من عبده ووحده، أم على رسوله فأنا اول من آمن به وصدقه ونصره ـ الخبر .

وفى الطبري لمانزل «وانذر عشيرتك الاقربين» جمع النبى صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب وقال لهم : اني والله ماعلم شاباً فى العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به ، انى قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة ، وقد امرنى الله تعالى ان ادعوكم اليه فأيكم يؤازرنى على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيى وخليفتي فيكم ؟ قال على عليه السلام : فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت ـ وانى لاحدثهم سناً وارمصهم عيناً وأعظمهم بطناً واحمشهم ساقاً ـ انا اكون وزيرك عليه . فأخذ النبى صلى الله عليه وآله برقبتى ثم قال : ان هذا اخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له واطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لابى طالب: قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع .

(لم يسبقنى الارسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة) عن الصادق عليه السلام: اول جماعة كانت ان النبى صلى الله عليه وآله كان يصلي واميرالمؤمنين عليه السلام معه ، اذمرّ به ابو طالب وجعفر معه قال : يا بنى صل جناح ابن عمك ، فلما أحس النبى صلى الله عليه وآله تقدم وانصرف ابو طالب مسروراً وهو يقول :

ان علياً وجعفراً ثقتى عند ملم الزمان والكرب

٧٠/١١/ ومن كتاب له عليه السلام الى سهل بن حنيف الانصارى وهو عامله على المدينة فى معنى قوم من اهلها لحقوا بمعاوية : أما بعد فقد بلغنى أن رجالا ممن قبلك يتسللون الى معاوية ، فلا تأسف على ما يفوتك من

عددهم ويذهب عنك من مددهم ، فكفى لهم غياً ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحق وايضاعهم الى العمى والجهل ، وانماهم اهل دنيا مقبلون عليها ومهطعون اليها، وقد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه ، وعلموا ان الناس عندنا فى الحق أسوة فهربوا الى الاثرة ، فبعداً لهم وسحقاً ، انهم والله لم ينفروا من جور ولم يلحقوا بعدل ، وانا لنطمع فى هذا الامر ان يذلل الله لنا صعبه ويسهل لنا حزنه انشاءالله. والسلام .

أقول : ورواه اليعقوبى فى تاريخه مع اختلاف فقال : وكتب علي عليه السلام الى سهل وهو على المدينة «أما بعد فقد بلغني ان رجالا من اهل المدينة خرجوا الى معاوية، فمن ادركته فامنعه ومن فاتك فلا تأس عليه، فبعداً لهم فسوف يلقون غياً، أما لو بعثرت القبور واجتمعت الخصوم لقد بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقد جاءني رسولك تسألنى الاذن، فأقبل عفا الله عنا وعنك ولا تذر خللا انشاءالله.

قول المصنف (ومن كتاب له عليه السلام الى سهل بن حنيف الانصاري) روى الشيخ ان سهلا كان بدرياً احدياً عقبياً نقيباً .

وروى الكلينى ان سهلا لما توفى صلى عليه السلام عليه خمس صلوات، كلما ادركه الناس وقالوا لم ندرك الصلاة على سهل يضعه فيكبر عليه خمساً .

وروى ابو عمر فى استيعابه : ان سهلا ممن ثبت مع النبى صلى الله عليه وآله يوم أحد .

وروى الجزرى فى أسده : ان سهلا ممن شهد على سماعه من النبى صلى الله عليه وآله قوله فى علي عليه السلام « من كنت مولاه فعلي مولاه » لما انشد علي الناس فى الرحبة ذلك ـ رواه فى عبد الرحمن بن عبد رب .

(وهو عامله عليه السلام على المدينه) وروى الدينورى فى طواله ان علياً عليه السلام لما بايعه الناس استعمل عمّاله واستعمل سهلا على الشام ، فلما

انتهى الى تبوك ـ وهى تخوم ارض الشام ـ استقبله خيل لمعاوية فردوه، فانصرف الى علي فعلم عند ذلك ان معاوية قد خالف .

(فى معنى) أي مقصد (قوم من اهلها) اى اهل المدينة (لحقوا بمعاوية) وروى خلفاء ابن قتيبة انه عليه السلام لما شخص من المدينة الى البصرة كتب عقيل اليه من مكة انه رأى ابن ابى سرح فى نحو من اربعين راكباً من ابناء الطلقاء من بنى أمية يلحقون بمعاوية يريدون اطفاء نور الله .

قوله عليه السلام (امابعد فقد بلغنى ان رجلا ممن قبلك) وكانوا فى ناحيتك (يتسللون) اى يخرجون خفية لامطلق الخروج كما قال الصحاح (الى معاوية ، فلاتأسف على مايفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم) قال تعالى «فلاتأس على القوم الكافرين» .

(فكفى لهم غياً ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحق) قال تعالى «ولايحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئاً» .

(وايضاعهم) اى اسراعهم (الى العمى والجهل ، وانما هم اهل دنيا) وفى نسخة ثم «الدنيا» (مقبلون عليها ومهطعون) اى مسرعون (اليها وقد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه) اى استمعوه .

فى خلفاء القتيبى ـ بعد ذكر خطبته عليه السلام فى استيلاء بنى امية عليهم بعده بتخاذلهم ـ ثم قام ابو ايوب الانصارى فقال : ان امير المؤمنين اكرمه الله قد اسمع من كانت له اذن واعية وقلب حفيظ ، ان الله قد اكرمكم به كرامة ماقبلتموها حق قبولها حيث نزل بين اظهركم ابن عم رسوله صلى الله عليه وآله وخير المسلمين وافضلهم وسيدهم بعده يفقهكم فى الدين ويدعوكم الى جهاد المحلّين، فوالله لكأنكم صم لاتسمعون وقلوبكم غلف مطبوع عليها فلاتستجيبون، أليس انما عهدكم بالجور والعدوان امس وقد شمل العباد وشاع فى الاسلام،

فـذو حق محروم مشتوم عرضه ومضروب ظهره وملطوم وجهه وموطوء بطنـه وملقى بالعراء، فلما جاءكم امير المؤمنين عليه السلام صدع بالحق ونشر العدل وعمل بالكتاب، فاشكروا نعمة الله عليكم ولاتتولوا مجرمين ولاتكونواكالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون .

(وعلموا أن الناس عندنا فى الحق أسوة) اىمتساوون (فهربوا الى الاثرة) اى الاستبداد (فبعداً لهم وسحقاً) اى دقاً كاملا من «سحق الدواء» .

(انهم والله لـم ينفروا) اى لم يهربوا (من جور ولـم يلحقوا بعدل) وانمافى طبيعة الناس الجور فيحبون الجائرين والنفرة من الحق فيعرضون عن المحقين .

(وانا لنطمع فى هذا الامر أن يذلل الله لنا صعبه) وفى نسخة ثم «أصعبه» (ويسهل لنا حزنه) الحزن بالفتح فالسكون ما غلظ من الارض فى قبال السهل ، وفى نسخة ثم «أحزنه» (انشاء الله ، والسلام) وزاد فى حد «عليك ورحمة الله وبركاته» .

٤٥/١٢/ ومن كتاب له عليه السلام الى عثمان بن حنيف الانصارى وهـو عامله على البصرة وقد بلغه انه دعى الى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها:

اما بعد يا ابن حنيف فقد بلغنى ان رجلا من فتية اهل البصرة دعاك الى مأدبة فأسرعت اليها ، تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان، وماظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو، فانظر الى ماتقضمه من هذا المقضم ، فمااشتبه عليك علمه فالفظه وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه . ألا وان لكل مأموم اماماًيقتدى به ويستضىء بنور علمه ، ألا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ، ألا وانكم لاتقدرون على ذلك ولكن أعينونى بورع واجتهاد وعفة وسداد ، فوالله

ماكنزت من دنياكم تبراً ولا ادخرت من غنائمها وفراً ولا اعددت لبالى ثوبها طمراً ولاحزت من ارضها شبراً ، ولا اخذت منه الاكقوت اتان دبره ولهى فى عينى او هى واهون من عفصة مقره .

الى ان قال : وانما هى نفسى أروضها بالتقوى لتأتى آمنة يوم الخوف الاكبر وتثبت على جوانب المزلق ، ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات ان يغلبنى هواى ويقودنى جشعى الى تخير الاطعمة ، ولعل بالحجاز او باليمامة من لا طمع له فى القرص ولاعهد له بالشبع ، او ابيت مبطاناً وحولى بطون غرثى واكباد حرى ، او اكون كما قال القائل :

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد

ءاقنع من نفسى بأن يقال لى امير المؤمنين ولا اشاركهم فى مكاره الدهر ، او اكون اسوة لهم فى جشوبة العيش ، فماخلقت ليشغلنى اكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها او المرسلة شغلها تقممها تكترش من اعلافها وتلهو عمايراد بها، او اترك سدى او اهمل عابثاً او أجرحبل الضلالة او اعتسف طريق المتاهة .

الى ان قال : فاتق الله يا ابن حنيف ، ولتكفك اقراصك لتكون من النار خلاصك .

اقول وعن روضة ١٢٧ الفتال ومناقب السروى ٢/١٠١ وخرائج الراوندى روايته .

قول المصنف(ومن كتاب له عليه السلام) وغرضه من هذا الكتاب التنبيه على نكتتين مهمتين : الاولى التجنب مما لايكون لله ، واليه الاشارة بقوله عليه السلام فيه « ماظننت انك تجيب » . والثانى التجنب من الحرام بل المشتبه ،

واليه الاشارة بقوله عليه‌السلام «فانظر الى ماتقضمه من‌هذا المقضم». فبرعايتهما قوام الدين ، وبالاخلال بهما تحصل مفاسد كثيرة بيقين .

(الى عثمان بن حنيف) بالضم (الانصاري) قال «حد» : هو ابن حنيف بن واهب بن العكم بن ثعلبة بن الحرث. قلت: بل «بن عكيم» كما فى ذيل الطبرى وفى الاستيعاب ـ كما ان الظاهر « بن ثعلبة بن عمرو بن الحرث » كما يظهر من الاول فى أخيه سهل وان قال فيه «بن ثعلبة بن الحرث» .

(وهو) هكذا فى المصرية والصواب «وكان» كما فى «حد» و «ثم» (عامله على البصرة) فى المروج : لما أتى طلحة والزبير الى البصرة مانعهم عثمان بن حنيف وجرى قتال ، ثم انهم اصطلحوا على كف الحرب الى قدوم علي عليه السلام ، فلما كان فى بعض الليالى بيّتوه فأسروه وضربوه ونتفوا لحيته ، ثم انهم خافوا على مخلفيهم بالمدينة من أخيه سهل فخلوا عنه .

(وقد بلغه أنه دعي الى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها) وقالوا من شهد الولائم لقي الالائم .

قوله عليه السلام (اما بعد يابن حنيف) وفى الكشي عن الفضل بن شاذان انه من السابقين الذين رجعوا الى امير المؤمنين عليه السلام .

(فقد بلغنى ان رجلا من فتية اهل البصرة) قال « حد » اى من شبانهم اومن اسخيائهم . قلت : بل المراد به الاول مريداً به لازمه ، وهو الجهل ، كأنه قيل من جهالها بقرينة كونه عليه السلام فى مقام ذم اجابته .

(دعادك الى مأدبة) بضم الدال طعام يدعى الناس اليه ، وجمعها المئادب، قال الشاعر :

كأنّ قلوب الطير فى قعر عشها نوى القسب ملقى عند بعض المئادب

(فأسرعت اليها تستطاب لك الالوان) اى الوان الطعام (وتنقل اليك الجفان)

بالكسر جمع الجفنة . قال « حد » : ويروى « وكثرت عليك الجفان فكرعت واكلت اكل ذئب نهم او ضبع قرم » .

(وما ظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم) اى فقيرهم (مجفو) فلايدعونه (وغنيهم مدعو) ومن كان كذلك ممن يفرق بين الغني والعائل ولا يريد باطعامه وجهه تعالى فهو مذموم عنده تعالى .

فعن النبى صلى الله عليه وآله : من أطعم طعاماً رياءاً وسمعة أطعمه الله من صديد جهنم ، وجعل ذلك الطعام ناراً فى بطنه حتى يقضي بين الناس .

وكذلك كل عمل أريد به غير الله تعالى، فعن النبى صلى الله عليه وآله: من بنى بيتاً رياءاً وسمعة حمل يوم القيامة الى سبع ارضين ثم يطوّقه ناراً يوقد فى عنقه ثم يرمى فى النار .

وعنهم عليهم السلام : من نكح امرأة حلالا بمال حلال غير أنه أراد به فخراً ورياءاً وسمعة لم يزده الله بذلك الا ذلا وهواناً واقامه بقدر ما استمتع منها على شفير جهنم ثم يهوى به فيها سبعين خريفاً .

كما أن الفرق بين الغنى والعائل فى الاطعام ملوم عند الاحرار ، وفى بخلاء الجاحظ ان صاحب المأدبة اذا جاء رسوله والقوم فى انديتهم فقال : أجيبوا الى طعام فلان فجعلهم جفلة واحدة ـ وهى الجفالة ـ فذلك هو المحمود ، واذا انتقر فقال قم أنت يا فلان ويا فلان فدعا بعضاً وترك بعضاً فقد انتقر ، قال الهذلي :

وليلة يصطلى بالفرث جازرها ... يخص بالنقرى مثير من داعيها

وقال بعضهم :

آثر بالجدي وبالمائده ... من كان يرجو عنده الفائده

وقال طرفة :

نحن فى المشتاه ندعو الجفلى ... لا ترى الآدب فينا ينتقر

ولما غزا بسطام بن قيس الشيباني مالك بن المنتفق الضبي واثبته عاصم بن خليفة الضبي شدّ عليه فطعنه وهو يقول : هذا وفي الحفلة لا يدعوني ، كأنه حقد عليه حين لم يدعه .

كما أن الاجابة انما تحسن اذا كان الداعي مؤمناً ، قال النبي صلى الله عليه وآله : لو أن مؤمناً دعاني الى طعام ذراع شاة لاجبته وكان ذلك من الدين ، ولو أن مشركاً أو منافقاً دعاني الى جزور ما أجبته وكان ذلك من الدين .

وفي وصايا النبي صلى الله عليه وآله لابي ذر : أطعم طعامك من تحبه في الله وكل طعام من يحبك الله .

وعنهم عليهم السلام : لو دعي صائم ندب كان ثواب اجابة اخيه المؤمن أفضل من صومه بمراتب ، بل لو كان صوم فرض له عنه مندوحة فالفضل بالاجابة .

روى الجزري في ابراهيم بن عبيد أن ابا سعيد الخدري صنع طعاماً فدعا النبي واصحابه ، فقال رجل منهم: اني صائم . فقال صلى الله عليه وآله:تكلف لك اخوك وصنع طعاماً فأطعم وصم يوماً مكانه .

وكان عليه السلام يجيب المؤمنين ، وفي الخبر : ان حارث الاعور قال له عليه السلام : أحب ان تكرمني بأن تأكل عندي . فقال عليه السلام: على أن لا تتكلف لي، فدخل عليه السلام بيته وأتاه الحارث بكسر فجعل عليه السلام يأكل فقال الحارث : معي دراهم ـ وكانت له دراهم في كمه ـ فان أذنت لي اشتريت لك شيئاً . فقال عليه السلام : هذه مما في بيتك .

هذا وقال « حد » : ذم عليه السلام اهل البصرة فقال « عائلهم مجفو وغنيهم مدعو » ، وهذا كقول الشاعر :

فان تملق فأنت لنا عدو و ان تثرى فأنت لنا صديق

قلت : كلامه خبط ، فان قوله عليه السلام الجملة صفة « قوم » فهو ذم لذلك الرجل الذى دعا عثمان لان طعامه لم يكن لله ، كما أن الشعر فى مقام آخر غير ذم احد ، فانه فى مقام بيان ان الفقير مبغض الى الناس طبعاً ، حتى أنه لو كان صديقاً يكون عندهم كالعدو ، والغنى بالعكس حتى انه لو كان عدواً كان عندهم كالصديق .

هذا ، وفى العيون قال عدى بن حاتم لابن له حدث : قم بالباب فامنع من لاتعرف وآذن لمن تعرف . فقال : لاوالله لايكون أول شيء وليته من امر الدنيا منع قوم من الطعام .

(فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم) من قضمت الدابة شعيرها بالكسر (فما اشتبه عليك علمه) هل هو حلال او حرام (فالفظه) من لفظ الشيء من فمه أى رماه منه وما رماه لفاظه .

وفى المروج : كان لانوشروان مائدة من الذهب عظيمة عليها أنواع من الجواهر مكتوب عليها من جوانبها « ليهنه طعامه من اكله من حله ، وعاد على ذوى الحاجة من فضله ، ما أكلته وانت تشتهيه فقد اكلته ، وما اكلته وانت لاتشهيه فقد اكلك » .

(وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه) لعدم تبعة فيه . فى الخبر ولى على عليه السلام رجلا من ثقيف وقال له : اذا صليت الظهر فعد الي ، فعدت اليه فلم أجد عنده حاجباً ، فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز ماء ، فدعا بوعاء مشدود مختوم فقلت فى نفسى : لقد آمنني حتى أخرج الي جوهراً ، فكسر الختم وحله فاذا فيه سويق ، فأخرج منه فصبّه فى القدح وصب عليه ماء فشرب وسقاني ، فلم أصبر ان قلت : أتصنع هذا فى العراق وطعامه كما ترى فى كثرته ؟ فقال : أما والله ما اختم عليه بخلا بـه ، ولكني ابتاع قدر ما يكفينى فأخاف ان ينقص

فيوضع فيه من غيره ، وانا أكره ان يدخل بطني الا طيباً ، واياك وتناول مالا تعلم حله .

وفى الخبر : ما من عبد الا وبه ملك يلوي عنقه وقت حدثه حتى ينظر اليه ثم يقول له الملك : يا ابن آدم هذا رزقك فانظر من أين اخذته والى ما صار، فينبغى عند ذلك ان يقول : اللهم ارزقني الحلال وجنبى الحرام .

(ألا وان لكل مأموم اماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه) فى الارشاد : خرج عليه السلام ذات ليلة من المسجد ـ وكانت ليلة قمراء ـ فأم الجبانة، فلحقه جماعة يقفون اثره، فوقف ثم قال : من أنتم؟ قالوا: شيعتك. فتفرس فى وجوههم ثم قال: مالي لأرى عليكم سيماء الشيعة . قالوا : وما سيماء الشيعة ؟ قال: صفر الوجوه من السهر ، عمش العيون من البكاء ، حدب الظهور من القيام، خمص البطون من الصيام ، ذبل الشفاه من الدعاء ، عليهم غبرة الخاشعين .

وفى الخبر قال ابو الصباح الكناني للصادق عليه السلام : يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول : جعفرى خبيث . فقال عليه السلام : يعيركم الناس بى، ووالله ما أقل من يتبع جعفراً منكم ، ان اصحابى من اشتد ورعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه .

وقال الكاظم عليه السلام : كثيراً ما كنت أسمع ابى يقول : ليس من شيعتنا من لم يتحدث المخدرات بورعه فى خدروهن ، وليس من اوليائنا من هو فى قرية عشرة آلاف رجل فيهم خلق اورع منه .

فى تذكرة سبط ابن الجوزى عن كتاب ابن الغطريف باسناده عن ابى سعيد الخدرى قال : نظر النبى صلى الله عليه وآله الى على عليه السلام فقال : هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة .

(ألا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه) بالكسر الثوب الخلق .

قال الباقر عليه السلام: كان على عليه السلام يأكل اكل العبد ويجلس جلسة العبد، وانه كان ليشتري القميصين السنبلانيين فيخيّر غلامه خيرهما ثم يلبس الاخر، فاذا جاز اصابعه قطعه واذا جاز كعبيه حذفه، ولقد ولي خمس سنين ماوضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاء ولا حمراء، وان كان ليطعم الناس خبز البر واللحم وينصرف الى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل .

في ذيل الطبري : كان عطاء سلمان خمسة آلاف وكان على ثلاثين ألفاً من الناس يخطب في عبائه يفترش نصفها ويلبس نصفها ، وكان اذا خرج عطاؤه امضاه ويأكل من سفيف يده .

(ومن طعمه بقرصيه) وأدامه الملح أو اللبن الحامض ، فعن سويد بن غفلة: دخلت على علي عليه السلام فوجدت بين يديه اناء فيه لبن أجد ريح حموضته، وفي يده رغيف أرى قشير الشعر في وجهه ، وهو يكسره بيده ويطرحه فيه ، فقال : ادن فأصب من طعامنا . فقلت : اني صائم . فقلت لفضة ـ وهي بقرب منه قائمة ـ ويحك ألاتتقين الله في هذا الشيخ بنخل هذا الطعام . قالت: تقدم الينا الاننخل له طعاماً . قال : ما قلت لها ؟ فأخبرته فقال: بأبي وامي من لم ينخل له طعام ولم يشبع من خبز البر ثلاثة أيام حتى قبضه الله .

وكان عليه السلام يجعل جريش الشعير في وعاء ويختم عليه ، فقيل له في ذلك فقال : أخاف هذين الولدين ان يجعلا فيه شيئاً من زيت اوسمن .

في رجال الكشي : قال ابوذر من جزى الله عنه الدنيا خيراً فجزاه الله عني مذمة بعد رغيفي شعير اتغدى بأحدهما واتعشى بالاخر ، وبعد شملتي صوف اتزر باحداهما وارتدي بالاخرى .

(ألا وانكم لاتقدرون على ذلك) انما كان يقتدي به في الملبس والمطعم سلمان

وابوذر كمامر .

وفى جمل المفيد عن الواقدي انه عليه السلام فى حرب البصرة دعا بدرعه البتراء ولم يلبسها بعد النبى صلى الله عليه وآله الا يومئذ ، فكان بين كتفيه منها متوهياً ، وجاء وفى يده شسع نعل ، فقال له ابن عباس: ماتريد بهذا الشسع؟ قال: أربط بها ما قد توهى من هذا الدرع من خلفى . فقال له : أفى مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا ؟ فقال عليه السلام: لاتخف ان أوتى من وراثى، والله يا ابن عباس ما وليت فى زحف قط .

وفى النهج قال ابن عباس : دخلت عليه عليه السلام بذي قار عند خرجه الى الجمل وهو يخصف نعله بيده ، فقال لى: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت: لاقيمة لها . فقال عليه السلام : لهى أحب الى من امرتكم ـ الخ .

وفى تذكرة سبط ابن الجوزى عن الاحنف بن قيس قال: دخلت على معاوية فقدم الي من الحلو والحامض ماكثر تعجبى منه ثم قال : قدموا ذلك اللون ، فقدموا لوناً ما أدري ما هو ، فقال : مصارين البط محشوة بالمخ ودهن الفستق قد ذر عليه السكر . قال: فبكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: لله در ابن ابى طالب لقد جاء من نفسه بمالم تسمح به أنت ولاغيرك . فقال : وكيف ؟ قلت : دخلت عليه ليلة عند افطاره فقال لى: قم فتعش مع الحسن والحسين. ثم قام الى الصلاة، فلما فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه فأخرج منه شعيراً مطحوناً ثم ختمه، فقلت: لم أعهدك بخيلا يا امير المؤمنين . فقال : لم أختمه بخلا ولكن خفت أن يبسه الحسن أو الحسين بسمن أو اهالة . فقلت : أحرام هو؟ قال: لاولكن على ائمة الحق ان يتأسوا بأضعف رعيتهم حالا فى الاكل واللباس ولا يتميّزون عليهم بشىء ليراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه ويراهم الغنى فيزداد شكراً وتواضعاً .

(ولكن أعينونى بورع) عن المحارم قال تعالى «انما يتقبل الله من المتقين» وقال نبيه صلى الله عليه وآله : افضل الاعمال الورع عن محارمه .

(واجتهاد) فى الطاعات والعبادات. قال الصادق: كان على عليه السلام ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنة والنار ، يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه .

وكان عليه السلام لايفوته عبادة حتى اعانة المرأة والكسب وغرس الاشجار .

قال الباقر عليه السلام : كان على عليه السلام ماورد عليه امران كلاهما لله رضى الا اخذ بأشدهما على بدنه ، ولقد اعتق الف مملوك من كديده تربت فيه يداه وعرق فيه وجهه وما أطاق عمله احد من الناس ، وانه كان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة ، وان كان اقرب الناس شبهاً به على بن الحسين عليه السلام وما اطاق عمله احد من الناس بعده .

وقال الحسن عليه السلام صبيحة وفاته ـ كما فى مقاتل ابى الفرج ـ قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الاولون بعمل ولايدركه الاخرون بعمل ، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه ، ولقد كان يوجهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ـ الخبر .

وفى الخبر عنه عليه السلام : ما تركت صوم شعبان بعد ما سمعت منادى النبى صلى الله عليه وآله : ان شعبان شهري فأعينونى على صيامه .

وكان عليه السلام يرد بيته بعد الظهر ، فان كان طعام اتى عليه السلام به والا كان ينوي الصيام .

وورد فى انفاقاته عليه السلام آيات «والذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون» «ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة» «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً

وأسيراً * انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكوراً * انانخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نظرة وسروراً* وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ـ الى ـ ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً» .

وفى الخبر : كان على عليه السلام يمشي فى الاسواق وحده ـ وهو وال ـ يرشد الضال ويعين الضعيف، ويمر بالبقال والبياع فيفتح عليه ويتلو «تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لايريدون علواً فى الارض ولافساداً والعاقبة للمتقين» ويقول نزلت هذه الاية فى العدل والتواضع من أولى القدرة .

وفى الخبر : كان علي عليه السلام يحتطب ويستسقى ويكنس وفاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز .

وفى الخبر انه عليه السلام غرس مائة ألف نخلة .

(وعفة) قال رجل للباقر عليه السلام: انى ضعيف العمل قليل الصوم ولكنى ارجو الآكل الاحلالا . فقال عليه السلام له : أي الاجتهاد افضل من عفة بطن وفرج .

(وسداد) بالفتح «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون * نحن اوليائكم فى الحياة الدنيا وفى الاخرة ولكم فيها ماتشتهى انفسكم ولكم فيها ماتدعون» .

(فوالله ماكنزت من دنياكم تبراً) التبر الذهب غير مضروب ، فاذا ضرب فهو عين .

فى الكافي : قال عبد الاعلى مولى آل سام لابى عبد الله عليه السلام : ان الناس يرون ان لك مالاكثيراً . فقال : مايسوؤني ذلك ، ان امير المؤمنين عليه السلام مرّ ذات يوم على ناس شتى من قريش وعليه قميص مخرق ، فقالوا :

اصبح علي لامال له . فسمعها عليه السلام فأمر الذي يلى صدقته أن يجمع تمره ولايبعث الى انسان شيئاً وان يوفره، ثم قال له بع الاول فالاول واجعلهادراهم ثم اجعلها حيث يجعل التمر فاكبسه معه حيث لايرى ، وقال للذى يقوم عليه اذا دعوت بالتمر فاصعد وانظر المال فاضربه برجلك كأنك لاتعمد الدراهم حتى تنثرها، ثم بعث الى رجل منهم يدعوهم ثم دعا بالتمر فلماصعدينزل بالتمر ضرب برجله فانتشرت الدراهم فقالوا: ماهذا ياابا الحسن ؟ قال : هذامال من لامال له . ثم امر بذلك المال فقال : انظروا كل أهل بيت ابعث اليهم فانظروا ماله وابعثوا له .

(ولاادخرت من غنائمها وفراً) أي مالاكثيراً كالناس .

فى المروج: بنى عثمان داره فى المدينة وشيدها بالحجر والكاس ، وجعل ابوابها من الساج والعرعر ، واقتنى اموالا وجناناً وعيوناً بالمدينة ، وكان عند خازنه يوم قتل من المال خمسون ومائة ألف دينار والف الف درهم ، وقيمة ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائة الف دينار، وخلف خيلا كثيراً وابلا.

وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وخلف ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططاً فى البصرة والكوفة ومصر والاسكندرية وداره بالبصرة المعروفة به فى هذا الوقت سنة (٣٣٢) تنزلها التجار وارباب الاموال وأصحاب الجهات من البحرين وغيرهم .

وكذلك طلحة داره بالكوفة المشهورةبه فى هذا الوقت المعروفةبالكناس بدار الطلحيين ، وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل اكثر ، وبناحيته سراة اكثر ، وشيد داره بالمدينة وبناها بالاجر والجص والساج .

وكذلك عبد الرحمن بن عوف ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً.

وذكر سعيد بن المسيب ان زيد بن ثابت خلف من الذهب والفضة ماكان

يكسر بالفؤس ، غير ماخلف من الاموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار .

ومات يعلى بن امية وخلف خمسمائة الف دينار وديوناً على الناس وعقارات وغيرها ماقيمته مائة ألف دينار .

فى جمل المفيد : روى الثورى عن داود بن ابى هند عن ابى حريز الاسود قال : لما قدم طلحة والزبير البصرة ارسلا الى اناس من أهل البصرة انافيهم ، فدخلنا بيت المال معهما، فلما رأيا مافيه من الاموال قالا هذا ماوعدنا الله ورسوله «وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه» وقالا: نحن أحق بهذا المال من كل احد ـ الى أن قال بعدظفره عليه السلام ـ دعانا علي عليه السلام فدخلنا معه بيت المال ، فلما رأى مافيه ضرب احدى يديه على الاخرى وقال : غري غيرى. وقسّمه بين اصحابه خمسمائة خمسمائة بالسوية حتى لم يبق الاخمسمائة درهم وعزلها لنفسه، جاءه رجل وقال : انا اسمي سقط من كتابك . فقال عليه السلام : ردوها عليه. ثم قال : الحمد لله الذي لم يصل الي من هذا المال شيئاً ووفره على المسلمين .

وفيه روى ابو مخنف عن رجاله قال : لما أراد علي عليه السلام التوجه الى الكوفة قام فى اهل البصرة فقال : ماتنقمون علي ياأهل البصرة والله انهما ـ وأشار الى قميصه وردائه ـ لمن غزل اهلى، وماتنقمون مني ياأهل البصرة والله ماهى ـ واشار الى صرة فى يده فيها نفقته ـ الامن غلتي بالمدينة، فان أناخرجت من عندكم بأكثر مما ترون فأنا عند الله من الخائنين .

(ولا أعددت لبالي) أي اندراس (ثوبى طمراً) وفى الخبر انه عليه السلام كان يغسل ثوبه ويلبسه ويجفه على بدنه لعدم عوض له .

(ولاحزت من ارضها شبراً ولااخذت منه الاكقوت اتان) انثى الحمار (دبره) من «دبر البعير وادبره القتب» .

(ولهي فى عينى أوهى وأهون من عفصة) من «طعام عفص» فيه تقبض (مقره) من «مقر الشيء» صار مرأ ، وليس فى ثم قوله «ولاحزت» ـ الى هنا وانما هو فى «حد» اخذته المصرية عنه لكن ليس فيه «أوهى وأهون» معاً ، والظاهر انها رأتهما بالنسخة البدلية فجمعت بينهما .

قوله عليه السلام (وانما هى نفسي أروضها) من رضت المهر أروضه رياضاً ورياضة ، أو من روضته للمبالغة (بالتقوى) فى الخبر بعث النبى صلى الله عليه وآله سرية ، فلما رجعوا قال : مرحباً بقوم قضوا الجهاد الاصغر وبقي عليهم الجهاد الاكبر . قيل له : وماالجهاد الاكبر؟ قال: جهاد النفس، ان أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه .

وفى الحلية فى سفيان بن عيينة : عن عاصم بن كليب عن ابيه ان علياً عليه السلام قسّم مافي بيت المال على سبعة أسباع، ثم وجد رغيفاً فكسره سبع كسر ثم دعا امراء الاجناد فأقرع بينهم .

وعن سالم بن ابى الجعد عن ابيه قال : رأيت الغنم تبعر فى بيت مال علي عليه السلام فيقسّمه .

وعن الاعمش : ان علياً عليه السلام كان اذا قسّم مافى بيت المال نضحه ثم صلّى فيه ركعتين .

(لتأتى آمنة يوم الخوف الاكبر وتثبت على جوانب المزلق) مزلق الاقدام «يوم لاينفع مال ولابنون الامن اتى الله بقلب سليم» «الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون» «وان منكم الاواردها كان على ربك حتماً مقضياً * ثم ننجى الذين اتقّوا ونذر الظالمين فيها جثياً» «تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيّا» .

وفى الخبر : على الصراط قنطرة لايجوزها من كان فى رقبته مظلمة .

ورد فى تفسير قوله تعالى « ان ربك لبالمرصاد » لاتدع النفس وهواها ، فان هواها فى رداها ، وكف النفس عما يهوى دواها .

هذا ، ونظر رجل الى روح بن حاتم واقفاً فى الشمس ، فقيل له فى ذلك فقال : ليطول وقوفى فى الظل .

اهين لهم نفسي لاكرمها بهم ومن يكرم النفس التى لاتهينها

(ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل) فى المروج: استسقى عليه السلام يوم الجمل فأتى بعسل وماء ، فحسا منه حسوة وقال : هذا الطائفي وهو غريب البلد. فقال له عبدالله بن جعفر : ما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا؟ قال : انه والله يا بني ما حلا بصدر عمك شيء قط من امر الدنيا .

(ولباب) بالضم اللب ضد القشر ، قال :

أليس بذى المكارم فى قريش اذا عدت وذى الحسب اللباب

(هذا القمح) اى البر ، وفى حديث الحسن البصرى « لباب البر بلعاب النحل » .

هذا ، وفى النفحة : ارسل سني الى شيعى شيئاً من الحنطة ـ وكانت عتيقة ـ فردها عليه ، ثم ارسل اليه عوضها جديدة لكن فيها تراب ، فكتب اليه بعد قبولها :

بعثت لنا بدال البر براً رجاء للجزيل من الثواب

رفضناه عتيقاً و ارتضينا به اذ جاء وهو ابو تراب

ولا يخفى ما فيه من النكات اللطيفة ، جمعه بين الرفض دلالة على تشيعه ، وتركه العتيق وهو لقب ابى بكر ، والمرتضى لقب امير المؤمنين وابى تراب كنيته عليه السلام .

(ونسائج) جمع نسيج ، اى منسوجات (هذا القز) اى الابريسم .

وكان يقال لعمرو بن عامر من ملوك اليمن « مزيقياء » ، لانه كان يلبس كل يوم حلتين فيمزّقهما بالعشي ويكره أن يعود فيهما ويأنف ان يلبسهما غيره.

قال « حد » : روى بدل قوله عليه السلام « ولو شئت ـ الى ـ هذا القز» « ولو شئت لاهتديت الى هذا العسل المصفى ولباب هذا البر المنقّى ، فضربت هذا بذاك حتى ينضح وقوداً ويستحكم معقوداً » .

قلت : وفي رواية امالي ابن بابويه « ولو شئت لتسربلت بالعبقري المنقوش من ديباجكم ، ولاكلت لباب هذا البر بصدور دجاجكم ، ولشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم ، ولكنّي أصدّق الله جلت عظمته حيث يقول « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون * اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار » ، فكيف استطيع الصبر على نار لوقذفت بشررة الى الارض لاحرقت نبتها، ولو اعتصمت نفس بقلّة لانضجها وهيج النار في قلبها » .

(ولكن هيهات) أي بعد (أن يغلبني هواي) « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فان الجنة هي المأوى » .

(ويقودني جشعي) الجشع شدة الحرص على الطعام ، قال :

وان مدت الايدي الى الزاد لم اكن بأعجلهم اذا عجل القوم اجشع

(الى تخيّر الاطعمة) قالوا : من كان همّه ما يدخل في بطنه كانت قيمته ما يخرج من بطنه .

(ولعل بالحجاز) في المعجم عن الاصمعي الحجاز من تخوم صنعاء من العبلاء وتبالة الى تخوم الشام ، وانما سمي حجازاً لانه حجز بين تهامة ونجد ، فمكة تهامية والمدينة والطائف حجازية . وعن هشام الحجاز ما بين جبلي طي الى طريق العراق لمن يريد مكة .

وفى الصحاح: سميت بذلك لانها حجزت بين نجد والغور، وقال الاصمعى لانها احتجزت بالحرار الخمس منها حـرة بنى سليم وحرة واقم ، يقال احتجز بأزار أى شده على وسطه .

(أو اليمامة) فى المعجم فى السير اليمامة كانت منازل طسم وجديس وكانت تدعى جواً .

وفى الصحاح : اليمامة اسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب مـن مسيرة ثلاثة أيام يقال أبصر من زرقاء اليمامة ، سميت البلاد باسم هذه الجارية .

(من لاطمع له فى القرص ولاعهد له بالشبع) فى عيون القتيبى: قيل ليوسف عليه السلام مالك تجوع وأنت على خزائن الارض؟ قال : أخاف ان أشبع فأنسى الجائع .

(اوأبيت مبطاناً) ممتلأ البطن (وحولي بطون غرثى) أى جائعة . قال بعضهم :

يملّىء بطنه والجـار جائـع ويحفظ ماله والعرض ضائع

(واكباد حرى) أى عطشى . كتب المأمون الى الرستمى ـ وقد تظلم منـه غريم ـ ليس مـن المروة أن تكون أوانيـك من الذهب والفضة وجارك طـاو وغريمك عاو .

ولدعبل :

وضيف عمرو وعمرو يسهران معاً عمـرو لبطنتـه والضيف للجـوع

وللصابى :

و شبع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه

وفى عقاب الاعمال عن السجاد عليه السلام : من بات شبعان وبحضرتـه مؤمن جائع طاو قال عزوجل لملائكته: اشهدكم على هذا العبدانى امرته فعصاني

واطاع غيرى وكلته الى عمله ، وعزتى وجلالى لاغفرت له ابداً .

(او اكون كما قال القائل :

وحسبك داءان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحنّ الى القد)

القد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ ، وفلان ما يعرف القد من القد أى مسك السخلة من السير . وفى الجمهرة قد الشيء قداً اذا قطعه مستطيلا ، وبه سمي القد الذى يقد من الاديم الفطير ، والقد - بفتح القاف - خلاف القط ، القد طولا والقط عرضاً ، وفى الحديث « ان علياً عليه السلام كان اذا اعتلى قدّ واذا اعترض قط » ، والقد - بكسر القاف - سيور تقد من جلد فطير يشد بها الاقتاب والمحامل وغيرها .

قال « حد » هذا البيت منسوب الى حاتم الطائى ، وأول ابياته :

ايا ابنة عبد الله و ابنة مالك ويا ابنة ذى الجدين والفرس الورد

اذا ما صنعت الزاد فالتمسى له اكيلا فانى لست آكله وحدى

قصياً بعيداً او قريباً فأنني اخاف مذمات الاحاديث من بعدى

كفى بك عاراً ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحنّ الى القد

وانى لعبد الضيف ما دام نازلا وما من خلالى غيرها شيمة العبد

قلت : لم يذكر مستنده فى كون الابيات لحاتم ، وقد نسب المبرد في كامله الابيات الثلاثة الاولى والاخير الى قيس بن عاصم المنقرى ، ولم ينقل فيها الرابع شعر كلامه عليه السلام . ونقل ابن قتيبة فى عيونه ايضاً الابيات الثلاثة الاولى وذكر بدل الاخيرين :

وكيف يسيغ المرء زاداً وجاره خفيف المعى بادى الخصاصة والجهد

وللموت خير من زيارة باخل يلاحظ اطراف الاكيل على عمد

ولم يذكر قائلها ، فلعل « حد » قال منسوب الى حاتم حدساً لشهرته فى

الجود والايثار ، فكان يتجوع ويشبع جاره .

ففى شعراء ابن قتيبة : قالت نوّار امرأة حاتم : أصابتنا سنة أقشعرت لها الارض واغبرت الافاق، فضنت المراضع عن أولادها فما تبض بقطره وراحت الابل حدباً حدابيس وحلقت ألسنة المال وأيقنا انه الهلاك من الجوع ، فقام حاتم الى الصبيين وقمت الى الصبية فوالله ما سكتوا الا بعد هدأة من الليل ، واقبل يعللني بالحديث فعلمت الذى يريد فتناومت ، فلما تجورت النجوم اذا شيء قد رفع كسر البيت فقال : من هذا ؟ فذهب ثم عاد فقال : من هذا،فذهب ثم عاد فى آخر الليل فقال : من هذا ؟ فقال : جارتك فلانة اتتك من عندأصبية يتعاوون عواء الذئاب من الجوع فما اجد معولا الا عليك أبا عدي . فقال : اعجليهم فقد اشبعك الله واياهم . فأقبلت المرأة تحمل اثنين وتمشي جنباتها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها ، فقام الى فرسه فوجالبته بمدية ثم كشطه ودفع المدية الى المرأة فقال : شأنك الان فاجتمعوا على اللحم فقال سوأة أتاكلون دون الصريم، ثم اقبل يأتيهم بيتاً بيتاً ويقول هبوا أيها القوم عليكم بالنار،فاجتمعوا فالتفع ناحية بثوبه ينظر الينا ولا والله ما ذاق منه مضغة وانه لاحوج اليه منا ، فأصبحنا وما على الارض الاعظم وحافر ، فعذلته على ذلك فقال :

مهلا نوار أقلى اللوم والعذلا ولا تقولى لشيء فات ما فعلا

وفيه ايضاً: اتى حاتم ماوية بنت عفرز يخطبها ، فوجد عندها النابغة الذبيانى ورجلا من نبيت يخطبانها ، فقالت : انقلبوا الى رحالكم وليقل كل واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه فانى متزوجة اكرمكم واشعركم . فانطلقوا ونحر كل واحد منهم جزوراً ولبست ماوية ثياب امة لها واتبعتهم، فأتت النبيتى فاستطعمته فأطعمها ذنب جزوره فأخذته ، وأتت النابغة فأطعمها مثل ذلك ، واتت حاتماً فأطعمها عظماً من العجز وقطعة من السنام وقطعة من الحارك - أى الكاهل - فانصرفت

وأهدى لها كل منهم باقي جزوره وأهدى لها حاتم مثل ما اهدى الى واحدة من جاراته، وصبّحها القوم فأنشدها النابغة :

هلا سألت هداك الله ما حسبى ... اذا الدخان تغشى الاشمط البرما
انى أتمم ايسارى وامنحهم ... مثنى الايادى واكسو الجفنة الادما

وانشدها النبيتى :

هلا سألت هداك الله ما حسبى ... عند الشتاء اذا ماهبت الريح
اذا اللقاح غدت ملقى اصرتها ... ولاكريم من الولدان مصبوح

وأنشدها حاتم :

أماوى ان المال غاد و رائح ... ويبقى من المال الاحاديث والذكر
اماوى انى لا اقول لسائل ... اذا جاء يوماً حل فى مالنا نزر
اماوى اما مانع فمبين ... و اما عطاء لاينهنهه الزجر
أماوى ان يصبح صداى بقفرة ... من الارض لا ماء لدي ولا خمر
ترى ان ما انفقت لم يك ضرنى ... وان يدى مما بخلت به صفر
وقد علم الاقوام لو ان حاتماً ... اراد ثراء المال كان له وفر

فلما فرغوا من انشادهم ، دعت بالمائدة وقدمت الى كل واحد منهم ماكان أطعمها ، فنكس النبيتى والنابغة رؤوسهما ، فلما رأى حاتم ذلك رمى بالذى قدم اليه اليهما وأطعمهما ، فتسللا لواذاً، فتزوجت حاتم وكانت من بنات ملوك اليمن .

وفى المروج : قال عبد الملك لبنيه : أحسابكم احسابكم صونوها ببذل اموالكم ، فما يبالى رجل ما قيل فيه من الهجو بعد قول الاعشى :

تبيتون فى المشتى ملأ بطونكم ... وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وفى كنايات الثعالبى: كان اصحاب النبى صلى الله عليه وآله اذا قعدوا عنده

كأن على رؤوسهم الطير ، فانبرى يوماً حسان فأنشده قول الاعشى :

كلا ابويكم كان فرعى دعامة ولكنهم زادوا واصبحت ناقصا

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

فقال له النبى صلى الله عليه وآله: لاتنشدهجاء علقمة ، فان ابا سفيان شغب مني عندهرقل فعزب عليه علقمة . فقال حسان : يارسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره . فما سمع فى الكناية عن الوقيعة بأحسن من قوله صلى الله عليه وآله « شغب مني » ولا فى الكناية عن الانكار والاحتجاج كقوله « فعزب عليه » ولا فى الاعتذار كقول حسان « من نالتك يده » ـ الخ .

هذا ، وفى الاغانى قال متمم بن نويرة لعمر ـ لما سأله عن اخيه مالك ـ انه اسرنى حيّ من العرب فشدّونى وثاقاً بالقد وألقونى بفنائهم ، فبلغه خبرى فأقبل على راحلته حتى انتهى الى القوم وهم جلوس فى ناديهم ، فلما نظر الي اعرض عنى ونظر القوم اليه فعدل اليهم وعرفت ماراد ، فسلمّ عليهم وحادثهم وضاحكهم وانشدهم، فوالله ان زال كذلك حتى ملائهم سروراً وحضر غداءهم، فسألوه ليتغدى معهم فنزل واكل ثم نظر الي وقال: انه لقبيح بنا ان نأكل ورجل ملقى بين ايدينا لايأكل معنا ، وامسك يده عن الطعام ، فلما رأى ذلك القوم نهضوا وصبوا الماء على قدي حتى لان وحلونى ثم جاؤا بى فأجلسونى معهم على الغداء ، فلما اكلنا قال لهم : أما ترون تحرم هذا بنا واكل معنا انه لقبيح بكم ان تردوه الى القد فخلوا سبيلى .

وفيه : مر فضالة بن شريك بعاصم بن عمر بن الخطاب وهو منتبذ بناحية المدينة ، فنزل به ولم يقره شيئاً ولم يبعث اليه ولاالى اصحابه بشيء . وقد عرّفوه مكانهم ، فارتحلوا عنه والتفت فضالة الى مولى لعاصم فقال له قل له : اما والله لاطوقنك طوقاً لايبلى . وقال :

الأأيها الباغي القرى لست واجداً قـراك اذا مابت فى دار عاصـم

اذا جئته تبغى القرى بـات نائمـاً بطينـاً وامسى ضيفـه غير نـائم

وروى الحلية ان اويس القرنى كان اذا أمسى تصدق بما فى بيته من الفضل من الطعام والثياب ، ثم يقول : اللهم من مات جوعاً فلاتؤاخذنى به ومن مات عرياناً فلاتؤاخذنى به .

هذا ، وفى الخبر ان على بن الحسين عليه السلام قال لمولاة له يوم جمعة: لايعبر على بابى سائل الااعطيتموه فان اليوم الجمعة. فقال له ابو حمزة الثمالى: ليس كل من يسأل مستحقاً . فقال عليه السلام : اخاف ان يكون بعض من يسألنا مستحقاً فلانطعمه فينزل بنا اهل البيت مانزل بيعقوب، ان يعقوب كان يذبح كل يوم شاة فيتصدق منه ويأكـل هو وعياله ، وان سائـلا صواماً محقاً له عند الله منزلة ـ وكان غريباً مجتازاً ـ اعتر على بـاب يعقوب عشيـة جمعة عند أوان افطاره يهتف على بابه اطعموا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكـم ـ هتف بذلك مراراً ـ وهـم يسمعونه ولم يصدقوا قوله ، فلما يئس ان يطعموه وغشيه الليل استعبر وشكا جوعه الى الله تعالى وبات طاوياً واصبح صابراً، وبات يعقوب وآله شباعاً بطاناً وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم، فأوحى تعالى الى يعقوب : اذللت عبدى ذلة استجررت بها غضبى واستوجبت بها ادبى ، ونزول عقوبتى عليك وعلى ولدك ، يايعقوب ان أحب انبيائى الي من رحم مساكين عبادى وأطعمهم، وكان لهم مأوى وملجأ . يايعقوب أما رحمت عبدي بات طاوياً حامداً لى وانت وولدك شباع وعندكم فضلة، او ماعلمت ان العقوبة الى اوليائى اسرع منهـا الى اعدائى ، وذلك حسن النظر منى لاولـيائى واستدراج منـى لاعدائى ، اما وعزتى لاجعلنك وولدك غرضاً لمصائبى .

(ءاقنع من نفسي بأن يقال لى امير المؤمنين ولااشاركهم فى مكاره الدهر)

كان المسلمون يوم القادسية وسعد بن ابى وقاص اميرهم كان فى القصر ينظر اليهم ، فقال بعضهم :

فأبنـا وقد آمت نسـاء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيـم

وفى الباب (٦٥) من معيشة الكافى عن حماد بن عثمان : أصاب اهـل المدينة غلاء وقحط حتى أقبـل الرجل الموسر يخلط الحنطة بالشعير ويأكـله ويشتري ببعض الطعام، وكان عند ابى عبد الله عليه السلام طعام جيد قد اشتراه اول السنة ، فقال لبعض مواليه : اشتر لنا شعيراً فاخلط بهذا الطعام أوبعه فانا نكره ان نأكل جيداً ويأكل الناس رديأ .

(أولا اكون لهم اسوة) أي قدوة (فى جشوبة) أي غلظة (العيش فماخلقت ليشغلنى اكل الطيبات) انما خلق الانسان لعبادة ربه وعرفانه لااللاكل ، وانمـا جعل له الاكل ليحيى، وبينهما بون بعيد .

(كالبهيمة المربوطة همها علفها أو) البهيمة (المرسلة شغلهاتقممها)اى رتعها واكلها بشفتيها ، فمن حسب ان خلقه لاكله يكون ـ كما قال عليه السلام ـ احد حيوانين مربوطاً أومرسلا، قال تعالى «انيأكلون الاكما تأكل الانعام» (تكترش) أي تملأ كرشها، اي معدتها (من اعلافها وتلهو) أي تغفل (عما يراد بها) من الذبح، ونظير قوله عليه السلام قول الاخر :

ان هى الاكالمعلوفة للمدى لاتعـرف مـاذا يـراد بهـا

«ان هم الاكالانعام بل هم أضل» .

(او أترك سدى) بالضم أي مهملا «أيحسب الانسان ان يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنى* ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والانثى * أليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى» .

(او اهمل عابثاً) «افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لاترجعون» .

(او اجر حبل الضلالة) اي اترك مع حبل الضلالة .

(او اعتسف) اى اسير على غير الطريق (طريق المتاهة) المفازة يتاه فيها .

(فاتق الله يا ابن حنيف ، ولتكفك اقراصك لتكون من النار خلاصك) فى المروج : دخل شريك يوماً على المهدي فقال له : لابد ان تجيبنى الى خصلة واحدة من ثلاث . قال : وماهن ؟ قال : اما ان تلى القضاء ، او تحدث ولدي وتعلمهم ، او تأكـل اكلة . ففكر ثم قال : الاكلة اخفهن على نفسى ، فاحتبسه وقدم الى الطباخ ان يصلح له ألواناً من المخ المعقود بالسكر الطبرزد والعسل، فلمـا فرغ من غدائه ، قال قيم المطبخ للمهدي : ليس يفلح الشيخ بعد هـذه الاكلة أبداً. قال الفضل بن الربيع: فحدثهم والله شريك بعد ذلك، وعلم أولادهم، وولى القضاء لهم .

ولقد كتب بارزاقه الى الجهبذ فضايقه فى النقص ، فقال له الجهبذ : انك لم تبع براً . قال له شريك : بلى والله بعت اكبر من البر ، بعت دينى .

١٢٢/١٣/ ومن كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية فى العطاء : اتأمرونى ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه ، والله ما أطور به ما سمر سمير وما أم نجم فى السماء نجماً ، لو كان المال لى لسويت بينهم، فكيف وانمـا المال مال الله ، ألا وان اعطـاء المال فى غير حقه تبذيـر واسراف ، وهـو يرفع صاحبه فى الدنيا ويضعه فى الاخرة ويكـرمه فى الناس ويهينه عند الله ، ولم يضع امرؤ ماله فى غير حقه ولا عند غير اهله الا حرمه الله شكرهم وكان لغيرهم ودهم، فان زلت به النعل يوماً فاحتاج الى معونتهم فشر خدين وألام خليل .

١٣٨/و/ ومن كلام له عليه السلام : وليس لواضع المعروف فى غير حقه وعند غير اهله من الحظ الا محمدة اللئام وثناء الاشرار ومقالة الجهـال،

ما دام منعماً عليهم ما أجوديده ، وهو عن ذات الله بخيل ، فمن آتاه الله مالا فليصل بهالقرابة ، وليحسن منه الضيافة ، وليفك به الاسيروالعانى وليعط منه الفقير والغارم ، ويصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب ، فان فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الاخرة انشاءالله .

أقول : الاصل فيهما مارواه الكافى فى كتاب زكاته فى باب وضع المعروف موضعه مسنداً عن ابى مخنف قال : اتى امير المؤمنين عليه السلام رهط من الشيعة فقالوا : لوأخرجت هذه الاموال ، ففرقتها فى هؤلاء الرؤساء والاشراف وفضلتهم علينا حتى اذااستوسقت الامور عدت الى افضل ماعودك الله من القسم بالسوية والعدل فى الرعية .فقال عليه السلام : اتأمرونى ويحكم ان أطلب النصر بالظلم والجورفيمن وليت عليه من اهل الاسلام، لاوالله لايكون ذلك ماسمر السمير، ومارأيت فى السماء نجماً ، والله لوكانت اموالهم مالى لساويت بينهم فكيف وانما هى اموالهم .

ثم ازم ساكتاً طويلا ثم رفع رأسه فقال: من كان منكم له مال فاياه والفساد، فان اعطاه فى غير حقه تبذير واسراف وهو يرفع ذكرصاحبه فى الناس ويضعه عند الله ، ولم يضع امرؤ ماله فى غير حقه وعند غير اهله الاحرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم ، فان بقى معه منهم بقية ممن يظهر الشكر له ويريه النصح فانما ذلك ملق منه وكذب ، فان زلت بصاحبهم النعل ثم احتاج الى معونتهم ومكافأتهم فآلم خليل وشرخدين ، ولم يضع امرؤ ماله فى غير حقه وعند غير اهله الالم يكن له من الحظ فيما اتى الامحمدة اللئام وثناء الاشرار مادام عليه منعماًمفضلا، ومقالة الجاهل مااجوده وهو عند الله بخيل ، فأي حظ ابور واخسر من هذا الحظ ، واي فائدة معروف اقل من هذا المعروف ، فمن كان له منكم

مال فليصل به القرابة وليحسن منه الضيافة وليفك به العاني والاسير وابن السبيل، فان الفوز بهذه الخصال مكارم الدنيا وشرف الاخرة ـ ورواه تحف عقول ابن ابى شعبة مثله .

ومارواه أمالي المفيد فى مجلسه (٢٢) باسناده عن الثقفى باسناده عن المدائني باسناده عن ربيعة وعمارة وغيرهما: ان طائفة من أصحاب على عليه السلام مشوا اليه عند تفرق الناس عنه وفرار كثير منهم الى معاوية طلباً لما فى يديه من الدنيا فقالوا له : اعط هذه الاموال ، وفضّل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالى والعجم ، ومن تخاف خلافه عليك من الناس وفراره الى معاوية. فقال عليه السلام لهم : اتأمرونى ان اطلب النصر بالجور ، لاوالله لاأفعل مـا طلعت شمس ولاح فى السماء نجم ، والله لوكانت اموالهم لى لواسيت بينهم فكيف وانما هى أموالهم . ثم ازم عليه السلام طويلا ساكتاً ثم قال: من كان له مال فاياه والفساد ، فان اعطاء المال فى غير حقه تبذير واسراف ، وهـو وان كان ذكـراً لصاحبه فى الدنيا فهو يضعه عند الله عز وجل، ولم يضع رجل ماله فى غير حقه وعند غير اهله الاحرمه الله تعالى شكره وكان لغيرهم وده، فان بقى معه من يظهر له الشكر فانما هو ملق وكذب يريد التقرب به اليه لينال منه مثل الذي كان يأتى اليه من قبل ، فان زلت بصاحبه النعل واحتاج الى معونته او مكافأته، فشر خليل وألام خدين ، ومن صنع المعروف فيما آتاه الله فليصل به القرابة وليحسن به الضيافة وليفك به العاني وليعن به الغارم وابن السبيل والفقراء والمجاهدين فى سبيل الله وليصبّر نفسه على النوائب والخطوب، فان الفوز بهذه الخصال أشرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الاخرة . وروى كتاب الثقفى مثله ٧٤ غارات /١/ .

وفى خلفاء ابن قتيبة ـ بعد ذكر ترغيبه عليه السلام الناس للعود الى صفين وتثبطهم ـ فقام رجال من أصحابه فقالوا : اعط هؤلاء هذه الاموال وفضّل هؤلاء

الاشراف من العرب وقريش على الموالي ممن يتخوف خلافه على الناس وفراقه. وانما قالوا له هذا للذي كان معاوية يصنعه لمن اتاه ، وانما عامة الناس همهم الدنيا ، ولها يسعون وفيها يكدحون ، فاعط هؤلاء الاشراف فاذا استقام لك ما تريد عدت الى أحسن ما كنت عليه من القسم. فقال عليه السلام: اتأمرونى ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من اهل الاسلام، فوالله لا أفعل ذلك مالاح فى السماء نجم ، والله لو كان لى لسويت بينهم فكيف وانما هى اموالهم .

قول المصنف فى الاول (ومن كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية فى العطاء) هكذا فى المصرية و « ثم »، وزاد «حد» عليه « وتصييره الناس أسوة فى العطاء من غير تفضيل اولى السابقات والشرف »، لكن الظاهر كونه حاشية خلط بالمتن ، أما فى نسخة نهجه او نسخة الشرح .

وكيف كان فعدله عليه السلام فى القسمة بالسوية وعدم اعطائه من ليس بذي حق كان سبب نفرة الناس عنه عليه السلام . روى الطبرى فى ذيله عن عطاء ، قال : قال رجل لابى عبد الرحمن السلمى : أنشدك الله متى ابغضت علياً عليه السلام ، أليس حين قسّم قسماً بالكوفة فلم يعطك ولا اهل بيتك . قال : أما اذ نشدتنى فنعم .

كما ان سبب تقدم معاوية والمتقدمين عليه عليه السلام مصانعة الناس على خلاف الدين ، ففى صفين نصر بن مزاحم : أتى ابن مسروق العكى الى معاوية فى صفين فقال له : اجعل لنا فريضة ألفى رجل فى ألفين ألفين لنقر اليوم عينك. قال : ذلك لك .

ولما اشترطت عك والاشعرون على معاوية ما اشترطوا من الفريضة والعطاء فأعطاهم لم يبق من اهل العراق أحد فى قلبه مرض الاطمع فى معاوية وشخص

بصره اليه حتى فشا ذلك ، وبلغ ذلك علياً عليه السلام فساءه ـ الى أن قال ـ قال معاوية : والله لاستميلن بالاموال اهل ثقات علي، ولا قسمن فيهم المال حتى تغلب دنياى آخرته .

وروى المدائنى ـ كما نقله « حد » فى شرح (ومن خطبة له عليه السلام فى استنفار الناس) ـ عن فضيل بن الجند قال : آكد الاسباب فى تقاعد العرب عنه عليه السلام امر المال ، فانه لم يكن يفضّل شريفاً على مشروف ولا عربياً على عجمى ، ولايصانع الرؤساء وامراء القبائل كما يصنع الملوك ، ولايستميل أحداً الى نفسه ، وكان معاوية بخلاف ذلك ، فترك الناس علياً عليه السلام والتحقوا بمعاوية ، فشكا على عليه السلام ذلك الى الاشتر فقال له الاشتر : انا قاتلنا اهل البصرة ورأي الناس واحد، وقد اختلفوا بعد وتعادوا وضعفت النية وقلّ العدد، وأنت تأخذهم بالعدل وتعمل فيهم بالحق، وتنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع ، فضجت طائفة ممن معك من الحق اذ عموابه واغتموا من العدل اذ صاروا فيه ، ورأوا صنائع معاوية عند اهل الغناء والشرف فتاقت انفس الناس الى الدنيا وقل من ليس للدنيا بصاحب، واكثرهم يجتوى الحق ويشترى الباطل ويؤثر الدنيا ، فان تبذل المال تميل اليك أعناق الرجال وتصفو نصيحتهم لك.

فقال عليه السلام : أما ماذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل ، فان الله تعالى يقول « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » وأنا من ان اكون مقصراً فيما ذكرت اخوف .

وأما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك ، فقد علم الله انهم لم يفارقونا من جور و لالجأوا اذ فارقونا الى عدل ، ولم يلتمسوا الا دنياً زائلة عنهم كانوا فارقوها ، وليسئلن يوم القيامة آلدنيا ارادوا ام لله عملوا .

وأما ما ذكرت من بذل الاموال واصطناع الرجال فانه لايسعنا أن نؤتى امرء من الفيء اكثر من حقه وقد قال سبحانه ـ وقوله الحق ـ «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين» ، وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وحده فكثّره بعد القلة وأعز فئته بعد الذلة وأن يرد الله ان يولينا هذا الامر يذلل لنا صعبه ويسهل لنا حزنه ، وانا قابل من رأيك ما كان لله عزوجل رضى ، وأنت من آمن الناس عندى وأنصحهم وأوثقهم فى نفسى انشاءالله .

وروى الاسكافى فى نقض عثمانيته ـ وقد نقله «حد» فى شرح قوله عليه السلام «دعونى والتمسوا غيرى» ـ انه عليه السلام قال بعد بيعة الناس له وخطبته ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجّروا الانهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الروقة ، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً اذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه واصرتهم الى حقوقهم التى كانوا يعلمون ، فينقمون ذلك ويستنكرون ـ حرمنا ابن ابى طالب حقوقنا . الا وأيما رجل من المهاجرين والانصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته ، فان الفضل النير غداً عند الله وثوابه وأجره على الله . وأيما رجل استجاب لله فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا ، فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده ، فأنتم عباد الله والمال يقسم بينكم بالسوية ، لافضل فيه لاحد على أحد ، وللمتقين غداً أحسن الجزاء وافضل الثواب ، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً وثواباً وما عند الله خير للابرار . واذا كان غداً فاغدوا علينا ، فان عندنا مالا نقسّمه فيكم ولا يتخلفن منكم أحد عربى ولا عجمى ، كان من أهل العطاء او لم يكن اذا كان مسلماً حراً .

قال : وكان هذا أول ماانكروه من كلامه واورثهم الضغن عليه وكرهوه من القسم بالسوية، فلما كان من الغد غدا وغدا الناس لقبض المال . فقال لعبيد الله بن

ابى رافع كاتبه ابدأ بالمهاجرين، فنادهم واعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دينار، ثم ثنّ بالانصار ففعل معهم مثل ذلك ، ومن يحضر من الناس كلهم الاحمر والاسود فاصنع به مثل ذلك . فقال سهل بن حنيف : هذا غلامى بالامس وقد اعتقته اليوم فقال عليه السلام : نعطيه كما نعطيك . فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير ولم يفضل احداً على أحد .

وتخلف عن هذا القسم يومئذ طلحة والزبير وابن عمر وسعيد بن العاص ومروان ورجال من قريش وغيرها ، وسمع عبيد الله بن ابى رافع ابن الزبير يقول لابيه ولطلحة ومروان وسعيد : ما خفي علينا امس من كلام علي ما يريد . فقال سعيد ـ والتفت الى زيد بن ثابت ـ اياك اعني واسمعى يا جاره ـ فقال ابن ابى رافع لسعيد وابن الزبير : ان الله تعالى يقول فى كتابه «ولكن اكثرهم للحق كارهون » ثم اخبر علياً عليه السلام بذلك فقال : والله ان بقيت وسلمت لهم لاقيمنهم على المحجة البيضاء والطريق الواضح ـ الى ان قال ـ فقال عمار وابو الهيثم وابو ايوب وسهل بن حنيف له عليه السلام : انظر فى امرك وعاتب قومك هذا الحى من قريش ، فانهم قد نقضوا عهدك واخلفوا وعدك ، وقد دعونا فى السير الى رفضك، وذلك لانهم كرهوا الاسوة وفقدوا الاثرة ، ولما آسيت بينهم وبين الاعاجم انكروا واستشاروا عدوك وعظموه واظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة وتألفاً لاهل الضلالة . فخرج على عليه السلام فدخل المسجد وصعد المنبر مرتدياً بطاق مؤتزراً ببرد قطري متقلداً سيفاً متوكياً على قوس ، فقال :

« هذا كتاب الله بين اظهرنا وعهد رسول الله وسيرته فينا ، لا يجهل ذلك الا جاهل ، عامد عن الحق منكر ، قال تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ثم صاح بأعلى صوته « اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فان الله لا يحب الكافرين » .

ثم قال : يامعشر المهاجرين والانصار، أتمنّون على الله ورسوله باسلامكم بل الله يمنّ عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين . ثم قال : انا ابو الحسن - وكان يقولها اذا غضب - الى ان قال : فأما هذا الفيء فليس لاحد على احد فيه اثرة وقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله ، وانتم عباد الله المسلمون وهذا كتاب الله به اقررنا وله اسلمنا وعهد نبينا بين اظهرنا ، فمن لم يرض به فليتول كيف شاء فان العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لاوحشة عليه . الى ان قال : قال عليه السلام لطلحة والزبير في جملة كلام طويل - فما الذي كرهتما من امري حتى رأيتما خلافي ؟ قالا : خلافك عمر بن الخطاب في القسم ، انك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا وسويت بيننا وبين من لايماثلنا فيما افاءه الله تعالى بأسيافنا ورماحنا واوجفنا عليه بخيلنا ، وظهرت عليه دعوتنا واخذناه قسراً عمن لا يرى الاسلام الا كرهاً . فقال عليه السلام لهما : اما القسم والاسوة ، فان ذلك امر لم احكم فيه بادي بدء، وقد وجدت انا وانتما النبي صلى الله عليه وآله يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به، وهو الكتاب الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد . واما قولكما جعلت فيئنا وما افاءه سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا ، فقديماً سبق الى الاسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم ، فلا يفضّلهم النبي صلى الله عليه وآله في القسم ولا آثرهم بالسبق، والله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة اعمالهم ، وليس لكما والله عندي ولا لغيركما الا هذا - الخ .

قوله عليه السلام (اتأمرونني ان اطلب النصر) على الاعداء (بالجور في من وليت عليه) بأن اعطي مال الضعفاء للاقوياء . كلامه هذا دال على ان عدم التسوية جور وظلم، وان احداث عمر لذلك احدبدعه في الدين، خلاف كتاب الله تعالى وخلاف سنة نبيه صلى الله عليه وآله كما عرفت تفصيله ، وان طلحة والزبير قالا

له خالفت فی ذلك عمر ، فقال علیه السلام بأنه لم یکن اول من خالف عمر بل خالفه قبله کتاب الله تعالی وسنة رسوله الا این من ألقی السمع وشهید .

ومن العجب هنا قول «حد» ان رأی علي وابی بکر فی المسألة واحد والیه ذهب الشافعی، واما عمر ففضّل السابقین علی غیرهم ومهاجری قریش علی غیرهم والمهاجرین علی الانصار والعرب علی العجم والصریح علی المولی ، وقد کان عمر اشار علی ابی بکر ایام خلافته بذلك ، فلم یقبل ابو بکر فعمل عمر بها فی ایامه . وذهب کثیر من الفقهاء الی قول عمر ، وللامام ان یعمل بما یؤدی الیه اجتهاده وان کان اتباع علی عندنا لا سیما اذا عضدته موافقة ابی بکر اولی ، وان صح ان النبی صلی الله علیه وآله سوی فقد صارت المسألة منصوصاً علیها لان فعل النبی کقوله .

فان کون فعل النبی صلی الله علیه وآله علی التسویة مما لاریب فیها، کیف وقد کان امیر المؤمنین علیه السلام یستدل به من یوم قام بالامر الی یوم وفاته، فکانوا یطلبون ذلك منه مرة بعد أخری یوم بایعوه وفی الجمل وصفین وبعدهما والاخبار بذلك متواترة، وقد عرفت روایة الاسکافی انه علیه السلام لما قال لطلحة والزبیر ماالذی نقمتما علیّ فقالا له خلافك عمر فی القسم، قال علیه السلام لهما: قد وجدت أنا وانتما رسول الله صلی الله علیه وآله یحکم بذلك . ولکون حکم النبی صلی الله علیه وآله وفعله بالتسویة واضحین لم یجترء ابو بکر علی المخالفة مع اشارة عمر علیه بذلك وخاف طعن الناس علیه ، کما أن حکم الکتاب بذلك ایضاً واضح وقد مرت آیاته .

وفی تاریخ الیعقوبی ـ بعد ذکر فتحه علیه السلام یوم الجمل : وأعطی علي علیه السلام الناس بالسویة لم یفضّل احداً علی احد ، واعطی الموالی کما أعطی الصلیبة، وقال قرأت ما بین الدفتین فلم اجد لولد اسماعیل علی ولد اسحق فضل

هذا ـ واشار الى عود اخذه من الارض فوضعه بين اصبعيه .

ولم ينحصر اجتهاد فاروقهم فى مقابل النبى صلى الله عليه وآله فى مسألة التسوية ، بل اجتهد فى مقابل قوله حين وفاته « ايتونى بدواة وصحيفة اكتب لكم مالا تضلوا بعده أبداً » بأن طلبه لدواة وصحيفة هجر وهذيان ، كما اجتهد هو وصديقهم فى قبال قول النبى صلى الله عليه وآله « جهزوا جيش اسامة لعن الله من تخلف عنه » بأنا لاتطيب انفسنا ان نفارقه ونسأل عنه الركبان .

ولعمر الله ان دين اخواننا دين ابى بكر وعمر لا دين الله ودين رسوله ، لانهم دائرون مدارهما فما قبلاه من الكتاب والسنة يقبلوه وما خالفاه منهما يخالفوه ، أليس الثانى قال لهم « متعتان كانتا على عهدالنبى وانا احرّمهما » فحرّموهما .

ولكونهم على دينهما دون دين الله وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله لم يكترثوا بأقواله عليه السلام عموماً وخصوصاً بمخالفتهما للكتاب والسنة ، فلقد طوى عليه السلام كشحه عن حقه الثابت بصريح العقل وصحيح النقل يوم الشورى لما اشترطوا عليه سنة الرجلين لينبههم على حقيقة الامر ، وكذلك أفصح عليه السلام عن الامر فى بيعة اصحابه الثانية معه بعد انفصال الخوارج عنهم ، فجاءه ربيعة بن ابى شداد الخثعمى ـ وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم ـ فقال له : بايع على كتاب الله وسنة رسوله . فقال له ربيعة : على سنة ابى بكر وعمر . فقال عليه السلام له : ويلك لوأن ابابكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسوله لم يكونا على شىء . ثم قال له: اما والله لكأنى بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت وكأنى بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها . فقتل يوم النهر وقد وطأته الخيل وسواها بالارض كما فى الطبرى والخلفاء ، الا أنه عليه السلام وان بيّن فى غير موضع الا انه قال تعالى لنبيه «وماأنت بمسمع من

فى القبور» .

هذا ، وروى الصولى فى أدب كتّابه تفصيل تفضيله عن عوانة وتسميته ازواج النبى آله وتفضيل عائشة على باقيهن لكونها المؤسسة لامرهم وامارتهم، وجعل امير المؤمنين عليه السلام الذى كنفس النبى صلى الله عليه وآله مثل بنى امية اعداء النبى صلى الله عليه وآله وجعل بنى امية اقارب النبى كبنى هاشم . ففى خبره ثم كثر المال على عمر فقالوا: بمن تبدأ ؟ قال : اشيروا علىّ . فقالوا: ابدأ بنفسك . فقال : بل بآل رسول الله . فكتب عائشة فى اثنى عشر ألفاً فى كل سنة، وكتب سائر ازواج النبى فى عشرة آلاف لكل واحدة، وكتب بعدازواج النبى علياً فى خمسة آلاف ومن شهد بدراً من بنى هاشم ومن مواليهم ، ثم كتب عثمان بن عفان فى خمسة آلاف ومن شهد بدراً من بنى امية ومواليهم على سواء .

ثم قال : قد بدأت بآل النبى واقاربه ، فبمن ترون ان نبدأ بعدهم ؟ قالوا : بنفسك . قال : بل بآل ابى بكر . فكتب طلحة فى خمسة آلاف وبلا لا فى مثلها . ثم قال للناس : بمن ابدأ ؟ قالوا : بنفسك . قال : صدقتم فكتب لنفسه ولمن شهد بدراً من بطون قريش خمسة آلاف خمسة آلاف ، ثم كتب لمن شهد بدراً من الانصار اربعة آلاف اربعة آلاف ، فقالوا : قد قصّرت بنا عن اخواننا المهاجرين . قال : لاجعل الذين قال تعالى «للفقراء والمهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون» كانت كمن كانت الهجرة فى داره فرضوا . ثم كتب لمن شهد احداً بثلاثة آلاف لكل واحد منهم ، ثم فرض لمن شهد فتح مكة فى الفين الفين .

ويظهر من التدبر فيه أمور اشرنا الى بعضها: منها ان قوله «ابدأ بآل الرسول»

كان انكاراً لال الرسول وحطاً لمرتبتهم وستراً لفضائلهم ، فهل عائشة وكذاابنته اللتان قال تعالى فيهما «وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير» وقال جل وعلا فيهما «ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط» هما آل الرسول دون امير المؤمنين عليه السلام الذي نفس الرسول صلى الله عليه وآله بنص القرآن وتصريح الرسول ودون الحسنين عليهما السلام اللذين ابنا النبى بنص القرآن واقرب الخلق الى الله من طفوليتهما للمباهلة بهما وسيدا شباب اهل الجنة فى متواتر قول النبى؛ فيعطى عائشة اثنى عشر وابنته عشراً وامير المؤمنين عليه السلام خمساً ، فعل ذلك بعائشة شكراً له فعلها لتمهيدها الامر له ولصاحبه يوم وفاة النبى صلى الله عليه وآله ، كما مهّد هو لها برفع درجتها وكونها آل رسول الله أن تقوم يوم الجمل فى مقابل امير المؤمنين عليه السلام . كما انه جعل بني امية كبنى هاشم فى كونهما من اقارب النبى تمهيداً لانتقال الامر الى عثمان ثم الى السفيانية ثم الى المروانية ، كما انه يوم الشورى جمع بينه عليه السلام وهو أول مجاهد عن الله تعالى ورسوله وبين عثمان وهو أول محام عن بنى امية اعداء الله واعداء رسوله واعداء دينه بكونهما من بنى عبد مناف .

ثم لم حط الانصـار عن المهاجرين وكانا كفرسى رهان ، قال تعالى فيهما «والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار» «لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة» ، فان قال للمهاجرين فقط ماتلاه فقد قال فى الانصار فقط «والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» .

ألم يقل النبى صلى الله عليه وآله يوم حنين لما بذل غنائم حنين فى المؤلفة

من قريش وغيرهم ولم يعط الانصار شيئاً ، فوجدوا في أنفسهم حتى قال بعضهم: لقي رسول الله قومه، فأمر سعد بن عبادة فجمعهم وقال لهم : مقالة بلغتني عنكم وموجدة وجدتموها في انفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداءاً فألف الله بين قلوبكم . قالوا : بلى . فقال : ألاتجيبوني. قالوا: وبماذا نجيبك ـ ولله ولرسوله المنّ والفضل ـ قال : أما والله لوشئتم لقلتم فصدقتم ولصدقتم ، أتيتنا مكذباً فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريداً فآويناك وعائلا فآسيناك، وجدتم في أنفسكم يامعشر الانصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم ، أفلاترضون يامعشر الانصار ان يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله الى رحالكم ، فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرء من الانصار ، ولوسلك الناس شعباً وسلكت الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار ، اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وابناء ابناء الانصار . فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً ـ الخ . في الانصار مالم يقله في المهاجرين ، فلو اريد الترجيح كان الترجيح لهم وقدكان ابوبكر مقراً لهم بذلك ـ ففي صدر خبر عوانة الذي رواه الصولي «ان مالا من البحرين جاء الى ابي بكر فساوى فيه بين الناس ، فغضبت الانصار وقالوا له : فضّلنا . فقال لهم: صدقتم ، ان اردتم ان افضلكم فقد صار ماعملتم للدنيا. والله يامعشر الانصار لوشئتم ان تقولوا انا آويناكم وشاركناكم في اموالنا ونصرناكم بأنفسنا لقلتم، وان لكم من الفضل مالانحصيه عدداً ـ الخبر.

مع ان قول عمر لااجعل من قال الله فيه ماقال كمن كانت الهجرة في داره مغالطة ، فهل كانت هجرة المهاجرين الافراراً من شدة كانوا فيها وهو امر يفعله جميع الناس، الا ان مافعله الانصار من اشراك المهاجرين في اموالهم وديارهم لايفعله الاالاوحدي من الناس. مع ان الاية التي تلاها انما هي «للفقراء المهاجرين»،

وهو اراد تفضيل الاغنياء ابن عوف وطلحة والزبير وعثمان ونظراءهم، الا انه حرف الاية اثباتاً لهواه فقال «للفقراء والمهاجرين» .

لكن عمل معهم ذاك العمل لان رئيسهم سعد بن عبادة لم يبايعهم وكان هواهم مع امير المؤمنين عليه السلام، حتى اراد هو وصاحبه ألا يوليا احداً منهم لذلك، ففي تاريخ اليعقوبي - بعد ذكر مشورة ابي بكر مع عمرو بن العاص في خروج طليحة عليه ووصف عمرو له رجالا من قريش للامارة لدفعه ولاسيما خالد بن الوليد وتركه ذكر الانصار - فقام ثابت بن قيس الانصاري وقال: يامعشر قريش، اماكان فينا رجل يصلح لما تصلحون له ، اما والله مانحن عمى عما نرى ولاصماً عما نسمع ، ولكن امرنا النبي صلى الله عليه وآله بالصبر فنحن نصبر . وقام حسان فقال :

يا للرجال لخلفة الاطوار ولما اراد القوم بالانصار
لم يدخلوا منا رئيساً واحداً ياصاح في نقض ولا امرار

(والله ما) هكذا في المصرية ، والصواب « لا » كما في « حد » و « ثم » والخطية (اطوربه) اى لاأحوم حوله ولاأدنو منه (ماسمر سمير) قال الجوهري: السمر اسم الحديث بالليل « ولا أفعله السمر والقمر » أي ماقام الناس يسمرون في ليلة قمراء . وقال ابن دريد : « لا اكلّمه السمر والقمر » اي ما اظلم الليل وطلع القمر ، ثم كثر في كلامهم حتى سموا الليل والنهار ابني سمير ، ومن أمثالهم « لاأكلمه ما سمر ابنا سمير » أى ما اختلف الليل والنهار .

(وما امّ) اى قصد (نجم في السماء نجماً) وقال بعض المتأخرين « لافعله ما طلع النجم في الخضراء ونجم الطلع في الغبراء ».

وقال زهير :

ولولا ظلمة مازلت ابكي سجيس الدهر ما طلع النجوم

والجملتان فى كلامه عليه السلام « ما سمرسمير » وما « أمّ نجم نجماً » كنايتان عن الدوام ، ونظيرهما فى الكناية عنه قولهم «سجيس عجيس»وقولهم « ما غبا غبيس » ، قال :

والله لاتى ابن خاطئة استهـا سجيس عجيس ما ابان لسانى

ايضـاً :

وفى بنـى ام زبيـر كيس على الطعام مـا غبا غبيس

(لوكان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله) يعنى انه عليه السلام لايرتكب ما يكون خلاف المروة ومكارم الاخلاق مع اباحته ، فكيف يمكن ارتكابه محظوراً من الله تعالى فى شريعته .

(ألاوانّ اعطاء المال فى غير حقه تبذير) والاصل فيه بذر الحب فى الارض، وقال تعالى« ولاتبذر تبذيراً* ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً » .

(واسراف) « ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين » قيل الاصل فيه «سرف»اذا أكلته السرفة ، يقال يفعل السرف بالنشب ما يفعل الشرف بالخشب .

(وهو) أي اعطاء المال فى غير حقه (يرفع صاحبه فى الدنيا) عند اهلهـا كما فعل عمر (ويضعه فى الاخرة) لمسؤليته ثمة (ويكرمه فى الناس ويهينه عند الله) فعثمان تبع عمر فى التفضيل وزاد عليه بما لاحساب له ، فلذاكانت قريش تحبه حب العاشق للمعشوق. قال الشاعر :

احبـك آن والرحمن حب قـريش عثمـان

(ولم يضع امرؤ ماله فى غير حقه ولاعند) هكذا فى المصرية والصواب « وعند »كما فى « حد » و « ثم » والخطية (غيراهله الاحرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم)كما أن من لم يضع ماله فى حقه وعند اهله اضطره الله أن يضع

اضعافه فى غير محله ، فمن لم ينفق درهماً فى حق ينفق درهمين فى باطل .

(فان زلت بهالنعل يوماً فاحتاج الى معونتهم فشر خدين) أى صديق(وألام خليل) كما فى أعطية عثمان لطلحة وغيره، ففى الطبرى: لما حصر الناس عثمان كان اشد الناس عليه طلحة، وقدكان وهب له خمسين ألفاً .

هذا، وقد عرفت مما نقلنا من أسانيد العنوان ان الثانى جزء الاول وتتمته.

قوله عليه السلام فى الثانى (وليس لواضع المعروف فى غير حقه وعندغير اهله من الحظ) أى النصيب (الا) هكذا فى المصرية، وفيها سقط والاصل« فيما اتى الا »كما يشهد به « حد » و « ثم » والخطية (محمدة) اى حمد (اللئام وثناء الاشرار ومقالة) أى قول (الجهال مادام منعماً عليهم) ولم يتخلله قطع (ما اجود يده) مقول المقالة، اي الجهال يقولون ما اجوده مادام لم يقطع عنهم يده .

(وهوعن ذات الله بخيل) قد عرفت ان الكافي نقله « وهو عندالله بخيل» ، وأما على رواية المصنف فالمراد أنه وانكان فى لسان الجهال والارذال جواداً الاأنه من قبل الله تعالى معدود فى البخلاء لبخله بحق الله، فأجود الناس من أدى حقوق الله وانكان ممسكاً فى غيرها ، وابخل الناس من منع حقوق الله وانكان فى غاية الاسراف والتبذير للدنيا، كما ان اعبد الناس من أقام الفرائض، وأورع الناس من تنكب المحارم .

(فمن آتاه الله مالا فليصل به القرابة) روى الكافى أن ابا عبدالله عليه السلام لما حضرته الوفاة اغمي عليه فأفاق ، فقال : اعطوا الحسن بن على بن الحسين ـ وهوالافطس ـ سبعين ديناراً، فقيل له: أتعطى رجلا حمل عليك بالشفرة يريد ان يقتلك . فقال : تريدون الا اكون من الذين قال تعالى « الذين يصلون ماامر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب » ، ان الله تعالى خلق الجنة وطيّبها وطيب ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة ألفي عام ولايجد

ريحها عاق ولا قاطع رحم .

وعنه عليه السلام قال النبى صلى الله عليه وآله : الصدقة بعشر ، والقرض بثمانية عشر ، وصلة الاخوان بعشرين ، وصلة الرحم بأربعة وعشرين .

(وليحسن منه الضيافة) روى ثواب الأعمال عن عبدالله بن ميمون القداح عن ابى عبدالله عليه السلام: من اطعم مسلماً حتى يشبعه لم يدر احد من الخلق ماله من الاجر فى الاخرة ، لاملك مقرب ولانبى مرسل الا الله رب العالمين . ثم قال: من موجبات المغفرة اطعام المسلم السغبان. ثم تلا قوله تعالى « او اطعام فى يوم ذى مسغبة * يتيماً ذا مقربة * او مسكيناً ذا متربة » .

وعن الصادق عليه السلام : من اطعم ثلاثة نفر من المؤمنين اطعمه الله من ثلاث جنان ملكوت السماوات: الفردوس ، وجنة عدن، وطوبى شجرة من جنة عـدن .

وعنه عليه السلام : من اطعم اخاً فى الله كان له من الاجر مثل من اطعم فئاماً من الناس ـ اى مائة الف .

وعن السجاد عليه السلام : من اطعم مؤمناً من جوع اطعمه الله من ثمـار الجنة ، ومن سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن كسا مؤمناً كساه الله من الثياب الخضر .

(وليفك به الاسير والعاني) اى المحبوس . قال الجوهرى : عناه حبسه ، وعنى فيهم اسيراً اى اقام فيهم على اسارة واحتبس. وقال ابن دريد: العنو مصدر عنا يعنو اذا ذل، ومنه اشتقاق العنوة ، وفسر قوله تعالى « وعنت الوجوه للحي القيوم » ، ومنه تسميتهم الاسير عانياً ـ الخ .

وقول « حد » العانى الاسير بعينه وانما اختلف اللفظ ، غلط فالعاني اعم والاصل فيه الذليل فيراد منه المحبوس كما يراد منه الاسير ، ويمكن ان يـراد

بفك العاني فك رقبة تحت الشدة والذلة عند مولاه ، وهواحد مصارف الزكاة الثمانية ، وعبر عنه الكتاب بلفظ « وفى الرقاب » .

(وليعط منه الفقير والغارم) اى المديون ، واعطاء الفقير والغارم ايضاً من مصارف الزكاة الثمانية .

والظاهر انه عليه السلام أراد الاعم من الزكاة الواجبة ، فروى الكافي عن ابى بصير قال : كنا عند ابى عبدالله ومعنا بعض اصحاب الاموال ، فذكروا الزكاة فقال عليه السلام : ان الزكاة ليس يحمدبها صاحبها ، وانما هو شيء ظاهر انما حقن بها دمه وسمّى بهامسلماً ، ولو لم يؤدها لم تقبل له صلاة ، وان عليكم فى اموالكم غير الزكاة. فقلت : وما علينا غيرها ؟ فقال : سبحان الله ، أما تسمع الله تعالى يقول « والذين هم في اموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم ». قلت: ما المعلوم الذي علينا ؟ قال : هو الشيء الذى يعمله الرجل فى ماله يعطيه فى اليوم او فى الجمعة أو فى الشهرقلّ اوكثر . غير انه يدوم عليه ، وقوله تعالى « ويمنعون الماعون » هو القرض يقرضه والمعروف يصطنعه ومتاع البيت يعيره ومنه الزكاة . قلت : فقوله تعالى « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً » ؟ قال : ليس من الزكاة . قلت : قوله تعالى « الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية » . قال : ليس من الزكاة ، وصلتك قرابتك ليس من الزكاة .

(وليصبّر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء) أي لطلب (الثوب) روى الكافى عن ابى بصير قلت له عليه السلام : أيّ الصدقة افضل ؟ قال : جهد المقل ، أما سمعت قوله تعالى « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

وعن الصادق عليه السلام : أتى النبى صلى الله عليه وآله وفد من اليمن ـ وفيهم رجل كان اعظمهم كلاماً واشدهم استقصاء فى محاجّة النبى صلى الله

عليه وآله ـ فغضب حتى التوى عرق الغضب بين عينيه وتربّد وجهه وأطرق الى الارض ، فأتاه جبرئيل فقال : ربك يقرؤك السلام ويقول لك : هذا رجل سخي يطعم الطعام. فسكن عن النبي صلى الله عليه وآله الغضب ورفع رأسه الى الرجل وقال : لولا أن جبرئيل اخبرني عن الله تعالى انك سخي تطعم الطعام لشردت بك وجعلتك حديثاً لمن خلفك . فقال له الرجل : وان ربك ليحب السخاء ، اني اشهد ألا اله الا الله وانك رسوله ، والذي بعثك بالحق لا رددت عن مالي أحداً .

(فان فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدين ودرك فضائل الاخرة انشاء الله) في الكافي عن الصادق عليه السلام: ان ابراهيم عليه السلام كان أبا اضياف ، فكان اذا لم يكونوا عنده خرج يطلبهم ، فأغلق بابه واخذ المفاتيح وخرج يطلب الاضياف ، وانه رجع الى داره فاذا هو برجل ، فقال : ياعبد الله باذن من دخلت هذه الدار؟ قال: باذن ربها ـ يردد ذلك ثلاث مرات ـ فعرف ابراهيم عليه السلام انه جبرئيل ، فحمد ربه ثم قال لابراهيم : ارسلني ربك الى عبد من عبيده يتخذه خليلا. قال ابراهيم عليه السلام : فأعلمني من هو أخدمه حتى اموت. قال: فأنت هو . قال : ومم ذلك ؟ قال : لانك لم تسأل احداً شيئاً قط، ولم تسأل شيئاً قط فقلت لا .

وعن الحارث الهمداني قال : سامرت امير المؤمنين عليه السلام فقلت له: عرضت لي حاجة . قال : فرأيتني لها اهلا . قلت : نعم . قال : جزاك الله عني خيراً . ثم قام الى السراج فأغشاها وجلس ، ثم قال : انما أغشيت السراج لئلا أرى ذل حاجتك في وجهك ، فتكلم فاني سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: الحوائج أمانة من الله في صدور العباد فمن كتمها كتبت له عبادة ومن أفشاها كان حقاً على من سمعها أن يعينه .

وعن ابى جعفر عليه السلام : ان الله عزوجل جعل للمعروف اهلا من خلقه حبب اليهم فعاله ، ووجّه لطلاب المعروف الطلب اليهم ويسر لهم قضاءه كما يسر الغيث للارض المجدبة ليحييها ويحيى به اهلها، وان الله تعالى جعل للمعروف اعداء من خلقه بغّض اليهم المعروف وفعاله وحظر على طّلاب المعروف الطلب اليهم وحظر عليهم قضاءه كما يحرم الغيث على الارض المجدبة ليهلكها ويهلك اهلها .

وعن ابى عبد الله عليه السلام : قال اصحاب النبى صلى الله عليه وآله له: فداك آباؤنا وأمهاتنا ، ان اصحاب المعروف فى الدنيا عرفوا بمعروفهم فبم يعرفون فى الاخرة؟ فقال صلى الله عليه وآله: ان الله تعالى اذا أدخل اهل الجنة الجنة أمر ريحاً عبقة طيبة فلزقت بأهل المعروف ، فلا يمر احدمنهم بملأ من اهل الجنة الا وجدوا ريحه فقالوا : هذا من اهل المعروف .

وعنه عليه السلام: ان للجنة باباً يقال له المعروف لايدخله الا اهل المعروف واهل المعروف فى الدنيا هم اهل المعروف فى الاخرة ، يقال لهم : ان ذنوبكم قد غفرت لكم فهبّوا حسناتكم لمن شئتم .

/٢٢٧/١٤ ومن كلام له عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعة وهومن شيعته وذلك انه قدم عليه فى خلافته يطلب منه مالا فقال عليه السلام : ان هذا المال ليس لى ولا لك ، وانما هو فيء للمسلمين وجلب اسيافهم ، فان شركتهم فى حربهم كان لك مثل حظهم ، والا فجناة ايديهم لا تكون لغير أفواههم .

قول المصنف (ومن كلام له عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعة) فى ذيل الطبرى عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبدالعزى بن قصي وامه قريبة الكبرى ابنة ابى امية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وامها

عاتكة بنت عبد المطلب .

وفى العقد : أتى بعبد الله بن زمعة مسلم بن عقبة فقال له : بايع على انك خول ليزيد يحكم فى مالك ودمك واهلك ، فامتنع فقال : اضربوا عنقه. فوثب مروان فضمه اليه وقال: نبايعك على ما أحببت . فقال : لا والله لا أقيلها اياه أبداً ان تنحى عنه والا فاقتلوهما جميعاً ، فتركه مروان وضرب عنقه .

وهو ان لم يكن من تصحيف نسخة كتابه فتحريف منه ، فانما قتل مسلم بن عقبة ابنه يزيد بن عبد الله بن زمعة ، صرح به مصعب الزبيرى فى نسب قريشه وابن قتيبة فى خلفائه والطبرى فى تاريخه وغيرهم .

وفى الاول: فلما مات مسلم بن عقبة متوجهاً الى مكة لقتال ابن الزبير خرجت ام ولد يزيد بن عبد الله ـ وهي ام ابنه يزيد بن يزيد ـ من ضيعة كانت لهم على اميال من قديد ، فنبشت مسلماً فصلبته .

وفى الثانى مات مسلم فى الطريق فدفن فى ثنية المشلل ، فلما تفرق القوم عنه اتته أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة ـ وكانت من وراء العسكر تترقب موته ـ فنبشت عنه ، فلما انتهت الى لحده وجدت أسود من الاساود منطوياً فى رقبته فاتحاً فاه فتهيبته ، ثم لم تزل به حتى تنحى لها عنه فصلبته على المشلل . قال الضحاك: فحدثنى من رآه يرمى كما يرمى قبر ابى رغال .

وبالجملة، لاريب فى قتل ابنه يوم الحرة دونه كما ان قتله يوم الدار كما ذكره الجزرى فى اسده فقال: قتل عبد الله مع عثمان يوم الدار قاله ابو احمد العسكرى عن ابى حسان الزيادى ، وهم فلم يذكره احد ويبطله قول المصنف (قدم عليه عليه السلام فى خلافته) وما رواه من كلامه عليه السلام له ، والظاهر ان الزيادي أو العسكرى توهما (عبد الله بن زمعة مولى عثمان) بهذا ، فعن الشافى ان عثمان امر ابن زمعة باخراج ابن مسعود من المسجد عنيفاً ، فاحتمله

حتى جاء به باب المسجد فضرب به الارض فكسر ضلعاً من اضلاعه ، وقال : وفي رواية ان ابن زمعة الذى فعل بابن مسعود ما فعل كان مولى لعثمان أسود طوالا .

وكيف كان ففي نسب قريش الزبيرى : ومن ولد عبد الله بن زمعة كبير بن عبد الله بن زمعة جدابى البخترى وهب بن وهب قاضي الرشيد وام كبير زينب بنت ابى سلمة وأمها أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله، ومن ولد عبد الله بن زمعة ابو عبيدة ابن عبد الله بن زمعة، وهو الذى عنى الخارجى محمد بن بشير العدواني بقوله :

اذا ما ابن زاد الراكب لم يمس نازلا قفا صفر لم يقرب الفرش زائر

وفي الاستيعاب : جد عبد الله الاسود كان احد المستهزئين بالنبى صلى الله عليه وآله الذين قال تعالى فيهم « انا كفيناك المستهزئين » وابوه زمعة قتل يوم بدر كافراً .

وروى عن عبد الله بن زمعة : ان النبى صلى الله عليه وآله ذكر ناقة صالح فقال : انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابى زمعة في قومه - أي جده .

(وهو من شيعته) هكذا في المصرية و « ثم » ، ولكن في حد « وكان له شيعة » .

(وذلك انه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا فقال) هكذا في المصرية وحد والخطية ، ولست الجملة في نسخة ثم رأساً وفي الاخير « فطلب » .

قوله عليه السلام (ان هذا المال ليس لي ولا لك) فليس لك الطلب مني وليس لي اعطائك منه (وانما هو فيء) أي غنيمة (المسلمين) هذا في المصرية والصواب « للمسلمين » كما في حد وثم والخطية .

(وجلب أسيافهم) شبّه عليه السلام ما اخذه المسلمون من الكفار بسيوفهم

بمن جلب الماشية من محل الى محل آخر .

وفي المروج : لما ولى سعيد بن العاص بعد الوليد بن عقبة الكوفة من قبل عثمان ظهرت منه امور منكرة واستبد بالاموال ، وقال في بعض الايام ـ وكتب به الى عثمان ـ انما هذا السواد فطير لقريش . فقال له الاشتر : أتجعل ما افاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستاناً لك ولقومك . ثم خرج الى عثمان في سبعين راكباً من اهل الكوفة ، فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص وسألوه عزله ـ الخ .

(فان شركتهم في حربهم فلك نصيب من الفيء والا فجناة) قال الجوهري الجنى مايجتنى من الشجر ، يقال أتانا بجناة طيبة لكل مايجتنى (ايديهم لاتكون لغير افواههم) لا يخفى لطف الكلام وكونه برهاناً عقلياً ، وكالمثل قال عمرو اللخمي :

هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه

هذا ، ونظير كلامه عليه السلام لعبد الله بن زمعة كلامه لعاصم بن ميثم ، ففي مناقب السروي جاء عاصم بن ميثم اليه عليه السلام وهو يقسّم مالا، فقال: يا امير المؤمنين اني شيخ كبير مثقل. فقال عليه السلام : ما هو بكديدي ولا بتراثي عن والدي ، ولكنها امانة اوعيتها . ثم قال عليه السلام : رحم الله من أعان شيخاً مثقلا .

٢١٩/١٥/ ومن كلام له عليه السلام : والله لان أبيت على حسك السعدان مسهداً ، واجر في الاغلال مصفداً ، احب الى من أن القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، وغاصباً لشيء من الحطام . وكيف أظلم احداً لنفس يسرع الى البلى قفولها ، ويطول في الثرى حلولها . والله لقد رأيت عقيلا وقد املق حتى استماحني من برّكم صاعاً ، ورأيت صبيانه

شعث الالوان من فقرهم كأنماسودت وجوههم بالعظلم ، وعاودنى مؤكداً وكرر على القول مردداً ، فأصغيت اليه سمعى ، فظن انى ابيعه دينى واتبع قياده مفارقاً طريقتى ، فأحميت له حديدة ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر بها ، فضج ضجيج ذى دنف من المها وكادان يحترق من ميسمها، فقلت له : ثكلتك الثواكل يا عقيل اتئن من حديدة احماها انسانها للعبه ، وتجرنى الى نارسجرها جبارها لغضبه، اتئن من الاذى ولا ائن من لظى. وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة فى وعائها ومعجونة شنئتها كأنها عجنت بريق حية أوقيئها ، فقلت أصلة ام زكاة ام صدقة فذلك محرم علينا اهل البيت . فقال : لاذا ولا ذاك ولكنها هدية . فقلت : هبلتك الهبول، أعن دين الله أتيتنى لتخدعنى امختبط أم ذوجنة ام تهجر، والله لوأعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها على ان اعصى الله فى نملة أسلبها جلب شعيرة مافعلت ، وان دنياكم عندى لاهون من ورقة فى فم جرادة تقضمها ما لعلى ولنعيم تفنى ولذة لاتبقى، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين .

أقول : رواه محمدبن على بن بابويه فى اماليه مع زيادات واختلاف هكذا: الدقاق عن محمد بن الحسن عن محمد بن الحسين عن محمد بن محسن عن المفضل بن عمر عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام ، قال امير المؤمنين عليه السلام : والله ما دنياكم عندي الاكسفر على منهل حلوا اذاصاح بهم سائقهم فارتحلوا ، ولا لذاذتها فى عينى الا كحميم اشربه غساقاً وعلقم اتجرعه زعاقاً وسم افعاة اسقاه دهاقاً وقلادة من نار اوهقها خناقاً ، ولقدرقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها وقال : اقذف بها فذوالاتن لايرتضيها لبراذعها . فقلت له : أعزب عنى فعند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلى عنهم

غيابات الكرى ، ولو شئت لتسربلت بالعبقرى المنقوش من ديباجكم، ولاكلت لباب هذا البر بصدور دجاجكم ، ولشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم،ولكني اصدق الله جلت عظمته حيث يقول « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون * اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار »، فكيف استطيع الصبر على نار لوقدفت بشررة الى الارض لاحرقت نبتها ولو اعتصمت نفس بقلة لانضجها وهيج النارفى قلبها، وأيما خير لعلي ءان يكون عند ذى العرش مقرباً او يكون فى لظى خسيئاً مبعداً مسخوطاً عليه بجرمه مكذباً والله لان ابيت على حسك السعدان مسهداً وتحتى اطمار على سفاهاً ممدداً اوأجر فى الاغلال مصفّداً ، احب الي من ان ألقى فى القيامة محمداً فى ذي يتمة أظلمه بفلسه متعمداً ، ولم اظلم اليتيم وغير اليتيم لنفس يسرع الى البلى قفولها ويمتد فى اطباق الثرى حلولها ، وان عاشت رويداً فبذي العرش نزولها .

معاشر شيعتى احذروا فقدعضّتكم الدنيا بأنيابها ، وتختطف منكم نفساً بعد نفس كدابها ، وهذه مطايا الرحيل قد انيخت لركابها. ألا ان الحديث ذو شجون فلا يقولن قائلكم ان كلام علي متناقض، لان الكلام عارض، ولقد بلغنى ان رجلا من قطان المدائن تبع بعد الحنيفة علوجه، ولبس من نالة دهقانه منسوجه،وتمضخ بمسك هذه النوافج صباحه ، وتبخر بعود الهند رواحه ، وحوله ريحان حديقة يشم نفاحه، وقد مدله مفروشات الروم على سرره ـ تعسأله ـ بعدما ناهز السبعين من عمره وحوله شيخ يدب على أرضه من هرمه وذايتمة يتضور من ضرمه ومن قرمه ، فما واساهم بعاضلات من علقمه ، لئن أمكننى الله منه لاخضمنه خضم البر ولاقيمن عليه حد المرتد ، ولا ضربنه الثمانين ، ولا سدن من جهله كل مسد . تعساً له، أفلا شعر ، أفلا صوف ، أفلا وبر، أفلارغيف ، قفار الليل افطارمعدم، أفلا عبرة على خد فى ظلمة ليالى تنحدر . ولو كان مؤمناً لاتسقت له الحجة اذا

ضيّع مالا يملك . والله لقد رأيت عقيلا حتى استماحني من بركم صاعه، وعاودني في عشر وسق من شعيركم يطعمه جياعه، ويكاد يلوى ثالث أيامه خامصاً ما استطاعه ورأيت صبيانه شعث الالوان من ضرهم ، كأنما اشازت وجوههم من قرهم، فلما عاودني في قوله وكرره ، أصغيت اليه سمعي فغره وظننى اوتغ ديني، فاتبع ما سره أحميت له حديدة ينزجر، اذ لايستطيع منهادنواً حينئذ ولايصبر ، ثم أدنيتها من جسمه ، فضج من ألمه ضجيج ذي دنف يئنّ من سقمه ، وكاد يسبني سفهاً من كظمه ولحرقة في لظى، أضنى له من حديدة احماها انسانها لمدعبه وتجرني الى نار سجرها جبارها من غضبه، أتئنّ من الاذى ولا ائن من لظى . والله لو سقطت المكافأة عن الامم، وتركت في مضاجعها باليات في الرمم ، لاستحييت من مقت رقيب يكشف فاضحات من الاوزار تنسخ ، فصبراً على دنيا تمر بلاؤها كليلة بأحلامها تنسلخ كم بين نفس في خيامها ناعمة وبين آثيم في جحيم يصطرخ .

فلاتعجب من هذا ، واعجب بلاصنع منا من طارق طرقنا بملفوفات زمّلها في وعائها، ومعجونة بسطها في انائها، فقلت له : أصدقة ام نذر ام زكاة ، وكل ذلك يحرم علينا أهل بيت النبوة ، وعوضنا منه خمس ذي القربى في الكتاب والسنة. فقال : لاذا وذاك ، ولكنه هدية . فقلت له : ثكلتك الثواكل ، أفعن دين الله تخدعني بمعجونة غرقتموها بقندكم ، وخبيصة صفراء أتيتمونى بها بعصير تمركم ، أمختبط ام ذو جنة ام تهجر، أليست النفوس عن مثقال حبة من خردل مسئولة، فماذا أقول في معجونة أتزقمها معمولة. والله لوأعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها واسترق لي قطانها مذعنة لي بأملاكها ، على ان اعصي الله في نملة اسلبها شعيرة فألوكها ، ماقبلت ولاأردت ، ولدنياكم عندى اهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ، وأقذر عندي من عراقة خنزير يقذف بها أجذمها،

وامرّ على فؤادى من حنظلة يلوكهـا ذو سقم فيبشمها ، فكيف أقبل بلفوفـات عكمتها فى طيبها ، ومعجونة كأنها عجنت بريق حية اوقيئها .

اللهم انى نفرت عنها نفار المهرة من كيّها أريه السها ويرينى القمر، امتنع من وبرة من قلوصها ساقطة وابتلع ابلا فى مبركها رابطة ، أدبيب العقارب من وكرها التقط ، ام قواتل الرقش فى مبيتى ارتبط ، فدعوني اكتفي من دنياكم بملحى وأقراصى ، فبتقوى الله أرجو خلاصى. مالعلي ونعيم يفنى ولذه تنحتها المعاصى . سألقى وشيعتى ربنـا بعيون ساهرة وبطون خماص ، ليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . ونعوذ بالله من سيئات الاعمال، وصلى الله على محمد وآله .

(والله) أقسم عليه السلام مع كونه معصوماً متحرزاً فى كلامه عن الزيادة والنقيصة ، لئلا يحمل قوله على الاغراق والمبالغة ، ولان الناس منكرون عملا لما يقول عليه السلام وان أقروا به لساناً، فكان المقام مقام التأكيد الكامل ،فأكد عليه السلام بالاوكد، أى القسم بالله الواحد الاحد .

(لان) بفتح اللام كالهمزة ، وكتابة (لئن) غلط ، لانه يصير بكسر الهمزة ويصير شرطية ويأباه عدم جزم الفعل بعده .

(أبيت) من بات بمعنى قضى الليل (على حسك) أي شوك (السعدان) بالفتح نبت كثير الشوك ولاساق له انما هو منفرش على وجه الارض .

قيل لرجل من اهل البادية ـ وقد كان خرج عنها ـ اترجع اليها؟ قال : أما مادام السعدان مستلقياً فلا .

وفى الخبر : يؤمر بالكافر يوم القيامة فيسحب على السعدان .

ولكنه يسمن الابل، ولذا قيل فى المثل «مرعى ولاكالسعدان» ، قال النابغة:

الواهب المائة الابكار زيّنها سعدان توضح في أوبارها اللبد

(مسهّداً) المسهد والسهد بضمتين قليل النوم .

(وأجر فى الاغلال مصفّداً) بالتشديد أى مشدوداً موثقاً .

(احب الي من أن ألقى الله ورسوله ظالماً لبعض العباد) هو نظير قول يوسف عليه السلام «رب السجن احب الي مما يدعوننى اليه» .

ووجه قولهما عليهما السلام ان آلام الدنيا تنقضى وعذاب الاخرة لاينقضى، واين شدة البيات على الحسك مسهداً والجر مصفداً ودخول السجن من عقاب الله تعالى .

وكيف لايكون ماذكره عليه السلام أحب من الظلم لبعض عباده وقد قال تعالى «ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون * انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار * مهطعين مقنعى رؤسهم لايرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء» «انا اعتدنا للظالمين ناراً احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وسائت مرتفقا» «ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار» «ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون» « ولوترى اذ الظالمون موقوفون عندربهم يرجع بعضهم الى بعض القول» «فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين» « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا » «وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون» «الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون» «ويوم يعّض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا* ياويلتى ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلا * لقد اضلنى عن الذكر بعد اذ جائنى» .

وفى الخبر : من ظلم أجيراً اجره احبط الله عمله وحّرم عليه ريح الجنة، وريحها توجد من مسيرة خمسمائة سنة .

ايضاً : الظلم فى الدنيا هو الظلمات فى الاخرة .

ايضاً : من اكل مال اخيه ظلماً ولم يرده عليه اكل جذوة من النار .

ويوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم .

وفي الخبر : دخل رجلان على ابى عبدالله عليه السلام مدارئة بينهما فى معاملة ، فلما أن سمع كلامهما قال عليه السلام : ما ظفر بخير من ظفر بظلم، أما ان المظلوم يأخذ من دين الظالم اكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم. فاصطلحا قبل ان يخرجا من عنده عليه السلام .

(وغاصباً لشيء من الحطام) بالضم، فى الاساس حطام البيض كساره، وحطام الدنيا شبّه بالكسار تخسيساً له .

فى الخبر: من اقتطع مال مؤمن غصباً بغير حق لم يزل الله عزوجل معرضاً عنه، ماقتاً لاعماله التى يعملها من البر والخير ، لايثيبها فى حسناته حتى يتوب، ويرد المال الذي أخذه على صاحبه .

ايضاً: من خان جاره شبراً جعله الله طوقاً فى عنقه من تخوم الارض السابعة حتى يلقى الله تعالى مطوقاً الا ان يتوب ويرجع .

ايضاً : من اخذ أرضاً بغير حق كلف ان يحمل ترابه الى المحشر .

الحجر الغصب فى الدار رهن على خرابها .

وفى السيرة : لما فرغ النبى صلى الله عليه وآله من رد سبايا حنين الى اهلها ركب واتبعه الناس يقولون أقسم علينا فيئنا من الابل والغنم حتى الجأوه الى شجرة فاختطف عنه رداءه ، فقال : ردوا علي ردائي أيها الناس ، فوالله ان كان لكم بعدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلا ولاجباناً ولا كذاباً. ثم قام الى جنب بعير فأخذ وبره من سنامه فجعلها بين اصبعيه ثم رفعها ثم قال: أيها الناس مالي من فيئكم ولاهذه الوبرة الا الخمس، والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط، فان الغلول يكون على اهله عاراً ونارا وشناراً

يوم القيامة . فجاء رجل من الانصار بكبة من خيوط شعر فقال : أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعيرلي دبر . فقال : أما نصيبي منها فلك. قال:اما اذبلغت هذا فلا حاجة لي بها ، ثم طرحها من يده .

(وكيف اظلم أحداً لنفس يسرع الى البلى) بالكسر من بلى الثوب ، فان فتحت مددت ، قال الحجاج :

والمرء يبليه بلاء السربال كرّ الليالي واختلاف الاحوال

(قفولها) أي رجوعها، قال تعالى« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى » .

ثم الذى فى النسخ « يسرع » بصيغة المذكر ، فيكون « قفولها » فاعله ، لكنه غير سلس ، والظاهر كونه «تسرع» بصيغة المؤنث، فيكون الفاعل ضمير النفس و «قفولها» مفعولا فيه ، وعليه فالاحسن فى الفقرة بعدها ايضاً « وتطول » بصيغة المؤنث و«حلولها» بالنصب حتى تتحدان اعراباً وان كان رفع «حلولها» سلساً من حيث المعنى مع « يطول » بصيغة المذكر كما هو فى النسخ .

(ويطول فى الثرى حلولها) كما قال عليه السلام : كأن الدنيا لم تكن لهم داراً ، وكأن الاخرة لم تزل لهم قراراً .

وفى تاريخ بغداد : كان شعيب بن حرب الثقفي بنى كوخاً على الدجلة ، وكان له خبز معلق ومطهرة، فيأخذ كل ليلة رغيفاً يبله فى المطهرة ويأكله، فصار جلداً وعظماً وقال لاعملن حتى أدخلن القبر وأنا عظام تقعقع ، ءاتسمن للدود والحيات .

(والله لقد رأيت عقيلا) قال « حد » : كان بنو ابى طالب اربعة طالب وعقيل وجعفر وعلي، وكان كل منهم أسن من آخر بعشر سنين .

قلت: روى حديث أسنانهم ابو الفرج فى مقاتله مسنداً عن ابن عباس وقال:

ما روي ان جعفراً قتل وهو ابن ثلاث ـ او اربع ـ وثلاثين سنة لا يوافق كون جعفر اكبر منه عليه السلام بعشر ـ الخ. ولكن الغريب أن الاكثر ذكروه مسلماً حتى مصعب الزبيرى فى نسب قريشه .

قال « حد » : كان ابوطالب يحب عقيلا اكثر من باقي بنيه ، فلذلك قال للنبى صلى الله عليه وآله والعباس ـ حين اتياه ليقتسما بنيه عام المحل فيخففا عنه ثقلهم ـ دعوا لي عقيلا وخذوا من شئتم ، فأخذ العباس جعفراً واخذ النبى صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام.

قلت: روى هذا أيضاً ابوالفرج فى مقاتله عن زيدبن على، لكن فى حديثه أن النبى صلى الله عليه وآله والعباس وحمزة ذهبوا اليه ، وان العباس اخذ طالباً وحمزه جعفراً والنبى علياً ، وقال النبى فى أخذه علياً : اخترت من اختار الله لي عليكم .

قال « حد » : قال النبى صلى الله عليه وآله لعقيل : انى احبك حبين حباً لقرابتك منى وحباً لماكنت أعلم من حب عمي اياك .

قلت : رواه امالى ابن بابويه عن ابن عباس هكذا : قال على للنبى : انك لتحب عقيلا ؟ قال : اي والله، انى لاحبه حبين حباًله وحباً لحب ابى طالب له، وان ولده لمقتول فى محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلى عليه الملائكة المقربون. ثم بكى حتى جرت دموعه على صدره ثم قال : الى الله اشكو ما يلقى عترتى من بعدى .

قال «حد» : اخرج عقيل الى بدر مكرهاً كالعباس ، واسر وفدى وعاد الى مكة ، ثم اقبل مسلماً مهاجراً قبل الحديبية ، وشهد غزاة موتة مع اخيه جعفر ، مات سنة (٥٠) ولم يشهد معه عليه السلام شيئاً من حروبه، وعرض نفسه وولده عليه فأعفاه . واختلف هل التحق بمعاوية فى حياته عليه السلام، فروى ان معاوية

قال ـ وعقيل عنده ـ هذا ابو يزيد، لولا علمه انى خير له من اخيه لما يتركه. فقال عقيل : اخى خير لى فى دينى وقد آثرت دنياي واسأل الله خاتمة خير ـ ام بعده عليه السلام للكتاب الذى كتبه الى اخيه فى آخر خلافته والجواب الذى اجابه عليه السلام وهو الاظهر .

قلت : اما خروجه الى بدر فمع اسره فى أسرى بدر كان يشير على النبى صلى الله عليه وآله بقتل اسراهم ، ففى تفسير القمى فى قوله تعالى «يا ايها النبي قل لمن فى ايديكم من الاسرى» قال النبى لعقيل : قد قتل الله يا ابايزيد اباجهل ابن هشام وعتبة وشيبة ابنى ربيعة ومنبه ونبيه ابنى الحجاج ونوفل بن خويلد ، واسر سهيل بن عمرو والنظر بن الحارث وعقبة بن ابى معيط وفلان وفلان. فقال اذن لاتنازعوا فى تهامة ، فان كنت قد اثخنت فى القوم والافاركب اكتافهم . فتبسم النبى صلى الله عليه وآله من قوله .

واما قوله: انه لم يشهد معه عليه السلام حروبه ، فغير معلوم فصرح ابن عبد البر فى استيعابه فى (عبدالله بن عباس) بأن عقيلا شهد معه عليه السلام الجمل وصفين والنهروان كابن عباس .

وأغرب صاحب عمدة الطالب فقال : شهد عقيل صفين مع معاوية غير أنه لم يقاتل ولم يترك نصح أخيه والتعصب له ، فروي أن معاوية قال يوم صفين : لانبالى وابويزيد معنا . قال عقيل : وقد كنت معكم يوم بدر فلم أغن عنكم من الله شيئاً ـ الخ . فانه وهم فاحش ، ومعاوية لم يقل ما ذكر يوم صفين بل يوماً وفد اليه عقيل بعد صفين، فانما لفظ الجاحظ : قال معاوية لعقيل مرة : انت معنا يا ابا يزيد . قال : ويوم بدر كنت معكم .

كما أن صاحب عمدة الطالب ايضاً وهم فقال : كان عقيل اعور . مع أنه صار اخيراً أعمى . قال فى العقد الفريد : دخل عقيل على معاوية وقد كف بصره ،

فأجلسه على سريره ثم قال له : انتم معشر بني هاشم تصابون فى أبصاركم. قال: وأنتم معشر بنى امية تصابون فى بصائركم .

واما قول « حد » هل التحق بمعاوية فى حياته عليه السلام او بعده، فخبط فلم يلتحق بمعاوية اصلا، وانما وفد عليه كما كان غيره يفد عليه ، ولم أر من اهل السير من انكر وفوده فى حياته عليه السلام، بل رووا وفوده على معاوية فى حياته عليه السلام وبعده .

وقد قال « حد » نفسه فى شرح قوله عليه السلام « ايها الناس المجتمعة ابدانهم » رووا ان عقيلا قدم على امير المؤمنين عليه السلام فوجده جالساً فى صحن مسجد الكوفة وقد كان كفّ بصره ، فالتفت عليه السلام الى ابنه الحسن فقال : قم فأنزل عمك . فقام فأنزله ثم عاد اليه ، فقال له : فاذهب واشتر لعمك قميصاً جديداً ورداء جديداً وازاراً جديد ونعلا، فذهب فاشترى له ، فغداعقيل عليه عليه السلام وقال له : ما اراك اصبت من الدنيا شيئاً واني لاترضى نفسي من خلافتك بما رضيت لنفسك. فقال عليه السلام له : يخرج عطائى فأدفعه اليك فلما ارتحل عنه عليه السلام اتى معاوية فنصب له كراسيه واجلس جلساءه حوله فلماورد عليه امر له بمائة الف فقبضها ثم غدا عليه يوماً بعد ذلك وجلساءمعاوية حوله ، فقال له معاوية : اخبرنى عن عسكري وعسكر اخيك فقد وردت عليهما فقال : أخبرك ، مررت والله بعسكر اخي فاذا ليل كليل رسول الله ونهار كنهار رسول الله ، الا ان رسول الله ليس فى القوم ، ما رأيت الا مصلياً ولا سمعت الا قارئاً ، و مررت بعسكرك فاستقبلنى قوم من المنافقين ممن نفر بالنبى ليلة العقبة .

ثم قال : من هذا عن يمينك يا معاوية ؟ قال : هذا عمرو بن العاص . قال: هذا الذى اختصم فيه ستة نفر فغلب عليه جزار قريش ، فمن الاخر ؟ قال : هو

الضحاك بن قيس الفهري. قال : أما والله لقدكان ابوه جيد الاخذ لعسب التيوس فمن هذا الاخر ؟ قال : هو أبوموسى الاشعري . قال : هـذا ابن السراقة . فلما رأى معاوية انه قد اغضب جلساءه علم انه ان استخبره عن نفسه قال فيه سوء، فأحب ان يسأله ليقول فيه ما يعلمه من السوء فيذهب بذلك غضب جلسائـه ، فقال له : ماتقول فـّى؟ قال : دعنى من هذا . قال: لتقولن . قال: أتعرف حمامة؟ قال : ومن حمامة ؟ قال : قد اخبرتك . ثم قام فمضى، فأرسل معاوية الى نسابة فقال له : من حمامة . قال : ولي الامان . قال : نعم . قال : جدتك أم ابى سفيان كانت بغياً فى الجاهلية صاحب راية . فقال معاوية لجلسائه: قد ساويتكم وزدت عليكم فلا تغضبوا .

وفى خلفاء ابن قتيبة : ذكروا أن عقيلا قدم من المدينة على اخيه بالكوفة فقال له : ما أقدمك ؟ قال : تأخر العطاء عنا وغلاء السعر ببلدتنا ، وركبنا دين عظيم فجئت لتعيننى . فقال عليه السلام : والله مالي مما ترى شيئاً الاعطائى فاذا خرج فهو لك . فقال عقيل : وانما شخوصي من الحجاز اليك لاجل عطائك ، وماذا يبلغ منى عطاؤك ومايدفع من حاجتى . فقال عليه السلام له : هل تعلم لي مالاغيره ، ام تريد أن يحرقني الله فى نارجهنم فى صلتك بأموال المسلمين. فقال: والله لاخرجن الى رجل هو أوصل لي منك ـ يريد معاوية ـ فقال له: راشد أمهدياً فخرج حتى اتى معاوية ـ الخ .

وفى المروج وفد عقيل على معاوية منتجعاً، فرّحب به وسر بوروده لاختياره اياه على اخيه ، فقال له : كيف تركت علياً ؟ قال : على ما يحب الله ورسوله ، وألفيتك على مايكره الله ورسوله. فقال له معاوية : لولا انك زائر منتجع جنابنا لرددت عليك جواباً تألم منه . ثم احب ان يقطع كلامه مخافة أن يأتى بشىء يخفـّضه ،فوثب عن مجلسه وأمر له ان ينزل وحمل اليه مالا عظيماً ، فلما كان من

غد جلس وأرسل اليه فقال له : يا ابا يزيد كيف تركت علياً اخاك ؟ قال: تركته خيراً لنفسه منك وأنت خير لي منه . فقال له معاوية : ما تغيرك الايام والليالى. فقال له عقيل : ولكن انت يامعاوية اذا افتخرت بنو امية بمن تفخر ؟ فقال له معاوية: عزمت عليك لما امسكت ـ الخ .

وفى العقد : دخل عقيل على معاوية فقال معاوية لاصحابه : هذا عقيل عمه ابو لهب . فقال عقيل: وهذا معاوية عمته حمالة الحطب . ثم قال : يا معاوية اذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار فانك ستجد عمي ابا لهب مفترشاً عمتك حمالة الحطب فانظر أيهما خير الفاعل أو المفعول به . وقال له معاوية : ان فيكم يا بنى هاشم لخصلة ماتعجبنى . قال : وما هى ؟ قال : فيكم لين . قال : أجل والله للين من غير ضعف وعزاً من غير جبروت ، وأما انتم يا بنى امية فان لينكم غدر وعزكم كفر ، وأيم الله يامعاوية لئن كانت الدنيا مهدتك مهادها واظلتك بحذافير أهلها ومدت عليك اطناب سلطانها ما ذاك بالذي يزيدك منى رغبة ولا تخشعاً لرهبة .

واما قول « حد » المنكرون استدلوا بالكتاب الذي كتبه عقيل اليه فى آخر خلافته ، فذكرنا فى فصل الغارات انه كان فى أول خلافته ولا دلالة فيه .

هذا ، وفى بيان الجاحظ كان علماء قريش بالانساب والاخبار أربعة ، وكان عقيل اكثرهم ذكراً لمثالب الناس ، فعادوه لذلك وحمقوه وقالوا فيه حتى قالوا ثلاثة حمقاء ، كانوا اخوة ثلاثة عقلاء : عقيل اخى علي ، وعقبة اخى معاوية ، ومعاوية اخى عبدالملك. وكيف وجعدة بن هبيرة يقول: « وفالي علي ذو الندى وعقيل » وقال قدامة بن موسى :

وجدى علي ذو التقى وابن امه عقيل وخالى ذو الجناحين جعفر

(وقد املق) أي افتقر ، قال تعالى « ولا تقتلوا اولادكم من املاق » (حتى

استماحني) اى استعطانى (من بركم) البر الحنطة (صاعاً) الصاع اربعة امداد (ورأيت صبيانه شعث) قال الجوهري : الشعث انتشار الامر، فقال « لـمّ الله شعثك»أى جمع امرك المنتشر ، والشعث مصدر الاشعث وهو المغبر الرأس .

(الشعور غبر) هكذا فى المصرية وهما زائدان فليسا فى « حد » و « ثم » والخطية .

(الالوان من فقرهم كأنما سوّدت وجوههم بالعظلم) قال الجوهري: العظلم نبت يصبغ به يقال له بالفارسية نيل، وقال ايضاً الوسمة العظلم ـ الخ. وللمطراني:

يحملن اطفالاً كأن وجوههم طليت بصمغ من يبيس مخاط

(فأصغيت) أي ملت (اليه سمعي ، فظن انى ابيعه ديني) قال الشاعر :

تحسّب هواس وايقن انني بها مفتدمن واحد لااغامره

أى تشمم الاسد ناقتى وظن أني اتركها له ولا اقاتله .

فى الخبر : شر الناس من باع دينه بدنياه ، وشر منه من باع دينه بدنيا غيره .

هذا، وفى المروج كتب بارزاق شريك القاضى الى الجهبذ فضايقه فى النقص فقال له الجهبذ : انك لم تبع برأ . قال له شريك : بلى والله لقد بعت اكبر من البر بعت ديني .

(واتبع قياده) أي قوده لى كجمل يقوده صاحبه (مفارقاً طريقتى) « اخوك دينك فاحتط لدينك » وقال تعالى« يوم يفر المرء من اخيه*وأمه وأبيه* وصاحبته وبنيه*لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» .

(فأحميت له) بالنار(حديدة ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر بها) من نار الاخرة واغلالها .

فى المناقب: ذكر عمرو بن العلاء ان عقيلا لما سأله اعطاءه من بيت المال

قال عليه السلام له : تقيم الى يوم الجمعة ، فأقام فلما صلاها بالناس قال له:ما تقول فيمن خان هؤلاء اجمعين ؟ قال: بئس الرجل ذاك . قال : فأنت تأمرنى ان اخون هؤلاء واعطيك .

وفيه قدم عقيل عليه عليه السلام ، فلما حضر العشاء اذا هو خبز وملح ، فقال : ليس الا ما أرى. فقال : أوليس هذا من نعمة الله وله الحمد كثيراً. فقال: اعطني ماأقضى به ديني- وكانا يتكلمان فوق قصر الامارة مشرفين على صناديق أهل السوق --فقال عليه السلام له:اذا بت فانزل الى بعض هذه الصناديق فاكسر قفالها وخذ ما فيها . فقال: وما فيها؟ قال: أموال التجار. قال: اتأمرنى ان اكسر صناديق قوم توكلوا على الله وجعلوا فيها اموالهم. فقال عليه السلام : انا افتح بيت مال المسلمين فأعطيك اموالهم وقد توكلوا على الله واقفلوا عليها. وقال له: ان شئت اخذت سيفك واخذت سيفي وخرجنا جميعاً الى الحيرة ، فان بها تجاراً مياسير ، فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله . فقال : اوسارقاً جئت . قال : نسرق من واحد خير من ان نسرق من المسلمين جميعاً .

(فضج ضجيج ذي دنف) بفتحتين المرض الملازم (من المها وكاد أن يحترق من ميسمها) قال الجوهرى : الميسم المكواة واصل الياء واو .

(فقلت له ثكلتك الثواكل) قال الجوهري : الثكل فقدان المرأة ولدها (يا عقيل اتئنّ) من « أنّ انيناً » قال ذو الرمة «كما أن المريض الى عواده الوصب » .

(من حديدة احماها) اي احرها (انسانها للعبه وتجرنى الى نار سجرها جبارها لغضبه) « اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيّظاً وزفيراً * واذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً* لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً » .

في تاريخ بغداد :كان سعد بن حذيفة على قضاء المدائن، فكلمه ابن جعدة ابن هبيرة فى شيء من الحكم وبين يديه نار ، فقال له سعد : ضع اصبعك فى هذه النار. قال : سبحان الله تأمرنى ان احرق بعض جسدى. قال: فأنت تأمرنى ان احرق كل جسدي .

وفى الحلية : استعمل هرم بـن حيان ، فظن ان قومه سيأتونه فأمـر بنار فأوقدت بينه وبين من يأتيه من القوم ، فجاءه قومه يسلمون عليه من بعيد فقال: مرحباً بقومي ادنوا . قالوا : والله ما نستطيع ان ندنو منك ، لقد حال النار بيننا وبينك. قال: وانتم تريدون أن تلقوني فى نار أعظم منها نار القيامة ـ فرجعوا .

(أتئنّ من الاذى ولا ائن من لظى) قال الجوهـرى : لظى اسم مـن اسماء النار معرفة لاتنصرف «كلا انها لظى* نزاعة للشوى » أي جلدة الرأس« فأنذرتكم ناراً تلظى » اي تتوقد .

قال « حد » : سأل معاوية عقيلا عن قصة الحديدة المحماة ، فبكى وقال : نعم أصابتنى مخمصة شديدة، فسألته فلم تند صفاته، فجمعت صبيانى وجئته بهم والبؤس والضر ظاهـران عليهم ، فقال : ايتنى عشية لادفع اليك شيئاً ، فجئتـه يقودني احد ولدي فأمره بالتنحى ثم قال: ألافدونك. فأهويت حريصاً قد غلبنى الجشع أظنها صرة ، فوضعت يدي على حديدة تلتهب ناراً ، فلما قبضتها خرت كما يخور الثور تحت يد جازره فقال :ثكلتك امك هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيـا ، فكيف بى وبك غداً ان سلكنا فى سلاسل جهنم . ثم قـرأ « اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون » ، ثم قال : ليس لك عندي فوق حقك الذي فرضه الله لك الا ما ترى فانصرف. فجعل معاوية يتعجب ويقول: هيهات هيهات عقمت النساء أن يلدن بمثله .

قلت: وقد عرفت أن امالي الصدوق رواه مع زيادات منها « ءامتنع من وبرة من قلوصها ساقطة وابتلع ابلا فى مبركها رابطة » .

وفى بلاغات نساء البغدادي: حج معاوية سنة، فسأل عن امرأة يقال لها الدارمية الحجونية ـ وكانت امرأة سوداء كثيرة اللحم ـ فأخبر بسلامتها ، فبعث فجيء بها فقال لها : كيف حالك يا ابنة حام . قالت: بخير ولست لحام ، انما انا امرأة من قريش من بني كنانة ثم من بني ابيك . قال : صدقت هل تعلمين لم بعثت اليك؟ قالت : لا . قال: لاسألك على م أحببت علياً وابغضتني، وعلى م واليته وعاديتني. قالت : أو تعفيني . قال : لا . قالت: فأما اذ ابيت فاني احببت علياً على عدله فى الرعية وقسمه بالسوية ، وابغضتك على قتالك من هو أولى بالامر منك وطلبك ماليس لك ، ووالیت علياً على ما عقد له النبى من الولاية ولحبه المساكين واعظامه اهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء وشقك العصا ـ الى أن قال ـ قال : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم . قال : فكيف سمعته ؟ قالت : كان كلامه والله يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الطست من الصدى. قال: صدقت هل لك من حاجة ؟ قالت: وتفعل اذا سألت . قال : نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها . قال : ماذا تصنعين بها ؟ قالت : اغذو بألبانها الصغار ، واستحيي بها الكبار ، واكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين عشائر العرب ـ الى أن قال ـ فقال لها معاوية : أما والله لو كان علي ما اعطاك شيئاً . قالت: أى والله ولا برة واحدة من مال المسلمين . ثم امر لها بما سألت .

هذا ، وفى سيرة ابن هشام ذكر زيد بن اسلم عن ابيه ان عقيلا دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبة بن ربيعة وسيفه متلطخ دماً، فقالت: انى قد عرفت انك قد قاتلت فماذا أصبت من غنائم المشركين . فقال : دونك هذه الابرة تخيطين بها ثيابك فدفعها اليها ، فسمع منادى النبى صلى الله عليه وآله يقول:

من اخذ شيئاً فليرده حتى الخياط والمخيط ، فرجع عقيل فقال : ما ارى ابرتك الاقد ذهبت ، فأخذها فألقاها فى الغنائم .

(وأعجب من ذلك) أي من طلب عقيل منه عليه السلام صاعاً زائداً عن حقه (طارق) أي من جاء ليلا (طرقنا بملفوفة فى وعائها ومعجونة شنئتها) أي ابغضتها (كأنما عجنت بريق) ماء الفم (حية اوقيئها) لانّ الحرام عند اولياء الله مبغوض كريق الحية وقيئها .

وقد عرفت انّ فى رواية الامالى انه عليه السلام قال : ولدنياكم عندي اهون من ورقة فى فم جرادة تقضمها ، واقذر عندى من عراقة خنزير يقذف بها أجذمها ، وامرّ على فؤادي من حنظلة يلوكها ذو سقم فيبشمها .

وقال البحترى :

ومـاكان ماسدى الي ابن يلبـخ سوى حمة من عارض السم تنزع

ومن بديع التشبيه فى الشيء المكروه فى مجدور قول ابن طباطبا :

ذو جدرى وجهه يحكيه جلد السمكه

او جلد افعى سلخت اوقطعة من شبكه

او حلق الدرع اذا ابصرتها مشتبكه او سفر محبب اوكـرش منفركـه

او منخـل او عرض رقعتـه منهتكـه اوحجر الحمام كم منوسخ قددلكه

اوكور زنبور اذا فرّخ فيه تركـه اوكـدر المـاء اذا أظهر فيه حبكه

او سلحة جامدة تنقر فيهـا الـديكه يبغضـه من قبحـه كـل طريق سلكه

وقيل لرجل : رأيناك فى دهليز فلان وبين يديك قصعة وانت تأكل ، فمن أي شيء كانت القصعة وأي شيء كان فيها ؟ قال : قيء كلب فى قحف خنزير .

وفى الخبر : العائد فى هبته كالعائد فى قيئه .

وفى آخر : ومثل الذى يعطي العطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب يأكل ،

فاذا شبع قاء ثم عاد فى قيئه .

قالوا : ومثل الكلب الضب ، ويسمى الهرم لطول عمره ، قال خداش كما فى الاساس «كما اكبّ على ذى بطنة الهرم» قال : أي رجع على قيئه فأكله .

(فقلت اصلة ام زكاة ام صدقة ، فذلك محرم علينا اهل البيت) قال «حد» : الصلة العطية لايراد بها الاخرة بل الوصلة الى الموصول واكثر مايفعل للصيت، والزكاة مايجب فى النصاب من المال ، والصدقة ههنا صدقة التطوع ، واراد بأهل البيت محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وهؤلاء خاصة يحرم عليهم الصدقة ، وأما غيرهم من بنى هاشم فلايحرم عليهم الازكاة الواجبة ، وقبول الحسنين عليهما السلام لصلات معاوية من جهة حقهما ، فان سهم ذوي القربى منصوص فى الكتاب .

قلت : مافسر الصلة به غير جيد ، أما ماقاله اولا من ان الصلة العطية لايراد بها الاخرة ، ففى معنى الهدية فتباح له عليه السلام ، وأما ماقاله ثانياً من كونها الوصلة الى الموصول ففى معنى الرشوة فتحرم على الجميع ، ولايبعد زيادة الكلمة من النساخ والاصل « ازكاة أم صدقة » بدليل جوابه «لاذا ولاذاك» ومثله مافى رواية الامالى من تبديلها بالنذر وسهم ذوي القربى منصوص فى الكتاب، الا أن اول من اسقطه صدّيقهم وفاروقهم كما اخذا فدك .

هذا ، وروى كاتب الواقدي فى طبقاته عن عبد الوهاب العجلي عن عوف عن الحسن ان النبى صلى الله عليه وآله قال : ان الله حرّم الصدقة علي وعلى أهل بيتى .

(فقال لاذا) المذكور اولا (ولاذاك) المذكور ثانياً (ولكنها هدية) وكانوا أعطوا بريرة لحماً صدقة ، فأهدته الى النبى صلى الله عليه وآله، فقالت عائشة لها : ان النبى لا يأكل الصدقة . فقال لها : انما كانت عليها صدقة وهى منها

هديـة .

(فقلت هبلتك) اي ثكلتك (الهبول) فى الجمهرة الهبل الثكل ، هبلت فلاناً امه فهى هابل وهبول ، وابن الهبولة ملك من ملوكهم ، وبنو هبل بطن من كلب يقال لهم الهبلات (أعن دين الله اتيتنى لتخدعني) باعطاء الرشوة باسم الهدية (أمختبط انت) يقال تخبطه الشيطان أي افسده (ام ذو جنة) بالكسر اى جنون « اولـم يتفكروا مابصاحبهم من جنة » وتـأتى الجنة معرفة للجن كجنة منكرة للجنون .

(ام تهجر) من هجر المريض هذى. قال الجوهري: فالمريض هاجر والكلام مهجور، قال ابو عبيد وعن ابراهيم ومجاهد، ومنه قوله تعالى «ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً» .

قلت : ومنه قول عمر فيما رواه كاتب الواقدي وغيره ان النبى صلى الله عليه وآله قال : ايتونى بالكتف والدواة اكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده أبداً . فقال : انما يهجر ـ الخبر .

ومن اين انه ليس المراد بالاية ، فهل لم يكن الرجل من قومه قريش ، فهل ليس فى هذا القرآن «وماينطق عن الهوى * ان هو الاوحي يوحى» ومع ذلك فعل مافعل وقال ماقال .

قال «حد» : كان المهدي له الاشعث ، أهدى له نوعاً من الحلواء فى طبق مغطى وظن انه يستميله بالمهاداة لغرض دنيوي، وكان عليه السلام يبغض الاشعث لانه كان يبغضه .

قلت: وفى مقاتل ابى الفرج ان الاشعث جاء يستأذن عليه عليه السلام، فرّده قنبر فأدمى أنفه ، فخرج عليه السلام وهو يقول : مالي ولك ياشعث ، أما والله

لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرت شعيراتك . قال : ومن غلام ثقيف ؟ قال : غلام يليهم لايبقى اهل بيت من العرب الاادخلهم ذلا .

قلت : الاشعث وان لم يتمرس بغلام ثقيف بشخصه الا انه تمرس به بابن ابنه عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث واقشعرت شعيراته به ، بل ذهب به عنه مافيه اكثر شعره .

(والله لواعطيت الاقاليم السبعة بماتحت افلاكها) روى الخصال فى عنوان (الدنيا سبعة اقاليم) عن ابى يحيى الواسطى باسناده رفعه الى الصادق عليه السلام: الدنيا سبعة اقاليم يأجوج ومأجوج والردم والصين والزنج وقوم موسى واقاليم بابل .

وقال المسعودي فى تنبيهه ، سموا الاقاليم السبعة على الكواكب السبعة على قدر تواليها وتتابعها فى الفلك ، فالاقليم الاول لزحل وهو كيوان بالفارسية له من البروج الجدي والدلو ، والاقليم الثانى للمشترى وهو بالفارسية اورمزد له من البروج القوس والحوت، والاقليم الثالث للمريخ وهو بالفارسية بهرام له من البروج الحمل والعقرب ، والاقليم الرابع للشمس وهو بالفارسية خرشاد لها من البروج الاسد، والاقليم الخامس للزهرة وهى بالفارسية اناهيد لها من البروج الثور والميزان، والاقليم السادس لعطارد وهو بالفارسية تير له من البروج الجوزاء والسنبلة ، والاقليم السابع للقمر وهو بالفارسية ماه له من البروج السرطان ، واسم الاقليم بالفارسية (كشور) واسم الفلك (اسبهر) ـ الخ .

وفى تاريخ اليعقوبى : جعلوا الدنيا سبعة اقاليم: الاول الهند وحدّه مما يلى المشرق البحر وناحية الصين الى الديبل مما تلى ارض العراق الى خليج البحر مما يلى ارض الهند الى ارض الحجاز، والاقليم الثانى الحجاز وحدّه هذا الخليج الى عدن الى ارض الحبشة مما يلى ارض مصر الى الثعلبية مما يلى ارض

العراق ، والاقليم الثالث مصر وحدّه مما يلى أرض الحبشة الى ارض الحجاز الى البحر الاخضر مما يلى الجنوب الى المغرب الى الخليج الذى يلى الروم الى نصيبين مما يلى ارض العراق ، والاقليم الرابع العراق وحدّه ممايلى الهند الديبل ومما يلى الحجاز الثعلبية ومما يلى ارض مصر والروم نصيبين ومما يلى ارض خراسان نهر بلخ ، والاقليم الخامس الروم وحدّه ممايلى ارض مصر الخليج وممايلى المغرب البحر وممايلى الترك يأجوج ومأجوج ومما يلى ارض العراق نصيبين والاقليم السادس يأجوج ومأجوج وحده ممايلى ارض المغرب الترك وممايلى الخزر البحر ومفاوز بينه وبين سحور الشمال ومما يلى المشرق ارض نصيبين ومما يلى خراسان نهر بلخ ، والاقليم السابع الصين وحدّه ممايلى المغرب يأجوج ومأجوج ومما يلى المشرق البحر وممايلى الهند ارض قشمير ومما يلى خراسان نهر بلخ ـ وقالوا كل اقليم تسعمائة فرسخ فى مثلها .

وفى فواتح الميبدى : الاقليم الاول اطول ايام السنة فيه اثنتى عشرة ساعة وخمس وأربعون دقيقة ، ويزاد فى كل اقليم ثلاثون دقيقة على سابقتها الى أن يصير الاقليم الثانى عشر أطول ايام سنته ست عشرة ساعة وخمس عشرة دقيقة. وقال بعضهم: اول الاقليم الاول اول خط الاستواء وآخر الاقليم السابع آخر العمارة واطول الايام ثمة ثلاث وعشرون ساعة ـ الى ان قال ـ واعدل اصناف الانسان عند ابن سينا سكان الاستواء وعند الفخر سكان الاقليم الرابع .

هذا ، وفى المعجم أهدى شمس المعالى قابوس بن وشمكير لعضد الدولة سبعة اقلام وكتب اليه :

قد بعثنا اليك سبعة اقلام ... لها فى البهاء حظ عظيم
مرهفات كأنها ألسن الحيات ... قد جازها التقويم
وتفألت ان ستحوى الاقاليم بها ... كل و احد اقليم

(على ان أعصى الله فى نملة اسلبها جلب شعيرة) قال « حد » جلب الشعيرة بضم الجيم قشرها .

قلت : لم اقف فى اللغة على من يقول جلب الشعيرة قشرها ، وانما قالوا الجلبة بالضم القشرة التى تعلو الجرح عند البرء. واين هذا مما قال ، والظاهر أن المراد اسلبها شعيرة جلبتها الى مسكنها ، يقال جلبه أى ساقه من موضع الى آخر .

وكيف كان ففى الخبر : نهى عن قتل النحلة والنملة .

وعن صالح بن خوات بن جبير عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وآله نهى ان يؤكل ما حملت النمل بفيها وقوائمها .

هذا ، وفى حياة حيوان الدميرى : كان الفتح بن سخرب الزاهد يفتّ الخبز للنمل كل يوم ، فاذا كان يوم عاشوراء لم تأكله . وفيه البيض كله بالضاد الابيظ النمل فانه بالظاء . قال : والنمل لاتتناكح انما يسقط منه شىء حقير فى الارض فينمو حتى يصير بيضاً حتى يتكوّن منه ، وسميت نملة لتنملها أي كثرة حركتها .

(ما فعلت) قال الكميت :

على تلك جريای وهی ضریبتی ولو اجلبوا طرأعلیّ واجلبوا

(وان دنياكم عندى لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها) قال الجوهري: القضم الاكل بأطراف الاسنان .

ومرّ أن الامالى زاد فى خبره « واقذر عندي من عراقة خنزير يقذف بها اجذمها ، وامر على فؤادى من حنظلة يلوكها ذو سقم فيبشمها، اللهم انى نفرت عنها نفار المهرة من كيها » .

(ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لاتبقى) فى قصة معاوية مع دارمية الحجونية ،

قال لها : هل رأيت علياً ؟ قالت : اي والله لقد رأيته . قال : كيف رأيته؟ قالت: رأيته لم يفتنه الملك الذى فتنك ولم تشغله النعمة التى شغلتك .

(نعوذ بالله من سبات العقل) أى نومه (وقبح الزلـل) وهو الزلـل فى الديـن .

الفصل الخامس عشر

(فى التزامه بالحق والعدل وحثه عليهما قولا وعملا)

٢/٢٥/١ ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكرنا هنا جملا منها ليعلم بها انه عليه السلام كان يقيم عماد الحق ويشرع امثلة العدل فى صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها :

انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ، ولاتروعن مسلماً ، ولاتجتازن عليه كارها ، ولاتأخذن منه اكثر من حق الله فى ماله ، فاذا قدمت على الحى فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ، ثم امض اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ، ولا تخدج بالتحية لهم ثم تقول: عباد الله ارسلنى اليكم ولى الله وخليفته لاخذ منكم حق الله فى اموالكم فهل لكم من حق فتؤدوه الى وليه ؟ فان قال قائل لا فلا تراجعه ، وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه اوترهقه، فخذ ما اعطاك من ذهب او فضة ، فان كان له ماشية او ابل فلا تدخلها الا باذنه فان اكثرها له ، فاذا اتيتها فلاتدخل عليها دخول متسلط عليه ولا

عنيف به ، ولا تنفرن بهيمة ولاتفزعنها ولاتسؤن صاحبها فيها ، واصدع المال صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ، ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فاذا اختارفلاتعرضن لما اختاره ، فلا تزال كذلك حتى يبقى مافيه وفاء لحق الله في ماله ، فاقبض حق الله منه فان استقالك فأقله ثم اخلطها ثم اصنع مثل الذى صنعت اولا حتى تأخذ حق الله في ماله، ولا تأخذن عوداً ولاهرمة ولا مكسورة ولامهلوسة ولا ذات عوار، ولاتأمنن عليها الامن تثق بدينه رافقاً بمال المسلمين حتى توصله الى وليهم فيقسمه بينهم ، ولاتوكل بها الا ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولامتعب ، ثم احدر الينا ماجتمع عندك نصيره حيث امرالله. فاذا اخذها امينك فأوعز اليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها ، ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها، ولايجهدنها ركوباً ، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها ، وليرفه على اللاغب وليستأن بالنقب والظالع ، وليوردها ما تمر به من الغدر ، ولايعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطريق ، وليروحها في الساعات، وليمهلها عند النطاف والاعشاب ، حتى تأتينا باذن الله بدناً منقيات غير متعبات ولامجهودات، لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه فان ذلك اعظم لاجرك واقرب لرشدك انشاءالله .

أقول : ورواه الكليني في باب أدب المصدق : عن علي بن ابراهيم عن ابيه عن حماد بن عيسى عن بريد بن معاوية قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول بعث امير المؤمنين عليه السلام مصدقاً من الكوفة الى باديتها فقال له : ياعبدالله انطلق وعليك بتقوى الله وحده لاشريك له، ولاتؤثرن دنياك على آخرتك، وكن حافظاً لما ائتمنتك عليه راعياً لحق الله فيه ، حتى تأتي نادى بني فلان ، فاذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخالط ابياتهم، ثم امض اليهم بسكينة ووقار

حتى تقوم بينهم وتسلم عليهم ثم قل لهم يا عباد الله ارسلني اليكم ولي الله ، لاخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدونه الى وليه. فان قال لك قائل لافلا تراجعه وان انعم لك منهم منعم فانطلق معه ولاتعده الا خيراً ، فاذا أتيت ماله فلا تأخذه الاباذنه فان اكثره له ، فقل يا عبدالله اتأذن لي في دخول مالك ، فان اذن لك فلا تدخله دخول متسلط عليه فيه ولاعنف به ، واصدع المال صدعين ثم خيره أي الصدعين شاء ، فأيهما اختار فلا تعرض له، ولايزال كذلك حتى يبقى مافيه وفاء بحق الله تعالى من ماله، فاذا بقي ذلك فاقبض حق الله منه وان استقالك فأقله ، ثم اخلطهما واصنع مثل الذي صنعت اولا حتى تأخذ حق الله في ماله ، فاذا قبضته فلا توكل به الاناصحاً شفيقاً اميناً حفيظاً غير معنف بشيء منها ، ثم احدر كلما اجتمع عندك من كل نادالينا نصيّره حيث امر الله عز وجل ، فاذا انحدر بها رسولك فأوعز اليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها، ولايفرق بينهما ولايمصّرن لبنها فيضر ذلك بفصيلها، ولايجهدنها ركوباً وليعدل بينهن في ذلك وليوردهن كل ماء يمر به ولايعدل بهن عن نبت الارض الى جواد الطريق في الساعة التي فيها تريح وتغبق ، وليرفق بهن جهده حتى تأتينا باذن الله تعالى سحاحاً سماناً غير متعبات ولامجهدات ، فيقسّم باذن الله على كتاب الله تعالى وسنة نبيه على اولياء الله ، فان ذلك أعظم لاجرك واقرب لرشدك ، ينظر الله اليك والى جهدك ونصيحتك لمن بعثك و بعثت في حاجته ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ما ينظر الله الى ولي له يجهد نفسه بالطاعة والنصيحة له ولاماله الاكان معنا ـ الخبر.

ورواه الشيخان في المقنعة والتهذيب مثل الكافي، ورواه غارات الثقفي عن يحيى بن صالح عن ابى العباس الوليد بن عمرو عن عبد الرحمن بن سليمان عن الصادق عليه السلام ايضاً .

قول المصنف (ومن وصية لـه عليه السلام كان يكتبها لمن يستعملـه على الصدقات) وكذلك كان عليه السلام يعين لعمـال خراجه آداب الخرج . روى البلاذري في فتوحه عن مصعب بن يزيد الانصاري عن ابيه قال: بعثني علي عليه السلام على ما سقى الفرات ـ فذكر رساتيق وقرى ، فسمى نهر الملك وكوثى ونهـر سير والردمقان ونهر جـوير ونهر درقيط والبهقبادات ـ وأمـرني ان اضع على كل جريب زرع غليظ من البر ودرهماً ونصفاً وصاعاً من طعام، وعلى كل جريب وسط درهماً ، وعلى كل جريب من البر رقيق الزرع ثلثي درهم، وعلى الشعير نصف ذلك، وأمرني أن اضع على البساتين التي تجمع النخل والشجر على كل جريب عشرة دراهم ، وعلى جريب الكرم اذا أتت عليه ثلاث سنين ودخل في الرابعة وأطعم عشرة دراهم ، وان ألغي كل نخل شاذ عن القرى يأكله من مربه، وان لا أضع على الخضراوات شيئاً المقائي والحبوب والسماسم والقطن، وأمرني ان اضع على الدهاقين الذين يـركبون البراذين ويتختمون بـالذهب (٤٨) درهماً ، وعلى أوسطهم من التجار على رأس كل رجل (٢٤) درهماً في السنة ، وان اضع على الاكرة وسائر من بقي منهم على الرجل (١٢) درهماً .

وروى عن الحسن بن صالح قـال : بلغني ان علياً عليه السلام ألزم اهـل (اجمة برس) اربعة آلاف درهم وكتب لهم بذلك كتاباً في قطعة أديم. قال احمد ابن حماد الكوفي « اجمة برس » بحضرة صرح نمرود ببابل .

(وانما ذكرنا هنا جملا منها) هكذا في المصرية ، والصواب « وانما ذكرنا منها جملا ههنا » كما في « حد » و « ثم » .

(ليعلم بها انه عليه السلام كان يقيم عماد الحق) يعرف ذلك منه عليه السلام كل أحد حتى اقرّ بذلك فاروقهم . قال ابن قتيبة قال يوم الشورى لعلـى عليه السلام: وانك أحرى القوم ان وليتها تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم .

وكان عليه السلام فى زمان امارة المتقدمين عليه ايضاً كذلك ، فأقام الحد على الوليد بن عقبة أخا عثمان لامه فى خلافة عثمان رغماً لانفه ، واراد قتل عبد الله بن عمر فى خلافة عثمان قصاصاً بهرمزان ملك تستر لانه قتله بغير حق، وابى عثمان عن اجراء الحد عليه ففرّ منه عليه السلام وخرج من المدينة ، كما انه لما وصل الامر اليه عليه السلام فر الى معاوية، ولذلك كانوا لايرضون بولايته عليه السلام للامر ، ولذا قالت سيدة النساء عليها السلام يوم السقيفة : ما نقموا من ابى الحسن الاتنمّره فى ذات الله .

(ويشرع امثلة العدل فى صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها) فى خبر الكافى المتقدم ـ بعد ما مر ـ ثم بكى ابو عبد الله عليه السلام وقال لبريد : لاوالله ما بقيت لله حرمة الا انتهكت ، ولا عمل بكتاب الله وسنة نبيه فى هذا العالم ، ولا أقيم فى هذا الخلق حد منذ قبض الله امير المؤمنين ، ولا عمل بشىء من الحق الى يوم الناس هذا . ثم قال : أما والله لاتذهب الايام والليالى حتى يحيى الله الموتى ويميت الاحياء و يردّ الحق الى أهله ويقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه ـ الخبر .

وفى مقنعة المفيد: روى اسماعيل بن مهاجر عن رجل من ثقيف قال: استعملنى على عليه السلام على بانقيا وسواد من سواد الكوفة فقال لى ـ والناس حضور ـ انظر خراجك فجدّ فيه ولا تترك منه درهماً ، واذا أردت ان تتوجه الى عملك فمر بى . فأتيته فقال : ان الذى سمعت منى خدعة ، اياك ان تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً فى درهم خراج او تبيع دابة عمل فى درهم فانا امرنا ان نأخذ منهم العفو ، ولا تجمع بين متفرق ولا تفرق بين مجتمع .

ورواه ابو حاتم السجستانى فى وصاياه هكذا : حدثونا عن ابى نعيم عن اسماعيل بن ابراهيم بن المهاجر عن عبد الملك بن عمير عن رجل من ثقيف

قال : استعملني علي بن ابي طالب عليه السلام على عكبرى ولم يكن السواد يسكنه المصلون ، فقال لي بين أيديهم : استوف خراجهم منهم فلا يجدوا فيك ضعفاً ولا رخصة . ثم قال لي : رح الي عند الظهر . فرحنا اليه فلم اجد عليه حاجباً ووجدته جالساً وعنده قدح وكوز من ماء ، فدعا بظبة ـ يعني جراباً صغيراً ـ فقلت في نفسي : لقد امنني حين يخرج الي جوهراً ، فاذا عليه خاتم فكسر الخاتم فاذا فيها سويق فصبه في القدح فشرب منه وسقاني، فلم أصبر وقلت : أتصنع هذا بالعراق ، طعام العراق اكثر من ذلك . فقال : انما اشترى قدر مايكفيني واكره أن يفنى فيضع فيه غيري ، واني لم أختم عليه بخلا عليه وانما حفظي لذاك وانما اكره ان ادخل بطني الا طيباً ، واني قلت لك بين أيديهم الذى قلت لانهم يوم خدع وانا آمرك الان بما تأخذهم به ان أنت فعلت والا اخذك الله به دوني، وان بلغني عنك خلاف ما آمرك به عزلتك، لاتبيعن لهم رزقاً يأكلونه ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ولاتضربن رجلا سوطاً في طلب درهم فانا لم نؤمر بذلك، ولاتبيعن لهم دابة يعملون عليها ، انا امرنا أن نأخذ منهم العفو . قال : اذن اجيئك كما ذهبت . قال : وان فعلت .

وفي بلاغات البغدادى ـ في وفود أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية وكلام بينهما، قالت أروى لمعاوية: تأمر لي بألفي دينار وألفي دينار وألفي دينار . قال : ما تصنعين يا عمة بألفي دينار ؟ قالت : اشترى بها عيناً فوارة في أرض خوارة تكون لولد الحارث . قال : نعم الموضع وضعتها ، فما تصنعين بألفي دينار . قالت : ازوج بها فتيان بني عبد المطلب من اكفائهم . قال: نعم الموضع وضعتها فما تصنعين بألفي دينار. قالت : استعين بها على عسر المدينة وزيارة بيت الله الحرام . قال : نعم الموضع وضعتها ، هي لك نعمة وكرامة ثم قال : أما والله لو كان علي ما أمرلك بها . قالت: صدقت ان علياً عليه السلام ادى

الامانة وعمل بأمر الله واخذ به، وأنت ضيّعت امانتك وخنت الله في ماله فأعطيت مال الله من لايستحقه ، وقد فرض الله الحقوق لاهلها وبيّنها فلم تأخذبها ودعانا على عليه السلام الى اخذ حقنا الذى فرض الله لنا ، فشغل بحربك عن وضع الامور مواضعها ، وما سألتك من مالك شيئاً فتمنّ به ، انما سألتك من حقنا، ولا نرى اخذ شيء غير حقنا ، أتذكر علياً فضّ الله فاك واجهد بلاك . ثم علا بكاها وقالت :

ألا يا عين ويحك فاسعدينا ألا وابكي امير المؤمنينا

وفيه- في وفود سودة بنت عمارة على معاوية بعد ذكر كلام بينهما- قالت سودة لمعاوية : قدم علينا بسر بن ارطارة من قبلك فقتل رجالي واخذ مالي ، تقول فوهى بما استعصم الله منه والجأ اليه فيه ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فاما عزلته عنا فشكرناك واما لافعرفناك . فقال لها معاوية : اتهددينني بقومك ، لقد هممت ان احملك على قتب اشرس فأردّك اليه ينفذفيك حكمه . فأطرقت تبكي ثم قالت :

صلى الاله على جسم تضمنّه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال لها معاوية : ومن ذلك ؟ قالت : علي بن ابي طالب عليه السلام . قال: وماصنع بك حتى صار عندك كذلك ؟ قالت : قدمت عليه في رجل ولاه صدقاتنا فكان بيني وبين الرجل ما بين الغث والسمين ، فأتيته لاشكوه اليه فوجدته قائماً يصلي ، فلما نظر الي انفتل من صلاته ثم قال لي برأفة وتعطف : ألك حاجة ؟ فأخبرته فبكى ثم قال : اللهم انك أنت الشاهد علي وعليهم، انى لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك . ثم أخرج من جيبه قطعة جلد ، فكتب « قد جاءتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا

فى الارض مفسدين*بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين * وما انا عليكم بحفيظ » اذا قرأت كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك ـ الخبر .

وقولها« يقول فوهى بما استعصم الله منه » أي تكلمى بالسب له عليه السلام واستعيذ بالله من ذلك .

قوله عليه السلام (انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له) « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب » .

(ولا تروعن ّ)أي لا تفزعن (مسلماً ولا تجتازن) أي لاتمرن (عليه كارهاً ولا تأخذن منه اكثر من حق الله فى ماله) لانه ظلم .

(فاذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط ابياتهم) لكون ذلك أذى لهم (ثم امض اليهم بالسكينة) من السكون (والوقار) من الوقر (حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم) فالسلام من آداب الاسلام ، قال تعالى « فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون » .

(ولاتخدج) من الاخداج (بالتحية لهم) هكذا فى المصرية و«حد»، والصواب « التحية لهم » كما فى ثم لتصديق النهاية له ، فقال: وفى حديث على عليه السلام « لاتخدج التحية لهم » أى لاتنقصها، يقال أخدجت الناقة ولدها اذا ولدته ناقص الخلق ، وخدجت الناقة اذا ألقت ولدها قبل أوانه وان كان تام الخلق .

(ثم تقول عباد الله أرسلني اليكم ولي الله وخليفته لاخذ منكم حق الله فى اموالكم) انما قال عليه السلام « عباد الله » دون « أيها الناس » وقال « ولي الله وخليفته » دون « علي امير المؤمنين » وقال « حق الله » دون « الصدقات » ليكون الاضافة الى الله تعالى فى المواضع الثلاثة لتسهيل الاعطاء على نفوسهم ، فان

اعطاء المال شديد على النفوس ، ولذا قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله في أخذ الصدقات من الناس « وصـل عليهم ان صلاتك سكن لهم » كما انه عليه السلام اتى بلفظة « الله » ظاهراً في الاخرين مع تقدم ذكره تأكيداً لذلك.

(فهل لكم من حق فتؤدوه الى وليه) وفي العقد عن بعضهم قال : وقف علينا اعرابي فقال: اخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله ، وطالب خير من رزق الله، فهل فيكم من مواس في الله .

(فان قال قائل لا فلا تراجعه) فقوله قبول مادام لم يعلم كذبه ومينه، ولا يحتاج الى بيّنة أو يمين.

(وان أنعم لك منعم) أي قال قائل «نعم لك عندي حق لله» (فانطلق معه من غير أن تخيفه) بالشدة عليه (و) هكذا في المصرية والصواب «او» كما في حد وثم والخطية (توعده) بايذائه (او تعسفه) قال الجوهري : العسف الاخذ على غير الطريق ، قال البحتري :

حيث لا عند مجتبى منه الطاط ولا في سياق جابيه عسف

(او ترهقه) اي تعسره .

هذا، وفي الطبري قال مسلم العجلي: مررت بالمسجد فجاء رجل الى سمرة ابن جندب - وكان زياد يستخلفه على البصرة اذا سار الى الكوفة وعلى الكوفة اذا سار الى البصرة واقره معاوية بعد زياد ستة أشهر - فأدى زكاة ماله ، ثم دخل فجعل يصلي في المسجد ، فجاء رجل فضرب عنقه فاذا رأسه في المسجد وبدنه ناحية ، فمر ابو بكرة فقال: يقول سبحانه «قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى» فما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير فمات شر ميتة .

(فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة) من زكاة النقدين او قيمة الغلات الاربعة (فان كان) هكذا في المصرية والصواب «فان كانت» كما في حد و ثم والخطية

(له ماشية) الماشية تطلق على الغنم والبقر والابل ، والمراد هنا الاولان (اوابل فلاتدخلها الاباذنه فان اكثرها له، فاذا اتيتها فلاتدخل عليها) هكذا فى المصرية، والصواب «فلاتدخلها» كما فى حد وثم (دخول متسلط عليه ولاعنيف به) قال الجوهرى : العنيف الذي ليس له رفق بركوب الخيل .

(ولاتنفرّن بهيمة ولاتفزعنها) فانه ظلم وعمل قبيح .

(ولاتسؤن صاحبها فيها) قال بعضهم فى وصف مصدقهم :

ياكروواناً صك فاكبأنا فشن بالسلح فلمـا شنا

بل الذنابى عبساً مبنّا ءابلى تأكلهـا مصنّا

خافض سن ومشيل سنا

قال ابن السكيت : معنى قوله «خافض سن» ان المصدق يأخذ ابنة لبون ويقول انها ابنة مخاض ، «ومشيل سناً» ان للمصدق ابنة لبون فيأخذ حقّة .

(وأصدع المال صدعين) قال الجوهري (الصدعة) بالكسر الصرمة من الابل والفرقة من الغنم ، يقال صدعت الغنم صدعتين أي فرقتين .

(ثم خيّره) بين الصدعين (فاذا اختار) أحدهما (فلاتعرضنّ لمااختاره) منهمـا .

(ثم اصدع الباقي) مما اختاره (صدعين ثم خيّره) بين الصدعين (فاذا اختار) أحدهما (فلاتعرضن لما اختاره) منهما .

(فلاتزال كذلك) تصدع الباقي صدعين ثم تخيّره فاذا اختار فلم يكن لك التعرض له (حتى يبقى مافيه وفاء لحق الله في ماله) واحد أو اكثر (فاقبض حق الله منه) مما تركه (فان استقالك) من القيل من اقالة البيع بمعنى فسخه .

(فأقلـه ثم اخلطهما) مابقي وماختار (ثم اصنع مثل الذي صنعت أولا) من صدع المال ويدعه واختياره (حتى تأخذ حق الله فى ماله) مما بقي وأعرض عنه .

هذه آداب الاسلام لعمّال الصدقات ، لايجوز لهم ان يختاروا من أنعام من وجبت عليه الزكاة وانما الاختيار لمالكيها . وكان عمّال ابى بكر يختارون ماأعجبهم ولوكان من مال غير المالك مختلطاً بـه ، فان تكلم المالك فى ذلك رموه بالارتداد وقتلوه .

ففى كامل الجزرى : كان زياد بن لبيد قد ولى من قبل ابى بكر صدقات بنى عمرو بن معاوية ، فقدم عليهم فكان اول من انتهى اليه منهم شيطان بن حجر، فأخذ منهم بكرة ووسمها فاذا الناقة للعداء بن حجر اخيه وكان اخوه قد أوهم حين اخرجها وكان اسمها شذرة وظنها غيره ، فقال العداء : هذه ناقتي . فقال اخـوه : صدق فأطلقها وخذ غيرها . فاتهّمه زيـاد بالكفر ومباعدة الاسلام ، فمنعهماعنها وقال: صارت فى حق الله، فلجا فى اخذها فقال لهما زياد : لاتكونن «شذرة» عليكم كالبسوس. فنادى العداء : ياآل عمرو ءأضام واضهد ، ان الذليل من اكل فى داره . ونادى حارثة بن سراقة بن معد يكرب ، فأقبل حارثة الى زياد وهو واقف فقال له: أطلق بكرة الرجل وخذ غيرها. فقال زياد : ماالى ذلك سبيل . فقال حـارثة : ذاك اذا كنت يهودياً ـ واطلق عقالها وبعثها وقام دونها ـ فأمر زياد شباباً من حضرموت والسكون فمنعوه وكتفوه وكتفوا أصحابه واخذوا البكرة ، وتصايحت كندة وغضبت بنو معاوية لحارثة وأظهروا أمرهم، وغضبت حضرموت والسكون لزياد وتوافى عسكران عظيمان ـ الى أن قال ـ ونهد زياد اليهم ليلا فقتل منهم وتفرقوا .

(ولاتأخذن عوداً) بالفتح أي مسنة . قال الجزرى : فى حديث حسان «قد آن لكم ان تبعثوا الى هذا العود» شبه نفسه بجمل كبير مسن مدرب فشبه نفسه به، وفى حديث جابر «فعمدت الى عنز لاذبحها فقال عليه السلام لاتقطع درأ ولانسلا فقلت انمـا هى عودة علفناها البلح والسمن والرطب فسمنت» يقال بعير عود وشاة عودة اذا أسنا .

(ولاهرمة) قال ابن دريد : الهرم بلوغ الغاية فى السن .

وفى القاموس : ابن هرمة آخر ولد الشيخ والشيخة وشاعر .

هذا، وليست جملة «ولاتأخذن عوداً ولاهرمة» فى رواية الكلينى والشيخين.

(ولامكسورة) لكونهاناقصة ويجب اداءسالمة (ولامهلوسة) قال الجوهري : الهلاس السل ، يقال هلسه المرض .

(ولاذات عوار) بالفتح أي العيب . ويقال فى الامرين المكروهين «كسير وعوير وكل غير خير» .

(ولاتأمنن عليها) فى ارسالك لها الي(الامن تثق بدينه رافقاً بمال المسلمين حتى يوصله الى وليهم غير معنف ولامجحف) بتقديم الجيم. قال الجوهرى: اجحف به أي ذهب به ، وكان اسم جحفة ميقات الشام مهيعة فأجحف السيل بأهلها فسميت به .

(ولاملغب) قال الجوهري : ألغبته أي انصبته .

(ولامتعب ثم احدر الينا) والاصل فى الحدر ارسال السفينة الى اسفل، وهنا كناية عن الاسراع، فالارسال الى اسفل يحصل سريعاً .

(ما اجتمع عندك نصيّره حيث امر الله) هكذا فى المصرية ، والصواب « امر الله به » كما فى « حد » و « ثم » والخطية ، أي من موارد الصدقات .

(فاذا أخذها امينك فأوعز اليه) قال الجوهري : أوعزت اليه فى كذا وكذا أي تقدمت ، وكذلك وعّزت توعيزاً ، وقد يخفف فيقال وعزت اليه وعزاً.

(ألا يحول بين ناقة وفصيلها) الفصيل ولد الناقة اذافصل عن امه .

(ولا يمصّر لبنها) قال ابن السكيت: المصر حلب كل ما فى الضرع (فيضر ذلك بولدها) فيضعف فيموت .

فى ادب كاتب الصولي : قال الحجاج يوماً للدهاقين ـ وقد اجتمعوا عنده ـ كم كان عمر يجبى السواد قالوا مائة ألف ألف درهم . قال : فكم جباه زياد ؟ قالوا مائة ألف ألف . قال : فكم نجبيه نحن اليوم ؟ قالوا : ثمانين ألف ألف. فقال : لم ذلك ؟ فقال له دهقان الفلوجيين : هذا كله لبيتين قاله شاعركم ابن حلزة . قال : وما هما ؟ قال : قوله :

لاتكسع الشول بأغبارها ... انك لاتدرى من الناتج

واصبب لاضيافك ألبانها ... فان شر اللبن الوالج

فاستعمل عمّالكم هذا فخربت الدنيا .

ومعنى البيتين ان العرب كانت اذا اخصبت عاماً لم تستقص الحلب وتركت فى الضروع بقية وكسعت الضروع بالماء البارد ليترادّ اللبن فيكون أقوى لظهورها، فان كان فى العام المقبل جدب كان فيها فضل وقوة حتى لاينقطع اللبن ، فقال هذا الشاعر « لاتكسع الشول » وهى النوق « بأغبارها » وهى بقايا ألبانها « انك لاتدري من الناتج » أي لعله أن يغار عليك فتؤخذ أو تموت فيأخذها الوارث، اى يعمل العمّال هذا واخذوا العاجل ولم يعمروا للطعام المقبل فنقص الخراج لذلك .

(ولايجهدنها ركوباً وليعدل بين صواحباتها فى ذلك وبينها) وقد عرفت أن رواية الكافى «ولايجهدنها ركوباً وليعدل بينهن فى ذلك» .

(وليرفه) اي يجعل الرفاهية (على اللاغب) الذي حصل له التعب والاعياء (وليستأنّ) اى ينتظر (بالنقب) أى بعير رقّت اخفافه (والظالع) اى بعير غمز في مشيه .

(وليوردها) الماء (ماتمرّ به من الغدر) جمع الغدير ، قدر من الماء يغادره السيل . وفى الصحاح : ويقال الغدير فعيل بمعنى فاعل لانه يغدر بأهله ، اى

ينقطع عند شدة الحاجة اليه ، قال الكميت :

ومن غدره نبزه الاولون اذ لقبوه الغديرا

(ولايعدل بها عن نبت الارض الى جوادّ) بتشديد الدال من الجدد جمع الجادّة الارض الغليظة (الطرق وليروّحها) أي يجعل لها راحة أويردّها الى المراح (فى الساعات) اى ساعات الترويح. وفي رواية الكافى «فى الساعة التى فيها تريح وتغبق» .

ثم ان ابن ادريس جعل (يعنق) فى الكافى بالعين والنون ، من العنق اي السير الشديد للابل، فقال: معناه لايعدل بهن عن نبت الارض الى جوادّ الطرق فى الساعات التى لها فيها راحة ولافى الساعات التى عليها فيها مشقة ، وبعضهم صحّفه فقرأه «تغبق» بالغين المعجمة والباء من الغبوق ، وهو الشرب بالعشي .

قلت : لامعنى لما قال ، فاذا كان لايعدل بها عن النبت في ساعة الراحة وفي ساعة الشدة فأيّ ساعة تسير، وايضاً الاعناق فى النبت لايحصل بل فى الجادة .

(وليمهلها عندالنطاف) جمع النطفة الماء الصافي قلّ اوكثر (والاعشاب) جمع العشب الكلاء الرطب (حتى تأتينا) هكذا فى المصرية و« ثم » ، ولكن في « حد » والخطية « حتى يأتينا بها» (بأذن الله) أي بتقديره (بدناً) بضم الدال وسكونه، أي سمان (منقيات) ذات نقى أي مخّ (غير متعبات ولامجهودات) جهد دابته اذاحمل عليها فوق طاقتها (لنقسّمها على كتاب الله وسنة نبيه) على الاصناف المستحقين .

(فانّ ذلك) أي رعيك ماذكرت لك (أعظم لاجرك واقرب لرشدك انشاءالله) ليست كلمة « انشاء الله » فى نسخة « ثم » .

٦٠/٢/ ومن كتاب له عليه السلام الى العمال الذين يطأ الجيش عملهم :

من عبدالله على امير المؤمنين الى من مر به الجيش من جباة الخراج

وعمال البلاد ، أما بعد : فانى قد سيرت جنوداً هى مارة بكم انشاء الله وقداوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الاذى وصرف الشذى، وانا ابرأ اليكم والى ذمتكم من مغرة الجيش ، الا من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهباً الى شبعه ، فنكلوا من تناول منهم شيئاً ظلماً عن ظلمهم ، وكفوا أيدى سفهائكم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم ، وانابين أظهر الجيش ، فارفعوا الى مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من امرهم ومالاتطيقون دفعه الا بالله وبى ، فانا أغيره بمعونة الله ان شاء .

أقول : رواه نصر بن مزاحم فى صفينه هكذا: فقال وفى حديث عمر ايضاً باسناده ان علياً عليه السلام كتب الى امراء الاجناد ـ بعد البسملة : أما بعد ، فانى ابرأ اليكم والى اهل الذمة من معرّة الجيش الا من جوعة الى شبعه ومن فقر الى غنى أوعمى الى هدى ، فانّ ذلك عليهم ، فاعزلوا الناس عن الظلم والعدوان ، وخذوا على أيدي سفهائكم ، واحترسوا ان تعملوا أعمالا لايرضى الله بها عنا فيردّ علينا وعليكم دعانا، فان الله تعالى يقول « قل ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً » ، فان الله اذا مقت قوماً من السماء هلكوا فى الارض، فلاتدّ خروا انفسكم خيراً ولاالجند حسن السيرة ولاالرعية معونة ولادين الله قوة، وابلوه فى سبيله ما استوجب عليكم، فان الله قداصطنع عندنا وعندكم ما نشكره لجهدنا وان ننصره ما بلغت قوتنا ، ولا قوة الابالله.

وفى كتابه ايضاً: وكتب عليه السلام الى جنوده يخبرهم بالذى لهم والذى عليهم : من عبدالله علي امير المؤمنين، أما بعد فان الله جعلكم فى الحق جميعاً سواء أسودكم وأحمركم ، وجعلكم من الوالي وجعل الوالي منكم بمنزلة الوالدمن الولد وبمنزلة الولد من الوالد ، الذى لا يكفيهم منعه اياهم من طلب عدوه والتهمة به ما سمعتم وأطعتم وقضيتم الذى عليكم، وانّ حقكم عليه أيضاً

فكم والتعديل بينكم والكـّف عن فيئكم ، فاذا فعل ذلـك معكم وجبت عليكم طاعته بما وافق ونصرته على سيرته والدفع عن سلطان الله فانكم وزعـة الله فى الارض تكونوا لهأعواناً ولدينه أنصاراً، ولاتفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ان الله لايحـّب المفسدين .

قول المصنف (يطأ الجيش عملهم) هكذا فى المصرية ، والصواب « يطـأ عملهم الجيش » كما فى «حد» و «ثم» والخطية، وفى نسخة الاول «الجيوش».

قوله عليه السلام (من عبدالله علي امير المؤمنين الي من مـّر به الجيش من جباة الخراج) الجباة جمع الجابى ، والاصـل فى معناه الجمع ، قـال تعالى « تجبى اليه ثمرات كل شىء » ، والخراج كالخرج الاتاوة .

(وعـّمال البلاد) أى حكـّامها .

(أما بعد فانى قد سيـّرت جنوداً) الى العدو (هى مارة بكم انشـاء الله) لكونكم فى طريقهم (وقد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كـّف الاذى وصرف الشذى) أى الشر ، يقال آذيت وأشذيت .

فى العقد : حبس مروان ـ وكان والي المدينة من قبل معاوية ـ غلاماً مـن بني ليث فى جناية جناها، فأتته جدة الغلام ام سنان المذحجية فكلمته فى الغلام، فاغلظ لها فخرجت الى معاوية، فقال لها: ماأقدمك ارضناوقد عهدتك تشتمينا وتحضـّين علينا عدونا. قالت : ان لبنى عند منـاف اخلاقاً طاهـرة ، وان أولى الناس باتباع ما سن آباؤه لانت .

قال : نحن كذلك، فكيف قولك :

عزب الرقـاد فمقلتي لاترقـد ... والليل يصدر بالهموم ويـورد

يا آل مذحج لامقـام فشمـّروا ... ان العدو لال أحمد يقصد

هذا علي كالهـلال تحفـّه ... وسط السماء من الكواكب اسعد

خير الخلائق وابن عم محمد ان تهتدوا بالنور منه تهتدوا

مازال مذشهد الحروب مظفراً والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت :كان ذلك وارجوأن تكون لنا خلفاً . فقال رجل من جلسائه : كيف وهى القائلة :

أماهلكت اباالحسين فلم تزل بالحق تعرف هادياً مهديا

فاذهب عليك صلاة ربك مادعت فوق الغصون حمامة قمريا

قد كنت بعد محمد خلفاً كما أوصى اليك بنا فكنت وفيا

فقالت : لسان صدق وقول نطق ، ولئن تحقق ما ظننا فحظك الاوفر ، والله ماورثك الشنآن في قلوب المسلمين الاهؤلاء ، فادحض مقالتهم وأبعد منزلتهم -- الى أن قالت -- ان مروان تبنك بالمدينة تبنك من لايريد البراح منها، لايحكم بعدل ولا يقضي بسنة ، يتتبع عثرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين .

(وانا ابرأ اليكم والى ذمتكم من معرة الجيش) اى أثمهم وشرهم .

برىء عليه السلام من معرتهم كما برأ النبى صلى الله عليه وآله من معـرة عمل خالد بن الوليد ببنى جذيمة، حيث غدربهم فآمنهم فوضعوا السلاح فأمر بهم فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر الى النبي رفع يديه الى السماء وقال -- كما فى الطبرى -- اللهم اني ابرأ اليك مماصنع خالد بن الوليد . ثم دعا علياً عليه السلام وقال له : أخرج الى هؤلاء ، وبعث معه مالاً فودى لهم الدماء وما أصيب من الاموال حتى انه ليدى ميلغة الكلب ، فلما فرغ قال لهم : هل بقي لكم دم أو مال لم يود اليكم ؟ قالوا : لا . قال : فانى اعطيكم هذه البقية -- وقدكان بقي من مال معه بقية -- احتياطاً للنبى صلى الله عليه وآله ممالا أعلم ولاتعلمون، فأعطاهم ثم رجع الى النبى فأخبره بما فعل، فقال صلى الله عليه وآله له: اصبت واحسنت. ثم قام النبى فاستقبل القبلة قائماً

شاهراً يديه حتى انه ليرى بياض ماتحت منكبيه وهو يقول « اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد ـ ثلاث مرات ـ » .

(الامن جوعة المضطر لايجد عنها) اي عن جوعته (مذهباً) اى مسلكاً وحيلة (الى شبعه) قال تعالى ـ بعد ذكر حرمة الميتة والدم ولحم الخنزير وماأهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع والمذبوح على النصب ومستقسم الازلام ـ « فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم » .

(فنكلوا) اى دافعوا (من تناول) اى اخذ (منهم شيئاً) هكذا فى المصرية وليس « شيئاً » فى « ثم » و« حد » والخطية ، فالكلمة زائدة (ظلماً) مفعول مطلق لقوله « تناول » (عن ظلمهم) متعلق بقوله « فنكلوا » .

هذا، وفى الطبرى : كان هرمز بن انو شروان ذانيّة فى الاحسان الى الضعفاء والمساكين والحمل على الاشراف ، فأبغضوه ـ وبلغ من عدله انه كان يسير الى مياه ليصيف ، فأمر فنودي فى مسيره ذلك فى جنده وسائر من كان فى عسكره ان يتحاموا مواضع الحروث ولايضروا بأحد من الدهاقين فيها ويضبطوا دوابهم عن الفساد فيها ، ووكل بتعاهد ما يكون فى عسكره من ذلك ومعاقبة من تعدى امره ، وكان ابنه كسرى ابرويز ، فعار مركب من مراكبه ووقع فى محرثة كانت فى طريقه ، فرتع فيها وأفسد منها ، فأخذ ذلك المركب ودفع الى من وكله هرمز بمعاقبة من أفسد دابته شيئاً من المحارث وتغريمه ، فلم يقدر الرجل على انفاذ أمر هرمز فى كسرى ولا فى احد ممن كان معه فى حشمه ، فرفع مارئى من افساد ذلك المركب الى هرمز ، فأمر ان يجدع اذنيه ويبتر ذنبه ويغرم كسرى فخرج الرجل لينفذ أمره فى كسرى ومركبه ، فدس له كسرى رهطاً من العظماء ليسألوه التغبيب فى امره فلم يجب اليه ، فسألوه ان يؤخر أمره فى المركب حتى يكلموا هرمز فقبل فلقوه وأعلموه ان بالمركب الذى افسد ما أفسد زعارة وانه عار ، فوقع

فى محرثة فأخذ من فوره وان فى تبتيره سوء الطيرة على كسرى ، فلم يجبهم الى ما سألوه من ذلك ، وامر بالمركب فجدع اذناه وبتر ذنبه وغرم كسرى مثل ما كان يغرم غيره فى هذا الحد ، ثم ارتحل من معسكره .

وفيه ايضاً : كان هرمز ركب ذات يوم فى أوان ايناع الكرم الى ساباط المدائن ، وكان ممره على بساتين وكروم، وان رجلا ممن ركب معه من أساورته اطلع فى كرم فرأى فيه حصرماً فأصاب منه عناقيد ودفعها الى غلام كان معه وقال له : اذهب بها الى المنزل واطبخها بلحم واتخذ منها مرقة فانها نافعة فى هذا الوقت ، فأتاه حافظ ذاك الكرم فلزمه وصرخ ، فبلغ اشفاق الرجل من عقوبة هرمز أن دفع الى الحافظ منطقة محلاة بذهب كانت عليه عوضاً له من الحصرم الذى رزأ من كرمه ، ورأى أن قبول الحافظ للمنطقة بدون رفع أمره الى هرمز من منّه عليه .

وفيه رفع الهرابذة الى هرمز قصة (يبغون فيها على النصارى)، فوقّع فيها كما أنه لاقوام لسرير ملكنا بقائمتيه المقدمتين دون قائمتيه المؤخرتين فكذلك لاقوام لملكنا ولاثبات له مع استفسادنا من فى بلادنا من النصارى وأهل سائر المخالفة لنا، فاقصروا عن البغي عنهم وواظبوا على البر بهم، ليرى ذلك النصارى وغيرهم من أهل الملل فيحمدوكم عليه وتتوق انفسهم الى ملتكم .

(وكفوا أيدى سفهائكم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم) من جوعة المضطر (وأنا بين اظهر الجيش) وقوتهم مني (فارفعوا الي مظالمكم) من الجيش (وما عراكم) أى غشيكم (مما يغلبكم من أمرهم ومالا) هكذا فى المصرية والصواب « ولا » كما فى حد وثم والخطية (تطيقون دفعه الا بالله وبى) .

فى العقد ـ فى قصة فى وفود سودة الهمدانية على معاوية ـ قالت له : لا يزال يقدم علينا من عندك من يحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دياس البقر، ولولا

الطاعة لكان فينا عز ومنعة . فقال: تهددينى بقومك ، لقد هممت أن اردك الى بسر ـ وكانت قدمت فى الشكاية منه ـ فسكتت ثم قالت :

صلى الالـه على روح تضمنّه قبر فأصبح فيه العدل مدفونـا

قد حالف الحق لايبغى به بدلا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال : ومن ذلك ؟ قالت : على بن ابى طالب عليه السلام ، أتيته يوماً فى رجل ولاه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه الغث والسمين، فوجدته قائماً يصلى، فانفتل من الصلاة ثم قال برأفة : ألك حاجة ؟ فأخبرته فبكى ثم رفع يديه الى السماء فقال : انى لم آمرهم بظلم خلقك ، ثم اخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب « قد جائتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين * بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين * وما أنا عليكم بحفيظ » اذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك حتى يأتي من يقبضه منك . فقال لها معاوية : لقد لمظكم ابن ابى طالب الجرأة على السلطان .

(فأنا اغيّره بمعونة الله انشاء) هكذا فى المصرية ، وفيها زيادة ونقيصة ، والصواب « أغيره بمعونة الله انشاء الله » كما فى حد وثم وكذا الخطية .

٣/٥٠/ ومن كتاب له عليه السلام الى امرائه على الجيوش : من عبد الله على بن ابى طالب امير المؤمنين الى اصحاب المسالح ، اما بعد فان حقاً على الوالى ان لايغيره على رعيته فضل ناله ولا طول خص به ، وان يزيده ما قسم الله له من نعمه دنواً من عباده وعطفاً على اخوانه . ألا وان لكم عندى ألا احتجز دونكم سراً الا فى حرب ، ولا اطوى دونكم امراً الا فى حكم ، ولا اؤخر لكم حقاً عن محله ، ولااقف به دون مقطعه ؛ وان تكونوا عندى فى الحق سواء . فاذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولى عليكم الطاعة وان لاتنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا فى اصلاح ، وان تخوضوا الغمرات

الى الحق ، فان انتم لم تستقيموا لى على ذلك لم يكن احدأهون على ممن اعوج منكم، ثم اعظم له العقوبة ولايجد عندى فيها رخصة ، فخذوا هذا من امرائكم واعطوهم من انفسكم ما يصلح الله به امركم .

اقول : رواه نصر بن مزاحم فى صفينه فقال : كتب علي عليه السلام الى امراء الجنود « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله علي امير المؤمنين ، أما بعد فان حقاً على الوالي ان لايغيّره على رعيته فضل ناله ولا امرخص به ، وان يزيده ما قسم الله له دنواً من عباده وعطفاً عليهم ، ألا وان لكم عندي ألا احتجز دونكم سراً الا فى حرب ولااطوى لكم امراً الا فى حكم ، ولا اؤخر لكم حقاً عن محله ولا ارزؤكم شيئاً وان تكونوا عندي فى الحق سواء ، فاذا فعلت ذلك وجبت عليكم النصيحة والطاعة ، فلا تنكصوا عن دعوتى ولا تفرطوا في صلاح دينكم من دنياكم، وان تنفذوا لما هو لله طاعة ولمعيشتكم صلاح، وان تخوضوا الغمرات الى الحق ولا يأخذكم فى الله لومة لائم ، فان ابيتم ان تستقيموا لي على ذلك لم يكن احد اهون علي ممن فعل ذلك ، ثم اعاقبه عقوبة لايجد عندى فيها هوادة ، فخذوا هذا من امرائكم واعطوهم من انفسكم ما يصلح الله امركم. والسلام . ونقل عن امالي الشيخ ١/٢٢١ .

(من عبد الله علي بن ابى طالب امير المؤمنين) هكذا فى المصرية أخذاً عن «حد» ، والذي وجدت فيه «من عبد الله امير المؤمنين علي بن ابى طالب». وكيف كان ففى ثم «من عبد الله علي امير المؤمنين» .

(الى اصحاب المسالح) جمع المسلحة ثغر أعدّ فيه الاسلحة ، وقالوا أدنى مسالح فارس الى العرب العذيب .

(أما بعد فان حقاً على الوالي) أي واجباً عليه (ألا يغيّره على رعيته) الذين هم تحت رعيه (فضل ناله) من الرياسة (وطول) بالفتح (خص به) دون الرعية

من القدرة .

(وأن يزيده ماقسم الله من نعمه دنواً) أي اقتراباً (من عباده) شكراً لنعمه (وعطفاً) أي اشفاقاً، ومنه «العطفة» خرزة تؤخذ بهاالنساء الرجال (على اخوانه) فى الدين .

(ألا وان لكم عندي) من الحق (ألااحتجز) أي امتنع (دونكم سراً الافى حرب) لترتب المفاسد على كشفه بفهم العدو المقاصد .

وفى الطبري: كان النبى صلى الله عليه وآله قلما يخرج في غزوة الاكنّى عنها واخبر أنه يريد غير الذي يصمد له ، الا مكان من غزوة تبوك فانه بيّنها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان، فكان النبى تهيأ لذلك فى شدة من الحر وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار وأحبّت الظلال، فأخبرهم أنه يريد الروم ليتأهب الناس لذلك أهبته .

وفيه ـ في فتح مكة ـ خرج النبى صلى الله عليه وآله الى مكة فقائل يقول يريد قريشاً وقائل يقول يريد هوازن وقائل يقول يريد ثقيفاً ، وبعث الى القبائل فتخلفت عنه ولم يعقد الالوية ولم ينشد الرايات حتى قدم قديداً ، فلقيته بنو سليم على الخيل والسلاح التام ، وقد كان عيينة لحق النبى صلى الله عليه وآله بالعرج فى نفر من أصحابه ، فقال للنبى صلى الله عليه وآله : والله ماأرى آلة الحرب ولاتهيئة الاحرام فأين تتوجه؟ فقال النبى : حيث شاء الله . ثم دعا النبى ان تعمى عليهم الاخبار ـ الخ .

(ولاأطوي) الطي ضد النشر (دونكم امراً الافي حكم) فانه الى الامام .

فى الفقيه : قال الصادق عليه السلام : اذا كان الحاكم يقول لمن عن يمينه ولمن عن يساره ماتقول وماترى، فعلى ذلك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ألايقوم من مجلسه ويجلسهما مكانه، وان رجلا نزل بعلي عليه السلام فمكث عنده

أياماً ، ثم تقدم اليه في حكومة لم يذكرها لعلي ، فقال عليه السلام له : اخصم أنت؟ قال: نعم . قال : تحول عنا ، فان النبي صلى الله عليه وآله نهى أن يضاف الخصم الاومعه خصمه .

هذا ، ورووا أن امرأة جاءت الى عمر فقالت له : ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل ، وانى اكره ان اشكوه وهو يعمل بطاعة الله . فقال : نعم الزوج زوجك ـ فجعلت تكرر عليه القول وجعل يكرر الجواب ـ فقال له كعب بن سور : انها تشكو زوجها في مباعدته اياها عن فراشه ، ففطن عمر حينئذ وقال له : وقد ولّيتك الحكم بينهما . فقال كعب : علي بزوجها ، فأتى به فقال له : ان امرأتك هذه تشكوك . قال : في طعام اوشراب . قال : لا ـ الى ان قال بعد حكم كعب بجعل ليلة لامرأته وثلاث ليال لعبادته من حل اربع نساء له لكل امرأة ليلة ـ فقال له عمر : والله ماعلم من اي امريك اعجب، امن فهمك امرها ام من حكمك بينهما ، اذهب فقد ولّيتك قضاء البصرة .

ويقال للرجل : لانعلم من اي امريك نعجب امن تصديك خلافة المسلمين مع عدم فهمك الموضوعات العرفية فضلا عن الاحكام الشرعية ، ام من تسمية اصحابك لك الفاروق مع مقامك هذا .

(ولا اؤخر لكم حقاً عن محله) بل اوصل اليكم الحق عند حلوله عطاء او غيره .

(ولااقف به دون مقطعه) بل اقطع الحق وافصله ولااقف به اخليه بحاله ، كبعض الحكام الذين يدعون المتخاصمين في الخصومة .

ومما شرحنا يظهر سقوط قول«حد» ان المراد بقوله«حقاً» العطاء وبضميره الحكم .

(وان تكونوا عندي فى الحق سواء) شريفكم ووضيعكم، وتفضيل الشريف

على الوضيع من بدع الثاني ، فان النبى صلى الله عليه وآله انما سوى بينهما .

وكان الشريف والوضيع سواء عنده في اخذ الحق منه وله ، وفى اجراء حكم الله تعالى عليه ، فجلد عليه السلام النجاشي لمّا شرب مع كونه شاعره ومادحه ، فلحق بمعاوية ولم يبال عليه السلام بذلك ، بخلاف المتقدمين عليه فرووا عن زيد بن اسلم قال : خلا عمر لبعض شأنه وقال امسك علي البـاب ، فطلع الزبير فكرهته حين رأيته ، فأراد ان يدخل فقلت : هو على حاجة ، فلم يلتفت اليواهوى ليدخلفوضعت يدي فى صدره، فضرب انفي فأدماه ثمرجع، فدخلت على عمر فقال : من فعل بـك ؟ قلت : الزبير . فأرسل اليه فجاء فقمت لانظر مايقولله، فقال: ماحملك على ماصنعت ادميتنى للناس فقال الزبير يحكيه ويمططه : ادميتنى للناس ، اتحتجب عنا يابن الخطاب . فقال كالمعتذر : اني كنت فى بعض شأنى ـ فلمـا سمعته يعتذر اليه يأست من ان يأخـذ لى بحقي وخرج الزبير .

(فاذا فعلت ذلك) ماذكر من قوله عليه السلام«وان لكم عندي الأحتجز دونكم سراً ـ الى قوله ـ وان تكونوا عندى في الحق سواء» .

(وجبت لله عليكم النعمة) يعنى يظهر لكم مصداق قوله تعالى فى ولايتى واستخلاف النبى صلى الله عليه وآله لي « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» .

(ولي عليكم الطاعة) فيه اشارة الى قوله تعالى فيه «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصـلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» والى قول النبى صلى الله عليه وآله فيه ـ بعد تقرير الناس بكونه اولى بهم من انفسهم ـ «من كنت مولاه فعلي مولاه» .

كما ان فى كلامه عليه السلام اشارة الى ان طاعة المتقدمين عليه لم تكن

واجبة على الناس لعدم اتصافهم بما ذكر، وان ولايتهم على الناس لم تكن نعمة من الله تعالى بل نقمة وكلمة عذاب حقت عليهم .

ومن الغريب ان الثانى قال لابن عباس: أتدري مامنع الناس عنكم ؟ قال: لا . قال : كرهت قريش ان تجتمع لكم النبوة والخلافة فتجحفوا الناس جحفاً، فنظرت قريش لانفسها فاختارت ووفقت فأصابت. فقال له ابن عباس: أماقولك «ان قريشاً كرهت» فان الله تعالى قال لقوم «ذلك بأنهم كرهوا ماانزل الله فأحبط اعمالهم». واماقولك «انا كنا نجحف» فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة، ولكنا قوم اخلاقنا مشتقة من خلق الرسول الذي قال تعالى له « وانك لعلى خلق عظيم » وقال له «واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» . وأما قولك « ان قريشاً اختارت » فان الله تعالى يقول «وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة» وقد علمت ان الله تعالى اختار من خلقه لذلك من اختار ، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت (وان لاتنكصوا) بالكسر والضم ، أي لاترجعوا (عن دعوة) فما دعوتكم اليه يجب عليكم اجابتي .

(ولاتفرطوا) فرط فرطاً وفرّط تفريطاً أي قصّر وضيّع (فى صلاح وان تخوضوا الغمرات) أي الشدائد (الى الحق) أي فى سبيله واجرائه .

وفى الطبرى : خرج عمار فى صفين الى الناس وقال : اللهم انك تعلم لو أعلم انّ رضاك في ان اقذف بنفسي فى هذا البحر لفعلته ، وانى لاأعلم اليوم عملا هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو اعلم أن عملا من الاعمال هو أرضى لك منه لفعلته .

وفيه بلغ حكيم بن جبلة ماصنع أهل الجمل بعثمان بن حنيف وغدر طلحة والزبير به، فقال: لست أخاف الله أن لم انصره . فجاء فى جماعة من عبدالقيس وبكر بن وائل ، فقال له ابن الزبير : مالك ياحكيم ؟ قال : نريد أن تخلّوا

عثمان بن حنيف فيقيم في دار الامارة على ماكتبتم بينكم حتى يقدم علي عليه السلام، والله لوأجد أعواناً عليكم اخبطكم بهم مارضيت بهذه منكم حتى اقتلكم بمن قتلتم ، ولقد أصبحتم وان دماءكم لنا حلال بمن قتلتم من اخواننا . أما تخافون الله تعالى، بم تستحلون سفك الدماء. قال: بدم عثمان بن عفان . قال : فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان ؟ اماتخافون مقت الله . فقال ابن الزبير : لانخلي سبيل ابن حنيف حتى يخلع علياً . قال حكيم : اللهم انك حكم عدل فاشهد وقال لاصحابه : انى لست فى شك من قتال هؤلاء فمن كان فى شك فلينصرف ، وقاتلهم حكيم وضرب رجل ساق حكيم فقطعها ، فأخذ حكيم ساقه فرماه بها فأصاب عنقه فصرعه ووقذه ، ثم حبا اليه فقتله واتّكأ عليه ، فمربه رجل فقال: من قتلك ؟ قال: وسادتي هذه ـ الخبر .

وفيه ايضاً : ان محمد بن ابى بكر جعل كنانة بن بشر على مقدمته فى قتال عمرو بن العاص الذي بعثه معاوية لاخذ مصر وقتل محمد ، فجعل كنانة لاتأتيه كتيبة من كتائب اهل الشام الأشد عليها بمن معه ـ الى ان قال ـ واجتمع عليه اهل الشام من كل جانب، فلما رأى ذلك نزل عن فرسه ونزل اصحابه وهو يقول «وماكان لنفس ان تموت الابأذن الله كتاباً مؤجلا ومن يردثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخره نؤته منها وسنجزي الشاكرين» ، وضاربهم بسيفه حتى استشهد .

(فان أنتم لم تستقيموا على ذلك لم يكن احد أهون علّي ممّن اعوج منكم ثم اعظّم له العقوبة ولايجد عندي فيها رخصة) روى الطبرى عن يزيد بن طلحة قال : لما أقبل على بن ابى طالب عليه السلام من اليمن ليلقى النبى صلى الله عليه وآله بمكة فى حجته الوداع تعجل الى النبى واستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا رجالا من القوم حللا من البز الذي كان مع علي عليه السلام ، فلما دنا جيشه خرج علي ليلقاهم فاذاهم عليهم

الحلل ، فقال : ويحك ماهذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجملوا بـه اذا قدموا في الناس . فقال: ويلك انزع من قبل ان تنتهى الى النبى. فانتزع على عليه السلام الحلل من الناس وردها فى البز ، وأظهر الجيش شكاية لما صنع بهم .

وعن ابى سعيد الخدرى قال : شكا الناس على بن ابى طالب ، فقام النبى صلى الله عليه وآله فينا خطيباً فسمعته يقول : ياأيها الناس لاتشكوا علياً ، فوالله انه لاخشن فى ذات الله ـ أو فى سبيل الله .

(فخذوا هذا من امرائكم ، واعطوهم من انفسكم مايصلح الله به امركم) يعنى احملوا أمراءكم على ان يتصفوا بمـا وصفت ثم اطيعوهم كما شرحت ، ولذا كان معاوية يقول للناس : عودكم ابن ابى طالب الجرأة على السلطان .

٥١/٤/ ومن كتاب له عليه السلام الى عماله على الخراج : من عبد الله على امير المؤمنين الى اصحاب الخراج، اما بعد فان من لم يحذر ما هو صائر اليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها ، واعلموا ان ما كلفتم يسير وان ثوابه كثير، ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغى والعدوان عقاب يخاف لكان فى ثواب اجتنابه مالا عذر فى ترك طلبه ، فأنصفوا الناس من انفسكم واصبروا لحوائجهم ، فانكم خزان الرعية ووكلاء الامة وسفراء الائمة ، ولاتحسموا أحـداً عن حاجته ولاتحبسوه عن طلبته ، ولا تبيعن للناس فى الخـراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبداً ، ولاتضربن احداً سوطاً لمكان درهم، ولاتمسن مال احد من الناس مصل ولامعاهد الا أن تجدوا فرساً او سلاحاً يعدى به على اهل الاسلام ، فانه لاينبغى للمسلم ان يدع ذلك فى ايدى اعداء الاسلام فيكون شوكة عليه ، ولا تدخروا انفسكم نصيحة ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة ، وابلـوا فى سبيـل الله ما استوجب عليكم ، فان الله سبحانه قد اصطنع عندنـا

وعندكم ان نشكره بجهدنا وان ننصره بما بلغت قوتنا ، ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

أقول : ورواه نصر بن مزاحم فى صفينه ايضاً مع زيادة ونقيصة ، فقال : وكتب علي عليه السلام الى امراء الخراج من عبدالله علي امير المؤمنين الى امراء الخراج ، أما بعد فان من لم يحذر ما هو صائر اليه لم يقدم لنفسه ولم يحرزها ، ومن اتبع هواه وانقادله على مالايعرف نفع عاقبته عما قليل ليصبحن من النادمين ، ألا وان اسعد الناس فى الدنيا من عدل عما يعرف ضره ، وان اشقاهم من اتبع هواه ، فاعتبروا ، واعلموا أن لكم ماقدمتم من خير وما سوى ذلك وددتم لوأن بينكم وبينه امداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد وان عليكم مافرطتم فيه ، وان الذى طلبتم ليسير وان ثوابه لكثير ، ولو لم يكن فى ما نهى عنه من الظلم والعدوان ما يخاف كان فى ثوابه مالاعذر لاحد بترك طلبته ، فارحموا ترحموا ولا تعذبوا خلق الله ولاتكلفوهم فوق طاقتهم ، وأنصفوا الناس من انفسكم واصبروا لحوائجهم ، فانكم خزان الرعية لاتتخذن حجاباً ولاتحجبن احداً عن حاجته حتى ينهيها اليكم ، لاتأخذوا أحداً بأحد الاكفيلا عمن كفل عنه ، واصبروا أنفسكم على ما فيه الاغتباط ، واياكم وتأخير العمل ودفع الخير ، فان في ذلك الندم . والسلام .

وروى نصر ذيل العنوان من قوله « ولاتدخروا » الخ فى كتابه عليه السلام الى امراء الاجناد هكذا : فلاتدخروا انفسكم خيراً ، ولا الجند حسن السيرة ، ولا الرعية معونة ، ولا دين الله قوة ، وابلوه فى سبيله ما استوجب عليكم ، فان الله قد اصطنع عندنا وعندكم ما نشكره بجهدنا ، وان ننصره ما بلغت قوتنا ـ الخ .

(أما بعد : فان من لم يحذر ما هو صائر اليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها) فتكون عاقبته أن يقول : يا حسرتى على مافرطت فى جنب الله .

(واعلموا أن ما كلفتم يسير) « ما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

(وثوابه كثير) « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

(ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان) « من البغي والعدوان» بيان لما نهى الله عنه .

(عقاب يخاف لكان فى ثواب اجتنابه مالاعذر فى ترك طلبه) أى طلب مانهى الله عنه وترك طلبه بالكفّ عنه« وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى* فانّ الجنة هي المأوى » .

وفى الكافى عن الصادق عليه السلام : فيما ناجى الله تعالى به موسى : يا موسى ما تقرب الي المتقربون بمثل الورع عن محارمى ، فاني أبيحهم جنات عدن لا اشرك معهم أحداً

(وأنصفوا الناس من انفسكم) قال الصادق عليه السلام : أشد ما فرض الله على خلقه انصاف الناس من نفسك ، ومواساتك اخاك، وذكر الله فى كل موطن لا بقراءة الاذكار بل بذكره تعالى ، اذا هجمت على طاعة بفعلها أو على معصية بتركها .

(واصبروا لحوائجهم فانكم خزّان الرعية ووكلاء الامة وسفراء الائمة) فالصبر لقضاء حوائج الناس واجب على كل متمكن لاسيما ولاة الامور ، فانه يؤكد فيهم بما ذكره عليه السلام من كونهم الخزان والوكلاء والسفراء .

(ولاتحسموا) فى المصرية بالسين ، ونقله « حد » و« ثم » « ولاتحشموا » بالشين ، أى لاتغضبوا أولاتخجلوا .

(أحداً عن حاجته ولاتحبسوه عن طلبته) في الكافى عن الصادق عليه السلام: ايما مؤمن مشى مع اخيه المؤمن فى حاجة فلم يناصحه فقد خان الله تعالى ورسوله.

وعن الباقر عليه السلام : ايما مسلم اتى مسلماً زائراً وطالب حاجة وهو في منزله فاستأذن عليه فلم يأذن له ولم يخرج اليه لم يزل في لعنة الله تعالى حتى يلتقيا .

وعن الرضا عليه السلام : كان في زمن بني اسرائيل أربعة من المؤمنين، فأتى الواحد الثلاثة وهم مجتمعون في منزل احدهم في مناظرة بينهم ، فقرع الباب فخرج اليه الغلام فقال : أين مولاك ؟ فقال : ليس في البيت . فرجع الرجل ودخل الغلام فقال له : من قرع ؟ قال : فلان قلت له لست في المنزل . فلم يلم المولى غلامه ولااغتم باقيهم لرجوعه، واقبلوا في حديثهم، فبكر اليهم الرجل من الغد وكانوا خرجوا يريدون ضيعة لاحدهم فسلم عليهم وقال : انا معكم . فقالوا له: نعم ولم يعتذروا اليه ـ وكان الرجل محتاجاً ضعيف الحال ـ فلما كانوا في بعض الطريق اذا غمامة قد أظلتهم، فظنوا انه مطر فبادروا فلما استوت الغمامة على رؤوسهم اذا مناد ينادي من جوف الغمامة : أيتها النار خذيهم ، فأنا جبرئيل رسول الله . فاذا نار من جوف الغمامة قد اختطفت الثلاثة وبقي الرجل مرعوباً يعجب مما نزل بالقوم ولايدري السبب، فرجع الى المدينة فلقي يوشع بن نون، فأخبره بما رأى وما سمع ، فقال له يوشع: أما علمت أن الله تعالى سخط عليهم بعد أن كان راضياً عنهم ، وذلك لفعلهم معك . قال : وما فعلهم ؟ فحدثه يوشع فقال : انا أجعلهم في حل. فقال: لو كان قبل هذا لنفعهم فأما الساعة فلا، وعسى أن ينفعهم بعد .

(ولاتبيعن) للناس في الخراج كسوة شتاء ولاصيف) لاستثناء الكسوة (ولا دابة يعتملون عليها) فدابة العمل مستثناة (ولا عبداً) عطف على كسوة كدابة .

(ولاتضربن احداً سوطاً لمكان درهم) يقول ليس عندي .

(ولاتمس مال احد من الناس) غير ما يجب عليهم (مصل) اي مسلم يصلي

(ولامعاهد) يهودى أونصراني أو مجوسي فى ذمّة المسلمين .

هذا ، وعن كتاب افتراق هاشم وعبد شمس لابـن ابى رؤبة :كان بنواميـة يأخذون الجزية ممن أسلم من اهل الذمة ويقولون هـؤلاء فرّوا من الجزيـة ، ويأخذون الصدقة من الخيل ، وربما دخلوا دار الرجل قد نفق فرسه أوباعـه ، فاذا أبصروا الاخيه قالواكان ههنا فرس فهات صدقتها. وكانوا يبيعون الرجل فى الدين يلزمه ويرون انه يصير بذلك رقيقاً ،كان معن ابو عمير بن معن الكاتب حراً مولى لبنى العنبر ، فبيع فى دين عليه فاشتراه ابو سعيد بن زياد بن عمرو العتكي، وباع الحجاج علي بن بشر بن الماحوز على رجل من الازد لكونه قبل رسول المهلب، وكانوا يختمون فى اعناق المسلمين كما يوسم الخيل علامة لاستعبادهم ونقشوا أكف المسلمين علامة لاسترقاقهم كما يصنع بالعلوج من الروم والحبشة، وبايع مسلم بن عقبة اهل المدينة ـ وفيهم بقايا الصحابة وصلحاء التابعين ـ على أن كلامنهم عبد قنّ ليزيد الا علي بن الحسين عليه السلام ـ الخ .

وهل كان فعلهم ما فعلوا الابتأسيس المتقدمين عليه عليه السلام لهم ذلك ، كما لايخفى على من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وقد اقر بذلك خالهم وولي ثالثهم فى كتابه الى محمد بن ابى بكر .

(الا ان تجدوا فرساً او سلاحاً يعدى به)اى يتجاوز به (على اهل الاسلام، فانه لاينبغي للمسلم انيدع ذلك فى ايدى اعداء الاسلام فيكون شوكة) واحدة شوك الشجر (عليه) هكذا فى المصرية و« حد » ، وعليه فالضمير راجـع الى الاسلام ، ولكن فى « ثم » « عليهم » وعليه فالضمير راجع الى اهل الاسلام .

(ولا تدخروا أنفسكم نصيحة ، ولا الجند حسن سيرة ، ولا الرعية معونة، ولادين الله قوة) قدعرفت من رواية نصر ان هذه الفقرات الاربع مماكتب عليه السلام الى امراء الاجناد لاالخراج ، وهو الحق فانها يناسبهم .

(وابلوا) اى اعطوا كقول جرير :

فـأبلى امير المؤمنين امانـة وابلاه صدقاً فى الامور الشدائد

وقول زهير « وابلاهما خير البلاء الذى يبلو » ، والاصل فيه الاختبـار والامتحان، اى افعلوا فعلا تظهرون اختباركم وامتحانكم .

(فى سبيل الله) هكذا فى المصرية ، والصواب « فى سبيله » كما فى «حد» و «ثم» والخطية .

(مااستوجب) اى وجب (عليكم فان الله سبحانه قداصطنع عندنا وعندكم) اى انعم على كل منّا بما وجب علينا (ان نشكره بجهدنا) اى بقدر طاقتنا والافلم يقدر احد ان يشكره حق شكره .

(وان ننصره بما بلغت به قوتنا) حيث لايكلف الله نفساً الاوسعها (ولاقـوة الا بالله) فى شكره ونصره (العلي العظيم) هكذا فى المصرية اخذاً عن «حد» وليسا في « ثم » .

٢/٢٦/٥/ ومن عهد له عليه السلام الى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة :

آمره بتقوى الله فى سرائر امره وخفيات عمله ، حيث لاشاهد غيره ولا وكيل دونه ، وآمره ألا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما أسر، ومن لم يختلف سره وعلانيته وفعله ومقالته فقد ادى الامانة واخلص العبادة ، وآمره ان لا يجبههم ولا يعضههم ولايرغب عنهم تفضلا بالامـارة عليهم ، فانهم الاخـوان فى الدين والاعوان على استخـراج الحقوق ، وان لك فى هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقاً معلوماً، وشركاء اهل مسكنة وضعفاء ذوى فاقة ، وانا موفوك حقك فوفهم حقوقهـم ، والا فانك من اكثر الناس خصوماً يوم القيامة ، وبؤساً لمن خصمه عنـد الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل ، ومن

استهان بالامانة ورتع فى الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها ، فقد أحل بنفسه فى الدنيا الذل والخزى ، وهو فى الاخرة اذل وأخزى، وان اعظم الخيانة خيانة الامة وافظع الغش غش الائمة . والسلام .

قول المصنف (ومن عهد له عليه السلام الى بعض عماله) المراد به مخنف ابن سليم الازدي ابو جدّ ابى مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الاخباري كما رواه القاضي النعمان فى دعائمه .

قوله عليه السلام (آمره بتقوى الله فى سرائر امره) هكذا فى المصرية ، والصواب «اموره» كما فى «ثم» والخطية .

(وخفيّات عمله) هكذا فى المصرية، والصواب «أعماله» كما فى حد و ثم والخطية .

(حيث لاشاهد) هكذا فى المصرية والصواب «لاشهيد» كما فى حد و ثم والخطية (غيره) من البشر ، فلاينافى شهود الملكين «اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد» فالملكان منه وقبله «ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد».

(ولاوكيل دونه) حتى انبيائه « الله حفيظ عليهم ومانت عليهم بوكيل » « وماجعلناك عليهم حفيظاً ومأأنت عليهم بوكيل » .

ثم ان قوله عليه السلام « حيث لا شهيد غيره ولاوكيل دونه » ظرف لقوله «بتقوى الله» كقوله «فى سرائر اموره وخفيات أعماله» ، فقول «حد» يعنى حيث لاشهيد ولاوكيل دونه يوم القيامة ، خطأ .

(وآمره انلايعمل بشيء من طاعةالله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما اسر) كما عليه كثيرمن الناس بل اكثرهم .

وفى المروج : يحكى أنه ورد على الرشيد يوماً كتاب صاحب البريد

بخراسان ـ ويحيى البرمكي بين يديه ـ يذكر فيه أن الفضل بن يحيى تشاغل بالصيد واللذات عن النظر في أمور الرعية ، فلما قرأه رمى به الى يحيى وقال له : ياابه اقرأ هذا الكتاب واكتب اليه كتاباً يردعه عن مثل هذا ، فمد يده الى دواة الرشيد وكتب الى الفضل على ظهر كتاب الرشيد : قد انتهى يابني الى الخليفة ماأنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر الى امور الرعية ماانكره ، فعاود ماهو أزين بك ، فانه من عاد الى مايزينه لم يعرفه اهل دهره الابه . وكتب فى اسفل الكتاب هذه الابيات :

انصب نهارك فى طلب العلى ... واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى اذا الليل بدا مقبلا ... واستترت فيه وجوه العيوب
فبادر الليل بماتشتهى ... فانما الليل نهار الاريب
كم من فتى تحسبه ناسكاً ... يستقبل الليل بأمر عجيب
القى عليه الليل استاره ... فبات فى لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مكشوفة ... يسعى بها كل عدو رقيب

والرشيد ينظر الى مايكتب ، فلما فرغ قال : أبلغت يابت. فلما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهاراً الى ان انصرف عن عمله .

(ومن لم يختلف سره وعلانيته وفعله ومقالته فقد ادى الأمانة) الواجب عليه اداؤها (واخلص العبادة) الواجب الاخلاص فيها .

(وآمره ان لايجبههم) جبهه صك جبهته (ولا يعضههم) عضهه رماه بالبهتان (ولا يرغب عنهم تفضلا بالامارة عليهم) كان عليه السلام نفسه كذلك ، فلما وصفه ضرار الضبابى لمعاوية قال له فيما قال : وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا اذا سألناه ويتبدىء اذا سكتنا ، ونحن مع تقريبه لنا أشد ما يكون صاحب لصاحب هيبة،

لانبتدؤه بالكلام لعظمته ـ الخ .

(فانهم الاخوان في الدين) قال تعالى « انما المؤمنون اخوة » (والاعوان على استخراج الحقوق) هذه الفقرة تشهد على ان المراد من قوله عليه السلام «وامره الا يجبههم » اعوانه الذين معه كاتبه وحاسبه وحارسه وسائقه لامن يأخذ منهم الصدقات .

(وانّ لك) وفي رواية الدعائم « يا مخنف بن سليم انّ لك » ـ الخ .

(في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقاً معلوماً) حيث ان العمال لجمع الصدقات احد الاصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى في مصرف الزكوات فقال « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها » ـ الاية .

(وشركاء) باقي الأصناف (اهل) بالنصب بيان لشركاء (مسكنة) المراد بأهل مسكنة الفقراء والمساكين .

(وضعفاء ذوي فاقة) والمراد بهم « في الرقاب » و « الغارمون » و «ابن السبيل» و « في السبيل » .

(وانا موفوك حقك فوفّهم حقوقهم) بأن لاتخون وتخفي مقداراً مما معك ولا تحمل الجميع الي للصرف بين أهله .

ومما بيّنا ظهر لك مافي كلام « حد » الكلام دال على انه عليه السلام فوض الى العامل الصرف ، فان الكلام ليس في ذاك المقام ، بدليل قوله عليه السلام « وانا موفوك حقك » .

(والا فانك من اكثر الناس خصوماً يوم القيامة) هكذا في المصرية، وفيها تقديم وتأخير ، ففي حد وثم « يوم القيامة خصوماً » .

وكيف كان فورد في علة كون زكاة كل ألف خمسة وعشرين « ان الله تعالى خلق الخلق ، فعلم صغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم، فجعل من كل ألف انسان

خمسة وعشرين مسكيناً ، فجعل فى كل ألف درهم خمسة وعشرين درهماً، ولو علم ان ذلك لايسعهم لزادهم لانه خالقهم .

(وبؤساً) أى حال سوء ، وقال « حد » قال الراوندى « بؤساً » أى عذاباً وشدة فظنه منوناً وليس كذلك بل هو « بوسى » على وزن فعلى كفضلى ونعمى قال الشاعر :

أرى الحلم بوسى للفتى فى حياته ولا عيش الا ما جاك به الجهل

قلت « بوسى » على وزن فعلى تكتب بالياء ، وأما بؤساً منوّناً فتكتب بالالف ، فلابدأن الراوندى رآه بالالف فى النسخ الصحيحة ، ويشهد له ان « ثم » نسخته بخط المصنف نقله بالالف وقال انه منصوب على المصدر، ومن أين ان الشعر لم يكن « بؤساً » بالتنوين فحرفه، مع ان كون الشعر بلفظ «بوسى» اعم من الحصر ، مع أنّ الشعر لم يعلم قائله ولعله لبعض المتأخرين، فيكون الاستشهاد به غلطاً ، مع انه لم يعلم استعمال « بوسى » منكرة بل معرفة ، ففى الصحاح والبؤسى خلاف النعماء ، وفى الجمهرة والبؤسى اشتقاقها من البؤس مثل الطوبى .

(لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين) اختلف فى كون الفقير والمسكين أيهما اسوأ حالا ، والصواب الثانى كما دلت عليه الاخبار ، وقال يونس: قلت لاعرابى أفقير أنت ؟ قال : بل مسكين ، وأما قوله تعالى « واما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر » فالمراد بالمساكين فيها الاشخاص الذين لاحيلة لهم فى أمورهم واهل ذلة، كما فى قولهم « مسكين ابن آدم مكتوم الاجل مكنون العلل محفوظاً العمل » ـ الخ .

(والسائلون والمدفوعون) قال «حد» السائلون الرقاب، والمدفوعون فى سبيل الله ، لانه عليه السلام اراد ذكر الاصناف المذكورة فى الاية الا « المؤلفة »

لسقوط سهمهم بعد النبى صلى الله عليه وآله بعزة الاسلام ، فذكر العاملين فى « وانّ لك فى هذه الصدقة نصيباً » وأتى بالفقراء والمساكين والغارم وابن السبيل بلفظ القرآن، فلابد انه عليه السلام ابدل الرقاب وفى السبيل بالسائلين والمدفوعين فان فى السبيل فقراء الغزاة ، سماهم مدفوعين لفقرهم ، والمدفوع والمدفع الفقير ، لانّ كل أحد يدفعه عن نفسه .

قلت : لم يقل أحد ان المدفوع الفقير بل المدفع بتشديد الفاء ، و« فى السبيل » ليس خصوص فقراء الغزاة بل مطلق أمر خير يكون سبيلا الى الله تعالى كما أنّ « فى الرقاب » المكاتب العاجز والعبد تحت الشدة عند مولاه ، ومن أين انه عليه السلام اراد الاستقصاء ، ولم يكن ذكر عليه السلام السائلين والمدفوعين مريداً بهم الفقراء والمساكين الذين هم الاصل لزيادة تقبيح بحبس حقوقهم .

كما أن ما احتمله « ثم » من كون المراد بالمدفوعين العمال لانهم يدفعون لجباية الصدقات ، خطأ فان خطابه عليه السلام مع العمال يبين لهم شركاءهم الذين هم الاصل .

(والغارم) وهو المديون فى غير المعصية (وابن السبيل) المسافر الذى نفدت نفقته ولا وسيلة له الى بلده .

(ومن استهان فى الامانة) أى عدها هينة مع شدتها وعظمها ، فقد قال تعالى « انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا » .

(ورتع) كبهيمة فى المرتع (فى الخيانة) وقد قال النبى صلى الله عليه وآله « من خان فى امانة لايموت على ملتى » .

(ولم ينزه نفسه ودينه عنها) أى عن دنس الخيانة (فقد احل بنفسه فى الدنيا

الذل والخزي) هكذا فى المصرية ، والصواب « فقد أذل نفسه فى الدنيا » كما فى « حد » و « ثم » ، لكن الغريب أن الاول قال فى الشرح قوله « فقد احل بنفسه الذل والخزى » وقريب منه فى الثانى (وهو فى الاخرة أذل وأخزى) من الدنيا .

(وان أعظم الخيانة خيانة الامة وافظع الغش غش الائمة) بمعنى أن الخيانة مع أى مسلم عظيم جرمه ، والعامل الخائن خان جميع الامة والمسلمين ، وغش كل أحد قبيح والعامل الغاش غش الامام، وخيانتهم اكبر خيانة وغشه أقبح غش وفى نسخة ثم « وأفظع الغبن غبن الائمة » .

٥٩/٦/ ومن كتاب له عليه السلام الى الاسود بن قطيبة صاحب جند حلوان

أما بعد ، فان الوالى اذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر الناس عندك فى الحق سواء ، فانه ليس فى الجور عوض من العدل، فاجتنب ماتنكر امثاله وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجياً ثوابه ومتخوفاً عقابه . واعلم أن الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها فيها قط ساعة الا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة ، وانه لن يغنيك عن الحق شىء أبداً ، ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك ، فان الذى يصل اليك من ذلك افضل من الذى يصل بك . والسلام .

اقول: وروى نصر بن مزاحم ايضاً كتاباً له عليه السلام الى الاسود بن قطبة لكن فيه غير العنوان هكذا « اما بعد ، فانه من لم ينتفع بما وعظ لم يحذر ماهو غابر ، ومن أعجبته الدنيا رضي بها وليست بثقة ، فاعتبر بما مضى تحذر مابقى واطبخ للمسلمين قبلك من الطلاء ما يذهب ثلثاه ، واكثر لنا من لطف الجند واجعله مكان ما عليهم من ارزاق الجند ، فان للولدان علينا حقاً وفى الذرية من

يخاف دعاؤه وهو لهم صالح . والسلام .

والظاهر كونه كتاباً آخر له عليه السلام اليه ، لا ان كلامنهما جزء من كتاب حيث ان في كل منهما « والسلام » .

قول المصنف (ومن كتاب له عليه السلام الى الاسود بن قطيبة) هكذا في المصرية ، والصواب « قطبة » كما في حد وثم ، وانما بلفظ التصغير « قتيبة » بالتاء لاهذا .

ثم ان « حد » قال : لم أقف على نسب الاسود بن قطبة ، وقرأت في كثير من النسخ انه حارثي من بني الحارث بن كعب ولم اتحققه ، والذي يغلب على ظني انه الاسود بن زيد بن قطبة الانصاري ، ذكره ابو عمر في استيعابه قائلا عده موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً .

قلت : ما غلب على ظنه خطأ ، فانه مبتن على صحة قول ابى عمر وكون ما في العنوان نسبة الى الجد ، وقول ابى عمر غير صحيح : أولا في كون اسم جده قطبة ، فانه وهم منه لان ابا نعيم نقله عن موسى بن عقبة (الاسود بن زيد ابن ثعلبة) ، ومثله نقل ابوموسى عن موسى بن عقبة عن الزهرى ، ومثلهماذكره ابن الكلبى . وكونه نسبة الى الجد غير صحيح ثانياً ، لان الكل ذكروا ذاك (الاسود بن زيد) والمصنف ونصر بن مزاحم ذكرا هذا الاسودبن قطبة،فالظاهر كون هذا تابعياً وذاك صحابى ، ولا يبعد كونه حارثياً من بلحارث بن كعب كما نقله عن كثير من النسخ ، فلابد أن من قال ذلك وقف على نسبه .

(صاحب حلوان) في المعجم «حلوان العراق في آخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد ، وأما أعلى جبلها فان الثلج يسقط به دائماً . وحلوان ايضا قرية من أعمال مصر بينهما وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل . وحلوان ايضاً بليدة بقوهستان نيسابور ، وهى آخر حدود

خراسان ممايلى اصبهان .

والظاهر أن المراد الاخير ، حيث أن فى صفين نصر كتب علي عليه السلام الى عماله ـ الى أن قال ـ فاستعمل مخنف على اصبهان الحرث بن ابى الحرث وعلى همذان سعيد بن وهب ـ الخ .

قوله عليه السلام (أما بعد فان الوالي اذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل) فى الكافى عن ابى جعفر عليه السلام : كان فى بنى اسرائيل قاض يقضي بالحق بينهم ، فلما حضره الموت قال لامرأته : اذا أنامت فاغسليني وكفنيني وضعيني على سريري وغطّى وجهى فانك لاترين سوء ، فلما مات فعلت ذلك ثم مكثت بذلك حيناً ثم كشفت عن وجهه فاذا هى بدودة تقرض منخره، ففزعت من ذلك ، فلما كان الليل أتاها في منامها فقال لها : افزعك مارأيت ؟ قالت : أجل . فقال : أما لئن كنت فزعت ماكان الذي رأيت الافي اخيك فلان ، أتانى اخوك ومعه خصم له، فلما جلسا الي" قلت: اللهم اجعل الحق له ووجه القضاء على صاحبه، فلمااختصما كان الحق معه فوجهت القضاءله على صاحبه، فأصابنى مارأيت لموضع هواي الذى كان مع موافقة الحق .

(فليكن امر الناس عندك فى الحق سواء) فى الكافي عنه عليه السلام : من ابتلى بالقضاء فليواس بينهم في الاشارة وفي النظر وفى المجلس .

(فانه ليس فى الجور عوض من العدل) فى الكافى عنه عليه السلام : يدالله فوق رأس الحاكم ترفرف بالرحمة ، فاذا حاف وكله الله الى نفسه .

(فاجتنب ماتنكر أمثاله) من غيرك (وابتذل نفسك) أي امتهنها واجعلهامبتذلة كثياب البذلة ، قال :

ومن يبتذل عينيه فى الناس لايزل يرى حاجة محجوبة لاينالها

(فيما افترض الله عليك) حتى تؤدّيه (راجياً ثوابه) فى الجدّ فى الاتيان

بالفرائض (ومتخوفاً عقابه) من التفريط فيه .

(واعلم أن الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها فيها) هكذا فى المصرية، وليست كلمة «فيها» فى حد و ثم .

(قط ساعة الاكانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة) «وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون» «كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم» «ان تقول نفس ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله» «حتى اذا جائتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على مافرطنافيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم الاساء مايزرون» .

(وانه لن يغنيك عن الحق شيء أبداً) فان الحق أمر واجب لايجوز تركه (ومن الحق عليك حفظ نفسك) عن الخطأ (والاحتساب) أى طلب الاجر (على الرعية)أى على معونتهم (بجهدك) أى بقدر طاقتك .

(فان الذى يصل اليك) من ثواب الله وجزائه (من ذلك) أى معونة الرعية (افضل من الذى يصل) اليهم (بك)أى بسببك. وقال عليه السلام ـ كما فى الكافي ـ لشريح: واعلم أنه لايحمل الناس على الحق الامن ردعهم عن الباطل، ثم واس بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك حتى لايطمع قريبك فى حيفك ولاييأس عدوك من عدلك ، واياك والتضجر والتأذى فى مجلس القضاء الذى أوجب الله فيه الاجر ويوجب فيه الذخر لمن قضى بالحق .

/٦٧/٧ ومن كتاب له عليه السلام الى قثم بن العباس وهو عامله على مكة أما بعد ، فأقم للناس الحج وذكرهم بأيام الله ، واجلس لهم العصرين فأفت المستفتى وعلم الجاهل وذاكر العالم ، ولايكن لك الى الناس سفير الا لسانك ولا حاجب الا وجهك ، ولا تحجبن ذا حاجة عن لقائك بها، فانها ان ذيدت عن ابوابك فى اول وردها لم تحمد فيما بعد على

قضائها ، وانظر الى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوى العيال والمجاعة ، مصيباً به مواضع الفاقة والخلات، وما فضل من ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا ، ومر اهل مكة ان لا يأخذوا من ساكن اجراً ، فان الله سبحانه يقول « سواء العاكف فيه والباد » فالعاكف المقيم به والبادى الذى يحج اليه من غير اهله ، وفقنا الله واياكم لمحابه. والسلام .

قول المصنف (الى قثم بن العباس) فى الاستيعاب : كان قثم يشبه بالنبى صلى الله عليه وآله ، ومر راكباً وهو يلعب مع عبد الله بن جعفر فأردفه خلفه وجعل عبد الله بين يديه .

وفى اسد الغابة : عن ابى اسحق قال عبد الرحمن بن خالد لقثم : كيف ورث علي النبى دونكم ؟ فقال : انه كان أولنا لحوقاً واشدنا لزوقاً .

وفى البلاذرى قال ابن عباس: سقط خاتم المغيرة فى القبر حين دفن النبى صلى الله عليه وآله ، فقال له علي انما أسقطته عمداً لتنزل فتأخذه وتقول : كنت آخر من نزل فى قبر النبى واقربهم عهداً به . فنزل قثم فأخرج خاتم المغيرة ، فكان قثم آخر الناس عهداً به صلى الله عليه وآله .

(وهو عامله عليه السلام على مكة) .

فى الطبرى كان قثم عامل علي عليه السلام على الطائف ومكة وما اتصل بذلك سنة (٤٠) .

وفى الاستيعاب: قال خليفة لما ولى علي عليه السلام الخلافة عزل خالد بن العاصي المخزومي عن مكة وولاها اباقتادة الانصارى وولى قثماً ، فلم يزل والياً عليها حتى قتل على عليه السلام .

وبه قال المسعودى ايضاً، فما عن الزبير بن بكار من كونه عامله عليه السلام

على المدينة ساقط .

كما ان مافى الاستيعاب من أنه قيل فيه :

عتقت من حلّي ومن رحلتي يا زاق ان أدنيتني من قثم

وهم منه، فانه انما قيل البيت فى قثم بن عباس بن عبيد الله بن عباس لاهذا، قال الزبيرى قال ابن المولى فيه وهو والي اليمامة ـ ونقل البيت ـ وكان والياً من قبل المنصور .

قوله عليه السلام (أما بعد فأقم للناس الحج) فى الطبرى : حج قثم بالناس من قبل علي عليه السلام فى سنة (٣٨) ، وكان عامله على مكة يومئذ ، حدثنى بذلك احمد بن ثابت عن اسحق بن عيسى عن ابى معشر .

(وذكّرهم بأيام الله) هو لفظ القرآن، قال تعالى «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ان أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكّرهم بأيام الله» قالوا : أى ذكرهم بوقائع الله تعالى على الامم الماضية قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وقوم موسى . وأما قوله تعالى «قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله » فالظاهر ان المراد لاينتظرون أيام الله التي وقّتها لنصر المؤمنين .

(واجلس لهم العصرين) أى الصبح والعصر ، قال الشاعر :

وامطله العصرين حتى يملّنى ويرضى بنصف الدين والانف راغم

يعنى اذاجاء غريمى صبحاً لطلب حقه وعدته العصر، واذاجاء العصر وعدته الصبح حتى يمل ّ ويرضى بالنصف قهراً وعلى رغم انفه .

(فأفت المستفتي) فى الكافي عن الصادق عليه السلام فى كتاب علي عليه السلام : ان الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتى اخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال ، لان العلم كان قبل الجهل .

(وعلّم الجاهل) فى الكافى عن الصادق عليه السلام: قام عيسى عليه السلام

خطيباً فى بنى اسرائيل فقال : لاتحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها، ولاتمنعوها اهلها فتظلموهم .

(وذاكر العالم) فى الكافي عن الكاظم عليه السلام : محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابى .

وعن السجاد عليه السلام: لويعلم الناس مافى طلب العلم لطلبوه ولوبسفك المهج وخوض اللجج ، ان الله تعالى أوحى الى دانيال ان أمقت عبيدى الي الجاهل المستخفّ بحق اهل العلم التارك للاقتداء بهم ، وان أحب عبيدى الي التقى الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء القابل عن الحكماء .

وعن الصادق عليه السلام: من تعلم العلم وعمل به وعلم لله دعي فى ملكوت السماوات عظيماً ، فقيل تعلّم لله وعمل لله وعلم لله .

وعن يونس رفعه قال لقمان لابنه : اختر المجالس على عينك ، فان رأيت قوماً يذكرون الله تعالى فاجلس معهم ، فان تك عالماً نفعوك وان تك جاهلا علموك ، ولعل الله أن يظلهم برحمة فيعمك معهم ، واذا رأيت قوماً لايذكرون الله فلاتجلس معهم ، فان تك عالماً لم ينفعك وان تك جاهلا يزيدوك جهلا ، ولعل الله ان يظلهم بعقوبة فيعمك معهم .

وعن النبى صلى الله عليه وآله : تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا ، فان الحديث جلاء للقلوب ، ان القلوب لترين كما يرين السيف وجلاؤها الحديث .

وعنه صلى الله عليه وآله : ان الله تعالى يقول : تذاكر العلم بين عبادى مما تحيى عليه القلوب الميتة اذا هم انتهوا فيه الى امري .

(ولايكن لك سفير الى الناس الا لسانك ولاحاجب الا وجهك) فى العقد: قال سعيد بن مسلم: كنت والياً بأرمينية، فغبر ابودهمان اياماً ببابى ، فلمّاوصل الي مثل قائماً بين السماطين وقال : والله اني لاعرف أقواماً لو علموا أن سّف

التراب يقيم من أود اصلابهم لجعلوه مسكة لارماقهم ايثاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي ، أما والله لايشينني عنك الا ما يصرفك عني ، ولئن اكون مقلا مقرباً احب الي من أن اكون مكثراً مبعداً، والله مانسأل عملا لانضبطه ولامالا الاونحن اكثر منه ، وهذا الذي قدصار اليك قدكان في يد غيرك، فأمسوا والله حديثاً ان خيراً فخير وان شراً فشر، فتحبّب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب، فان حب عبادالله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغضه، لانهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله . ولبعضهم :

اذا ما أتيناه في حاجة رفعنا له الرقاع بالقصب
له حاجب دونه حاجب وحاجب حاجبه يحتجب

هذا ، ولابي دلف في الاعتذار عن الحجاب في وقت عسره :

اذاكان الكريم قليل مال ولم يعذر تعذر بالحجاب

(ولاتحجبنّ ذا حاجة عن لقائك بها فانها)أي الحاجة والمراد ذوها (ان ذيدت) أي طردت (عن ابوابك في اول وردها) أي الحاجة اوالابواب (لم تحمد فيما بعد على قضائها) كما أن صدقة يتبعها منّ وأذى لايستحق اجراً لها .

وفي« حد »كان ابوعباد ثابت بن يحيى كاتب المأمون اذا سئل حاجة يشتم السائل ويسطو عليه ويخجله ويبكّته ساعة ، ثم يأمر له بها فيقوم وقد صارت اليه ثم يذمه ويلعنه ، قال علي بن جبلة العكوك :

لعن الله أباعباد لعناً يتوالى يوسع السائل شتماً ثم يعطيه السؤالا

وكان الناس يقفون له وقت ركوبه ، فيتقدم الواحد منهم اليه بقصة ليناوله اياها فيركله برجله بالركاب ويضربه بسوطه ويطير غضباً ، ثم لاينزل عن فرسه حتى يقضي حاجته ، فينصرف الرجل بها وهو ساخط عليه ، فقال فيه دعبل :

أولى الامور بضيعة وفساد ملك يدبره أبو عباد

متعمد بدواته جلساءه فمضرج ومخضب بمداد
وكأنه من دير هرقل مفلت حرب يجر سلاسل الاقياد
فاشدد اميرالمؤمنين صفاده فأشد منه فى يد الحداد

ولاخر فيه :

قل للخليفة يا ابن عم محمد قيّد وزيرك انه ركال
فلسوطه بين الرؤوس مسالك ولرجله بين الصدور مجال

قلت ولبعضهم :

قد اطلنا بالباب امس القعودا وجفينا به جفاء شديدا
وذممنا العبيد حتى اذا نحن بلينا المولى عذرنا العبيدا

ولاخر :

وكم من فتى تحمد اخلاقه وتسكن الاحرار فى ذمته
قد كثّر الحاجب اعداءه وسلط الذم على نعمته

(وانظر الى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيباً به مواضع الفاقة) هكذا فى المصرية ، والصواب « المفاقر » كما فى « حد » و « ثم » والخطية (والخلات) بالفتح جمع الخلة ، أي الحاجة .

(وما فضل عن ذلك فاحمله الينا لنقسّمه فيمن قبلنا) أي عندنا . امره عليه السلام بحمل الفضل لان مادام فيهم محتاجون يصرف اليهم ، قال الصادق عليه السلام : كان النبي صلى الله عليه وآله يقسم صدقة اهل البوادى فى اهل البوادى وصدقة اهل الحضر يقسمها بينهم على قدر ما يحضره منهم -- الخبر .

وكان ابوبكر يلزم أهل البوادى بحمل جميع صدقاتهم اليه حتى قال « لو منعوني عقالا قاتلتهم » .

ولو أرادوا أن يمسكوها لفقرائهم حسبما سن لهم النبي صلى الله عليه وآله رماهم عماله بالارتداد وقتلوا رجالهم وسبوا نساءهم ، وكان عمر رد كثيراً من سبيه لما ولى الامر .

(ومر أهل مكة ان لا يأخذوا من ساكن اجراً ، فان الله سبحانه يقول : « سواء العاكف فيه والباد » فالعاكف المقيم بهوالبادي الذى يحج اليه من غير اهله) فى الكافى عن الصادق عليه السلام لم يكن لدور مكة أبواب ، وكان اهل البلدان يأتون بقطرانهم فيدخلون فيضربون بها ، وكان أول من بوبها معاوية .

وعنه عليه السلام: ان معاوية اول من علق على بابه مصراعين بمكة، فمنع حاج بيت الله ما قال تعالى « سواء العاكف فيه والباد »، وكان الناس اذاقدموا مكة نزل البادي على الحاضر حتى يقضى حجه ، وكان معاوية صاحب السلسلة التى قال تعالى « ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه * انه كان لا يؤمن بالله العظيم » وكان فرعون هذه الامة .

(وفقنا الله واياكم لمحابّه) جمع المحبة والمحبوبة، وفى الصحاح يقال احبه وحبه ، قال الشاعر :

احب ابا مروان من اجل تمره ووالله لولا تمره ما حببته

١٦/٨/ ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله : أمابعد ، فان دهاقين اهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة ، ونظرت فلم أرهم اهلا لان يدنوا لشركهم ولأن يقصوا ويجفوا لعهدهم ، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة ، وداول لهم بين القسوة والرأفة ، وامزج لهم بين التقريب والادناء ، والابعاد والاقصاء انشاءالله .

اقول: الاصل فيه مارواه اليعقوبى فى تاريخه انه عليه السلام كتب الى عمر

ابن ابى سلمة : اما بعد ، فان دهاقين عملك شكوا غلظتك ، ونظرت فى امرهم فما رأيت خيراً ، فلتكن منزلتك بين منزلتين جلباب لين بطرف من الشدة فى غير ظلم ولا نقص ، فان هم اجابونا صاغرين فخذ مالك عندهم وهم صاغرون ، ولا تتخذ من دون الله ولياً فقد قال عزوجل « لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا » وقال جل وعز فى أهل الكتاب « لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء » وقال تبارك وتعالى « ومن يتولهم منكم فانه منهم » ، وقرعهم بخراجهم وقاتل من وراءهم ، واياك ودماؤهم . والسلام .

ونقل عن تاريخ ابن واضح ايضاً .

قول المصنف (ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله) قد عرفت من رواية اليعقوبى انه كان عمر بن ابى سلمة ربيب النبى صلى الله عليه وآله .

قوله عليه السلام (أما بعد فان دهاقين) جمع الدهقان ، والظاهر كونه مركباً من « ده » بمعنى القرية و« القان » معرب « پان » مخفف « پاينده » بمعنى الحافظ قال ابن دريد الدهقان فارسي معرب ليس من « دهق » ـ الخ. فقول الجوهرى ان جعلت الدهقان من دهق لم تصرفه لانه فعلان ، فى غير محله .

(أهل بلدك) الذى ولي عليهم ، وفى الاسد استعمله علي عليه السلام على فارس والبحرين .

(شكوا منك غلظة وقسوة) هكذا فى المصرية و« حد » ، ولكن فى « ثم » والخطية « قسوة وغلظة » ، والاول احسن بقرينة قوله بعد .

(واحتقاراً وجفوة ، فلم ارهم اهلا لان يدنوا لشركهم) قد عرفت من رواية اليعقوبى انه عليه السلام استدل لعدم اهليتهم للادناء بآيات ثلاث .

(ولالان يقصوا) اى يبعدوا (ويجفوا العهد هم) مع المسلمين (فالبس لهم جلباباً) فى القاموس هو القميص وثوب واسع للمرأة دون الملحفة أو ما تغطى به ثيابها

من فوق كالملحفة او هو الخمار (من اللين تشوبه) اى تمزجه (بطرف) أى مقدار (من الشدة) .

(وداول) اى ادر الامر ، يقال : الله يداول الايام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم (بين القسوة والرأفة) .

(وامزج) اى اخلط (لهم بين التقريب والادناء و) بين (الابعاد والاقصاء انشاء الله) قال ابن نباتة السعدى :

شب الرعب بالرهب وامزج لهم كما يفعل الدهر حلواً بمر

الفصل السادس عشر

(فى ادعيته عليه السلام)

١/٧٥/١/ ومن كلمات كان يدعو بها : اللهم اغفر لى ما انت اعلم به منى فان عدت فعدعلى بالمغفرة . اللهم اغفر لى ما وأيت من نفسى ولم تجد له وفاء عندى . اللهم اغفر لى ما تقربت به اليك بلسانى ثم خالفه قلبى. اللهم اغفر لى رمزات الالحاظ ، وسقطات الالفاظ ، وشهوات الجنان ، وهفوات اللسان .

قول المصنف (ومن كلمات كان يدعو بها) هكذا فى المصرية بلا زيادة ، والصواب زيادة « عليه السلام » بعده كما فى حد وثم والخطية .

وكيف كان ففى الكافى عن على بن النعمان رفعه انه عليه السلام كان اذا صعد الصفا استقبل الكعبة، ثم رفع يديه ثم يقول: اللهم اغفرلي كل ذنب أذنبته قط، فان عدت فعد علي بالمغفرة ، فانك انت الغفور الرحيم . اللهم افعل بى ماأنت اهله ، فانك ان تفعل بى ما أنت اهله ترحمني، وان تعذبنى فأنت غنى عن عذابى

وانا محتاج الى رحمتك ، فيا من أنا محتاج الى رحمته ارحمني. اللهم لاتفعل بى ما انا أهله ، فانك ان تفعل بى ما انا اهله تعذّبنى ولـن تظلمنى ، اصبحت أتقي عدلك ولااخاف جورك ، فيا من هو عدل لايجور ارحمنى .

ونقل « حد » من ادعية الصحيفة خمسة : الاول « يا من يرحم من لايرحمه العباد » والثانى «اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون» والثالث « ياذا الملك المتأبد بالخلود » والرابع «اللهم اني اعوذ بك من هيجان الحرص» والخامس «الحمد لله بكل ما حمده ادنى ملائكته اليه». ثم قال: انها من دعاء امير المؤمنين عليه السلام ، وكان يدعو بها على بن الحسين عليه السلام في أدعية الصحيفة .

قلت: ان كلمات عترته عليه السلام وعلومهم وان كانت من كلماته عليه السلام وعلومه ، الا ان ادعية الصحيفة السجادية من انشاء السجاد نفسه، وعليه اطبقت الامامية سلفاً وخلفاً ، وانما نقل كل من البحرانى والنوري صحيفة من ادعيتـه عليه السلام بالاسانيد ـ كما أن علي بن طاوس عقد فى مهجه باباً لدعواته عليه السلام كذلك .

قوله عليه السلام (اللهم اغفرلي ما انت أعلم به مني) هو تعالى اعلم بذنب عبده حيث ان العبد قد لايرى بعض الامور ذنباً مع انه عنده تعالى ذنب بـل اعظم ذنب ، كما ان العبد ينسى كثيراً كثيراً من ذنوبه وهـو تعالى لاينسى منها شيئاً اصلا .

(فان عدت فعد علي) هكذا فى المصرية و«حد» ، ولكن فى «ثم» والخطية « لي » (بالمغفرة) فان شأن العبد الخطأ وشأن الرب الغفران.

(اللهم اغفرلي ما وأيت) أى وعدت (من نفسي ولم تجدله وفاء عندى) حتى لايؤدى الى النفاق « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا الله من فضله لنصّدقن ولنكونن من الصالحين *فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون*

فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم الى يوم يلقونـه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبماكانـوا يكذبون ».

(اللهم اغفر لي ماتقربت به اليك بلساني ثم خالفه قلبى) لانعبادة لم تكن لله ذنب كـبير « فمن كان يرجو لقاء ربـه فليعمل عملا صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً » .

(اللهم اغفر لي رمزات الالحاظ) جمع اللحظ النظر بمؤخر العين ، قال تعالى «يعلم خائنة الاعين وماتخفي الصدور» .

(وسقطات الالفاظ) قال تعالى فى وصف المؤمنين «والذين هم عن اللغو معرضون» .

(وشهوات الجنان) بالفتح أى القلب ، ولايخلو قلب من شهوة امور غير مشروعة .

(وهفوات اللسان) أى زلاته .

وعن الصادق عليه السلام: كان بالمدينة رجل بطّال يضحك الناس منه فقال: قد أعيانى هذا الرجل ـ يعنى علي بن الحسين عليه السلام ـ ان أضحكه ، فمر وخلفه موليان له ، فجاء الرجل حتى انتزع رداءه من رقبته ، فمضى عليه السلام ولم يلتفت اليه ، فاتبعه الناس وأخذوا منه الرداء وجاؤا به اليه ، فقال لهم : من هذا ؟ قالوا : رجل بطال يضحك الناس . فقال : قولوا له ان لله يوماً يخسر فيه المبطلون .

١/٢١٠/٢ ومن دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيراً : الحمد لله الذى لم يصبـح به ميتاً ولا سقيماً ، ولا مضروباً على عروقى بسوء ، ولا مأخـوذاً بأسوء عملى ، ولامقطوعاً دابرى ولامرتداً عن دينى ، ولا منكراً لربى ، ولا مستوحشاً من ايمانى ، ولا ملتبساً عقلى ، ولا معذباً بعذاب الامم مـن

قبلي . أصبحت عبداً مملوكاً ظالماً لنفسي ، لك الحجة على ولاحجة لي ، ولااستطيع ان آخذ الا ما اعطيتني ، ولا اتقي الا ما وقيتني.اللهم انيأعوذ بك ان افتقر في غناك ، او اضل في هداك ، او اضامفيسلطانك او أضطهد والامر لك . اللهم اجعل نفسي اول كريمة تنتزعها من كرائمي واول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي . اللهم انا نعوذ بك ان نذهب عن قولك ، او نفتن عن دينك او تتابع بنا اهواؤنا، دون الهدى الذي جاء من عندك .

أقول : في مهج ابن طاوس في كتاب دفع الهموم والاحزان لاحمد بن داود ابن النعمان : قال ابن عباس قلت لامير المؤمنين عليه السلام ليلة صفين : أما ترى الاعداء قد أحدقوا بنا . فقال : قد راعك هذا ؟ قلت :نعم . فقال : اللهم اني أعوذ بك ان اضام في سلطانك ، اللهم انى اعوذ بك انا اضل في هداك ، اللهماني اعوذ بك ان افتقر فيغناك ، اللهم انياعوذ بكانأضيّع فيسلامتك، اللهم انى اعوذ بك ان اغلب والامر اليك .

هذا ، ومن دعاء علمه النبي صلى الله عليه وآله خاله عمير بن وهب ـ كما في ذيل الطبرى ـ اللهم انى ضعيف فقوّ في رضاك ضعفي ، وخذ الى الخير بناصيتي ، وبلغني برحمتك ماارجو من رحمتك، واجعل الاسلام منتهى رغبتي، واجعل لي وداً عند الناس وعهداً عندك .

ومن دعاء امير المؤمنين عليهالسلام في السجود كما في الكافي: ارحم ذلي بين يديك، وتضرعي اليك ، ووحشتي من الناس، وانسي بك ياكريم .

وكان عليه السلام يقول : وعظتني فلم اتعظ ، وزجرتني عن محارمك فلم انزجر، وعمرتني فماشكرت، عفوك عفوك ياكريم، اسألك الراحة عند الموت،

واسألك العفو عند الحساب .

قول المصنف (كان عليه السلام يدعو به كثيراً) قال حد «كثيراً» صفة مصدر محذوف ، أى دعاء كثيراً .

قلت : بل صفة لوقت محذوف كما لايخفى ، فان هذا الدعاء دعاء واحد لاكثير ، وانما كان عليه السلام يقرأه فى اوقات كثيرة ، فهو مفعول فيه معيّناً، ولامجال لاحتمال كونه مفعولا مطلقا كما احتمله «خو» ايضاً .

قوله عليه السلام (الحمد لله الذى لم يصبح بى ميتاً ولاسقيماً) قد يصبح كثير من الناس ميتين أوسقيمين، فمن اصبح حياً معافى يجب عليه شكره تعالى على ذلك .

(ولامضروباً على عروقي بسوء) أي مرض .

وروى امالى الشيخ عن النبى صلى الله عليه وآله قال: فى ابن ادم ثلاثمائة وستون عرقاً منها مائة وثمانون متحركة ومائة وثمانون ساكنة ، فلو سكن المتحرك لم يبق الانسان ولو تحرك الساكن لهلك الانسان . وكان صلى الله عليه وآله اذا طلعت الشمس يقول كل يوم « الحمد لله رب العالمين كثيراً طيباً على كل حال» يقولها ثلاثمائة وستين مرة شكراً .

وفى الحلية عن وهب بن منبه قال : عبد عابد خمسين سنة ، فأوحى اليه اني قد غفرت لك . قال : أى رب وماتغفر لي ولم أذنب . فاذن الله لعرق في عنقه فضرب عليه فلم ينم ولم يصل، ثم سكن فنام فأتاه الملك فشكا اليه مالقي من ضربان العرق . قال الملك : ان ربك يقول : ان عبادتك خمسين سنة تعدل سكون هذا العرق .

وفي خبر : ان كل انسان فيه عرق جذام ، فاذا تحرك سلط الله عليه الزكام فلاتكرهوه .

وقال حد « بسوء » أى ببرص ، والعرب تكني عن البرص بالسوء ، ومن امثالهم « ما أنكرك من سوء » أى ليس انكارى لك عن برص حدث بك فغيّر صورتك ، واراد «بعروقه» اعضاءه .

قلت : ماذكره كله غلط وخبط، فلم يقل احد ان السوء كناية عن البرص عند العرب ، وانما الاية « بيضاء من غير سوء » كناية عن عدم البرص ، كما أن قول امير المؤمنين عليه السلام لانس لماأنكر تذكره لقول النبى صلى الله عليه وآله فى غدير خم «ان كنت كاذباً ضربك الله بها بيضاء لامعة لاتواريها العمامة» كناية عن البرص .

كما أن تفسيره للمثل «ماانكرك من سوء» بما قال ركيك ، فهذا الجوهرى قال: معنى المثل انه لم يكن انكارى اياك من سوء رأيته بك وانماهو لقلة المعرفة. وقال الميداني: يعنى ليس انكارى اياك عن سوء بك لكني لااثبتك ، كما أن قوله اراد بعروقه اعضاءه ايضاً غلط ، فالمراد بالعروق الاعصاب ، وانما حمله على تأويله ان البرص يحدث فى الاعضاء لاالعروق .

(ولامأخوذاً بأسوأعملي) «ولويؤاخذالله الناس بماكسبوا ماترك على ظهرها من دابة » ، وقد يأخذهم اذا أفرطوا فى السوء ، قال تعالى ـ بعد ذكر ما انزل بالامم السالفة من العذاب ـ «وكذلك اخذ ربك اذأخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه أليم شديد» .

(ولامقطوعاً دابري) أى نسلي بعدم جعله من الظلمة ، لانه تعالى قال فيهم « فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » وقال فى قوم لوط «ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين» .

(ولا مرتداً عن دينى) كبعض الناس يمسي مسلماً ويصبح مرتداً ، وهوفوق كل سوء « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » .

وفى الكشى : عن حمران بن اعين قلت لابى جعفر عليه السلام : ما اقلنا لواجتمعنا على شاة ما افنيناها . فقال : ألا اخبرك بأعجب من ذلك . فقلت: بلى قال : المهاجرون والانصار ذهبوا الا ثلاثة .

وعن الجمع بين صحيحى الحميدى عن النبى صلى الله عليه وآله : يرد علىّ الحوض أقوام اعرفهم ويعرفونى ، ثم يحال بينى وبينهم ، فأقول انّهم امتى فيقال: انّك لا تدرى ماأحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدى وغيّر .

وفى آخر من مسند ابن عباس ، سيجاء برجال من امتى فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول يارب اصحابى ، فيقول انك لاتدرى ما احدثوا بعدك،انهم لن يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم .

و من مسند انس : ليردن علىّ الحوض رجال ممن صاحبنى حتى رأيتهم ورفعوا الي اختلجوا دونى ، فلا قولن أي رب اصحابى ، فيقال انك لاتدرى ما احدثوا بعدك . ومثله فى مسند ابن مسعود ومسند حذيفة .

ومن مسند ابى هريرة قال النبى صلى الله عليه وآله : بينما انا قائم اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل بينى وبينهم ، فقال : هلموا . فقلت : أين ؟ قال : الى النار والله. قلت : ما شأنهم؟ قال: انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ثم اذا زمرة ـ الى ان قال ـ قال النبى صلى الله عليه وآله : فلا ارى يخلص الي منهم الا مثل همل النعم .

(ولا مستوحشاً من ايمانى) فكثير من الناس يستوحشون من ايمانهم بعد أنسهم به لعدم رسوخه فيهم ، وقد قال النبى صلى الله عليه وآله له عليه السلام « والايمان مخالط لحمك ودمك كما انه مخالط لحمي ودمى » .

(ولاملتبساً عقلى) أي مختلطاً ، والمؤمن يبتلى بكل بلاء ومرض لكن

لايؤخذ منه عقله .

(ولامعذباً بعذاب الامم من قبلى) قال تعالى فى عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان « فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا » وقال فى مردة اليهود « وجعل منهم القردة والخنازير » .

حمد الله تعالى على أنه لم يصبح به من احد الاصناف التسعة ، فان حمده تعالى واجب على دفع البلاء كوجوبه على اعطاء النعماء ، قال النبى صلى الله عليه وآله: اذا رأيتم اهل البلاء فاحمدوا الله تعالى ولاتسمعوهم فان ذلك يحزنهم.

وعن الباقر عليه السلام : من نظر الى مبتلى فقال ثلاث مرات « الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به ولو شاء فعل » لم يصبه ذلك البلاء .

وعنه عليه السلام : اذا رأيت مبتلى وأنت معافى فقل « اللهم انى لا أسخر ولا أفخر ولكنى أحمدك على عظيم نعمائك علي » .

(أصبحت عبداً مملوكاً) « ولا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً » .

(ظالماً لنفسى) « ان الله لايظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون».

(لك الحجة علي ولا حجة لي) « قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين » « حجتهم داحضة عند ربهم » « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

(ولا أستطيع) هكذا فى المصرية أخذاً من نسخة « حد » ، والصواب « لا أستطيع » كما فى ثم بل وكما فى « حد » فى شرح الفقرة .

(ان آخذ الا ما اعطيتنى) « لامانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ».

(ولا اتقي الا ما وقيتنى) « وقال يا بني لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا

من ابواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون * ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها وانه لذوعلم لما علمناه ولكن اكثر الناس لايعلمون » .

(اللهم اني اعوذ بك ان افتقر فى غناك) « ولله خزائن السماوات والارض».

وفى الخبر: اوحى تعالى الى موسى عليه السلام : انه مادام لم تنفد خزائنى ـ ولن تنفد ـ فلا تغتم لرزقك .

وانما استعاذ عليه السلام لان العبد قديستحق سلب نعمته تعالى « ان الله لايغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم » .

(او اضل في هداك) « ان ربي على صراط مستقيم » قال تعالى « يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به الا الفاسقين * الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون » .

(او أضطهد) أى اصير مقهوراً للناس (والامر لك) وفى نسخة ثم « ولك الامر » .

(اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمى) يكرم على الانسان جميع جوارحه وقواه كما يكرم عليه نفسه وروحه ، وانتزاع النفس اولها يلزم ابقاء باقيها الى حين موته .

وفى الخبر : اذا أنا اخذت من عبدى كريمتيه فصبر لم أرض له ثواباً دون الجنة .

(واول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندى) هذا فى معنى الاول ، الا ان الاول من حيث ان النفس وقواها كرائم على الانسان وهذا من حيث انها عوار

من الرب عند العبد ، فليس له لوارتجعها غير اول اعتراض وانكار .

(اللهم انا نعوذ بك ان نذهب عن قولك) بمخالفة اوامرك وزواجرك التى قلتها فى كتابك وعلى لسان حججك .

(اونفتن) هكذا فى المصرية والصواب « اونفتتن » كما فى حد وثم والخطية (عن دينك) بأن تتفق اسباب تخرج العبد عن الدين كما فى قوم موسى مع العجل والسامري .

(او تتايع) قال الجوهرى : التتايع التهافت فى الشر واللجاج ، والتتايع لايكون الا فى الشر .

(بنا اهواؤنا دون الهدى الذى جاء من عندك) قال تعالى « ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » .

١/٢٢٠/٣ ومن دعاء له عليه السلام : اللهم صن وجهى باليسار ، ولاتبذل جاهى بالاقتار ، فاسترزق طالبى رزقك ، واستعطف شرار خلقك، وابتلى بحمد من اعطانى ، وافتن بذم من منعنى ، وانت من وراء ذلك كله ولى الاعطاء والمنع ، انك على كل شىء قدير.

قول المصنف (ومن دعاء له عليه السلام) وردت فى المكارم من الصحيفة، فقرات بلفظه ومعناه وفقرات بمعناه فقط .

أما الاولى فما فيه « اللهم صل على محمد وآل محمد، وصن وجهي باليسار، ولا تبتذل جاهي بالاقتار ، فأسترزق اهل رزقك ، واستعطي شرار خلقك ، فافتتن بحمد من أعطاني، وابتلي بذم من منعني، وأنت من دونهم ولي الاعطاء والمنع » .

وأما الثانية فما فيه « اللهم اجعلني أصول بك عند الضرورة ، واسألك عند الحاجة، واتضرع اليك عند المسكنة، ولاتفتني بالاستعانة بغيرك اذا اضطررت،

ولابالخضوع لسؤال غيرك اذا افتقرت ، ولابالتضرع الى من دونك اذا رهبت، فاستحق بذلك خذلانك ومنعك واعراضك يارحم الراحمين » .

ولاغرو فى توافقهما وتقاربهما ، فكلاهما مؤيد بالروح القدسي .

قوله عليه السلام (اللهم صن وجهي باليسار) صون الوجه اعز شيء عند الكرام ، قال ابو تمام :

وما ابالى وخير القول اصدقه حقنت لى ماء وجهى اوحقنت دمى

وقال آخر :

ماجود كفك ان جادت وان بخلت من ماء وجهي وقد اخلقته عوض

وعن الصادق عليه السلام : المعروف ابتداء ، وأما من اعطيته بعد المسألة فانما كافيته بمابذل لك من وجهه، فيبيت ليلته أرقاً متململا بين الرجاء واليأس لايدري أين يتوجه ، فيأتيك وقلبه يرجف وفرائصه ترعد قد تراد دمه في وجهه لا يدرى أيرجع بكآبة او فرح .

ومراده عليه السلام باليسار الكفاف المطلوب عند اولياء الله حتى لايحتاج الى الخلق ، لاالغنى المطغى المطلوب عند اهل الدنيا .

(ولاتبذل جاهى بالاقتار) أى الافتقار وضيق المعاش .

فى الكافى عن لقمان قال لابنه : يابني ذقت الصبر واكلت لحاء الشجرفلم اجد شيئاً هوأمر من الفقر ، فان بليت به يوماً فلاتظهر الناس عليه فيستهينوك ولاينفعوك بشيء ، ارجع الى الذى ابتلاك به فهو أقدر على فرجه وسله: ومن ذا الذى سأله فلم يعطه اووثق به فلم ينجه.

(فأسترزق طالبى رزقك) وقبيح أن يدع الانسان الرازق ويدعو المرزوق، فكما لاخالق غيره لارازق سواه « ان الله هو الرزاق ذوالقوة المتين » .

(واستعطف شرار خلقك) فان اكثر الناس لئام وشرار والكرام والابرار

قليلون ، فاذا ابتلي بالاقتار يضطر غالباً الى استعطاف الاشرار .

في الكافي عن النبي صلى الله عليه وآله : الايدي ثلاث : يدالله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد المعطى أسفل الايدي. فاستعفوا عن السؤال مااستطعتم، ان الارزاق دونها حجب، فمن شاء قنى حياة وأخذرزقه، ومن شاء هتك الحجاب وأخذرزقه ، والذي نفسي بيده لئن يأخذ احدكم حبلا ثم يدخل عرض هذا الوادي فيحتطب حتى لايلتقي طرفاه ثم يدخل به السوق فيبيعه بمدّ من تمر ويأخذ ثلثه ويتصدق بثلثيه خير له من أن يسأل الناس اعطوه أوحرموه .

وعن الصادق عليه السلام: جاءت فخذ من الانصار الى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا : لنا اليك حاجة . فقال : هاتوا. قالوا: عظيمة تضمن لنا على ربك الجنة. فنكس صلى الله عليه وآله رأسه ثم نكت في الارض ثم رفع رأسه فقال: افعل ذلك لكم على ألا تسألوا احداً شيئاً. فكان الرجل منهم يكون في السفر فيسقط سوطه فيكره أن يقول لانسان ناولنيه فراراً من المسألة وينزل فيأخذه ، ويكون على المائدة فيكون بعض الجلساء اقرب الى الماء منه فلا يقول ناولني حتى يقوم فيشرب .

وعنه عليه السلام : رحم الله عبداً عف وتعفف وكف عن المسألة ، فانه يتعجل الدنية في الدنيا ولايغني الناس عنه شيئاً . ثم تمثل عليه السلام ببيت حاتم :

اذا ما عرفت اليأس ألفيته الغنى اذا عرفته النفس والطمع الفقر

(وابتلى بحمد من اعطاني وافتن) هكذا في المصرية، والصواب «وافتتن» كمافي «حد» و «ثم» والخطية (بذم من منعني) وحمد الناس كذمهم مذموم وفاعله ملوم .

(وانت من وراء ذلك ولي الاعطاء والمنع) في الفقه الرضوي: روى ان الله

عزوجل اوحى الى داود عليه السلام : ما اعتصم بى عبد دون احد من خلقى عرفت ذلك من نيّته ثم تكيده اهل السماوات والارض وما فيهن الاجعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم عبد من عبيدى بأحد من خلقى دونى عرفت ذلك من نيّته الاقطعت أسباب السماوات من يديه واسخت الارض من تحته ولم ابال بأي وادهلك .

وفيه : واروى عن العالم عليه السلام يقول تبارك وتعالى: وعزتى وجلالي وارتفاعى فى علوي ، لايؤثر عبد هواى على هواه الاجعلت غناه فى قلبه وهمه فى آخرته ، وكففت عليه ضيعته ، وضمنت السماوات والارض رزقه ، وكنت له من وراء حاجته ، واتته الدنيا وهى راغمة، وعزتى وجلالى وارتفاعى فى علو مكانى لايؤثر عبد هواه على هواي الا قطعت رجاءه ولم ارزقه الا ما قدرت له .

واروى ان بعض العلماء كان يقول: سبحان من لو كانت الدنيا خيراً كلها اهلك فيها من احب ، سبحان من لو كانت الدنيا شراً كلها نجى منها من اراد .

هذا ، وواضح ان الخبر فى جملة « وانت من وراء ذلك كله ولي الاعطاء والمنع » انما هو «ولي» و «من وراء» متعلق به كقوله «من دونهم» فى الصحيفة فى قوله « وانت من دونهم ولي الاعطاء والمنع » ، وجعل حد «من وراء ذلك» الخبر وقال « وانت من وراء ذلك » مثل كما تقول للملك العظيم « هو من وراء وزرائه » ، فيكون « ولي » خبراً بعد خبر ، ويجوز ان يكون «ولي» هو الخبر و « من وراء » حالا ـ الخ . وكما ترى .

(انك على كل شيء قدير) فتقدر على صون وجهى حتى لااحتاج الى غيرك فافعل ذلك بى .

وفى الفقه الرضوى : نروى ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وآله ليسأله، فسمعه وهو يقول « من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله » ، فانصرف ولم يسأله

ثم عاد اليه فسمع مثل مقالته فلم يسأله، حتى فعل ذلك ثلاثاً ، فلما كان في اليوم الثالث مضى واستعار فاساً وصعد الجبل فاحتطب وحمله الى السوق فباعه بنصف صاع من شعير ، فأكله هو وعياله ثم واتر على ذلك حتى جمع ما اشترى بـه فاساً ، ثم اشترى بكرين وغلاماً والسير، فاتى النبى صلى الله عليه وآله فأخبره فقال : اليس قلنا من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله .

٤٥/٤/ ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير الى الشام : اللهم انى اعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمـال . اللهم أنت الصاحب فى السفر ، وأنت الخليفة فى الاهـل ، ولا يجمعهما غيرك لان المستخلف لايكون مستصحباً والمستصحب لايكون مستخلفاً .

اقول : هكذا فى المصرية بدون نقل عن المصنف ، وفيها سقط ففى «حد» و«ثم» والخطية : قال السيد وابتداء هذا الكلام مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد قفّاه عليه السلام بأبلغ كلام وتممه بأحسن تمام من قوله « لايجمعهما غيرك » الى آخر الفصل .

قول المصنف (ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير الى الشام) فى صفين نصر : لما وضع علي عليه السلام رجله فى ركاب دابته يوم خرج من الكوفة الى صفين قال « بسم الله » ، فلما جلس على ظهرها قال « سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين * وانا الى ربنا لمنقلبون، اللهم انى اعوذبك من وعثاء السفر » الخ .

قوله عليه السلام (اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر) قال الجوهـرى : الوعث المكان السهل الكثير الدهس ، تغيث فيه الاقدام ويشقّ على من يمشي فيه ، ووعثاء السفر مشقته .

(و كآبة) قال الجوهرى : الكآبة سوء الحال والانكسار من الحزن ، كئب الرجل كأبة و كآبة .

(المنقلب) قال الجوهري : المنقلب يكون مصدراً ويكون مكاناً ، مثل المنصرف .

(وسوء المنظر فى الاهل) بالمرض والموت (والمال) بالفساد والتلف .

(اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل) عن الصادق عليه السلام: ما استخلف عبد على أهله افضل من ركعتين يصليهما، اذا أراد سفراً يقول « اللهم انى استودعك نفسى وأهلي ومـالي وديني ودنياي وآخرتي وامانتي وخواتيم عملي» الأعطاه الله ما سأل .

(ولا يجمعهما غيرك) من المخلوقين (لان المستخلف) فى الاهل (لايكون مستصحباً) فى السفر (والمستصحب) مع المسافر (لايكون مستخلفاً) فى اهله ، لاستحالة كون جسم فى مكانين، وأما الله تعالى فالسماء والارض والمشرق والمغرب عنده سواء « انتما تولوا فثم وجه الله » « مايكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم ولا خمسة الاهو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا اكثر الاهو معهم ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم » .

قول المصنف (وابتداء هذا الكلام) من أوله الى «وانت الخليفة فى الاهل» (مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله) لكن مع زيادة ونقصان ، ففى مجازات المصنف: ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله « اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحور بعد الكور ، وسوء المنظر في الاهـل والمال » وقال المصنف ثمة : ومعنى الحور بعد الكور أي انتشار الامور بعد انضمامها وانفراجها بعد التيامها ، وذلك مأخوذ من حور العمامة بعد كورها ، وهو نقضها بعد لـيّها ونشرها بعد طيّها، قاله صلى الله عليه وآله ـ كما فى السيرة ـ

فى رجوعه من غزوة بنى لحيان لما خرج اليهم لطلب ثار أصحاب الرجيع .

(وقد قفّاه عليه السلام) أي اتبعه (بأبلغ كلام وتممه بأحسن تمام، من قوله لايجمعهما غيرك الى آخر الفصل) « والمستصحب لايكون مستخلفاً » .

لكن روى الكلام عنه عليه السلام فى ذهابه الى صفين، وفيه قفاه عليه السلام بما قال وفى ايابه من صفين وفيه زاد قبله شيئاً ، ففى صفين نصر بن مـزاحم : قال عبدالرحمن بن جندب لما أقبل علي عليه السلام من صفين أقبلنا معه، فأخذ طريقاً غير طريقنا الذي أقبلنا فيه، فقال « آئبون عائدون، لربنا حامدون ، اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى المال والاهل » .

١/٢٢٢/٥ ومن دعائه عليه السلام : اللهم انك آنس الانسين لاوليائك ، وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك ، تشاهدهم فى سرائرهم وتطلع عليهم فى ضمائرهم وتعلم مبلغ بصائرهم ، فأسرارهم لك مكشوفة وقلوبهم اليك ملهوفة ، ان أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك ، وان صبت عليهم المصائب لجأوا الى الاستجارة بك ، علماً بأن ازمة الامور بيدك ، ومصادرها عن قضائك . اللهم ان فهمت عن مسألتى أو عميت عن طلبتى فدلنى على مصالحى ، وخذ بقلبى الى مراشدى ، فليس ذلك بنكر من هداياتك ، ولابدع من كفاياتك ، اللهم احملنى على عفوك ولاتحملنى على عدلك .

قول المصنف (ومن دعائه) هكذا فى المصرية ، والصواب « ومن دعاء له عليه السلام » كما فى « حد » و « ثم » والخطية .

قوله عليه السلام (اللهم انك آنس الانسين لاوليائك) كان النبى صلى الله عليه وآله اذا حضر وقت الصلاة يقول لبلال : اذّن وأرحني من غير الله تعالى .

وفى التاسعة من مناجاتات الصحيفة: الهى من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك، فرام منك بدلا ، ومن ذا الذي آنس بقربك فابتغى عنك حولا .

وفى الثالثة عشر : استغفرك من كل لذة بغير ذكرك ، ومن كل راحة بغير انسك ، ومن كل سرور بغير قربك ، ومن كل شغل بغير طاعتك .

هذا، والظاهر ان «الانسين» محرّف «الانيسين»، لان اولياء الله مستأنسون بالله تعالى وبذكره لانه تعالى مستأنس بهم .

وفى صفين نصر: لما قدم علي عليه السلام الكوفة سأل عن رجل من اصحابه كان ينزل الكوفة ، فقال قائل: استأثر الله به . فقال عليه السلام : ان الله لايستأثر بأحد من خلقه ، انما اراد الله بالموت اعزاز نفسه واذلال خلقه .

ومما ذكرنا يظهر لك ما فى قول «حد» ان الرواية الصحيحة «بأوليابك»، أى انت اكثرهم آنساً بأوليائك . وما فى قول « خو »: ان اللام فى «لاوليائك» لتبيين الفاعل من المفعول ، فان قلت ما احبنى لفلان فأنت فاعل الحب وفلان مفعوله ، وان قلت ما احبنّى الى فلان فالامر بالعكس .

(واحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك) وفى السير: ان ذاالقرنين لمّا فرغ من عمل السد انطلق على وجهه ، فبينا يسير هو وجنوده اذ مرّ على شيخ يصلي، فوقف عليه بجنوده حتى انصرف من صلاته فقال له ذوالقرنين : كيف لم يرعك ما حضرك من جنودى؟ قال : كنت أناجي من هو أشد جنوداً منك واعز سلطاناً واشد قوة ، ولو صرفت وجهي اليك لم أدرك حاجتى قبله. فقال له ذوالقرنين: هل لك فى أن تنطلق معى فأواسيك بنفسي واستعين بك على بعض أمرى . قال: نعم ان ضمنت لي اربع خصال : نعيماً لايزول ، وصحة لاسقم فيها ، وشباباً لاهرم فيه ، وحياة لاموت فيها . فقال له ذوالقرنين: وأىّ مخلوق يقدر على هذه الخصال . فقال : فاني مع من يقدر عليها ويملكها واياك .

(تشاهدهم فى سرائرهم) « يعلم السر وأخفى » .

(وتطلع عليهم فى ضمائرهم) « ان الله عليم بذات الصدور» .

(وتعلم مبلغ بصائرهم) عن الصادق عليه السلام : ان العبد المؤمن الفقير ليقول : يارب ارزقنى حتى افعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير، فاذا علم الله تعالى ذلك منه بصدق نيته كتب الله له من الاجر مثل ما يكتب له لو عمله ، ان الله واسع كريم .

(فأسرارهم لك مكشوفة، وقلوبهم اليك ملهوفة) فى المناجاة الثامنة « فأنت لاغيرك مرادى، ولك لالسواك سهرى وسهادى، ولقاؤك قرة عينى، ووصلك منى نفسى ، واليك شوقي ، وفى محبتك ولهي، والى هواك صبابتى، ورضاك بغيتى ورؤيتك حاجتى ، وجوارك طلبى ، وقربك غاية سؤلى ، وفى مناجاتك روحى وراحتى ، وعندك دواء علتى ، وشفاء غلّتى، وبرد لوعتى ، وكشف كربتى ، فكن انيس وحشتي ، ومقيل عثرتى، وغافرزلتى، وقابل توبتى، ومجيب دعوتي، وولى عصمتى ، ومغنى فاقتى ، ولا تقطعنى عنك ولاتبعدنى منك يا نعيمى ويا دنياى وآخرتى » .

(ان أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك) فى الخبر : لما طرح يوسف فى الجب أخوته أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: ياغلام ماتصنع ههنا ؟ فقال : ان اخوتى ألقوني . قال: أفتحب ان تخرج منه؟ قال : ذاك الى الله تعالى ان شاء أخرجنى . فقال له جبرئيل : ان الله عزوجل يقول لك ادعنى بهذا الدعاء « اللهم انى اسألك بأن لك الحمد لااله الاانت المنّان بديع السماوات والارض ذوالجلال والاكرام ان تصلي على محمد وآل محمد وان تجعل لي مماانا فيه فرجاً ومخرجاً» ـ ثم كان من قصته ماذكره الله تعالى فى كتابه من مجيء السيارة .

(وان صبّت عليهم المصائب لجأوا الى الاستجارة بك علماً بأن أزمة

الامور بيدك ومصادرها عن قضائك) فى العقد : قال المدائنى لما حج المنصور مرّ بالمدينة فقال لربيع علي بجعفر بن محمد قتلنى الله ان لم اقتله ، فمطل به ثم ألحّ عليه ، فحضر فلما كشف الستر بينه وبينه ومثل بين يديه همس جعفر بشفتيه ثم تقرب وسلم فقال : لاسلّم الله عليك ياعدو الله ، تعمل علي الغوائل فى ملكى قتلنى الله ان لم اقتلك ـ الى ان قال ـ قال المنصور : ياربيع عجّل لابى عبدالله كسوته وجائزته . قال ربيع : فلما حال الستر بينى وبينه أمسكت بثوبه فقلت له : انى منذ ثلاث أدفع عنك ورأيتك اذ دخلت همست بشفتيك ثم رأيت الامر انجلى عنك، وانا خادم سلطان ولاغنى لي عنه . قال : قلت «اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام ، واكنفنى بحفظك الذى لايرام ، ولا اهلك وانت رجائى، فكم من نعمة قدأنعمتها علىّ قلّ لك عندها شكرى فلم تحرمني، وكم من بلية ابتليتنى بها قل عندها صبرى فلم تخذلنى ، بك ادرء فى نحره واستعيذ بخيرك من شره ، فانك على كل شيء قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم » .

وفي مروج المسعودي : أتى بعلي بن الحسين عليه السلام الى مسلم بن عقبة وهو مغتاظ عليه، فتبرأ منه ومن آبائه ، فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له واقعده الى جانبه وقال له : سلنى حوائجك . فلم يسأله فى احد ممن قدم الى السيف الا شفعه فيه ، ثم انصرف فقيل لعلي عليه السلام رأيناك تحرك شفتيك فما الذي قلت ؟ قال : قلت « اللهم رب السماوات السبع وماأظللن، والارضين السبع وما اقللن ، رب العرش العظيم ، رب محمد وآله الطاهرين، اعوذ بك من شره وأدرء بك فى نحره ، واسألك ان تؤتينى خيره وتكفينى شره» . وقيل لمسلم رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه فلما أتي به اليك رفعت منزلته . فقال : ما كان ذلك لرأي مني ، لقد ملىء قلبى منه رعباً .

وفى الطبرى : لماصبّحت الخيل بقتل الحسين عليه السلام رفع يديه فقال « اللهم أنت ثقتى فى كل كرب ورجائى فى كل شدة ، وأنت لى فى كل امر نزل بى ثقة وعدة، كم همّ يضعف فيه الفؤاد ، وتقل فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو ، انزلته بك وشكوته اليك ، رغبة منى اليك عمن سواك ففرجته وكشفته ، فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة » .

وفى اللهوف: لما رمى رضيع الحسين عليه السلام بسهم فذبحه فى حجره تلقى الدم بكفيه ، فلما امتلأتا رمى بالدم نحو السماء ثم قال : هوّن علي ما نزل بى انه بعين الله .

وفى اعتقادات الصدوق : ولما اشتد الامر بالحسين عليه السلام نظر اليه من كان معه واذا هو بخلافهم ، لانهم كانوا اذا اشتد بهم الامر تغيّرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم ، وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن قلوبهم ونفوسهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا اليه لايبالي بالموت . فقال عليه السلام لهم : يا بني الكرام ، فما الموت الا ازها قنطرة تعبربكم عن البؤس والضر الى الجنان الواسعة والنعيم الدائم ، فأيكم يكره ذلك . الخ .

ولنعم ماقيل بالفارسية على لسان حاله عليه السلام :

گفت اگر بر سر من تير چه باران بارد

يا فلك داغ عزيزان بدلم بگذارد

با ده از مصطبه عشق مرا خوش دارد

غم وشادى برعاشق چه تفاوت دارد

(اللهم ان فهمت) أي عييت (عن مسألتى او عميت عن طلبتى فدلنى على مصالحى وخذ بقلبى الى مراشدى) فأنت العالم بصلاحى « ونادى نوح ربه

فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت أحكم الحاكمين * قال يانوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلن ماليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين * قال رب انى اعوذ بك ان اسألك ماليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين » .

وفى مكارم الصحيفة « اللهم اجعل مايلقي الشيطان فى روعي من التمنى والتظنى والحسد ذكراً لعظمتك وتفكراً فى قدرتك وتدبيراً على عدوك ، وما أجرى على لساني من لفظة فحش أوهجر او شتم عرض أوشهادة باطل أواغتياب مؤمن غائب او سب حاضر وماشبه ذلك ، نطقاً بالحمد لك واغراقاً فى الثناء عليك وذهاباً فى تمجيدك وشكراً لنعمتك واعترافاً باحسانك واحصاء لمننك » .

(فليس ذلك بنكر من هداياتك) لعبادك (ولا ببدع من كفاياتك) لاوليائك .

(اللهم احملني على عفوك ولاتحملني على عدلك) والاهلكت « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة » « وماأصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » « ويخافون سوء الحساب » أي عدله تعالى .

هذا، وفى مناقب الكنجى عن زربن حبيش قال: قرأت القرآن من اوله الى آخره فى جامع الكوفة على علي عليه السلام، فلما بلغت الحواميم قال: بلغت عرائس القرآن. فلما بلغت رأس العشرين من (حمسق) «والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير » بكى حتى ارتفع نحيبه، ثم رفع رأسه الى السماء وقال : آمن على دعائى - ثم قال « اللهم انى اسألك اخبات المخبتين، واخلاص الموقنين، ومرافقة الابرار، واستحقاق حقوق الايمان ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل عيب، ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك ، والفوز بالجنة والنجاة من النار » قال : واذا ختمت القرآن فادع به ، فان حبيبى أمرنى ان أدعو بهن عند ختم القرآن .

/٣/٢٧٦/٦ وقال عليه السلام : اللهم انى اعوذ بك من أن تحسن فى لامعة العيون علانيتى وتقبح فيما ابطن لك سريرتى ، محافظاً على رئاء الناس من نفسى بجميع ما أنت مطلع عليه منى ، فأبدى للناس حسن ظاهرى ، وافضى اليك بسوء عملى، تقرباً الى عبادك وتباعداً من مرضاتك.

(اللّهم اني اعوذ بك من أن) هكذا فى المصرية اخذاً من « حد » ، ولكن فى نسخة ثم « ان » (تحسّن فى لامعة العيون علانيتى ، وتقبّح فيما أبطن لك سريرتي) .

فى الكافى : عن النبى صلى الله عليه وآله ان الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً ، فاذا صعد به يقول تعالى : اجعلوه في السجّين .

(محافظاً على رئاء الناس من نفسي بجميع ماأنت مطلع عليه مني) عن الصادق عليه السلام : من أظهر للناس مايحب الله وبارز الله بماكرهه لقى الله وهو ماقت له .

(فأبدي للناس حسن ظاهري وأفضى اليك بسوء عملي) عن الصادق عليه السلام: مايصنع أحدكم ان يظهر حسناً ويسّر سيئاً ليس يرجع الى نفسه ، فيعلم ان ذلك ليس كذلك ، والله تعالى يقول « بل الانسان على نفسه بصيرة » .

وعنه عليه السلام : مامن عبد يسرّ خيراً الا لم تذهب الايام حتى يظهر الله له خيراً ، ومامن عبد يسر شراً الا لم تذهب الايام حتى يظهر الله له شراً .

وعنه عليه السلام : من أراد الله بالقليل من عمله أظهر الله له اكثر مما أراد، ومن أراد الناس بالكثير من عمله فى تعب من بدنه وسهر من ليله أبى الله تعالى الا ان يقلله فى عين من سمعه .

(تقرباً الى عبادك وتباعداً من مرضاتك) « تقرباً وتباعداً » مفعول لهما لابدى وأفضى .

فى الكافى عن النبى صلى الله عليه وآله : سيأتى على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً فى الدنيـا ، لايريدون به ماعند ربهم ، يكون دينهم رياء ، لايخالطهم خوف ، يعمّهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلايستجاب لهم .

وعن الصادق عليه السلام : اياك والرياء ، فان من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له ، وكل رياء شرك ، انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس .

وعنه عليه السلام: قال تعالى: أناخير شريك ، من أشرك بى غيري فىعمل عمله لم أقبله الاماكان خالصاً .

هذا ، وشهد الله تعالى له عليه السلام ولعترته بالاخلاص فى قوله عزوجل « ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً * انمـا نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءاً ولاشكوراً * انانخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً *فوقاهم الله شرذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً * وجزاهم بماصبروا جنة وحريراً * متكئين فيها على الارائك لايرون فيها شمساً ولازمهريراً ـ الى ـ ان هـذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً » . ومع ذلك نسب الثانى اليه عليه السلام الرياء جرأة على رد الله تعالى .

ففى امالى ابى جعفر محمد بن حبيب ـ وقد نقله « حد » فى موضع آخر ـ قال ابن عباس دخلت يوماً على عمر فقال : ياابن عباس لقد أجهد هذا الرجل نفسه فى العبادة حتى نحلته رياء . قلت : من هو ؟ قال : ابن عمك ـ يعنيه عليه السلام ـ فقلت : ومايقصد بالرياء؟ قال: يرشح نفسه بين الناس للخلافة . قلت: ومايصنع بالترشيح، قدرشّحه لها النبى صلى الله عليه وآله فصرفت عنه ـ الخبر. لكن لاغرو فى نسبته الرياء اليه عليه السلام بعد نسبته الهجر الى نفس النبى صلى الله عليه وآله لمااراد استخلافه عليه السلام .

٨٧/٧ فى الخطبة المعروفة بالاشباح بعد ذكره صفاته تعالى وخلقةالسماء والملائكة والارض وارساله الرسلمن آدم الى الخاتم وبيانإحاطة علمه تعالى بكل شيء : اللهم انت اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير، ان تؤمل فخيـر مأمول ، وان ترج فأكرم مرجو . اللهم وقدبسطت لى فى مالا أمدح به غيرك ، ولا اثنى به على أحدسواك ، ولا أوجههالىمعادن الخيبة ومواضع الريبة، وعدلت بلسانى عن مدائح الادميين ، والثناءعلى المخلوقين المربوبين . اللهم ولكل مثن على من أثنى عليه مثوبة مـن جزاء اوعارفة من عطاء ، وقد رجوتك دليلا على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة . اللهم وهذا مقام من افردك بالتوحيد الذى هـو لك ، ولم ير مستحقاً لهذه المحامد والممادح غيرك ، وبى فاقة اليك لايجبر مسكنتها الا فضلك ولا ينعش مـن خلتهـا الا منك وجودك ، فهب لنا فى هـذا المقام رضاك، وأغننا عن مدالايدى الىسواك ، انك علىكل شيءقدير.

(اللهم أنت اهل الوصف الجميل) العليم الكريم الرحيم ، الى غير ذلك من صفات الكمال ونعوت الجلال والجمال .

(والتعداد الكثير) في أوصاف كمالك حتى انها لاتحصى .

(ان تؤمل فخير مؤمل) هكذا في المصرية ، والصواب « مأمول » كمافى « حد » و « ثم » و « خو » والخطيـة ، وكونه تعالى خير مأمول لانـه القادر على اعطاء كل امل دون غيره .

(وان ترج فأنت خير مرجو) لانه الذي لايخيب رجاء راجيه .

(اللهم وقد بسطت لي) بقوة البيان .

(فيمالا أمدح به غيرك) لعدم اتصاف غيره بمامدحه .

(ولاأثنى به على احد سواك) لفقدان سواه لما به اثنى عليه ، فتقول « ان

الله على كل شيء قدير » و « ان الله بكل شيء عليم » ، فهل يكون أحد غيره كذلك .

(ولاأوجهّه) أي مدحي وثنائي، وأفرد الضمير لاتحادهما فى المصداق (الى معادن الخيبة) ممن رجاهم غيره (ومواضع الريبة) باحتمال كونهم على ضد مايمدحون به .

(وعدلت بلساني عن مدائح الادميين) الى مدحك (و) عن (الثناء على المخلوقين المربوبين) الى الثناءعليك ، لانك الله خالق الخلق ورب العالمين.

(اللهم ولكل مثن على من أثنى عليه مثوبة من جزاء) فاثبنى جزاء ثنائي (أو عارفة) أي معروف (من عطاء) فأعطني عطاء معروفاً على ثنائي .

(وقد رجوتك دليلا على ذخائر الرحمة) «ولله خزائن السماوات والارض» «وان من شيء الاعندنا خزائنه ومانتّزله الابقدر معلوم » .

(وكنوز المغفرة) أي كنوز أسبابها ،كقوله تعالى « وسارعوا الى مغفرة من ربكم » .

(اللهم وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هولك) أي بالاقرار بواحدانيتك المختصة بك (ولم يرمستحقاً لهذه المحامد والممادح) جمعا المحمدة والمدحة، وجاء جمع الثاني بلفظ الاماديح ايضاً ، قال الشاعر :

لوكان مدحة حيّ منشراً أحداً احيـا أباكـن ياليلى الاماديح

والاصل فى الحمد الارتضاء، يقال أحمدت الارض ارتضيت سكناها، وقال قراد بن حنش :

لهفي عليك اذا الرعاة تحامدوا بحزيز أرضهم الدرين الاسودا

(غيرك) لعدم صدقها فى سواه تعالى (وبى فاقة) أي حاجة اليك (لايجبر مسكنتها الا فضلك) لااستحقاقي .

(ولاينعش) أي لايرفع (من خلتها) بالفتح : اى فاقتها (الامنك وجودك) على عبادك .

(فهب لنا في هذا المقام) مقام حمدك وثنائك (رضاك) عنا .

(واغننا عن مدّ الايدي الى سواك) لانك الرزاق (انك على كل شيء قدير) على اغنائنا واصلاح جميع شؤننا .

هذا ، وروى امالى الشيخ فيما رواه عن الغضائرى انه عليه السلام كان اذا رأى الهلال قال : اللهم ارزقنا خيره ونصره وبركته وفتحه ، ونعوذبك من شره وشر مابعده .

وروى دعاء الكافى عنه عليه السلام قال : الدعاء مفتاح النجاح ، ومقاليد الفلاح ، وخير الدعاء ماصدر عن صدر نقي وقلب تقي ، وفى المناجاة سبب النجاة ، وبالاخلاص يكون الخلاص ، فاذا اشتد الفزع فالى الله المفزع .

ايضاً : الدعاء ترس المؤمن ، ومتى تكثر قرع الباب يفتح لك .

وفى المحاسن والاضداد للجاحظ : يقال ان علياً عليه السلام لما اتصل به مسير معاوية قال : لاأرشد الله قائده ، ولاأسعد رائده ، ولاأصاب غيثاً ، ولاسار الاريثاً ، ولا رافق الاليثاً ، أبعده الله واسحقه ، وأوقد على اثره وأحرقه ، لاحط الله رحله ، ولاكشف محله ، ولابشّر به اهله ، لازكى له مطلب ولارحب لهمذهب ، ولايسّر له مراراً ، لافرّج الله له غمه ، ولاسرى همه ، لاسقاه الله ماء ، ولاحل عقده ، ولاأروى زنده ، جعله الله سفر الفراق ، وعصا الشقاق ، وانشد :

بأنكد طائر وبشر فال ... لابعد غاية واخس حال
بحد السد حيث يكون منى ... كمابين الجنوب الى الشمال
غريباً تمتطى قدميك دهرا ... على خوف تحنّ الى العيال

٢/٨ وكان له عليه السلام يقول اذا لقى العدو محارباً : اللهم أفضت اليك

القلوب ، ومدت الاعناق ، وشخصت الابصار ، ونقلت الاقدام ، وأفضيت الابـدان . اللهم قد صرح مكتوم الشنآن ، وجاشت مراجل الاضغـان . اللهم انا نشكو اليك غيبة نبينا؛ وكثرة عدونا ، وتشتت أهوائنا . ربناافتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين .

قول المصنف (وكان عليه السلام يقول اذالقي العدو محارباً) رواه نصر ابن مزاحم فى صفينه فى ثلاث روايات :

احداها ـ ماروا ه مسنداً عن سويد: كان علي عليه السلام اذاأرادان يسير الى الحرب وقعد على دابته قال : « الحمدلله على نعمه علينا وفضله العميم . سبحان الذي سخر لنـا هذا وماكنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبـون » ثم يوجه دابته الى القبلة ثم يرفع يديه الى السماء ثم يقول « اللهم اليك نقلت الاقدام ، وأفضت القلوب ، ورفعت الايدي ، وشخصت الابصار ، نشكو اليك غيبة نبينا ، وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين» ـ سيروا على بركة الله .

الثانية : مسنداً عن تميم : كان علي عليه السلام اذا سار الى القتال ذكـر اسم الله حين يركب ثم يقول « الحمدلله على نعمه علينا وفضله العميم، سبحان الذي سخر لنا هذا وماكناله مقرنين واناالى ربنا لمنقلبون » ثم يستقبل القبلة ثم يرفع يديه الى الله ثـم يقول « اللهم اليك نقلت الاقدام ، وأتعبت الابـدان ، وأفضت القلوب ، ورفعت الايدي ، وأشخصت الابصار ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » سيروا على بركة الله ، ثم يقول « الله اكبر الله اكبر لاالـه الا الله والله اكبر ، ياالله ياأحـد ياصمد يارب محمد ، بسم الله الرحمن الرحيم ، لاحول ولاقوة الابالله العلي العظيم، اياك نعبد واياك نستعين ، اللهم كفّ عنا بأس الظالمين » فكان هذا شعاره بصفين .

الثالثة ـ عن قيس بن الربيع عن عبدالواحد بن حيان عمن حدّثه عن علي عليه السلام سمعه يقول يوم صفين « اللّهم اليك رفعت الابصار ، وبسطت الايدي، ودعيت الالسن، وافضت القلوب، وتحوكم اليك في الاعمال ، فاحكم بيننا وبينهم بالحق وأنت خير الفاتحين، نشكو اليك غيبة نبينا وقلة عددنا وكثرة عدونا وشدة الزمان وظهور الفتن، أعنّا عليه بفتح تعجله ونصر تعز به سلطان الحق وتظهره » .

والخبر الاول مطلق فى كونه أيّ حرب ، والاخيران صرح فيهما بكونه فى صفين ، لكن لم يذكر فيهما وقته .

وروى خبراً آخر انه عليه السلام قاله يوم الهرير ، فروى عن جابر بن نمير الانصارى قال : والله لكأني أسمع علياً عليه السلام يوم الهرير ـ وذلك بعد ماطحنت رحى مذحج فيما بينها وبين عك ولخم وجذام والاشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصي ، حتى استقلت الشمس وقام قائم الظهر ـ يقول لاصحابه متى نخلى بين هذين الحيين قد فنينا وأنتم وقوف تنظرون، أما تخافون مقت الله . ثم انفتل الى القبلة ورفع يديه ونادى «يا الله يا رحمن يا رحيم، يا واحد يا احد يا صمد، يا الله يا اله محمد ، اللهم اليك نقلت الاقدام وأفضت القلوب ورفعت الايدي ومدت الاعناق وشخصت الابصار وطلبت الحوائج ، انا نشكو اليك غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت أهوائنا ، ربنا افتح بيننا وبين الحق وانت خير الفاتحين» سيروا على بركة الله ، ثم نادى « لا اله الا الله والله اكبر كلمة التقوى » .

قال جابر : لا والذي بعث محمداً بالحق نبياً ماسمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والارض ، أصاب بيده فى يوم واحد ما أصاب ، انه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنياً فيقول « معذرة الى الله عز وجل واليكم من هذا ، لقد هممت ان أفلقه ولكن حجزني عنه انى

سمعت الرسول يقول كثيراً « لاسيف الا ذو الفقار ولافتى الاعلي » وانا قاتل به دونه .

قال جابر : فكنا نأخذه فنقوّمه ثم يتناوله من أيدينا فيتقحم به فى عرض الصف ، ولاوالله ماليث بأشد نكاية فى عدوه منه عليه السلام .

وروى صفين عبد العزيز الجلودي ـ كما فى مهج على بن طاوس ـ انه كان فى أول القتال ، ففيه : فلما زحفوا باللواء قال علي عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم ، لاحول ولاقوة الابالله العلي العظيم ، اللهم اياك نعبد واياك نستعين ، ياالله يارحمن يارحيم ويااحد ياصمد ياالله محمد ، اليك نقلت الاقدام وأفضت القلوب وشخصت الابصار ومدت الاعناق وطلبت الحوائج ورفعت الايدي، اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين. ثم قال « لااله الاالله والله اكبر » ـ ثلاثاً . قلت : وحيث انه كان دعاء يكرر أمكن دعاؤه عليه السلام به فى كل ماروى ، فعن جمل المفيد دعا به يوم الجمل ايضاً .

كما انه روى الكلام عنه عليه السلام فى غير وقت الحرب ، فروى رسائل الكلينى ـ كما في المحجة فيما كتبه عليه السلام بعد منصرفه من النهروان لما سألوه عن ابى بكر وعمر وعثمان ـ الى أن قال ـ فدعونى الى بيعة عثمان فبايعت مستكرهاً وصبرت محتسباً وعلمت اهل القنوت ان يقولوا: «اللهم لك أخلصت القلوب ، واليك شخصت الابصار ، وأنت دعيت بالالسن ، واليك تحوكم الاعمال ، فافتح بيننا وبين قومنا بالحق. اللهم انانشكو اليك غيبة نبينا ، وكثرة عدونا، وقلة عددنا ، وهواننا على الناس ، وشدة الزمان، وشدة الفتن بنا .اللهم ففرج ذلك بعدل تظهره، وسلطان حق تعرفه» .

قال « حد » : كان سديف مولى المنصور يقول « اللهم انانشكو اليك غيبة

نبينـا ، وكثرة عدونا ، وتشتت أهوائنا ، وماشملنا من زيغ الفتن ، واستولى علينـا من عشوة الحيرة ، حتى عاد فيئنا دولة بعد القسمة ، وأمارتنـا غلبة بعد المشورة، وعدنا ميراثاً بعد الاختيار للامة ، واشتريت الملاهى والمعازف بمال اليتيم والارملة ، وارعى في مال الله من لايرعى له حرمة ، وحكم فى ابشـار المؤمنين اهل الذمة ، وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة ، فلاذائد يذودهم عن هلكة ، ولاراع ينظر اليهم بعين رحمة ، ولاذوشفقة يشبع الكبد الحرى من مسغبة ، فهم أولو ضرع وفاقة ، واسراء فقر ومسكنة ، وحلفاء كآبة وذلة . اللهم وقد استحصد زرع الباطل وبلغ نهايته ، واستحكم عموده، واستجمع طريده، وحذف وليده ، وضرب بجرانه فأتح لـه من الحق يداً حاصدة ، تجذّ سنامه وتهشم سوقه وتصرع قائمه ، ليستخفى الباطل بقبح حليته ويظهر الحق بحسن صورته » .

ووجدت هذه الالفاظ فى دعاء منسوب الى علي بن الحسين عليه السلام ، ولعله من كلامه وكان سديف يدعو به .

قلت: ان كان أصل الكلام من السجاد عليه السلام الاأنه لابد ان يكون بعض فقراته من غيره ، فهو لايقول « عادت امارتنا غلبة بعد المشورة وعدنا ميراثاً بعد الاختيار للامة » ، فهل تلك المفاسد التي عدت الانتيجة ذاك الاختيار يوم السقيفة وتلك المشورة يوم الدار .

قوله عليه السلام (اللهم أفضت اليك) هكذا فى المصرية، والصواب «اللهم اليك افضت » كمافى حد و ثم والخطية (القلوب) أي تظهر القلوب أسرارها لك.

(ومدت الاعناق) أي تتضرع لك (وشخصت الابصار) شخص بصره اذا فتحه وجعله لايطرف .

(ونقلت الاقدام) أي مسيرنا كان لك (وانضيت الابدان) يقال انضيت الثوب

اذا ابليته ، وانضى فلان بعيره اى هزله ، وتقديم الظرف للحصر ، أي ان وقوع جميع هذه الامور كان مختصاً لك .

(اللهم قدصرح) أي انكشف وظهر (مكتوم) هكذا فى المصرية، والصواب « مكنون » كما فى حد و ثم (الشنآن) أي البغض .

(وجاشت) من جاشت القدر أي غلت (مراجل) جمع المرجل قدر من نحاس (الاضغان) .

فى صفين نصر : لما أراد علي عليه السلام الشخصوص الى صفين التفت عبدالله بن بديل الخزاعي الى الناس وقال : كيف يبايع معاوية علياً عليه السلام وقد قتل أخاه حنظلة وخاله الوليد وجده عتبة فى موقف واحد .

(اللهم انانشكو اليك غيبة نبينا وكثرة عدونا) قالت سيدة النساء مخاطبة لابيها اوصفية لابن اخيها كما فى بيان الجاحظ :

قد كان بعدك انباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم يكثر الخطب

انافقدناك فقد الارض وابلها ... فاحتل لقومك واشهدهم ولاتغب

وقالت اروى بنت عبد المطلب كما فى طبقات كاتب الواقدي :

لعمرك ماأبكى النبى لموته ... ولكن لهرج كان بعدك آتيا

وفي انساب البلاذرى : قالت ام الفضل : كنت جالسة عند النبى صلى الله عليه وآله وهو مريض ، فبكيت فقال : مايبكيك ؟ قلت : أخشى عليك ولاأدري مانلقى من الناس بعدك . فقال : انتم المستضعفون .

وقد قال النبى صلى الله عليه وآله له عليه السلام: ان الامة ستغدر بك بعدي .

(وتشتت) اى تفرق (اهوائنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين) الاصل فيه قول شعيب فيماحكى الله تعالى عنه .

هذا ، وروى الكافى انه عليه السلام كان اذا أراد القتال قال : اللهم انك

أعلمت سبيلا من سبيلك، جعلت فيه رضاك وندبت اليه اولياءك، وجعلته أشرف سبلك عندك ثواباً واكرمها لديك مآباً واحبها اليك مسلكاً ، ثم اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليك حقاً ، فاجعلنى ممن اشترى فيه منك نفسه ثم وفّى لك ببيعه، غير ناكث ولاناقض عهداً ولامبدّل تبديلا ، بل استيجاباً لمحبتك وتقرباً به اليك ، فاجعله خاتمة عملى وصيّر فيه فناء عمري، وارزقنى فيه لك وبه مشهداً توجب لي به منك الرضا ، وتحط به عني الخطايا ، وتجعلنى فى الاحياء المرزوقين ، بأيدي العداة والعصاة ، تحت لواء الحق وراية الهدى ، ماضياً على نصرتهم قدماً غير مول دبراً ولامحدث شكاً . اللهم وأعوذ بك عند ذلك من الجبن عند موارد الاهوال، ومن الضعف عند مساورة الابطال، ومن الذنب المحبط للاعمال فأحجم من شك اوامضى بغير يقين، فيكون سعيى فى تباب وعملي غير مقبول.

وفى زهر آداب الحصري ومجالس ثعلب (ومن دعاء على عليه السلام فى حروبه) اللهم أنت أرضى للرضى، واسخط للسخط، وأقدر على تغير ماكرهت، وأعلم بما تقدر ، لاتغلب على باطل ، ولاتعجز عن حق ، وما أنت بغافل عما يعمل الظالمون .

٢٠٧/٩ ومن خطبة له عليه السلام : اللهم أيما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة ، والمصلحة غير المفسدة فى الدين والدنيا ، فأبى بعد سمعه لها الا النكوص عن نصرتك والابطاء عن اعزاز دينك ، فانا نستشهدك عليه بأكبر الشاهدين شهادة، ونستشهد عليه جميع من اسكنته ارضك وسماواتك ، ثم انت بعده المغنى عن نصره والاخذ له بذنبه .

اقول : قال « ثم » : الفصل من خطبة كان يستنهض بها اصحابه الى جهاد اهل الشام . لكنه لم يأت له بمستند ولاأدري هل وقف فيه على رواية أو قاله تخميناً .

قول المصنف (ومن خطبة له عليه السلام) قدترى انه مناجاة مع الله تعالى كسابقه ، فان كان جزء خطبة فهواقتصر .

قوله عليه السلام (اللهم أيّما عبد سمع مقالتناالعادلة غير الجائرة) مقالته عليه السلام العادلة غير الجائرة كلماته التى كان يدعو بها الناس الى الله تعالى والى جهاد أعدائه ، كقوله عليه السلام « سيروا الى اعداء السنن والقرآن، سيروا الى بقية الاحزاب وقتلة المهاجرين والانصار » .

(والمصلحة غير المفسدة في الدين والدنيا) هكذا فى المصرية، والصواب «والمصلحة فى الدين والدنيا غير المفسدة» كما فى حد و ثم والخطية ، وليكون « غير المفسدة » كقوله « غير الجائرة » وصف عليه السلام مقالته بالوصفين للدلالة على أن مقالته عليه السلام عادلة محضة ومصلحة خالصة ، ليست كبعض المقالات المختلطة عدلها بجورها وصلاحها بفسادها ان لم يكن كلها جوراً أو فساداً .

(فأبى بعد سمعه لها الا النكوص) أي الاحجام (عن نصرتك والابطاء عن اعزاز دينك) فى صفين نصر : لما قال عليه السلام تلك الكلمات قام رجل من بنى فزارة يقال له أربد ، فقال : أتريد ان تسير بنا الى اخواننا من اهل الشام فنقلتهم لك كماسرت بنا الى اخواننا من اهل البصرة فقتلناهم ، كلا لانفعل ذلك، فقام الاشتر فقال : من لهذا ، فهرب واشتدوا على أثره فلحقوه فى مكان يباع فيه البراذين فوطؤه بأرجلهم وضربوه بأيديهم ونعالهم حتى قتل. فقال عليه السلام: قتيل عمية لايدرى من قتله ديته من بيت مال المسلمين .

وقام الاشتر فقال : كيف لانقاتل قوماً هم كما وصف امير المؤمنين عليه السلام ، وقد وثبت عصابة منهم على طائفة من المسلمين فأسخطوا الله واظلمت بأعمالهم الارض وباعوا خلاقهم بعرض من الدنيا يسير . فقال على عليه السلام:

الطريق مشترك ، والناس فى الحق سواء ، ومن اجتهد رأيه فى نصيحة العامة فله مانوى وقضى ما عليه .

(فانانستشهدك عليه بأكبر الشاهدين شهادة) هكذا فى المصرية ، وهو غلط فان اكبر الشاهدين شهادة هو الله تعالى لاغيره ، قال عزوجل « قـل أيّ شيء اكبر شهادة قل الله » ، والصواب «فانا نستشهدك عليه ياأكبر الشاهدين شهادة» كما فى حد و ثم والخطية . وقول محشي المصرية اكبر الشاهدين شهادة هـو النبى اوالقرآن غلط .

(ونستشهد عليه جميع من أسكنته ارضك) من الجن والانس (وسماواتك) من الملائكة (ثم أنت بعده) هكذا فى المصرية ، والصواب « بعد » كما فى حد و ثم والخطية (المغني عن نصره والاخذ لـه بذنبه) .

في صفين نصر : لما أمر علي عليه السلام الناس بالمسير الى الشام دخل عليه عبد الله بن المعتم وحنظلة الكاتب فى رجال كثير من غطفان وبنى تميم ، فقال حنظلة : انانظرنا لـك ولمن معك ، أقم وكاتب هذا الرجـل ولاتجعل الى قتال اهل الشام ، ولاتدري اذا التقيتم لمن تكون الغلبة وعلى من تكون الدبرة. وتكلم ابن المعتم والقوم الذين دخلوا معهما بمثل ماتكلم حنظلة .

فقال عليه السلام : اماالدبرة فانها تكون على الضالين ظفروا أوظفر بهم ، وأيم الله لاسمع كلام قوم ماأراهم يريدون أن يعرفوا معروفاً ولاينكروا منكراً.

فقال مالك بن حبيب له عليه السلام : ان حنظلة هذا يكاتب معاوية فاحبسه اوأمكنا منه نحبسه ، فأخذا يقولان هذا جزاء من أشار عليكم بالرأي فيمابينكم وبين عدوكم . فقال عليه السلام : الله بينى وبينكم واليه اكلكم وبـه استظهر عليكم، اذهبوا حيث شئتم ـ الى ان قال ـ فلحق ابن المعتم مع أحد عشر رجلا من قومه وحنظلة الكاتب مع ثلاثة وعشرين رجلا من قومه بمعاوية .

ولاتخفى نكات كلامه عليه السلام من وصفه مقالته بالجامعة لكل حسن والمانعة عن كل قبح ، وجعله النكوص عنه النكوص عن الله وعن دينه، واستشهاد الخالق والخلائق على نكوصه واعانة الله تعالى له وانتقامه من تاركيه .

ولما قال الاشتر له عليه السلام ـ كما فى تاريخ اليعقوبى ـ ان هوى جرير مع معاوية قال عليه السلام : ياويحهم مع من يميلون ويدعوننى، فوالله ماأردتهم الاعلى اقامة حق ، ومايريدهم غيري الاعلى اقامة باطل .

الفصل السابع عشر

(فی وصفه علیه السلام لعجائب خلقه تعالی)

۱/۱۵۱/۱ ومن خطبة له علیه‌السلام یذکرفیها بدیع خلقة الخفاش ـ الی ان قال : ومن لطائف صنعته وعجائب حکمته ، ما أرانا من غوامض الحکمة فی هذه‌الخفافیش التی‌یقبضها الضیاء‌الباسط لکل شیء، ویبسطها الظلام القابض لکل حی ، وکیف عشیت أعینها عن ان تستمد من‌الشمس المضیئة نوراً تهتدی به فی‌مذاهبها ، وتصل بعلانیة برهان الشمس‌وردعها تلالؤ ضیائها عن المضی فی سبحات اشراقها ، واکنها فی مکامنها عن الذهاب فی‌بلج ائتلاقها ، فهی مسدلة الجفون بالنهار علی‌أحداقها‌وجاعلة اللیل سراجاً تستدل‌به فی التماس ارزاقها، فلایرد أبصارها اسداف‌ظلمته، ولا تمتنع من المضی فیه لغسق دجنته ، فاذا ألقت الشمس قناعها وبدت أوضاح نهارها ودخل من‌اشراق نورها علی الضباب فی وجارها، أطبقت الاجفان علی مآقیها وتبلغت بما اکتسبت من فیء ظلم لیالیها .

فسبحان من جعل اللیل لها نهاراً ومعاشاً ، والنهار سکناً وقراراً ، وجعل

لها اجنحة من لحمها تعرج بها عندالحاجة الى الطيران كأنها شظايا الاذان غير ذوات ريش ولاقصب ، الا انك ترى مواضع العروق بينة أعلاماً، لها جناحان لما يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا ، تطيروولدها لاصق بها لاجيء اليها ، يقع اذا وقعت ويرتفع اذا ارتفعت ، لايفارقها حتى تشتد أركانه ، ويحمله للنهوض جناحه ، ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه ، فسبحان البارىء لكل شيء على غيرمثال خلا من غيره .

قول المصنف (بديع خلقة الخفاش) من اختلاف باصرته مع باصرة باقي الطيور والحيوانات ، واختلاف اجنحته مع أجنحة باقي الطيور ، واختلاف ولدها مع ولد باقي الطيور والحيوان .

وفى حياة حيوان الدميري : ليس هو من الطير فى شيء ، فانه ذو أسنان ومنقار وأذنين وخصيتين ويحيض ويطهر ويضحك كما يضحك الانسان ويبول كما تبول ذوات الاربع ويرضع ولده ، ولاريش له .

قول المصنف (ومن لطائف صنعته) من اضافة الصفة الى الموصوف ، والاصل « ومن صنائعه اللطيفة » (وعجائب حكمته) هو ايضاً كسابقه ، والاصل « حكمته العجيبة » (ماأرانا من غوامض) أي خفيات (الحكمة) وهى اتقان الامور (فى هذه الخفافيش) جمع الخفاش بالضم .

وقال الدميري : قال البطليوسى الخفاش له أربعة اسماء: خفاش، وخشاف، وخطاف ، ووطواط.

والحق ان الخفاش والخطاف صنفان، وقال قوم الخفاش الصغير والوطواط الكبير . وهولايبصر في ضوء القمر ولافي ضوء النهار .

وفى الصحاح : الخفش صغر فى العين وضعف فى البصر خلقة ، والرجل أخفش ، وقديكون الخفش علة ، وهوالذى يبصر الشيء بالليل ولايبصره بالنهار

اويبصره فى يوم غيم ولايبصره فى يوم صاح .

(التى يقبضها الضياء) أي الشمس ، قال تعالى « هو الذى جعل الشمس ضياء » (الباسط لكل شيء) حي (ويبسطها الظلام) اى الليل قال تعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » (القابض لكل حي) من الوحش والطير .

(وكيف عشيت) فى الجمهرة عشي الرجل فهو اعشى والمرأة عشواء والعشي مصدره ، وهو على معنيين الذي لايبصر بالليل ويبصر بالنهار والذي ساء بصره من غير عمى ، كما قال الاعشى :

ءان رات رجلا اعشى اضر به ريب المنون ودهر خابل خبل

والعشو مصدر عشوت الى ضوئك اذاقصدته بليل، ثم صار كل قاصد شيء عاشياً ، قال الحطيئة :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره تجد خيرنار عندها خير موقد

والصحاح اقتصر فى معنى العشي على الاول ، والمصباح على الثانى ، كما ان الصحاح قال عشوته قصدته . والصواب ماعرفت من الجمهرة .

(أعينها عن ان تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدى به فى مذاهبها) جعل تعالى الابصار في باقى ذوى الابصار بواسطة الشمس وفيها بواسطة عدمها ، فسبحان الذى خلق الاضداد .

(وتصل) أى تلك الخفافيش (بعلانية) بتخفيف الياء اسم مصدر بمعنى الانتشار (برهان) جعله ابن دريد من «بره» فقال فى باب فعلان: وبرهان معروف من قولهم « هذا برهان هذا » أى ايضاحه ، وقال به ابن الاعرابى ، واختاره الازهرى، وجعله الجوهرى والفيروزآبادى والسجستانى فى غريب قرآنه رباعياً، وأغرب الزمخشرى فقال انه من البرهرمة أى البيضاء من الجوارى .

(الشمس الى معارفها) كباقى الطيور والوحوش (وردعها) اى كفّها ومنعها والفاعل ضمير النور (تلؤلؤ) هكذا فى المصرية والصواب « بتلالىء » كما فى « حد » و « ثم » والخطية (ضياءها عن المضي فى سبحات) اى انوار (اشراقها واكنّها) أى سترها (فى مكامنها) محال اختفائها (عن الذهاب فى بلج) فى الصحاح « صبح بلج » أى مشرق مضىء ، قال العجاج « حتى بدت اعناق صبح ابلجا ».

(ائتلاقها) اى لمعانها (فهى مسدلة) من اسدل ثوبه وشعره ارخاه ، وفى القاموس سدل الشعر واسدله أرخاه . وأمّا اقتصار الاساس والصحاح على سدل وانكار المصباح لأسدل ففي غير محله (الجفون) فى المصباح جفن العين غطاءها من أعلاها واسفلها ، وهو مذكر (بالنهار على احداقها) جمع حدقة كالحداق (وجاعلة الليل سراجاً تستدل به فى التماس ارزاقها) .

قال الدميرى : يخرج البعوض فى غروب الشمس لطلب قوته وهو دماء الحيوان ، ويخرج الخفاش طالباً للطعم ، فيقع طالب رزق على طالب رزق فسبحان الحكيم .

(فلايرد ابصارها أسداف) من « أسدفت المرأة القناع » ارسلته (ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه) أى فى التماس ارزاقها (لغسق) فى الصحاح الغسق أول ظلمة الليل (دجنته) بالضم أى ظلمته .

(فاذا ألقت الشمس قناعها) فى المصباح قناع المرأة ماتلبسه فوق الخمار (وبدت أوضاح) فى الصحاح الوضح الضوء والبياض (نهارها) نظير قوله تعالى «والنهار اذا تجلى» «والشمس وضحاها» (ودخل من اشراق نورها على الضباب) جمع الضب .

قال الدميرى فى حياة حيوانه: الضب يخرج من جحره كليل البصر، فيجلو بالتحدق للشمس ، ومن شأنه فى الشتاء ألايخرج من جحره ، قال اميـة بن

ابى الصلت فى ابن جدعان :

يبـارى الريح تكرمة ومجداً اذا مـاالضب أجحره الشتـاء

وقال ابن خالويه فى اوائل «كتاب ليس» : الضب لايشرب الماء ويعيش سبعمائة سنة، ويقال انه يبول فى كل اربعين يوماً قطرة، ولاتسقط له سن ، ويقال ان أسنانه قطعة واحدة . والتضاد بينه وبين السمكة قال حاتم الاصم :

تكفـل بـالارزاق للخلـق كـلهم وللضب فى البيداء وللحوت فى البحر

وفى المصباح : الضب دابة تشبه الحرذون ، وهى على أنواع ، فمنها على قدر الحرذون ، ومنها اكبر منه ، ومنها دون العنز وهـو أعظمها . ومن عجيب خلقته ان الذكر له زبّان والانثى لها فرجان تبيض منهما .

وفي الصحاح فى المثل « أعق من ضب » لانه ربما اكل حسوله ، وقولهم « لافعله حتى يحنّ الضب فى اثر الابل الصادرة » « ولافعله حتى يرد الضبّ الماء » لان الضبّ لايشرب ماء . ومن كلامهم الذى يضعونه على ألسنة البهائم، قالت السمكة « ياضب ورداً » ، فقال « أصبح قلبى صرداً ، لايشتهى ان يردا ، الاعراداً عردا ، وصليانا بردا ، وعنكثاً ملتبدا » .

(فى وجارها) فى القاموس : الوجار بالكسر والفتح جحر الضبع وغيرها و « وجره » موضع بين مكة والبصرة اربعون ميلا مافيهـا منزل فهي مربّ للوحش .

(أطبقت الاجفان) جمع آخر للجفن غطاء العين غير الجفون (على مآقيها) فى الصحاح مؤق العين طرفها ممايلي الانف، واللحاظ طرفها الذى يلى الاذن. وفى الجمهرة : الموق موق العين ، وفيه اربع لغات موق وماق ومؤق ومئق ، ويجمع آماق ومئاقي وأمواق وآماقى ، وقال :

مثل النهار يزيد أبصار الورى نـوراً ويعمى اعين الخفـاش

(وتبلّغت) أى اكتفت ، قال :

تزجّ من دنياك بالبلاغ وباكر المعدة بالدباغ

(بمااكتسبت من فيىء ظلم لياليها) هكذا فى المصرية ، والصواب « بما اكتسبته من المعاش فى ظلم لياليها » كما فى حد و ثم والخطية .

قال الصادق عليه السلام للمفضل: الخفاش يخرج بالليل ويتقوّت بما يسرى فى الجـّو من الفراش وماأشبهه ، وقد قال قائلون انه لاطعمة للخفاش وانغذاه من النسيم وحده ، وذلك يبطل من جهتين : احدهما خروج الثفل والبول منه ، فان هذا لايكون من غير طعمة ، والاخرى انه ذواسنان ، ولو كان لايطعم شيئاً لم يكن للاسنان فيه معنى ، وليس فى الخلقة شيء لامعنى له .

(فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً والنهار سكناً وقراراً) وهو دليل كمال قدرته وعظمته .

قال الصادق عليه السلام للمفضل : أعلمت ماطعم هذه الاصناف من الطير التي لاتخرج الابالليل ،كمثل البوم والهام والخفاش . قال : لايامولاى . قال: ان معاشهـا من ضروب تنتشر فى الجو من البعوض والفراش وأشبـاه الجراد واليعاسيب ، وذلك أن هـذه الضروب مبثوثة فى الجو لاتخلـو منها موضع ، واعتبر ذلك بأنك اذا وضعت سراجاً بالليل فى سطح أوعرصة دار اجتمع عليه من هذه الضروب شيء كثير ، فمن أين يأتى ذلك كلـّه الامن القرب ، فان قـال قائل انه يأتي من الصحارى والبرارى، قيل له كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد ، وكيف يبصر من ذلك البعد سراجاً فى دار محفوفة بالدور فيقصد اليه ، مع ان هذه عياناً تتهافت على السرج من قرب ، فيدل ذلك على أنها منتشرة فى كل موضع من الجو ، فهذه الاصناف من الطير تلتمسها اذاخرجت فتقوت بها. فانظر كيف وجـّه الرزق لهذه الطيور التي لاتخرج الابالليل من هذه الضروب

المنتشرة فى الجو، واعرف ذلك المعنى فى خلق هذه الضروب المنتشرة التى عسى انيظن ظانّ أنها فضل لامعنى له .

(وجعل لها اجنحة من لحمها) يمكن أن يكون مستأنفة وان يكون عطفاً على « جعل الليل » وعلى « يقبضها الضياء الباسط لكل شيء » .

(تعرج بهـا عند الحاجة الى الطيران) بخلاف باقي الطيور ، فجعل فى أجنحتها وذنبها ريشات طوال متان لتنهض بها للطيران ، وكسى كـلها الريش ليتداخلهاالهواء فيقلّها، فكيف تطير هذه مع خلوها من جميع ماذكر ، ولكنّها لماكانت تلدجعل جناحها من لحم، فلوكان من ريش لم يقدر لحملها مع حملها.

قال الصادق عليه السلام فى غيره من الطيور : جعل الطير مماتبيض بيضاً ولاتلـد ولادة لكيلا تثقل عن الطيران ، فانـه لوكانت الفراخ فى جوفه تمكث حتى تستحكم لعاقته عن النهوض والطيران ، فجعل كل شيء من خلقه مشاكلا للامر الذي قدّر أن يكون عليه .

(كأنها شظايا) جمع الشظية بمعنى الشّقة (الاذان غير ذوات ريش ولاقصب) بخلاف سائر الطيور، فلها ريشات غرزت فى ماكان كالقصب، والقصب بفتحتين كل نبات يكون ساقه أنابيب وكعوباً .

قال الدميرى: قال وهب بن منبه: طلبوا من عيسى عليه السلام خلق الخفاش باذن الله تعالى ، لانه من أعجب الطير خلقة ، اذهو لحم ودم يطير بغير ريش، وهـو شديد الطيران سريع التقلب ، وهـو مع ذلك موصوف بطول العمر ، فيقال انه اطول عمراً من النسر ومن حمار الوحش .

(الا انك ترى مواضع العروق بيّنة اعلاماً) جمع العلم بفتحتين بمعنى العلامة . ثم الظاهر كونه تميزاً لمـا قبله (لها جناحان لمّا) هكذا فى جميع النسخ ، والظاهر كونه محرّف « لم » لان المقام ليس مقام توقع وقوع (يرقا

فينشقا ولم) وفى نسخة حد « ولمـّا » (يغلظا فيثقلا) ولم يمكنها الطيران .

(تطيروولدها لاصق بها لاجىء اليهايقع) الولد (اذاوقعت الامهات ويرتفع) الولد (اذا ارتفعت) الامهات (لايفارقها حتى تشتدّ اركانه ، ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه) .

هذه أيضاً احد امتيازات الخفاش عن غيره .

وفى توحيد المفضل: أنظر الان الى ذوات الاربع كيف تراها تتبع أمهاتها مستقلة بأنفسها لاتحتاج الى الحمل والتربية كما تحتاج اولاد الانس ، فمن اجل أنـه ليس عند امـّهاتها ماعند امـّهات البشر من الرفق والعلـم بالتربية والقوة بالا كف" والاصابع المهيأة لذلك، اعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها. وكذلك نرى كثيراً من الطير كمثل الدجاج والدراج والقبج تدرج وتلقط حين تنقاب عنها البيضـة ، فأمـّا ماكان منها ضعيفاً لانهوض فيه كمثـل فراخ الحمام واليمام والحمـّر فقد جعل فى الامهات فضل عطف عليها، فصارت تمج الطعام في أفواهها بعد ماتوعيه حواصلها ، فلاتزال تغذوها حتى تستقل بأنفسها ، ولذلك لم ترزق الحمام فراخاً كثيراً مثل ماترزق الدجاج، لتقوى الام على تربية فراخها فلاتفسد ولاتموت ، فكلا اعطى بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير .

(بيان) اليمام طير وحشى كالحمام ، والحمـّر جمع حمرة طير كالعصفور .

وفى حيوان الدميرى: تلد انثى الخفاش مابين ثلاثة افراخ وسبعة، وكثيراً مايسفد وهو فى الهواء، وليس فى الحيوان مايحمل ولده غيره والقرد والانسان، ويحمله تحت جناحه ، وربما قبض عليه بفيه ، وذلك من حنوه واشفاقه عليه ، وربما أرضعت الانثى ولدها وهى طائرة .

(فسبحان الله البارىء) أي الخالق والاصل الهمز (لكل شيء على غير مثال خلا) اي مضى قال تعالى « وان من امة الاخلافيها نذير » من (غيره) .

وكل شيء من خلقه تعالى وان كان لاتعدّ حكمه تعالى فيه كما لاتعدّ نعمه تعالى على خلقه ، الا انه عليه السلام خص الخفاش هنا بالذكر لاختصاصه بخصائص وكونه مشتركاً بين الحيوان والطير .

وفى توحيد المفضل : خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات الاربع، هو الى ذوات الاربع أقرب، وذلك انه ذوأذنين ناشزتين واسنان ووبر، وهويلد ولاداً ويرضع ويبول ويمشي اذا مشى على أربع ، وكل هذا خلاف صفة الطير .

واما المآرب فيه فمعروفة ، حتى ان زبله يدخل فى بعض الاعمال ، ومن أعظم الارب فيه خلقته العجيبة الدالة على قدرة الخالق جل ثناؤه وتصرفه فى ماشاء كيف شاء لضرب من المصلحة .

وفى حيوان الدميرى: اذا وضع رأس الخفاش فى حشو مخدة فمن وضع رأسه عليها لم ينم ، وان طبخ رأسه فى اناء نحاس اوحديد بدهن زنبق ويغمر فيه مراراً حتى يتهرى ويصفى ذلك الدهن عنه ويدهن به صاحب النقرس والفالج القديم والارتعاش والتورم فى الجسد فانه ينفعه وهر مجرب، وان ذبح فى بيت وأخذ قلبه واحرق فيه لم يدخله حيات ولاعقارب ، وان علق قلبه وقت هيجانه على انسان هيّج الباه ، واذا علق عنقه على انسان أمن العقارب ، ومن مسح بمرارته فرج امرأة قدعسرت ولادتها ولدت لوقتها ، وارتفع الدم عن النساءاذا أخذن من شحمه ، وان طبخ ناعماً حتى يتهرى ومسح به الاحليل أمن التقطير ، وان صب من مرقه وقعد فيه صاحب الفالج انحل مابه ، واذا طلى بزبله على القوابى قلعها ، ومن نتف ابطه وطلاه بدمه مع لبن اجزاء متساوية لم ينبت ، واذا طلى به عانات الصبيان منع من النبات .

هذا، وروى ابن قتيبة فى عيونه عن الرياشي قال: روى عن علي عليه السلام

ليس شيء يغيب اذناه الاوهو يبيض، وليس شيء يظهر أذناه الاوهويلد .

وروى الصدوق في خصاله عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسين عليه السلام قال : كان علي عليه السلام بالكوفة في الجامع اذ قام اليه رجل من اهل الشام، فسأله عن مسائل فكان فيما سأله ان قال له : أخبرني عن ستة لم يركضوا في رحم . فقال عليه السلام : هم آدم وحواء وكبش ابراهيم وعصا موسى وناقة صالح والخفاش الذي عمله عيسى عليه السلام فطار باذن الله.

١٦٠/٢ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقة الطاوس: ابتدعهم خلقاً عجيباً من حيوان وموات وساكن ذي حركات ، فأقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ، اما انقادت له العقول معترفة به ومسلمة له ، ونعقت في اسماعنا دلائله على وحدانيته ، وما ذرأ من مختلف صور الاطيار التي أسكنها اخاديد الارض وخروق فجاجها، ورواسي اعلامها من ذات اجنحة مختلفة وهيئات متباينة ، مصرفة في زمام التسخير ومرفرفة بأجنحتها في مخارق الجو المنفسح والفضاء المنفرج ، كونها بعد أن لم تكن في عجائب صور ظاهرة وركبها في حقاق مفاصل محتجبة ، ومنح بعضها بعبالة خلقه ان يسمو في السماء خفوفاً ، وجعله يدف دفيفاً ونسقها على اختلافها في الاصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته ، فمنها مغموس في قالب لون لايشوبه غير لون ماغمس فيه ، ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ماصبغ به .

ومن أعجبها خلقاً الطاوس الذي اقامه في أحكم تعديل ، ونضد ألوانه في أحسن تنضيد ، بجناح أشرج قصبه وذنب اطال مسحبه ، اذا درج الى الانثى نشره من طيه وسما به مظلا على رأسه ، كأنه قلع داري عنجه نوتيه يختال بألوانه ويميس بزيفانه، يفضي كافضاء الديكة ويؤر بملاقحه ار الفحول

المغتلمة فى الضراب ، أحيلك من ذلك على معاينة لاكمن يحيـل على ضعيف اسناده ، ولوكان كزعم من يزعم انه يلقح بدمعة تسفحها مدامعـه فتقف فى ضفتى جفونه ، وان انثاه تطعم ذلك ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس لماكان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب ، تخال قصبه مدارى من فضة، وما انبت عليه من عجيب داراته وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد ، فان شبهته بما أنبتت الارض قلت جنى جنى من زهرة كل ربيع ، وان ضاهيته بالملابس فهوكوشى الحلل اومونق عصب اليمن ، وان شاكلته بالحلى فهوكمفصوص ذات ألوان قد نطقت باللجين المكلل ، يمشى مشى المـرح المختـال ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقـه ضاحكاً لجمال سربالة واصابيغ وشاحه .

فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقامعولا بصوت يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه ، لان قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية ، وقدنجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية ، وله فى موضع العرف قنزعة خضراء موشاة ومخرج عنقه كالابريق ، ومغرزها الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية ، اوكحريرة ملبسة مرآة ذات صقال وكأنه ملفع بمعجر اسحم ، الا انـه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقة ان الخضرة الناضرة ممتزجة به ، ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم فى لون الاقحوان أبيض يقق ، فهو ببياضه فى سواد ما هنا لك يأتلق ، وقل صبغ الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه بكثـرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه ، فهوكالازاهير المبثوثة التى لم تربها أمطار ربيع ولاشموس قيظ، وقد ينحسر من ريشه ويعرى من لباسه، فيسقط تترى وينبت تباعاً ، فينحت من قصبه انحتات اوراق الاغصان، ثم يتلاحق ناميأ حتى يعود كهيئته قبل سقوطه، لايخالف سالف ألوانه ولايقع لون فى غير

مكانه ، واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه أرتك حمـرة وردية وتارة خضرة زبرجدية واحياناً صفرة عسجدية .

فكيف تصل الى صفة هذا عمائق الفطن ، او تبلغه قرائح العقول، اوتستنظم وصفه اقوال الواصفين، واقل اجزائه قد أعجز الاوهام ان تدركه والالسنة ان تصفه .

فسبحان الذى بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون ، فأدركته محدوداً مكونا ومؤلفاً ملوناً ، وأعجز الالسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تأدية نعته ، وسبحان من ادمج قوائم الذرة ، والهمجة الى ما فوقها من خلق الحيتان والفيلة ، ووای على نفسه الايضطرب شبح مما ادلج فيه الروح الا وجعل الحمام موعده والفناء غايته .

(قال الشريف) تفسير بعض ماجاء فيها من الغريب « يؤر بملاقحه » الاركناية عن النكاح يقـال ار المرأة يؤرها اى نكحها . وقوله « كأنه قلع دارى عنجة نوتية » القلع شراع السفينة ، ودارى منسوبة الى دارين، وهى بلدة على البحر يجلب منها الطيب ، وعنجه اى عطفـه ، يقال عنجت الناقة كنصرت اعنجها عنجاً اذا عطفتها ، والنوتى الملاح . وقوله «ضفتى جفونه» اراد جانبى جفونه، والضنفتان الجانبان .

اقول : رواها كتب غريب الحديث كما يفهم من النهاية .

(ابتدعهم) اى اخترعهم (خلقاً عجيباً) « بديع السموات والارض » (من حيوان) بالتحريك (وموات) والمراد بحيوان مافيه الروح وبموات مالاروح فيه ، وقد يجيئان بالعكس كقولهم « اشتر الحيوان ولاتشتر الموتان » أي اشتر الارضين والدور ولاتشتر الرقيق والدواب ، الاانه بالتأويل يرجع الى المعنى الاصلي .

(وساكن وذي حركات) حتى فى النجوم جعل ثوابت وسيارات .

ففي توحيد المفضل : فكّر في النجوم واختلاف مسيرها ، فبعض لايفارق مراكزها من الفلك ولاتسير الامجتمعة ، وبعضها مطلقة تنتقل فى البروج، ويفترق في مسيرها ، فكـل واحد منها يسير سيرين مختلفين ، احدهما عامّ مع الفلك نحو المغرب والاخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التى تدور على الرحى، فالرحى تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال ، والنملة فى ذلك تتحرك حركتين مختلفين احداهما بنفسه فتتوجه امامها والاخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها الى خلفها. فاسأل الزاعمين ان النجوم صارت على ماهي عليه بالاهمال من غير عمد ، ولاصانع لها مامنعها أن تكون كلها راتبة أو تكون كلها منتقلة ، فان الاهمال معنى واحد، فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير، ففى هذا بيان ان مسير الفريقين على مايسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير، وليس باهمال كما يزعم المعطّلة . فان قال قائل : ولم صار بعض النجوم راتباً وبعضها منتقلا ؟ قلنا : انها لوكانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المنتقلة ومسيرها فى كل برج من البروج ، كما يستدل بها على أشياء ممايحدث فى العالم بتنقل الشمس والنجوم فى منازلها ، ولوكانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولارسم يوقف عليه ، لانه انمـا يوقف عليه بمسير المنتقلة منها بتنقلها فى البروج الراتبة ، كما يستدل على سير السائر على الارض بالمنازل التي يجتاز عليها . ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها ، ولسـاغ لقائل أن يقول : ان كينونتهـا على حال واحدة توجب عليها الاهمال من الجهة التي وصفنا ، ففى اختلاف سيرها وتصرفها ومافى ذلك من المآرب والمصالح أبين دليل على العمد والتدبير فيها .

(فأقام من شواهد البينـات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ماانقادت لـه

العقول معترفة به ومسلّمة له) .

قال الصادق عليه السلام للمفضل: اول العبر والدلالة على الباري جل قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف اجزائه ونظمها على ماهي عليه ، فانك اذا تأملت العالم بفكرك وخبّرته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع مايحتاج اليه عباده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والارض ممدودة كالبساط، والنجوم مضيئة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر ، وكل شيء فيها لشأنه معد ، والانسان كالمملك ذلك البيت والمخول جميع مافيه ، وضروب النبات مهيأة لمآربه ، وصنوف الحيوان مصروفة فى مصالحه ومنافعه . ففى هذا دلالة واضحة على ان العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة وان الخلق له اله واحد ، وهو الذي ألفه ونظمه بعضاً الى بعض، جل قدسه وتعالى جده وكرم وجهه ولااله غيره، تعالى عمّا يقول الجاحدون ، وجل عمّا ينتحله الملحدون (ونعقت) أي صاحت من « نعق الراعي بغنمه » (فى اسماعنا دلائله على وحدانيته) .

وفى كل شيء له آية تدل على أنه واحد

قال هشام بن الحكم: كان زنديق بمصر يبلغه عن ابى عبدالله عليه السلام، فخرج الى المدينة ليناظره ـ الى أن قال ـ فقال عليه السلام : أتعلم ان للارض تحتاً ؟ قال : نعم . قال : فدخلت تحتها . قال: لا . قال: فتدري بماتحتها. قال: لاأدرى الا انّي اظنّ ان ليس تحتها شيء . قال : فالظن عجز مالم تستيقن ، أفصعدت السماء . قال: لا . قال أفتدرى مافيها . قال : فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ماخلفهما ؟ قال: لا . قال : فعجباً لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب ولم تنزل تحت الارض ولم تصعد السماء ولم تخبر هنالك فتعرف ماخلفهن وأنت جاحد ما فيهن ، وهل يجحد العاقل ما لايعرف . قال : ولعل ذاك . فقال عليه السلام : أيها الرجل ليس لمن لايعلم حجّة على من يعلم ، فلاحجة

للجاهل على العالم . ياأخا اهل مصر تفهّم عني لا تشك في الله أبداً ، أماترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجئان ليس لهما مكان الامكانهما ، فان كانا يقدران على أن يذهبا فلايرجعان فلم يرجعان، وان لم يكونا مضطرين فلم لايصير الليل نهاراً والنهار ليلا، اضطرا والله ياأخا اهل مصر الى دوامهما ، والذى اضطرهما احكم منهما واكبر . ياأخا اهل مصر الذى تذهبون اليه وتظنونه بالوهم ، فان كان الدهر يذهب بهم لم لايردهم ، وان كان يردهم لم لايذهب بهم ، القوم مضطرون. ياأخا اهل مصر السماء مرفوعة والارض موضوعة، لم لاتسقط السماء على الارض ولم لاتنحدر الارض فوق طاقتها ، فلايتماسكان ولا يتماسك من عليهما . فقال الزنديق : أمسكهما والله ربهما ـ وآمن على يديه . وقال له عليه السلام : اجعلنى من تلامذتك . فقال عليه السلام لهشام بن الحكم : خذه اليك فعلمه ، فكان معلم اهل مصر وأهل الشام .

(وماذرأ) اي خلق متفرقاً (من مختلف صور الاطيار) وفى مجالس ثعلب : زعم بعض من يصيد الطير انه يحدث فى كل سنة من الطير مالم يكونوا يعرفونه قبل ذلك .

(التي أسكنها اخاديد الارض) اى شقوقها المستطيلة (وخروق) اى شقوق عريضة (فجاجها) الطرق الواسعة بين الجبال. قالوا القبج وشبهه يسكن الفجاج.

(وراسي) هكذا فى المصرية والصواب « ورواسي » كما فى حد و ثم والخطية ، اى ثوابت ، قال تعالى « وألقى فى الارض رواسي أن تميد بكم » (اعلامها) اى جبالها قال جرير« اذا قطعن علماً بدا علم » .

قالوا : والطير الذى اسكنها الجبال العقبان .

(ذات) هكذا فى المصرية ، والصواب « ذوات » كما فى « حد » و « ثم » والخطية (اجنحة مختلفة وهيئات متباينة) هذه مع تلك .

قال الصادق عليه السلام للمفضل : هل رأيت هذا الطائر الطويل الساقين وعرفت ماله من المنفعة في طول ساقيه، فانه اكثر ذلك في ضحضاح من الماء، فتراه بساقين طويلين كأنه ربيئة فوق مرقبه ، وهو يتأمل مايدب في الماء ، فاذا رأى شيئاً مما يتقوّت به خطا خطوات رقيقة حتى يتناوله، ولو كان قصير الساقين وكان يخطو نحو الصيد ليأخذه يصيب بطنه الماء فيثور ويذعر منه فيتفرق عنه، فخلق له ذانك العمودان ليدرك بهما حاجته ولايفسد عليه . تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر، فانك تجد كل طائر طويل الساقين طويل العنق، وذلك ليتمكن من تناول طعمه من الارض ، ولو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع ان يتناول شيئاً من الارض ، وربما اعين مع طول العنق بطول المناقير ليزداد الامر عليه سهولة وامكاناً ، أفلاترى انك لاتفتش شيئاً من الخلقة الاوجدته على غاية الصواب والحكمة .

(مصرّفة في زمام التسخير) في توحيد المفضل : هذا الطائر السائح في هذا الجو يقعد على بيضه فيحضنه بعضها اسبوعاً وبعضها اسبوعين وبعضها ثلاثة اسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة، ثم يقبل عليه فيزقه الريح لتتسع حوصلته للغذاء ، فمن كلفه أن يلقط الطعم والحب يستخرجه بعد ان يستقر في حوصلته ويغذو به فراخه ، ولاي معنى يحتمل هذه المشقة وليس بذي روية ولا تفكر ، ولايأمل في فراخه مايأمل الانسان في ولده من العز والرفد وبقاء الذكر ، فهذا من فعله يشهد انه معطوف على فراخه لعلة لايعرفها ولايفكر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفاً منه تعالى .

وفيه : أنظر الى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ ، وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطّى ، بل تنبعث وتنتفخ وتمتنع من الطعم حتى يجتمع لها البيض فتحضنه وتفرخ ، فماكان ذلك منها الا لاقامة النسل ، ومن

أخذها باقامة النسل ولاروية لها ولاتفكير لولاانها مجبولة على ذلك .

وفيه : فكّر يامفضل فى خلقة عجيبة حصلت فى البهائم ، فانهم يوارون انفسهم اذا ماتوا كما يوارى الناس موتاهم، والافأين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لايرى منها شيء، وليست قليلة فتخفى لقلتها، بل لوقال قائل انها اكثر من الانس لصدق . فاعتبر فى ذلك بماتراه فى الصحاري والجبال من أسراب الظباء والمهاء والحمير الوحش والوعول والايايل وغير ذلك من الوحوش ، وأصناف السباع من الاسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها، وضروب الهوام ودواب الارض ، وكذلك اسراب الطير من الغربان والقطا والاّوز والكراكي وحمام الطير وسباع الطير جميعاً ، وكلّها لايرى منها اذا ماتت الاالواحد بعد الواحد يصيده قانص أويفترسه سبع ، فاذا أحسّوا بالموت كمنوا فى مواضع خفية فيموتون فيها، ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهواء وتحدث الامراض والوباء . فانظر الى هذا الذى يخلص اليه الناس وعملوه بالتمثيل الاول الذي مثّل لهم .

قلت : اشارة الى قوله تعالى فى تحير قابيل فى جسد هابيل وبعثه تعالى غراباً بالبرية كيف يواري سوأة اخيه .

كيف جعل طبعاً وادكاراً فى البهائم وغيرها ليسلم الناس من معرّة مايحدث عليهم من الامراض والفساد .

(ومرفرفة) فى الجمهرة : رفرف اذا بسط جناحيه ، ورفرفة الطائر أن يرفرف بجناحيه ولايبرح كأنه يحوم على الشيء (بأجنحتها فى مخارق) أي ممارّ (الجوّ) هو مابين السماء والارض (المنفسح) أي المتسع (والفضاء المنفرج) أي المنكشف « أو لم يروا الى الطير مسخّرات فى جوّ السماء مايمسكهن الاالله ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون » .

(كـّونها بعد أن لم تكن فى عجائب صور ظاهرة) وصف للمضاف .

فى توحيد المفضل : تأمل جسم الطائر وخلقته ، فانه حين قدر أن يكون طائراً فى الجو خفـّف جسمه وادمج خلقه ، واقتصر به من القوائم الاربع على اثنتين، ومن الاصابع على أربع، ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما، ثم خلق ذا جؤجؤ محدد ليسهل عليه ان يخرق الهواء كيف ماأخذ فيه كما جعلت السفينة بهذه الهيئة لتشق الماء وتنفذ فيه، وجعل فى جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران وكسى كله الريش ليتداخله الهواء فيقلـّه . ولماقـّدر أن يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعاً بلامضغ ، خلق لـه منقار صلب حاس يتناول به طعمه فلاينسحج من لقط الحب ولايتقصف من نهش اللحم ، ولمـا عدم الاسنان وصار يزدرد الحب صحيحاً واللحم غريضاً أعين بفضل حرارة فى الجوف تطحن له الطعم طحناً يستغنى به عن المضغ . واعتبر ذلك بأن عجم العنب وغيره يخرج من أجواف الانس صحيحاً ويطحن فى أجواف الطير لايرى له أثر. ثم جعل ممايبيض بيضاً ولايلد ولادة لئلا يثقل عن الطيران، فانه لوكانت الفراخ فى جوفه تمكث حتى تستحكم لاثقلته وعاقته عن النهوض والطيران ، فجعل كل شيء من أمره مشاكلا للامر الذي قـّدر أن يكون عليه .

(وركـّبها فى حقاق) جمع الحق بضم الحاء ، وفى الجمهرة الحق رأس العضد الذي فيه الوابلة، والحق أصل الورك الذي فيه عظم رأس الفخذ (مفاصل محتجبة) لئلا تصيبها آفة .

(ومنع بعضها بعبالة) أي تاميـّة ، يقال امرأة عبلة اي تامة الخلق (خلقـه أن يسمو) أى يعلو (فى السماء خفوفاً) أى سرعة . وفى حديث خطبة مرض النبى صلى الله عليه وآله : قد دنـا مني خفوف من بين أظهركـم ، أى سرعة ارتحال .

(وجعله يدفّ دفيفاً) اى يحرك جناحيه فى الطيران فى قبال مايصفّ صفاً ولايحرك ، ومادف يحل لحمه وماصف يحرم .

(ونسقها) اى نظمها من نسقت الدر أى نظمته (على اختلافها فى الاصابيغ) أى الالوان (بلطيف قدرته ودقيق صنعته) .

قال الديصانى لهشام بن الحكم: ألك رب؟ قال: بلى . قال : أقادر . قال : بلى. قال : أيقدر أن يدخل الدنيا كلها فى البيضة لايكبّر البيضة ولايصغّر الدنيا. فجاء هشام الى الصادق عليه السلام وقال له : قال لي الديصانى كذا وكذا . فقال عليه السلام له : كم حواسك ؟ قال : خمس . قال : أيها اصغر . قال : الناظر. قال : كم قدر الناظر ؟ قال : مثل العدسة او أقل . قال : فانظر أمامك وفوقك واخبرنى بما ترى . فقال :أرى سماء وأرضاً ودوراً وقصوراً وجبالا وانهاراً . فقال عليه السلام : ان الذى قدر أن يدخل الذى تراه العدس او أقل منها قادر على أن يدخل الدنيا كلها البيضة لايصغر الدنيا ولايكبر البيضة .

(فمنها مغموس) من « غمسه فى الماء » (فى قالب لون لايشوبه غير لون ماغمس فيه) ككثير من الطيور التى على لون واحد .

(ومنها مغموس فى لون صبغ قد طوق) قال « حد » وروى « طورق » (بخلاف ماصبغ به) قالوا كالقبج والفاختة والبلبل ونحوها .

هذا ، وفى بلدان الحموي ـ فى قابس ـ اخبر ابو الفضل الكلبى كاتب مونس حاجب افريقية انهم كانوا فى ضيافة (ابن وانمو الصنهاجى) فأتاه جماعة من اهل البادية بطائر على قدر الحمامة غريب اللون والصورة ذكروا أنهم لم يروه قبل ذلك اليوم فى أرضهم كان فيه من كل لون أجمله وهو أحمر المنقار طويله، فسأل (ابن وانمو) العرب الذين أحضروه هل يعرفونه ورأوه، فلم يعرفه احد ولاسمّاه ، فأمر (ابن وانمو) بقصّ جناحيه وارساله فى القصر، فلماجنّ

الليل اشعل فى القصر مشعل من نار، فماهو الاان رآه ذلك الطائر فقصده واراد الصعود اليـه فدفعه الخدّام ، فجعل يلحّ فى التقدم الى المشعل ، فأعلم ابن وانمو بذلك فقام وقام من حضر عنده فأمر بترك الطائر ، فطار حتى صار فى أعلى المشعل وهو يتأجج ناراً واستوى فى وسطه وجعل يتفلى كما يتفلى الطائر فى الشمس، فأمر ابن وانمو بزيادة الوقود فى المشعل من حرق القطران وغيره، فزاد تأجّج النـار والطائر فيه على حاله لايكترث ، ثم وثب من المشعل بعد حين فلم يربه ريب .

(ومن أعجبها خلقاً الطاوس الذي اقامه فى أحكم تعديل) روى توحيدابن بابويه ان اباشاكر الديصانى دخل على ابى عبد الله عليه السلام فقال له : انك احدالنجوم الزواهر وكان آباؤك بدوراً بواهر وامهاتك عقيلات عباهر وعنصرك من اكرم العناصر ، واذا ذكر العلماء فبك تثنى الخناصر ، فخبّرنى أيها البحر الخضم الزاخر ماالدليل على حدوث العالم . فقال عليه السلام : نستدل عليه باقرب الاشياء ـ ودعا ببيضة فوضعها على راحته فقال : هذا حصن ملموم داخله غرقى رقيق لطيف فيه فضة سائلة وذهبة مائعة ، ثم تنفلق عن مثل الطاوس أدخلها شيء ؟ فقال : لا. قال : فهذا الدليل . قال : فأخبرت فأوجزت وقلت فأحسنت، وقد علمت انالانقبل الاماأدركناه بأبصارنا اوسمعناه بآذاننا اوشممناه بمناخرنا اوذقناه بأفواهنا اولمسناه بأكفّنا اوتصور فى القلوب بياناً اواستنبطه الروايات ايقاناً . فقال عليه السلام : ذكرت الحواس الخمس وهى لاتنفع شيئاً بغيردليل كما لاتقطع الظلمة بغير مصباح .

وفى خبرآخر : دخل الديصاني على الصادق عليه السلام وقال له : دلني على معبودي . فقال عليه السلام له : اجلس ، واذا غلام له صغير فى كفّه بيضة يلعب بها ، فقال عليه السلام للغلام : ناولنى البيضة ، فناوله فقال : ياديصانى

هذا حصن مكنون لـه جلد غليظ ، وتحت الجلد الغليظ جلـد رقيق ، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضّة ذائبة ، فلاالذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولاالفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة ، هي على حالها لم يخرج منها مصلح فيخبر عن صلاحها ولادخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لايدرى أللذكر خلقت ام للانثى ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس ، أترى لها مدبراً . فأطرق ملياً ثم قال: اشهد ألااله الاالله وان محمداً عبده ورسوله وانك حجة من الله على خلقه.

(ونضّد) من نضدت المتاع ونضّدته: ضم بعضه الى بعض متسقاً أومركوماً (ألوانه فى احسن تنضيد) .

قال المفضل للصادق عليه السلام : ان قوماً من المعطلة يزعمون ان اختلاف الالوان والاشكال فى الطير انمايكون من قبل امتزاج الاخلاط واختلاف مقاديرها بالمزج والاهمال . فقال عليه السلام : هذا الوشي الذي تراه فى الطواويس والدراج والتدارج على استواء ومقابلة كنحو مايخط بالاقلام كيف يأتى بـه الامتزاج المهمل على شكـل واحد لايختلف ، ولوكان بالاهمال لعدم الاستواء ولكان مختلفاً ، تأمل يامفضل ريش الطير كيف هو ، فانك تراه منسوجاً كنسج الثوب من سلول دقاق قدألف بعضه الى بعض كتأليف الخيط الى الخيط والشعرة الى الشعرة ، ثم ترى ذلك النسج اذا مددته ينفتح قليلا ولاينشق لتداخله الريح فيقلّ الطائر اذا طار ، وترى فى وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قـد نسج عليه الذى هو مثل الشعر ليمسكه بصلابة وهو القصبة التى فى وسط الريشة وهو مع ذلك أجوف ، ليخفّ على الطائر ولايعوقه عن الطيران .

(بجناح أشرج) من أشرجت العيبة : اذا داخلت بين اشراجها ، أى عراها (قصبه) والاصل فى القصب كل نبات ذى انابيب .

(وذنب اطال مسحبه) من سحب ذيله اذاجره .

(واذا درج) أي مشى (الى الانثى نشره من طيّه) وقبله ذنبه مطوي (وسما) اى علا به (مظلا) هكذا فى المصرية والصواب « مطلا » بالمهملة كما فى حد و ثم والخطية ، اى مشرفاً ، قال الشاعر :

* انا البازي المطلّ على نمير *

(على رأسه كأنه قلع) بالكسر الشراع كما فى القاموس .

هذا ، وسأل ابن مقلة الوزير جحظة البرمكي عن لقبه «جحظة» قال: لقيني ابن المعتز يوماً فقال : ماحيوان ان تنكسه اتاناً آلـة للمراكب البحرية . فقلت « علق » اذانكس صار « قلع » . قال: أحسنت ياجحظة، أي ناتىء العين. وكان هكذا كالجاحظ .

(داري) فى النهاية « دارين » موضع بالبحر يؤتى منه بالطيب ، ومنه كلام على عليه السلام «كأنه قلع دارى» أى شراع منسوب الى هذا الموضع البحرى (عنجه) أى عطفه (نوتية) أى ملاحه . قال الدميرى : وفى طبعه الاعجاب بريشه وعقده لذنبه كالطاق ، لاسيما اذا كانت الانثى ناظرة اليه .

(يختال) اى يتكبر (بألوانه ويميس) اى يتبختر (بزيفانه) فى الجمهرة: زاف الحمامة تزوف زوفاً: اذا نشرت جناحيها وذنبها وسحبته على الارض ، وكذلك زوف الانسان اذامشى مسترخى الاعضاء ، زاف يزوف زوفاً وزاف يزيف زيفاً وزيفاناً .

(يفضي) من أفضى الرجل الى امرأته : أى باشرها (كافضاء الديكة) الى دجاجها .

(ويؤرّ)بالضم من أر المرأة أى نكحها (بملاقحه) يقال ألقح الفحل الناقة اذا أحبلها (ارّ الفحول المغتملة)من اغتلم البعير اذا هاج شهوته .

(احيلك من ذلك على معاينة) قال « حد » عاين عليه السلام ذلك لماكان

بالكوفة (لاكمن يحيل على ضعيف اسناده) ففى كثير منها الوهم .

(ولو كان كزعم من يزعم انه يلقح) اى يحبل (بدمعة تسفحها) أى تصبّها (مدامعه) أى أطراف عينه التي يخرج منها الدمع (فتقف) تلك الدمعة (فى ضفتي) أى جانبى (جفونه) أى اغطية العين من أعلاها وأسفلها .

(وان انثاه تطعّم ذلك ثم تبيض لامن لقاح فحل سوى الدمع المنبجس) من انبجس الماء انفتح (لماكان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب) .

قال « حد » : زعم قوم ان الذكر يدمع عينه فتقف الدمعة بين أجفانه ، فتأتي الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة ، وهو عليه السلام لم يحل ذلك ولكنه قال ليس بأعجب من مطاعمة الغراب . والعرب تزعم ان الغراب لايسفد، ومن أمثالهم « أخفى من سفاد الغراب » ، فيزعمون أن اللقاح من مطاعمة الذكر والانثى وانتقال جزء من الماء الذى فى قانصته اليها من منقاره . وأما الحكماء فقلّ ان يصدقوا بذلك ، على انهم قدقالوا فى كتبهم مايقرب من هذا . قال ابن سينا والقبجة تحبلها ريح تهب من ناحية الحجل الذكر ومن سماع صوته ، والنوع المسمى (مالاقيا) يتلاصق بأفواهها ثم يتشابك فذاك سفادها . وسمعت انا ان الغراب يسفد وانه قد شوهد سفاده .

قلت : قوله «انه عليه السلام لم يحل ذلك» ان اراد انه عليه السلام احتمل وقوع اللقاح فى الطاوس بالدمعة كما يشهد له قوله « قلّ أن يصدق الحكماء بذلك » فغلط ، كيف وقد قال عليه السلام اولا « يفضي كافضاء الديكة يؤرأر الفحول المغتلمة أحيلك من ذلك على معاينة » وان اراد انه عليه السلام جوّز مجرّد الامكان العقلي فالحكماء ايضاً لم ينكروا الامكان .

وفى الدميرى : فى الغراب كله الاستتار عند السفاد ، وهو يسفد مواجهة ولايعود الى الانثى بعد ذلك لقلة وفائه ، والانثى تبيض أربع بيضات وخمساً ،

واذاخرجت الفراخ من البيض طردتها لانها تخرج قبيحة المنظر جداً ، اذتكون صغار الاجرام كبيرةالرؤوس والمناقير جرداء اللون متفاوتة الاعضاء ، فالابوان ينظران الفرخ كذلك فيتركانه ، فيجعل الله قوته فى الذباب والبعوض الكائن فى عشّه الى أن يقوى وينبت ريشه، فيعود اليه أبواه وعلى الانثى ان تحضن وعلى الذكر المطعم .

(تخال) أي تظن (قصبه) أي قصب الطاوس والمرادبه عمود ريشه (مداري) شمع المدرى القرن ، قال النابغة يصف الثور والكلاب :

شكّ الفريصة بالمدرى فأنفذها شك المبيطر اذ يشفى من العضد

(من فضة وماأنبت عليه) هكذا فى المصرية والصواب « عليها » كما فى حد و ثم والخطية (من عجيب داراته) جمع داره ، وهى التى حول القمر ، أي الهالة (وشموسه) والمراد اشراقات ريشاته حتى كأنّ كل لون منها شمس (خالص العقيان) اى الذهب الذى ينبت ولايستذاب من الحجارة ، قال الشاعر:

كـل قـوم صيغة من آنك وبنو العباس عقيان الذهب

(وفلذ) جمع الفلذة ، أي القطعة (الزبرجد فان شبّهته بماأنبتت الارض) من الزهر والانوار (قلت جنيّ) على فعيل(جنى) بلفظ المجهول من جنيت الثمرة (من زهرة) أي نور (كل ربيع وان ضاهيته) أي شاكلته وشبهته (بالملابس فهو كموشى) من وشيت الثوب : رقمته ونقشته (الحلل أو مونق) أي معجب (عصب اليمن) فى الجمهرة العصب برد من برود اليمن معروفة كانت الملوك تلبسه .

قال الشاعر :

اتجعـل أجلافـاً عليهـا عباءهـا ككندة تردى فى المطارف والعصب

وقال السهيلى : العصب صبغ لاينبت الا باليمن .

(وان شاكلته) أي ماثلته (بالحلي) أي حلى النساء (فهو كفصوص) فصّ الخاتم مايركب فيه من غيره (ذات ألوان) العقيق والفيروزج والياقوت والزبرجد وغيرها (قدنطّقت) أي جعلت لتلك الفصوص منطقة (باللجين) أي الفضة (المكلل) أي جعل له اكليلا ، أي تاجاً مرصعاً بالجواهر .

وقد اخذ كلامه عليه السلام فى تشبيهاته للطاوس يحيى بن المنجم النديم، فقال ـ كما فى المعجم :

سبحان من من خلقه الطاوس ... طير على اشكاله رئيس
كأنه فى نفسه عروس ... اذ انه يحلو به التعريس
ديباجة تنشر او سدوس ... فى ريشه قد ركبت قلوس
تشرف من داراته شموس ... فى الراس منه شجر مغروس
كأنه بنفسج يميس ... او زهر فى روضه ينوس

ونظير كلامه عليه السلام فى أنواع التشبيهات قول محمد بن القاسم الشاعر المعروف بمان الموسوس :

وكيف صبر النفس عن غادة ... تظلمها ان قلت طاوسة
وجرت ان شبّهتها بانة ... فى جنة الفردوس مغروسة
وغير عدل ان عدلنا بها ... لؤلؤة فى البحر منفوسة
جلت عن الوصف فما فكرة ... تلحقها بالنعت محسوسة

ولابن السماك تشبيهات فى الحمام، فدخل ـ كما فى المروج ـ على الرشيد وبين يديه حمامة تلتقط حباً فقال له صفها وأوجز فقال :

كأنما تنظر من ياقوتتين ... وتلتقط بدرتين
وتطا على عقيقتين

والاخر ايضاً كما فيه :

هتفت هاتفة اذنها الف بين

ذات طوق مثل عطف النون اقنى الطرفين

وتراها ناظرة نحوك من ياقوتتين

ترجع الانفاس من ثقبين كاللؤلؤتين

وترى مثل البساتين لها قادمتين

ولها لحيان كالصدغين من عرعرتين

ولها ساقان حمراوان مثل الوردتين

نسجت فوق جناحيها لها برنوستين

وهي طاوسية اللون ببان المنكبين

تحت ظل من ظلال الايك صافي الكتفين

فقدت الفاً فناحت من تباريح وبين

فهي تبكيه بلا دمع جمود المقلتين

(يمشي مشي المرح) الكثير النشاط (المختال) المتكبر (ويتصفح) الاصل في تصفح الشيء النظر في صفحاته (ذنبه وجناحيه) هكذا في المصرية والصواب « وجناحه » كما في « حد » و « ثم » والخطية (فيقهقه) من القهقهة (ضاحكاً بجمال) أي حسن (سرباله) في المصباح السربال قميص او درع (وأصابيغ) أي ألوان (وشاحه) في الصحاح الوشاح ينسج من اديم عريضاً ويرصع بالجواهر وتشدّه المرأة بين عاتقيها وكشحيها .

(فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقا) أي صاح وقولهم «هو اثقل من الزواقي» هي الديوك ، لانهم كانوا يسمرون فاذا صاحت الديكة تفرقوا (معولا) كمن رفع صوته بالبكاء (يكاد بصوت) هكذا في المصرية والصواب « بصوت يكاد » كما في « حد » و «ثم» والخطية (يبين) أي يوضّح (عن استغاثته ويشهد بصادق

توجعه) أي تشكيه (لان قوائمه حمش) اى دقيقة (كقوائم الديكة الخلاسية) المتولدة بين دجاجتين هندية وفارسية .

هذا ، وكان المتوكل أصغر الساقين ، قال ابوحشيشة ـ كما فى الطبرى ـ رأيته اذا جلس على السرير يكشف ساقيه كأنما صبغا بزعفران .

وكان معاوية ذا عجيزة ، وكان خريم الناعم ذاساقين حسنين ، فدخل خريم على معاوية فنظر الى ساقيه فقال: أي ساقين لوأنهما على جارية. فقال له خريم: في مثل عجيزتك . قال معاوية : واحدة بأخرى والبادىء اظلم .

وقالوا : لما عرضت الخيزران على المهدي قال : والله ياجارية انك لعلى غاية المنى غير انك حمشة الساقين. فقالت: انك أحوج ماتكون اليهما لاتراهما. فقال : اشتروها فحظيت عنده فأولدها الهادي والرشيد .

(وقد نجمت) أي ظهرت (من ظنبوب ساقه) أى عظمها من قدام (صيصية) الاصل فيها شوكة الحائك التى يستوى بها السداه، ومنه صيصية الديك ونحوه (خفية) ولكون صيصيته خفية لم يحلّ لحمه ، والافعنهم عليهم السلام : كل طير له حوصلة أوقانصة أوصيصية حلال .

(وله فى موضع العرف) أى شعر الرقبة (قنزعة) الاصل فيها بعض الشعر يترك غير محلوق ، قال زهير :

وأشعث قد طالت قنازع رأسه دعوت على طول الكرى ودعانى

وعنه صلى الله عليه وآله لام ايمن « غطي عنا قنازعك ».

(خضراء موشّاة) فى المصباح وشيت الثوب فهو موشى ، والاصل مفعول.

(ومخرج عنقه) أى طرفها الذى يلي الرأس (كالابريق) فارسي معرّب .

(ومغرزها) بتقديم المهملة ، أى طرف العنق الذى يلي الجسد الى حيث بطنه (كصبغ الوسمة اليمانية) في شدة السواد (اوكحريرة ملبسة مرآة ذات صقال) فى البريق .

(وكأنه ملفع) هكذا فى المصرية والصواب « متلفع » كما فى « حد » و « ثم » والخطية ، أى متغط (بمعجر) ماتشد المرأة على رأسها (أسحم) أى اسود (الانه يخيّل) أى يقع فى الخيال (لكثرة مائه وشدة بريقه ان الخضرة الناضرة) قال الجوهرى : النضرة الحسن والرونق ، وقولهم « اخضر ناضر » كقولهم « أصفر فاقع » و « ابيض ناصع » .

(ومع فتق) أى شق (سمعه خط كمستدق القلم) أى خط القلم الدقيق (في لون الاقحوان) أى البابونج، وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه اصفر (ابيض يقق) أى شديد البياض (فهو ببياضه فى سواد ماهنالك يأتلق) أى يلمع .

(وقل صبغ الاوقد أخذ منه بقسط) أى نصيب (وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص) أى لمعان (ديباجه ورونقه فهو كالازاهير) اى الانوار (المبثوثة) أى المنتشرة (لم تربّها) بفتح التاء وضمها من رب ولده أو رباه .

ثم كأن فى الكلام سقطاً ، والاصل «الاأنها لم تربها» (امطار ربيع) كالازاهير النباتية (ولاشموس) أى اضواء شمس (فيظ) شدة الحر فى الصيف .

(وقد يتحسّر) أى يسقط (من ريشه ويعرى) أى يصير عرياناً من لباسه (فيسقط تترى) أى واحداً بعد واحد (وينبت) أى ريشه (تباعاً) اى متوالياً (فينحتّ) أى يتناثر أولا (من قصبه انحتات الاوراق) عن الأشجار . قدر الله تعالى ذلك فى الطاوس لكون ريشه زينة وحلية ينتفع ويتمتع به الناس .

(ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهيئته قبل سقوطه) لئلا يبقى ذاشين .

وفى المصباح يقال فى جناح الطائر ست عشرة ريشة: أربعة قوادم ، واربع خواف ، واربع مناكب ، واربع أباهر .

(لايخالف) لونه الانف (سالف ألوانه ولايقع لون فى غير مكانه) لايقع

مثلا الاخضر في مكان الاحمر والاسود في مكان الاصفر .

(واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه ارتك) من الاراءة والكاف المفعول الاول (حمرة وردية) وهى أحسن ألوان الحمرة ، قال الجوهرى : الورد الذى يشم ، وبلونه قيل للاسد ورد وللفرس ورد ، وهو بين الكميت والاشقر .

(وتارة خضرة زبرجدية) وهى أحسن ألوان الخضرة .

وقال الفيروزآبادى : لقب قيس بن حسان بالورد لجماله .

(وأحياناً صفرة عسجدية) وفى القاموس العسجد الذهب والجوهر كله كالدر والياقوت (فكيف تصل الى صفة هذا) اى الطاوس ذو الخلق العجيب (عمائق الفطن) اى الفطن العميقة والفطانة الحذاقة .

(او تبلغه قرائح) جمع القريحة ، والاصل فيها أول ماء يستنبط من البئر (العقول أو تستنظم وصفه اقوال الواصفين) أى تجعل وصفه فى نظام ، والنظام الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ .

(وأقل أجزائه قد أعجز الاوهام ان تدركه والالسنة أن تصفه) يعنى اذا عجزت الاوهام عن الدرك والالسنة عن الوصف لاقل أجزائه وهو شعرة من شعرات قصبه باراءتك لها تارة حمرة وردية واخرى خضرة زبرجدية وثالثة صفرة عسجدية ، كيف تصل قرائح العقول الى وصف كله ودرك تمام اجزائه .

(فسبحان الذى) قال الجوهرى : معنى « سبحان الله » التنزيه له ، ونصبه على المصدر ، كأنه قال « ابرىء الله من السوء براءة » .

(بهر) أى غلب (العقول عن وصف خلق) أى مخلوق ، والمراد به هنا الطاوس (جلّاه) أى كشفه (للعيون فأدركته) أى ادركت العقول ذاك الخلق (محدوداً) طولا وعرضاً (مكوّناً) بعدأن لم يكن (ومؤلفاً ملوناً) بألوان (وأعجز الالسن عن تلخيص) أى شرح (صفته وقعد بها) اى بالالسن (عن تأدية نعته) اى وصفه .

(فسبحان من أدمج) أى لفّف (قوائم الذرة) فى جسدها، والذر أصغر النمل .

فى توحيد المفضل : تأمّل وجه الذرة الصغيرة الحقيرة ، هل تجد فيها نقصاً عمّا فيه صلاحها ، فمن أين هذا التقدير والصواب فى خلق الذرة الامن التدبير القائم فى صغير الخلق وكبيره .

(والهمجة) أي ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها (الى مافوقها) هكذا فى المصرية والصواب « الى مافوقهما » أي الذرة والهمجة كما فى « حد » و « ثم » والخطية .

(من خلق الحيتان) فى معجم البلدان : يعرف بتنيس من السمك (٧٩) صنفاً البوري البلمو البرو اللبب البلس السكس الاران المشموس النسا الطوبان البقسمار الاحناس الانكليس المعينة البنى الابليل القريص الدونيس المرتنوس الاسقملوس النفط الخبار البلطى الحجف القلاديه الزحف العيرالتون اللت القجاج القروص الكليس الاكلس الفراخ القرقراج الزلنج اللاج الاكلت الماضى الجلاء السلاء البرقش البلك المسط القفا السور حوت الحجر البشين الشربوت الباس الرعاد المخيرة اللبس السطور الراى الليف اللبيس الابرميس الاتونس اللباء العميان المناقير القلميدس الحلبوه الرقاص القريدس الجبر هو كباره الصيح المجزع الدلينس الاشبال المساك الابيض الرقروق ام عبيد السلور ام الاسنان الانساريه اللجاه .

قلت : ومنه الجرى والمار ماهى وهما محرمان .

فى توحيد المفضل : تأمل خلق الحوت ومشاكلته للامر الذي قدّر أن يكون عليه، فانه خلق غير ذي قوائم لانه لايحتاج الى المشي اذكان مسكنه الماء، وخلق غير ذي رية لانه لايستطيع أن يتنفس وهو منغمس فى اللجة ، وجعلت له

مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها فى جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاديف من جانبى السفينة كسى جسمه قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الافات ، واعين بفضل حس فى الشم لان بصره ضعيف والماء يحجبه فصار يشم الطعم من البعد البعيد فينتجعه فيتبعه ، والافكيف يعلم به وبموضعه. واعلم أن من فمه الى صماخيه منافذ ، فهو يعب الماء بفيه ويرسله من صماخيه فيتروح الى ذلك كما يتروح غيره من الحيوان الى تنسم هذا النسيم .

فكر الان فى كثرة نسله وماخص به من ذلك ، فانك ترى فى جوف السمكة الواحدة من البيض مالايحصى كثرة ، والعلة فى ذلك أن يتسع لمـا يغتذى به من أصناف الحيوان ، فان اكثرها يأكل السمك ، حتى أن السباع فى حافات الاجام عاكفة على الماء ايضاً كى ترصد السمك، فاذا مربها خطفته، فلما كانت السباع تأكـل السمك والطير تأكل السمك والناس يأكلون السمك والسمك تأكـل السمك ، كان من التدبير فيه أن يكون على ماهو عليه من الكثرة ، فاذا أردت ان تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانضر الى مافى البحار من ضروب السمك ودواب الماء والاصداف والاصناف التي لاتحصى ولايعرف منافعها الا الشيء بعد الشيء يدركـه الناس بأسباب تحدث . مثل القرمز فانه عرف الناس صبغه بأن كلبة تجول على شاطيء البحر فوجدت شيئاً من الصنف الذى يسمى (الحلزون) فأكلته فاختضب خطمها بدمه ، فنظر الناس الى حسنه فاتخذوه ، واشباه هذا ممايقف الناس عليه حالا بعد حال وزماناً بعد زمان .

(والفيلة) من غرابة الخلقة .

فى توحيد المفضل : تأمل مشفر الفيل ومافيه من لطيف التدبير ، فانه يقوم مقام اليد فى تناول العلف والماء وازدرادهما الى جوفه، ولولا ذلك لمااستطاع أن يتناول شيئاً من الارض لانه ليست لـه رقبة يمدها كسائر الانعام ، فلما عدم

العنق أعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله فيتناول به حاجته، فمن ذا الذى عوضه مكان العضو الذى عدم ، مايقوم مقامه الا الرؤف بخلقه ، وكيف يكون هذا بالاهمال كما قالت المعطلة .

فان قال قائل : فماباله لم يخلق ذاعنق كسائر الانعام . قيل له : ان رأس الفيل واذنيه امرعظيم وثقل ثقيل ، فلوكان ذلك على عنق عظيم لهدها وأوهنها، فجعل رأسه ملصقاً بجسمه لكيلا يناله ماوصفناه، وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه ، فصار مع عدم العنق مستوفياً مافيه بلوغ حاجته .

انظر الان كيف جعل حياء الانثى من الفيلة على خلاف ماعليه فى غيرها من الانعام فى أسفل بطنها، فاذا هاجت للضراب ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من ضرابه ، فاعتبر كيف جعلت فيه هذه الخلة ليتهيأ للامر الذي فيه قوام النسل ودوامه .

(ووأى) أي وعد (على نفسه الايضرب) أي يتحرك (شبح) أي شخص (مما أولج) أي ادخل (فيه الروح الاوجعل الحمام) بالكسر أي الموت (موعده والفناء غايته) اى عاقبة امره .

وفى الفقيه عنه عليه السلام: من مشى على وجه الارض فانه يصير الى بطنها، والليل والنهار مسرعان فى هدم الاعمار ، ولكل ذي رمق قوت ، ولكل حبة آكل ، وأنت قوت الموت ، وان من عرف الايام لن يغفل عن الاستعداد ، ولن ينجو من الموت غني بماله ولافقير لاقلاله .

هذا، وفى أطعمة الكافى عن الرضا عليه السلام: الطاوس مسخ ، كان رجلا جميلا فكابر امرأة رجل مؤمن تحبه فوقع بها ثم راسلته بعد ، فمسخهما الله تعالى انثى وذكراً ، ولايؤكل لحمه ولابيضه .

وفيه ايضا عنه عليه السلام : ان الفيل كان ملكاً زناء فمسخ .

وعن الكاظم عليه السلام : لايحل الفيل وقد حرم الله الامساخ ولحم مامثّل به فى صورها .

وروى دواجنه عن يعقوب الجعفري ذكر عند ابى الحسن عليه السلام حسن الطاوس فقال : لايزيدك على حسن الديك الابيض شيء ، والديك أحسن صوتاً من الطاوس وهو أعظم بركة ، ينبهك فى مواقيت الصلاة وانما يدعو الطاوس بالويل لخطيئته التى ابتلي بها .

وعن تنبيه ورام : دخل طاوس اليماني على جعفر بن محمد عليه السلام فقال له : أنت طاوس ؟ قال : نعم . قال : طاوس طير مشؤم مانزل بساحة قوم الاآذنهم بالرحيل .

هذا ، وفي القاموس طويس مخنّث كان يسمى طاوساً فلما تخنث تسمى بطويس ، وهو أول من غنى فى الاسلام ، وفى المثل « اشأم من طويس » ، كان يقول ان امي تمشى بالنمائم بين نساء الانصار ثم ولدتنى ليلة مات النبى صلى الله عليه وآله ـ الى أن قال ـ وولد لى يوم قتل على . وزاد فى امثال الكرمانى ان طويساً كان يقول :

انا عبد النعيم اناطاوس الجحيم
وانا اشأم من دب على ظهر الحطيم
انا حاء ثم لام ثم قاف حشوميم

يعنى الحلقم. وكان يقال لعلى بن طاوس آل طاوس لمقاماته الجليلة ومكارمه النبيلة .

وفى الطبرى ـ فى فتوح قتيبة فى سنة (٩١) ـ ثم مضى الى بخارى فنزل قرية فيها بيت نار وبيت آلهة ، وكان فيها طواويس فسموه منزل الطواويس .

ولابى اسحق الصابى فيما كتب الى ابى الفرج عبدالواحد بن نصر الملقب

ببغاء فى صفة (الببغاء) ابيات حسنة :

انعتهـا صبيحـة مليحـه ناطقـة باللغـة الفصيحـه
غدت من الاطيار باللسـان يـوهمنى بأنهـا انسـان
تنهى الى صاحبها الاخبارا وتكشف الاسرار والاستارا
سكاء الاّ انّها سميعه تعيد ماتسمعـه طبيعـه
وربمـا لـقبت العضيهه فتغتـدى بذيئـة سفيهـه
زارتك من بلادها البعيده واستوطنت عندك كالقعيده
ضيف قراه الجوز والارز والضيف فى ابياتنـا يعـز
تراه فى منقارها الخلوقى كـلؤلؤ يلقـط بالعقيق
تنظر من عينين كالفصين فى النور والظلمه بصاصين
تميس فى حلتها الخضراء مثل الفتـاة الغادة العذراء
خريدة خدورها الاقفـاص ليس لها من حبسها خلاص
تحبسهـا ومالهـا من ذنب وانمـا تحبسهـا للحب
تلك التى قلبى بها مشغوف كنيت عنها واسمها معروف
نشرك فيهـا شاعر الزمان والكاتب المعـروف بالبيـان
وذاك عبد الواحد بن نصر تقيه نفسى عاديات الـدهر

قول المصنف (قال الشريف) هكذا فى المصرية وليس من النهج وانماهو من الشراح (تفسير بعض ماجاء فيها من الغريب) هكذا فى المصرية والخطية ، ولكن فى حد « تفسير بعض مافى هـذه الخطبة من الغريب » . ولكن العجيب انه ليس البيان فى « ثم » رأساً .

(يؤرّ بملاقحه) هكذا فى المصرية ولكن فى الخطية «ويؤربملاقحه» وفى حد « قوله عليه السلام ويؤر بملاقحه » .

(الار كناية عن النكاح) المفهوم منه أن النكاح ليس معناه المطابقي بل الالتزامي (يقال « ار المرأة يؤرها ») هكذا فى المصرية والخطية ، وفى « حد » يقال أر الرجل المرأة يؤرها (اي نكحها) هكذا فى المصرية والصواب « اذ أنكحها » كما فى حد والخطية .

(وقوله كأنه قلع داري عنجه نوتية) زاد حد بعد « وقوله » عليه السلام (القلع شراع السفينة وداري منسوب الى دارين وهى بلدة على البحر يجلب منها الطيب) .

وفى المعجم : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند، والنسبة اليها داري ، قال الفرزدق :

كأن تريكة من ماء مزن ... وداري الذكي من المدام

(وعنجه اى عطفه ، يقال عنجت الناقة كنصرت) هكذا فى المصرية وكلمة «كنصرت» زائدة لعدم وجودها في الخطية وفى «حد» ، ولكونه غلطاً لان الاصل فيه كونه من باب ضرب ويأتى من باب نصر ايضاً (أعنجها عنجاً اذا عطفتها) وفى اللسان عنج رأس البعير : جذبه بخطامه حتى رفعه وهو راكب عليه .

(والنوتى الملاح) وفى الصحاح هو من كلام أهل الشام (وقوله عليه السلام « ضفتى جفونه » اراد) ليست الكلمة فى « حد » وانماهى فى المصرية (جانبى جفونه والضفتان الجانبان) يقال ضفة النهر بالكسر لجانبه .

١/١٨٠/٣ منها فى صفة عجيب خلق اصناف من الحيوانات : و لوفكروا فى عظيم القدرة ، وجسيم النعمة ، لرجعوا الى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة والبصائر مدخولة .

ألا ينظرون الى صغير ما خلق كيف احكم خلقه واتقن تركيبه ، و فلق له السمع والبصر، وسوى له العظم والبشر. انظروا الى النملة فى صغر جثتها

ولطافة هيئتها ، لاتكاد تنال بلحظ البصر ولابمستدرك الفكر ، كيف دبت على ارضها وصبت على رزقها ، تنقل الحبة الى جحرها وتعدها فى مستقرها ، تجمع فى حرها لبردها وفى ورودها لصدرها ، مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها ، لايغفلها المنان ولايحرمها الديان ، ولو فى الصفا اليابس والحجر الجامس. ولو فكرت فى مجارى اكلها فى علوها وسفلها، ومافى الجوف من شراسيف بطنها ، وما فى الرأس من عينها واذنها ، لقضيت من خلقها عجباً ولقيت من وصفها تعباً . فتعالى الذى اقامها على قوائمها ، وبناها على دعائمها ، لم يشركه فى فطرتها فاطر ، ولم يعنه فى خلقها قادر .

ولوضربت فى مذاهب فكرك لتبلغ غاياته مادلتك الدلالة الاعلى ان فاطر النملة هوفاطر النخلة ، لدقيق تفصيل كل شىء، وغامض اختلاف كل حى ومالجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوى والضعيف فى خلقه الاسواء وكذلك السماء والهواء والرياح والماء . فانظر الى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر ، واختلاف هذا الليل والنهار وتفجر هذه البحار وكثرة هذه الجبال وطول هذه القلال وتفرق هذه اللغات والالسن المختلفات فالويل لمن جحد المقدر وانكر المدبر .

زعموا انهم كالنبات مالهم زارع ولا لاختلاف صورهم صانع ، ولم يلجأوا الى حجة فيما ادعوا ولاتحقيق لما أوعوا وهل يكون بناء من غير بان أو جناية من غير جان .

وان شئت قلت فى الجرادة ، اذ خلق لها عينين حمراوين ، وأسرج لها حدقتين قمراوين وجعل لها السمع الخفى، وفتح لهاالفم السوى، وجعل لهاالحس القوى، ونابين بهما تقرض، ومنجلين بهما تقبض، يرهبهاالزراع فى زرعهم، ولايستطيعون ذبها ولو اجلبوا بجمعهم، حتى ترد الحرث فى

نزواتها وتقضى منه شهواتها ، وخلقها كله لايكون اصبعاً مستدقة . فتبارك الله الذى يسجدله من فى السماوات والارض طوعاً وكرها، ويعنولهخداً ووجها ، ويلقى اليه بالطاعة سلماً وضعفاً ، ويعطى له القياد رهبة وخوفاً . فالطيرمسخرة لامره أحصى عدد الريش منها والنفس، وأرسى قوائمهاعلى الندى واليبس ، وقدر أقواتها واحصى اجناسها . فهذا غراب وهذا عقاب وهذاحمام وهذا نعام، دعاكل طائر باسمه وكفل له برزقه ، وأنشأالسحاب الثقال فأهطل ديمها وعدد قسمها ، فبل الارض بعد جفوفها ، وأخرج نبتها بعد جدوبها

قول المصنف (منها في صفة عجيب خلق اصناف من الحيوانات) هكذا في المصرية ، والصواب «من الحيوان» كما فى حد و ثم والخطية ، ثم المراد « بأصناف من الحيوان » النملة والجرادة والغراب والعقاب والحمام والنعام .

ثم الخطبة التى فيهاالعنوان مماختلفت النسخ فى محلها كما صرح به «ثم»، فنقلها «حد» والكيدرى بعد «المتقين» بخطب ، وغيرهما قبل «المتقين» بخطب.

قوله عليه السلام (ولو فكروا) قال الجوهرى فكروا وأفكروا وتفكروا بمعنى واحد .

(فى عظيم القدرة) اى قدرته العظيمة (وجسيم النعمة) اى نعمته الجسيمة (لرجعوا الى الطريق) أى طريق الحق (وخافوا عذاب الحريق) أى جهنم .

(ولكن القلوب عليلة) « لهم قلوب لايفقهون بها » (والبصائر مدخولة) كذهب دخله الغش « ولهم أعين لايبصرون بها » .

(ألاينظرون الى صغير ماخلق كيف أحكم خلقه) أي جعله محكماً لو لم تكن قلوبهم عليلة (واتقن تركيبه) لو لم تكن بصائرهم مدخولة .

« اولم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السماوات والارض ومابينهما الابالحق

واجل مسمى وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون » .

فى الاهليلجية ـ فى جواب المفضل فى كثرة الزنادقة ـ لعمري ماأتى الجهال من قبل ربهم وانهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البينات فى خلقهم، ومايعاينون من ملكوت السماوات والارض والصنع العجيب المتقن الدال على الصانع ، ولكنهم قوم فتحوا على أنفسهم ابواب المعاصي، وسهّلوا لها سبيل الشهوات ، فغلبت الاهواء على قلوبهم واستحوذ الشيطان ـ بظلمهم ـ عليهم ، وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين. والعجب من مخلوق يزعم ان الله تعالى يخفى على عباده وهو يرى أثر الصنع فى نفسه بتركيب يبهر عقله وتأليف يبطل حجته ، ولعمرى لـو تفكروا فى هذه الامور العظام لعاينوا من أمر التركيب البيّن ولطف التدبير الظاهر ووجود الاشياء مخلوقة بعد أن لم تكن ، ثم تحولها من طبيعة الى طبيعة وصنيعة بعد صنيعة، امايدلهم ذلك على الصانع، فانه لايخلو شيء منها من أن يكون فيه اثر تدبير وتركيب يدل على ان لـه خالقاً مدبراً ، وتأليف تدبير يهدى الى واحد حكيم .

(وفلق) أي شقّ (لـه السمع والبصر) وهو دليل كمال قدرته وحكمته (وسّوى له العظم والبشر) ظاهر الجلد وماسوى العظم.

(أنظروا الى النملة فى صغر جثتها) أي جسدها (ولطافة هيئتها) أي صغرها (لايكاد) أي لايقرب (تنال) أي تصاب (بلحظ البصر) أى دقيق النظر بمؤخر العين (ولابمستدرك الفكر) أى ولاتنال خصوصيات النملة بالفكر الذى يستدرك اشياء لاتنال بلحظ البصر .

(كيف دبّت) أى جرت على ارضها (وصبّت على رزقها) هذه الكلمة فى غاية الفصاحة ، كقولـه تعالى « فصب عليهم ربك سوط عذاب » . فالاصـل فى الصب صب الماء ، والنمـل اذا استشمت بشمها القـوي ليس شم فوقه صبت

أنفسها عليه كصب الماء على محل حتى يغمره ولايبصر المحل ، وكذلك صب النمل أنفسها على قوت بحد لايرى ذاك القوت .

(تنقل الحبة الى جحرها) بتقديم الجيم: مسكن الحشرات تحت الارض . قال : ولاترى الضب بها ينجحر .

وأما الحديث العامى « اذا حاضت المرأة حرم الجحران » فتشبيه ، كقول الشاعر :

لنعم القوم فى الازمات قومي بنو كعب اذا جحر الربيع

اى اذا أدخل الربيع لعدم نزول المطر فيه الناس فى مساكنهم كما تدخل الحشرات فى جحراتها .

(وتعدها) بالضم من « أعده » اى هيأه (فى مستقرها) تحت الارض .

(تجمع فى حرها) أى الصيف (لبردها) أى الشتاء (وفى ورودها) اى تجمع فى ورودها جحرها ايام الشتاء (لصدرها) وخروجها ايام الصيف التى تكون الارض يابسة .

ثم فى جميع النسخ « وفى ورودها » لكن مقابل الصدر بفتحتين الورد بالكسر فالسكون. قال الجوهرى: الورد خلاف الصدر ، وقال ابن دريد الورد اتيان الماء ثم صار اتيان كل شيء ورداً ، وقال :

ردى ردى ورد قطاة صماء ولو ارادت ورده لاستوردا

(مكفولة) هكذا فى المصرية، والصواب «مكفول» كمافى حد و ثم والخطية، فهكذا كان النهج، ولعل من جعله « مكفولة » اراد التصحيح حيث ان المسند اليه النملة كقوله بعد (مرزوقة بوفقها) قال الشاعر :

اما الفقير الذى كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد

(لايغفلها المنان) أى المعطي المنعم كما فى معانى الاخبار .

وفى خبر : اذا قال العبد «ياعظيم المن» أعطاه الله يوم القيامة أمنيته وامنية الخلائق .

(ولايحرمها الديّان) أى المجازى والمكافى (ولو فى الصفا) أى الصخرة الملساء، يقال «ماتندى صفاته» (اليابس) والمراد المستحكم (والحجر الجامس) أى الجامد .

عن تفسير العياشى عن الصادق عليه السلام : لما قال يوسف للذى نجامن صاحبى سجنه « أذكـرني عند ربك » اتاه جبرئيل فضرب برجله حتى كشط له عن الارض السابعة ، فقال لـه : يايوسف انظر ماذا ترى . قـال : ارى حجراً صغيراً ، ففلق الحجر فقال : ماذا ؟ قال : ارى دودة صغيرة . قال : فمن رازقها ؟ قال : الله . قال : فـان ربك يقول لـم انس هذه الدودة فى ذاك الحجر فى قعر الارض السابعة ، ظننت أني انساك حتى تقول للفتى أذكرنى عند ربك ، لتلبثن فى السجن بمقالتك هذه بضع سنين ـ الخبر .

وفى توحيد المفضل: انظر الى النمل واحتشاده فى جمع القوت واعداده، فانك ترى الجماعة منها اذا نقلت الحب الى زبيتها بمنزلة جماعة من النـاس ينقلون الطعام أو غيره ، بل للنمل فى ذلك من الجد والتشمير ماليس للناس ، أماتراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون النـاس على العمل ، ثم يعمدون الى الحب فيقطعونه قطعاً لكيلاينبت فيفسد ، فان أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتى يجف . ثم لايتخذ النمل الزبية الافى نشزمن الارض كيلا يفيض السيل فيغرقها، وكـل هذا منه بلاعقل ولاروية بل خلقة خلق عليها لمصلحة من الله عز وجل .

وفى الدميرى : وله فى الاحتكار من الحيل ماانه اذا احتكر مايخاف انباته قسّمه نصفين ماخلا الكسفرة فانه يقسمها ارباعاً لما ألهم من ان كل نصف منها ينبت ، واذا خاف العفن على الحب أخرجه الى ظاهر الارض ونشره ، واكثرما

يفعل ذلك ليلا فى ضوء القمر .

وقال « حد » قال الجاحظ : ولها مع لطافة شخصها وخفة وزنها فى الشم والاسترواح ماليس لشىء ، فربما اكل الانسان الجراد أو يشبهه فيسقط من يده واحدة أو صدر واحدة وليس بقربه ذرة ولاله عهد بالذر فى ذلك المنزل ، فلا يلبث أن تقبل ذرة قاصدة الى تلك الجرادة فترومها وتحاول نقلها وجرها الى جحرها ، فاذا أعجزتها بعد أن تبلى عذراً مضت الى جحرها راجعة ، فلا يلبث أن يجدها قداقبلت وخلفها كالخيط الاسود الممدود، حتى يتعاون عليهافيحملنها، فأعجب من صدق الشم لمالايشمه الانسان الجامع ثم انظر الى بعد الهمة والجرأة على محاولة نقل شىء فى وزن جسمها مائة مرة بـل اضعاف اضعاف المائة ، وليس شىء من الحيوان يحمل مايكون اضعاف وزنه مراراً كثيرة غيره .

ومن أعاجيب الذرة انها لاتعرض لجعل ولاجرادة ولاخنفساء ولابنت وردان مالم يكن بها خبل أوعقر أوقطع يد أورجل ، فان وجدت بها من ذلك أدنى علة وثبت عليها حتى لو أن حية بها ضربة أوخدش ثم كانت من ثعابين مصر لوثب عليها الذر حتى يأكلها ، ولاتكاد الحية تسلم من الذر اذكان بها أدنى عقر ، وقد عذب الله بالذر أمماً واخرج اهل قرى من قراهم واهل دروب من دروبهم .

وعذب عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشى بأنواع العذاب ، فقيل له ان اردت انلايفلح أبداً فمرهم فلينفخوا فى دبره النمل، ففعلوا فلم يفلح بعدها.

وزعم البقطرى انك لوأدخلت نملة فى جحرذر لاكلتها حتى تأتى عامتها .

وزعم صاحب المنطق ان الضبع تأكل النمل اكلا ذريعاً ، وربما أفسدت الارضة منازلهم واكلت كل شىء لهم ، فلاتزال كذلك حتى ينشأ فى تلك القرى النمل فيسلط الله تعالى ذلك النمل على تلك الارضة حتى تأتى على آخرها .

وقد زعم بعضهم ان تلك الارضة بأعيانها تستحيل نملا لا لاكل النمل لها

وكان ثمامة يرى ان الذر صغار النمل، ونحن نراه نوعاً آخر كالبقر والجواميس.

ومن أسباب هلاكه نبات أجنحته ، ويقتل النمل بأن يصب فى أفواه بيوتها القطران والكبريت الاصفر .

(ولو فكّرت فى مجاري أكلها فى علوها) هكذا فى المصرية والصواب « وفى علوها » كما فى حد و ثم والخطية (وسفلها) انما قال عليه السلام « وفى علوها وسفلها » لانها مخلوقة نصفين وبينهما اتصال .

وفى تاريخ بغداد : قال مقاتل يوماً سلونى عمادون العرش . فقال له رجل: ارأيت النملة امعاؤها فى مقدمها أومؤخرها ، فبقى لايدري مايقول .

(ومافى الجوف من شراسيف) أي اطراف الاضلاع التى تشرف على البطن (بطنها) .

قال « حد » الحكماء لايثبتون للنمل شراسيف ولااضلاعاً ، فان صح قولهم يحمل كلامه عليه السلام على اعتقاد الجمهور ومخاطبة العرب بماتتوهمه حقاً .

ونقل « خو » كلام الدميرى « ليس للنمل جوف ينفذ فيه الطعام وانماقوته اذا قطع الحب فى استنشاق ريحه » . وقال التجربة تشهد بخلافه ، فشاهدنا كثيراً أن الذر تجتمع على حبوبات وتأكلها حتى تفنيها .

(ومافى الرأس من عينها واذنها) قال « حد » لايثبت الحكماء للنمل آذاناً بارزة عن رؤوسها . ويجب ان صح ذلك ان يحمل كلامه عليه السلام على قوة الاحساس بالاصوات ، فانه لايمكن الحكماء انكار وجود هذه القوة للنمل .

قلت : لوكانت لها آذان بارزة لكانت تلد كالخفاش .

(لقضيت من خلقها عجباً) قال «حد» ذكر الحكماء من عجائب النمل أشياء: منها انه لاجلد له وكذلك كل الحيوان المخزز، ومنها انه لايوجد فى صقلية نمل كبار اصلا ، ومنها ان النمل بعضه ماش وبعضه طائر ، ومنها أن حراقة النمل اذا

أضيف اليها شيء من قشور البيض وريش هدهد وعلقت على العضد منعت من النـوم .

وقال «خو» : قال الدميرى ومن عجائب النمل اتخاذ القرية تحت الارض وفيها منازل ودهاليزوغرف وطبقات معلقات تملأها حبوباً وذخائر للشتاء، ومنه مايسمى الذر الفارسى ـ وهو من النمل بمنزلة الزنابير من النحل ـ ومنه مايسمى بنمـل الاسد لان مقدمه يشبه وجه الاسد ومؤخره يشبه النحل . وسميت النملة نملة لتنملها ، وهو كثرة حركتها وقلة قوائمها . والنمل لايتزاوج ولايتناكح ، انمـا يسقط منه شيء حقير فى الارض فينمو حتى يصير بيظا حتى يتكـوّن منه ، ويحفر قرية بقوائمه وهى ست وجعل فيها تعاريج لئلا يجري اليها المطر .

وروى الطبرانى والدارقطنى انه لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام كان يبصر دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ .

وقال البيهقى : كان عـدي بن حاتم يفتّ الخبز لهن ويقول انهن جارات لهن علينا حق الجوار .

ويأتى فى الوحش عن الفتح بن سخرب الزاهد انـه كان يفتّ الخبز لهن فى كل يوم ، فاذا كان يوم عاشوراء لم تأكله .

والبيض كله بالضاد المعجمة الابيظ النمل فانه بالظاء .

قلت : لم أرمن ذكره غيره ، وانما فى الجمهرة « البيظ » زعموا مستعمل وهو ماء الفحل ولاأدرى ماصحته ، وقال قوم قوم ماء المرأة .

وفى تفسير القمى فى قوله تعالى «حتى اذا أتوا على واد النمل» واد النمل واد ينبت الذهب والفضة ، وقد وكّل الله بـه النمل لورامه البخاتي من الابل ماقدر عليه .

وفى الدميرى: اذا سحق بيظ النمل وطلى به موضع الشعر منع انبات الشعر

واذانثربيضه بين قوم تفرقوا شذرمذر، ومن سقى منه وزندرهم لم يملك اسفله، وانسدت قريته بأخثاءالبقريهرب من مكانه وكذلك يفعل روث القط ، واذاسد جحر النمل بحجر المغناطيس مات، واذادقت الكراويا وجعلت فى جحرالنمل منعتهن الخروج وكذلك الكمون ، واذا صب ماء السداب فى قرية النمل قتله، وان علقت خرقة امرأة حائض حول شيء لم يقربه النمـل ، واذا أخذت سبع نملات طوال وتركتها فى قارورة مملوة بدهن الزيبق وسددت رأسها ودفنتها فى رمل يوماً وليلة ثم أخرج وصفى الدهن عنها ثم مسح به الاحليل هيج الباه.

هذا ، وفى الكافي عنه عليه السلام: يامعشر التجار الفقه ثم المتجر ، الفقه ثم المتجر ، والله للربا فى هذه الامة أخفى من دبيب النمل على الصفا .

وروى الخصال ان النبى صلى الله عليه وآله نهى عن قتل ستة، النحلة والنملة والضفدع والصرد والهدهد ـ الى أن قال ـ واما النملة فانهم قحطوا على عهد سليمان فخرجوا يستسقون فاذا هم بنملة قائمة على رجليها مادة يدها الى السماء وهى تقول « اللهم انا خلق من خلقك لاغنى بنا عن فضلك فارزقنا ولا تؤاخذنا بذنوب سفهاء ولدآدم » فقال سليمان عليه السلام : ارجعوا فانه تعالى سقاكم بدعاء غيركم .

وروى عقاب الاعمال عن الصادق عليه السلام: ان المتكبرين يحشرون فى صور الذر ، يطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب .

وفى الاغانى كان لهارون خدم صغار يسميهم النمـل ، يتقدمونه وبأيديهم قسي البندق يرمون بها من يعارضه في طريقه .

(ولوضربت فى مذاهب فكرك) يمكن أن يكون الكلام من قبيل قول تعالى « واذا ضربتم فى الارض » أي سرتم ، وان يكون من قبيل قوله ذي الرمة :

ليـالى اللهو يطبينى فاتبعه كـأننى ضارب فى غمرة لعب

أي سابح (لتبليغ غاياته) أى لتصل الى حدّ هو منتهى مايمكن ان يصل اليه فكرك (مادلتك الدلالة الا على أن فاطر النملة) اى خالقها الابتدائى .

وعن ابن عباس : كنت لاأدرى ما « فاطر السماوات والارض » حتى أتانى اعرابيان يختصمان فى بئر ، فقال احدهما أنا فطرتها أى انا ابتدأتها (هو فاطر النخلة) .

فى توحيد المفضل: فكّر فى النخل ، فانه لما صار فيه اناث تحتاج الى التلقيح جعلت فيه ذكورة للقاح، فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان الذى يلقح الاناث لتحمل . تأمل خلقة الجذع كيف هو ، فانك تراه كالمنسوج نسجاً من خيوط ممدودة كالسدى واخرى معه معترضة كاللحمة كنحو ماينسج بالايدى وذلك ليشتد ويصلب ، ولايتقصف من حمل القنوان الثقيلة وهز الرياح العواصف اذا صار نخلة ، وليتهيأ للسقوف والجسور وغير ذلك ممايتخذ منه اذا صار جذعاً ، وكذلك ترى الخشب مثل النسج ، فانك ترى بعضه متداخلا بعضاً كتداخل اجزاء اللحم، وفيه مع ذلك متانة ليصلح لمايتخذ منه من الالات، فانه لو كان مستحصفاً كالحجارة لم يكن ان يستعمل فى السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشبة كالابواب والاسرة والتوابيت وماشبه ذلك .

ومن جسيم المصالح فى الخشب انه يطفو على الماء ، فكل الناس يعرف هذا منه وليس كلهم يعرف جلالة الامر فيه ، فلولا هذه الخلة كيف كانت هذه السفن والاظراف تحمل أمثال الجبال من الحمولة ، وأنّى كان ينال الناس هذا الرفق وخفة المؤنة في حمل التجارات من بلد الى بلد ، وكانت تعظم المؤنة عليهم فى حملها حتى يلفى كثير مما يحتاج اليه فى بعض البلدان مفقوداً اصلا اوعسر وجوده .

قال الشارح : ومن عظيم الحكمة فى الخشب عدم تأثره من الكهرباء الذى

استخدمه البشر الذى سخر تعالى له مافى السماوات والارض، في هذه الاعصار ومنعه من تأثيره حتى لايتلف الانسان والحيوان ، ولولاه لما استفيد كما ينبغى من هذه النعمة الجليلة .

قال عليه السلام : تأمل يامفضل الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات، فانها لماكانت تحتاج الى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان ولاحركة تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت اصولها مركوزة فى الارض لتنزع منها الغذاء فتؤديه الى الاغصان وماعليها من الورق والثمر، فصارت الارض كالام المربية لها ، وصارت أصولها التى هي كالافواه ملتقمة للارض لتنزع منها الغذاء كما ترضع اصناف الحيوان أمهاتها . ألم تر الى عمد الفساطيط والخيم كيف تمد بالاطناب من كل جانب لتثبت منتصبة فلاتسقط ولاتميل ، فهكذا تجد النبات كله له عروق منتشرة في الارض ممتدة الى كل جانب لتمسكه وتقيمه ، ولولا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال والدوح العظام فى الريح العاصف، فانظر الى حكمة الخلقة كيف سبقت حكمة الصناعة، فصارت الحيلة التى تستعملها الصناع فى ثبات الفساطيط والخيم متقدمة فى خلق الشجر ، فالصناعة مأخوذة من الخلقة .

تأمل يامفضل خلق الورق ، فانك ترى فى الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع ، فمنها غلاظ ممتدة فى طولها وعرضها ، ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معجماً ، ولوكان مما يصنع بالايدي كصنعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة فى عام كامل، ولاحتيج الى آلات وحركة وعلاج وكلام، فصار يأتى منه فى ايام قلائل من الربيع مايملأ الجبال والسهل وبقاع الارض كلها بلاحركة ولاكلام الابالارادة النافذة فى كل شيء والامر المطاع . واعرف مع ذلك العلة فى تلك العروق الدقاق، فانها جعلت تتخلل الورقة بأسرها وتوصل

الماء اليها بمنزلة العروق المبثوثة فى البدن لتوصل الغذاء الى كل جزء منه ، وفى الغلاظ منها معنى آخر فانها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها لئلا تنتهك وتتمزق ، فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنيعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة فى طولها وعرضها لتتماسك فلاتضرب، فالصناعة تحكي الخلقة وان كانت لاتدركها على الحقيقة .

فكّر فى هذاالعجم والنوى والعلة فيه ، فانه جعل فى جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس ان عاق دون الغرس عائق ،كما يحرز الشيء النفيس الذى يعظم الحاجة اليه فى مواضع ، فان حدث على الذي فى بعض المواضع منه حادث وجد فى موضع آخر ، ثم هو بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقتها ، ولولا ذلك لتشدخت وتفسخت وأسرع اليها الفساد . وبعض العجم يؤكل ويستزج دهنه فيستعمل فيه ضروب من المصالح ، وقد تبين لك بماقلت موضع الارب فى العجم والنوى .

فكّرالان في هذاالذي تجده فوق النواة من الرطبة وفوق العجم من العنبة، فما العلة فيه ولماذا يخرج في هذه الهيئة ، وقد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ماليس فيه مأكل ،كمثل مايكون فى السدر والدلب وما اشبه ذلك ، فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة الاليستمتع بها الانسان .

فكّر فى ضروب من التدبير فى الشجر ، فانك تراه يموت فى كل سنة موتة فتحتبس الحرارة الغريزية فى عوده ويتولد فيه مواد الثمار ، ثم يحيى وينتشر فيأتيك بهذه الفواكه نوعاً بعد نوع ،كما يقدم اليك أنواع الاطبخة التى تعالج بالايدى واحداً بعد واحد، فترى الاغصان فى الاشجار تتلقاك بثمارها حتى كأنها تناولكها عن يد . وترى الرياحين تتلقاك فى افنانها كأنها تجيئك بأنفسها ، فلمن هذا التقدير الالمقدر حكيم ، وماالعلة فيه الاتفكيه الانسان بهذه الثمار والانوار،

والعجب من أناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها .

واعتبر بخلق الرمانة وماترى فيها من أثر العمد والتدبير ، فانك ترى فيها كأمثال التلال من شحم مركوم في نواحيها وحب مرصوف صفاً كنحو ماينضد بالايدى، وترى الحب مقسوماً أقساماً، وكل قسم منها ملفوفاً بلفائف من حجب منسوجة أعجب النسج وألطفه وقشره يضم ذلك كله، فمن التدبير فى هذه الصنعة انه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمانة من الحب وحده ، وذلك ان الحب لايمد بعضه بعضاً ، فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء . ألاترى ان اصول الحب مركوزة فى ذلك الشحم ، ثم لف بتلك اللفائف لتضمه وتمسكه فلايضطرب، وغشي فوق ذلك بالقشرة المستحصفة لتحصنه وتصونه من الآفات. وهذا قليل من كثير من وصف الرمانة وفيه اكثر، وهذا لمن اراد الاطناب والتذرع فى الكلام ولكن فيما ذكرت لك كفاية فى الدلالة والاعتبار .

فكّر يامفضل فى حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ ومافى ذلك من التدبير والحكمة ، فانه حين قدّر أن يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطاً على الارض ، ولوكان ينتصب قائماً كما ينتصب الزرع والشجر لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ، ولتقصف قبل ادراكها وانتهاءها الى غاياتها. فانظر كيف صار يمتد على وجه الارض ليلقى عليها ثماره فتحملها عنه، فترى الاصل من القرع والبطيخ مفترشاً للارض وثماره مبثوثة عليها وحواليه كأنه هرة ممتدة وقد اكتنفتها اجراؤها لترضع منه ، وانظر كيف صارت الاصناف توافي فى الوقت المشاكل لها من حمارة القيظ ووقدة الحر، فتلقاها النفوس بانشراح وتشوق اليها ، ولوكانت توافي فى الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها واقشعراراً منها مع مايكون فيها من المضرة للابدان . ألاترى انه ربما ادرك شيء من الخيار فى الشتاء فيمتنع الناس من اكله الا الاشره الذي لايمتنع

من اكل مايضره ويسقم معدته .

(وغامض اختلاف كل حي) فى توحيد المفضل : فكّر فى هذه الاصناف الثلاثة من الحيوان وفى خلقها على ماهى عليه ممافيه صلاح كل واحد منها ، فالانس لما قدّر أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج بمثل هذه الصناعات من البناء والتجارة والصياغة والخياطة وغير ذلك، خلقت لهم اكف كبار ذوات أصابع غلاظ ليتمكنوا من القبض على الاشياء واوكدها هذه الصناعات . واما آكلات اللحم لما قدّر أن يكون معائشها من الصيد خلقت لهم اكف لطاف مدمجة ذوات براثن ومخالب تصلح لاخذ الصيد ولاتصلح للصناعات، وآكلات النبات لماقدر أن يكن لاذوات صنعة ولاذوات صيد خلقت لبعضها اظلاف تقيها خشونة الارض اذا حاولت طلب الرعي ولبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الارض عند تهيئها للركوب والحمولة .

تأمل التدبير فى خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات أسنان حداد وبراثن شداد وأشداق وأفواه واسعة ، فانه لماقدّر أن يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك ، وأعينت بسلاح وادوات تصلح للصيد ، وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخاليب مهيأة لفعلها .

ولوكانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد اعطيت مالاتحتاج اليه لانها لاتصيد ولاتأكل اللحم ، ولوكانت السباع ذوات اظلاف كانت منعت ماتحتاج اليه ـ أعني السلاح الذى تصيد به وتعيش ـ أفلاترى كيف اعطي كل واحد من الصنفين مايشاكل طبعه بل مافيه صلاحه وبقاؤه .

انظر الى قوائم الحيوان كيف تأتى أزواجاً لتتهيأ للمشي ، ولوكانت افراداً لم يصلح لذلك ، لان الماشي ينقل قوائمه يعتمد على بعض ، فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة ، وذو الاربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين .

وذلك من خلاف ، لان ذا الاربع لوكان ينقل قائمتين من أحد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الاخر لم يثبت على الارض ، فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره وينقل الاخيرتين ايضاً من خلاف فيثبت على الارض ولايسقط اذا مشى .

أماترى الحمار كيف يذل للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعاً منعماً، والبعير لايطيقه عدة رجال لواستعصى كيف كان ينقاد للصبي ، والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرث به، والفرس الكريم يركب السيوف والاسنة بالمواتاة لفارسه ، ولقطيع من الغنم يرعاه واحد ولو تفرقت الغنم فأخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها. وكذلك جميع الاصناف المسخرة للانسان، فبم كانت كذلك الاأنها عدمت العقل والروية، فانها لوكانت تعقل وتتروى في الامور كانت خليقة أن تلتوى على الانسان في كثير من مآربه، حتى يمتنع الجمل على قائده والثور على صاحبه وتتفرق الغنم عن راعيها وأشباه هذا من الأمور .

وكذلك هذه السباع لوكانت ذات عقل وروية فتوازرت على الناس كانت خليقة أن تجتاحهم ، فمن كان يقوم للاسد والذئاب والنمور والدببة لوتعاونت وتظاهرت على الناس ، أفلاترى كيف حجر ذلك عليها وصارت مكان ماكان يخاف من أقدامها ونكايتها تهاب مساكن الناس وتحجم عنها، ثم لاتظهر ولاتنتشر لطلب قوتها الابالليل، فهى مع صولتها كالخائف من الانس بل مقموعة ممنوعة منهم ، ولوكان غير ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيقت عليهم .

ثم جعل في الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحافظ له ، ينتقل على الحيطان والسطوح فى ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبه وذب الذعار عنه ، ويبلغ من محبته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه ودون

ماشيته وماله، ويألفه غاية الالف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة ، فلم طبع الكلب على هذه الالفة والمحبة الاليكون حارساً للانسان عيناً ـ أي جاسوساً ـ له بأنياب ومخاليب ونباح هائل ليذعر منه السارق ويتجنب المواضع التى يحميها ويخفرها .

يامفضل تأمل وجه الدابة كيف هو ، فانك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها لئلا تصدم حائطاً أو تتردى في حفرة ، وترى الفم مشقوقاً شقاً في أسفل الخطم، ولو شق كمكان الفم من الانسان في مقدم الذقن لما استطاع أن يتناول به شيئاً من الارض . ألاترى ان الانسان لايتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمة له على سائر الاكلات ، فلما لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف جعل خرطومها مشقوقاً من اسفله ليقبض على العلف ثم تقضمه ، وأعينت بالجحفلة[1] لتتناول بها ماقرب ومابعد .

اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه ، فانه بمنزلة الطبق على الدبر والحياء جميعاً يواريهما ويسترهما ، ومن منافعها فيه أن ما بين الدبر ومراقي البطن منها وضر يجتمع عليها الذباب والبعوض ، فجعل لها الذنب كالمذبة تذب بها عن تلك المواضع . ومنها ان الدابة تستريح الى تحريكه وتصريفه يمنة ويسرة ، فانه لما كان قيامها على الاربع بأسرها وشغلت المقدمتان بحمل البدن عن التقلب والتصرف كان لها في تحريك الذنب راحة . وفيه منافع أخرى يقصر عنها الوهم فيعرف موقعها فى وقت الحاجة اليها ، فمن ذلك ان الدابة ترتطم في الوحل فلا يكون شيء اعون على نهوضها من الاخذ بذنبها ، وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم . ثم جعل ظهرها مسطحاً مبطحاً على قوائم أربع ليتمكن من ركوبها ، وجعل حياءها بارزاً من وراءها

---

١) الجحفلة للحافر كالشفة للانسان .

ليتمكن الفحل من ضربها ، ولو كان اسفل البطن كما كان الفرج من المرأة لم يتمكن الفحل منها. ألاترى انه لايستطيع ان يأتيها كفاحاً[1] كما يأتى الرجل المرأة

فكّر في خلق الزرافة واختلاف اعضائها وشبهها بأعضاء اصناف من الحيوان، فرأسها رأس فرس وعنقها عنق جمل واظلافها اظلاف بقرة وجلدها جلد نمر ، وزعم ناس من الجهال بالله عز وجل أن نتاجها من فحول شتى ، قالوا وسبب ذلك ان أصنافاً من حيوان البر اذا وردت الماء تنزو على بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص الذى هو كالملتقط من أصناف شتى . وهذا جهل من قائله وقلة معرفة بالباري جل قدسه ، وليس كل صنف من الحيوان يلقح كل صنف ، فلا الفرس يلقح الجمل ولا الجمل يلقح البقر ، وانما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه ، كما يلقح الفرس الحمار فيخرج بينهما البغل ، ويلقح الذئب الضبع فيخرج بينهما السمع . على أنه ليس يكون في الذي يخرج بينهما عضو كل واحد منهما كما في الزرافة ـ عضو من الفرس وعضو من الجمل واظلاف من البقرة ـ بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما ، كالذى تراه في البغل فانك ترى رأسه واذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطاً بين هذه الاعضاء من الفرس والحمار، وشحيحه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار . فهذا دليل على أن الزرافة ليست من لقاح أصناف شتى من الحيوان كما زعم الجاهلون ، بل هى خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لايعجزها شيء ويعلم انه تعالى خالق اصناف الحيوان كلها، يجمع بين مايشاء من اعضائها في أيها شاء ويفرق ماشاء منها في أيها شاء، ويزيد فى الخلقة ماشاء وينقص منها ماشاء، دلالة على قدرته على الاشياء وانه لايعجزه شيء اراده جل وتعالى. فأما طول عنقها والمنفعة لها في ذلك فان منشأها ومرعاها في غياطل ذوات أشجار شاهقة

---

١) اى مستقبلا .

ذاهبة طولا في الهواء ، فهي تحتـاج الى طول العنق لتتناول بفيها أطراف تلك الاشجار فتقوت من ثمارها .

تأمل خلقة القرد وشبهه بالانسان في كثير من اعضائه ـ أعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر ـ وكذلك احشائه شبيهة ايضاً بأحشاء الانسان ، وخص مع ذلك بالذهن والفطنة التى بها يفهم عن سائسه مايؤمى اليه ، ويحكى كثيراً مما يرى الانسان يفعله، حتى أنه يقرب من خلق الانسان وشمائله في التدبير في خلقته على ماهي عليه انيكون عبرة للانسان في نفسه فيعلم انه من طينة البهائم وسنخها ، اذ كان يقرب من خلقها هذا القرب ، وانه لولافضيلة فضله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهـائم . على أن في جسم القرد فضولا أخرى تفرق بينـه وبين الانسان ، كالخطم والذنب المسدل والشعر المجلل للجسم كله . وهذا لم يكن مانعـاً للقرد أن يلحق بالانسان لو أعطى مثل ذهن الانسان وعقله ونطقه ، والفصل الفاصل بينه وبين الانسان بالحقيقة هو النقص في العقل والذهن والنطق.

أنظر يامفضل الى لطف الله جل اسمه بالبهـائم كيف كسيت أجسامها هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف لتقيهـا من البرد وكثرة الافات ، وألبست الاظلاف والحوافر والاخفاف لتقيها من الحفا ، اذ كانت لاأيدى لهـا ولااكف ولااصابع مهيأة للغزل والنسج ، فكفوا بأن جعل كسوتهم في خلقهم باقية عليهم مابقوا لايحتاجون الى تجديدها والاستبدال بها. فأما الانسان فانه ذوحيلة وكف مهيأة للعمل، فهو ينسج ويغزل ويتخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالابعد حال. وله فى ذلك صلاح من جهات : من ذلك انه يشتغل بصنعته اللباس عن العبث وماتخرجه اليه الكفاية ، ومنها أنه يستريح الى خلع كسوته اذا شاء ولبسها اذا شاء ، ومنها ان يتخذ لنفسه من الكسوة ضروباً لها جمال وروعة فيتلذذ بلبسهـا وتبديلها ، وكذلك يتخذ بالرفق من الصنعة ضروباً من الخفاف والنعال يقي بها

قدميه ؛ وفي ذلك معايش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معايشهم ، ومنها اقواتهم واقوات عيالهم ، فصار الشعر والوبر والصوف تقوم للبهائم مقام الكسوة والاظلاف والحوافر والاخفاف مقام الحذاء .

(وماالجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه الاسواء) في اشتمال الكل على حكم لاتعدو كشف الجميع عن مدبر قادر ، قال تعالى « الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .

وفي توحيد المفضل: تأمل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيهانقصاً عما فيه صلاحها ، فمن أين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة الامن التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره. فكر يامفضل في هذه الاشياء التي تراها موجودة معدة في العالم من مآربهم ، فالتراب للبناء ، والحديد للصناعات ، والخشب للسفن وغيرها، والحجارة للارحاء وغيرها، والنحاس للاواني، والذهب والفضة للمعاملة والذخيرة ، والحبوب للغذاء ، والثمار للتفكه ، واللحم للمأكل ، والطيب للتلذذ ، والادوية للتصحح ، والدواب للحمولة ، والحطب للتوقد ، والرماد للكلس ، والرمل للارض ؟ وكم عسى أن يحصي المحصي من هذا وشبهه . أرأيت لوان داخلا دخل داراً فنظر الى خزائن مملوة من كل مايحتاج اليه الناس ورأى مافيها مجموعاً معداً لاسباب معروفة ، أكان يتوهم ان مثل هذا يكون بالاهمال ومن غير عمد ، فكيف يستجيز قائل أن يكون هذا من صنع الطبيعة في العالم ومأأعد فيه من هذه الاشياء .

اعتبر يامفضل بأشياء خلقت لمآرب الانسان ومافيها من التدبير ، فانه خلق له الحب لطعامه وكلف طحنه وعجنه وخبزه ، وخلق له الوبر لكسوته فكلف ندفه وغزله ونسجه، وخلق له الشجر فكلف غرسها وسقيها والقيام عليها، وخلقت له العقاقير لادويته فكلف لقطها وخلطها وصنعها ، وكذلك تجد سائر الاشياء

على هذا المثال. فانظر كيف كفي الخلقة التي لم يكن عنده فيها حيلة وترك عليه في كل شيء من الاشياء موضع عمل وحركة لماله في ذلك من الصلاح ، لانه لو كفي هذا كله حتى لايكون له في الاشياء موضع شغل وعمل لماحملته الارض أشراً وبطراً ، ولبلغ بـه ذلك الى ان يتعاطى اموراً فيها تلف نفسه . ولو كفي الناس كل مايحتاجون اليه لما تهنأوا بالعيش ولاوجدوا لـه لذة ، ألاترى لوان امرءاً نزل بقوم فأقام حينـاً بلغ جميع مايحتاج اليه من مطعم ومشرب وخدمة لتبرم بالفراغ ونازعته نفسه الى التشاغل بشيء، فكيف لو كان عمره مكفياً لايحتاج الى شيء، فكان من صواب التدبير في هذه الاشياء التي خلقت للانسان ان جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة ، ولتكفه عن تعاطي مالاينباله ولاخير فيه أن ناله .

(وكذلك السماء) في توحيد المفضل: فكر في لون السماء ومافيه من صواب التدبير ، فان هذا اللون أشد الالوان موافقة وتقوية للبصر ، حتى أن من صفات الاطباء لمن أصابه شيء اضر ببصره ادمان النظر الى الخضرة وماقرب منها الى السواد ، وقد وصف الحذاق منهم لمن كلّ بصره الاطلاع فى اجانة خضراء مملوة ماء، فانظر كيف جعل الله تعالى اديم السماء بهذا اللون الاخضر الى السواد ليمسك الابصار المتقلبة عليه فلاينكأ فيها بطول مباشرتها لـه ، فصار هذا الذي أدركه النـاس بالفكر والروية والتجارب يوجد مفروغاً منه في الخلقة ، حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون ويفكر فيها الملحدون ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

(والهواء) في توحيد المفضل ـ بعد ذكر حكمة كثرة ماء البحار ـ وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق هذا الانام من الدخان والبخار الذي يتحير فيه ويعجز عما يحول الى السحاب والضباب اولا اولا .

(والرياح) في توحيد المفضل : انبّهك على الريح ومافيها ، ألست ترى

اذا ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد أن يأتي على النفوس ويمرّض الاصحاء وينهك المرضى ويفسد الثمار ويعفن البقول ويعقب الوباء في الابدان والافة في الغلات، ففي هذا بيان أن هبوب الرياح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق. وانبئك عن الهواء بخلة أخرى ، فان الصوت اثر يؤثره اصطكاك الاجسام في الهواء والهواء يؤديه الى المسامع ، والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم ، فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما تبقى الكتابة في القرطاس لامتلأ العالم منه، فكان يكربهم ويفدحهم، وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به الى اكثر مما يحتاج اليه في تجديد القراطيس ، لان مايلفظ من الكلام اكثر ممايكتب، فجعل الخلاق الحكيم جلّ اسمه هذا الهواء قرطاساً خفياً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحى فيعود جديداً نقياً ، ويحمل ماحمل ابداً بلاانقطاع . وحسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة ومافيه من المصالح، فانه حياة هذه الابدان، والممسك لها من داخل بمايستنشق منه من خارج بمايباشر من روحه، وفيه تطرد هذه الاصوات فيؤدي البعد البعيد، وهو الحامل لهذه الارواح ينقلها من موضع الى موضع . ألاترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهبّ الريح، فكذلك الصوت ، وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه ، ومنه هذه الريح الهابة . فالريح تروح عن الاجسام ، وتزجي السحاب من موضع الى موضع ليعم نفعه حتى يستكثف فيمطر، وتفضه حتى يستخف فيتفشى، وتلقح الشجر وتسيّر السفن وترخي الاطعمة وتبرد الاطعمة وتشب النار وتجفف الأشياء الندية .

وبالجملة انها تحيي كل مافي الارض ، فلولا الريح لذوى النبات ولمات الحيوان وحمت الاشياء وفسدت .

(والماء) فيه : اعلم أن رأس معاش الانسان الخبز والماء ، فانظر كيف دبر

الامر فيهمـا ، فان حاجة الانسان الى الماء أشد من حاجته الى الخبز ، وذلك ان صبره على الجوع اكثر من صبره على العطش. والذي يحتاج اليه من الماء اكثر ممايحتاج اليه من الخبز ، لانه يحتاج اليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه. فجعل الماء مبذولا لايشترى ليسقط عن الانسان المؤنة في طلبه وتكلفه، وجعل الخبز متعذراً لاينال الابالحيلة والحركة ليكون للانسان شغل يكفه عما يخرجه اليه الفراغ من الاشر والعبث . ألاترى أن الصبي يدفع الى المؤدب وهو طفل لم يكمل ذاته للتعليم كل ذلك ليشتغل عن اللعب والعبث اللذين ربما جنيا عليه وعلى أهله المكروه العظيم ، وهكذا الانسان لوخلا من الشغـل يخرج من الاشر والبطر الى مايعظم ضرره عليه وعلى من قـرب منه . واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة ورفاهية العيش والترفه ومايخرجه ذلك اليه .

(فانظر الى الشمس) فيه : فكر يامفضل في طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتي النهار والليل ، فلولاطلوعها لبطل أمر العالم كله، فلم يكن الناس يسعون في معايشهم ويتفرقون في امورهم والدنيـا مظلمة عليهم، ولم يكونوا يتهنّـون بالعيش مع فقدهم لذة النور وروحه . والارب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الاطناب في ذكره والزيادة في شرحه . بل تأمل المنفعة في غروبها ، فلولا غروبها لم يكن للناس هدؤ ولاقرار مع عظيم حاجتهم الى الهدء والراحة لسكون أبدانهم وجموم حواسهم ، وانبعاث القوة الهاضمة لهظم الطعام ، وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء. ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته على مايعظم نكايته في أبدانهم ، فان كثيراً من الناس لولا جثـوم هذا الليل بظلمته عليهم لم يكن لهم هدو ولاقرار ، حرصاً على الكسب والجمع والادّخار .

ثم كانت الارض تستحم بدوام الشمس بضيائها ويحمى كل ماعليها من حيوان

ونبات ، فقدرها الله بحكمته وتدبيره تطلع وقتاً وتغرب وقتاً ، بمنزلة سراج يرفع لاهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤا ويقروا ، فصار النور والظلمة مع تضادهما منقادين متظاهرين على مافيه صلاح العالم وقوامه .

ثم فكّر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها، لأقامة هذه الازمنة الاربعة من السنة ومافي ذلك من التدبير والمصلحة، ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات فيتولد فيهما مواد الثمار ، ويتكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر، ويشتدّ أبدان الحيوان وتقوى ، وفي الربيع تتحرك وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وتنور الاشجار ويهيج الحيوان للسفاد ، وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض فتتهيأ للبناء والاعمال ، وفي الخريف يصفو الهواء وترتفع الامراض ويصح الابدان ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الاعمال لطوله ويطيب الهواء فيه ـ الى مصالح أخرى لو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام .

فكر الان في تنقل الشمس في البروج الاثني عشر لاقامة دور السنة ومافي ذلك من التدبير ، فهو الدور الذي تصح به الازمنة الاربعة من السنة ، الشتاء والربيع والصيف والخريف ويستوفيها على التمام. وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار وتنتهي الى غاياتهم ، ثم تعود فيستأنف النشو والنمو . ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل الى الحمل ، فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم الى كلّ وقت وعصر من غابر الايام ، وبها يحسب الناس الاعمار والاوقات الموقتة للديون والاجارات والمعاملات وغير ذلك من أمورهم، وبمسير الشمس تكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحة .

أنظر الى شروقها على العالم ، كيف دبر أن يكون ، فانها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لاتعدوه لماوصل شعاعها ومنفعتها الى كثير من الجهات، لان الجبال والجدران كانت تحجبها عنها ، فجعلت تطلع في أول النهار من المشرق فتشرق على ماقابلها من وجه المغرب ، ثم لاتزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب فتشرق على ماستر عنها في أول النهار ، فلايبقى موضع من المواضع الا أخذ بقسطه من المنفعة منها والارب التي قدرت له ، ولو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف يكون حالهم بل كيف يكون لهم مع ذلك بقاء. أفلاترى كيف كان يكون للناس هذه الامور الجليلة التى لم يكن عندهم فيها حيلة ، فصارت تجري على مجاريها لاتتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم ومافيه بقاؤه .

(والقمر) فيه : استدل بالقمر ، ففيه دلالة جليلة تستعملها العامة فى معرفة الشهور ولا يقوم عليه حساب السنة ، لان دوره لايستوفي الازمنة الاربعة ونشو الثمار .

(والنبات والشجر) فكّر يامفضل فى هذا النبات ومافيه من ضروب المآرب: فالثمار للغذاء ، والاتبان للعلف ، والحطب للوقود ، والخشب لكل شيء من أنواع التجارة وغيرها، واللحاء والورق والاصول والعروق والصموغ لضروب من المنافع . أرأيت لو كنا نجد الثمار التي نغتذي بهامجموعة على الارض ولم تكن تنبت على هذه الاغصان الحاملة لها ، كم يدخل علينا من الخلل في معاشنا، وان كان الغذاء موجوداً فان المنافع بالخشب والحطب والاتبان وساير ماعددناه كثيرة عظيم قدرها جليل موقعها. هذا مع مافي النبات من التلذذ بحسن منظره ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيه .

فكّر يامفضل فى هذا الريع الذي جعل فى الزرع ، فصارت الحبة الواحدة

تخلف مائة حبة واكثر وأقل ، وكان يجوز للحبة أن تأتي بمثلها ، فلم صارت تريع هذا الريع الاليكون في الغلة متسع لمايرد في الارض من البذر، ومايتقوت الزراع الى ادراك زرعها المستقبل . ألا ترى انّ الملك لو أراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطي اهله مايبذرونه في أرضهم ومايقوتهم الى ادراك زرعهم ، فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدم في تدبير الحكيم ، فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بمايحتاج اليه للقوت والزراعة ، وكذلك الشجر والنبت . والنخل يريع الريع الكثير ، فانك ترى الاصل الواحد حوله من فراخه أمراً عظيماً ، فلم كان كذلك . الاّ ليكون فيه مايقطعه الناس ويستعملونه في مآربهم ومايرد فيغرس في الارض، ولو كان الاصل منه منفرداً لايفرخ ولايريع لما امكن أن يقطع منه شيء لعمل ولالغرس، ثم كان ان أصابته آفة انقطع اصله فلم يكن منه خلف .

تأمل يامفضل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلا وماشبه ذلك، فانها تخرج في أوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الافات الى ان تشتد وتستحكم ، كما تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه. واما البرّ وما أشبهه فانه يخرج مدرجاً في قشور صلاب على رؤوسها امثال الاسنة من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزرع .

فان قال قائل : أو ليس قد ينال الطير من البر والحبوب . قيل له : بلى على هذا قدر الامر فيها . لان الطير خلق من خلق الله تعالى، وقد جعل الله تعالى له فيما يخرج الارض حظاً ، ولكن حصنت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكن فيعبث فيها ويفسد الفساد الفاحش ، فانّ الطير لو صادف الحب بارزاً ليس عليه شيء تحول دونه لاكبّ عليه حتى ينسفه اصلا ، فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت ويخرج الزارع من زرعه صفراً، فجعلت

عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطير منه شيئاً يتقوّت به ويبقى اكثره للانسان، فانه أولى به اذكان هو الذي كدح فيه وشقى به ، وكان الذي يحتاج اليه اكثر مما يحتاج اليه الطير .

فكّر في هذه العقاقير وماخصّ به كل واحد منها من العمل فى بعض الادواء، فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج ، وهذا ينزف المرة السوداء مثل الأفتيمون ، وهذا ينفى الرياح مثل السكبينج ، وهذا يحلل الاورام وأشباه هذا من افعالها . فمن جعل هذه القوى فيها الامن خلقها للمنفعة، ومن فطن الناس لها الامن جعل هذا فيها، ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال القائلون . وهب انّ الانسان فطن لهذه الاشياء بذهنه ولطيف رويته وتجاربه ، فالبهائم كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحه ان أصابته ببعض العقاقير فيبرأ ، وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم ، وأشباه هذا كثير .

ولعلك تشكك فى هذا النبات النابت فى الصحاري والبراري حيث لاانس ولاأنيس، فتظنّ أنه فضل لاحاجة اليه، وليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش وحبه علف للطير وأفنانه حطب فيستعمله الناس، وفيه بعد أشياء تعالج بها الابدان وأخرى تدبغ بها الجلود واخرى تصبغ الامتعة ، واشباه هذا من المصالح . ألست تعلم أن من أخسّ النبات وأحقره هذا البردى وماأشبهها ، ففيها مع هذا من ضروب المنافع ، فقد يتخذ من البردى القراطيس التي يحتاج اليها الملوك والسوقة ، والحصر التى يستعملها كل صنف من الناس ، ويعمل منه الغلف التي يوقّى بها الاوانى، ويجعل حشواً بين الظروف فى الاسفاط لكيلا تعيب وتنكسر، وأشباه هذا من المنافع .

واعتبر بما ترى من ضروب المآرب فى صغير الخلق وكبيره وبماله قيمة

ومالا قيمةله، وأخسّ من هذا وأحقره الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معاً، وموقعها من الزروع والبقول والخضر أجمع الموقع الذي لايعدله شيء ، حتى ان كل شيء من الخضر لايصلح ولايزكو الا بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس ويكرهون الدنو منه .

واعلم أنه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته ، بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين ، وربما كان الخسيس فى سوق المكتسب نفيساً فى سوق العلم ، فلا تستصغر العبرة فى الشيء لصغر قيمته ، فلوفطن طالبو الكيمياء لما فى العذرة لاشتروها بأنفس الاثمان وغالوا بها .

(والماء والحجر) الظاهر انه عليه السلام أراد فى الجمع بينهما انه تعالى خالق ماهو فى اللينة كالماء وماهو فى الصلابة كالحجر ، فهو خالق الضدين ، ولا يكون خلق الضدين الا عن كمال قدرة وعن تدبير حكيم لاخصوص الماء والحجر .

(واختلاف هذا الليل والنهار) مر الكلام فى أصلهما ، وأما فى مقدارهما فقد قال الصادق عليه السلام للمفضل : فكّر في مقادير النهار والليل كيف وقعت على مافيه صلاح هذا الخلق ، فصار منتهى كل واحد منهما اذا امتدّ الى خمس عشرة ساعة لايجاوز ذلك، افرأيت لوكان النهار مقداره مائة ساعة اومائتي ساعة، ألم يكن فى ذلك بوار كل مافي الارض من حيوان ونبات ، أما الحيوان فكان لايهدأ ولايقرّ طول هذه المدة ، والبهائم ماكانت تمسك عن الرعي لودام لها ضوء النهار، ولاالانسان كان يفتر عن العمل والحركة، وكان ذلك ينهكها أجمع ويؤديّها الى التلف. وأماالنبات فكان عليه حرّ النهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق ، وكذلك الليل لو أمتد مقدار هذه المدة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرف فى طلب المعاش حتى يموت جوعاً ، وتخمد الحرارة

الطبيعية عن النبات حتى يعفن ويفسد ، كالذي تراه يحدث على النبات اذا كان في موضع لاتطلع عليه الشمس .

(وتفجّر هذه البحار) قال الصادق عليه السلام للمفضل : فان شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت ما الارب فيه، فاعلم أنه مكتنف ومضطرب مالايحصى من أصناف السمك ودواب البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر، وأصناف شتى تستخرج من البحر وفي سواحله منابت العود اليلنجوج وضروب من الطيب والعقاقير. ثم هو بعد مركب للناس ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة ، كمثل مايجلب من الصين الى العراق ومن العراق الى الصين ، فان هذه التجارات لو لم يكن لها محمل الا على الظهر لبارت وبقيت في بلدانها وأيدي اهلها ، لان أجر حملها يجاوز أثمانها فلايتعرض احد لحملها ، وكان يجتمع في ذلك أمران : احدهما فقد اشياء كثيرة تعظم الحاجة اليها ، والاخر انقطاع معاش من يحملها ويتعيش بفضلها .

(وكثرة هذه الجبال وطول هذه القلال) قال عليه السلام للمفضل : أنظر الى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة التي يحسبها الغافلون فضلا لاحاجة اليها ، والمنافع فيها كثيرة : فمن ذلك أن تسقط عليها الثلوج فتبقى في قلالها لمن يحتاج اليه ويذوب ماذاب منه، فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الانهار العظام ، وينبت فيها ضروب من النبات والعقاقير التي لاينبت مثلها في السهل ، ويكون فيها كهوف ومعاقل للوحوش من السباع العادية ، ويتخذ منها الحصون والقلاع المنيعة للتحرز من الاعداء ، وينحت منها الحجارة للبناء والارحاء ، ويوجد فيها معادن لضروب من الجواهر ، وفيها خلال أخر لايعرفها الا المقدّر لها في سابق علمه .

(وتفرق هذه اللغات والالسن المختلفات) قد حقق في فلسفة اللغات أن الاصل

فيها حكاية الاصوات ، الا أن الطبـائع مختلفة في التعبير عنها ، فحصل التفرق والاختلاف ، مثـل « قطـا » فى العربية و « كغا » فى الفارسية و « خشب » فى العربية و « چوب » فى الفارسية ، ومثل « الطائر » فى العربية و « پرنده » فى الفارسية و «بيرد» فى الافرنجية و «بهنده» فى التسترية فكلها حكاية صوت الطيران، كما أن الاول حكاية صوت نغمته والثاني حكاية صوت الضرب به .

كما قد يحصل الاشتراك من الحكايه لتشابه صوت طبيعتين مثل «شير» في الفارسية للبن حكاية صوت حلبه وللاسد حكاية زئيره، وهو أحد الايات على وجود الصانع لايجاده اختلاف الطبائع « ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم » .

(فالويل لمن جحد المقدر وأنكر المدبر) قال الصادق عليه السلام للمفضل: فكّر في وصول الغذاء الى البدن ومافيه من التدبير، فان الطعام يصير الى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه الى الكبد في عروق دقاق وأشجة بينهما، قد جعلت كالمصفى للغذاء لكيلا يصل الى الكبد منه شيء فينكأها ، وذلك ان الكبد رقيقة لاتحتمل العنف .

ثم ان الكبد تقبلـه فيستحيل بلطف التدبير دماً وينفذه الى البدن كلـه في مجارى مهيأة لذلك ، بمنزلة المجاري التى تهيأ للماء ليطرد في الارض كلها ، وينفذ مايخرج منه من الخبث والفضول الى مغائض قد أعدت لذلك ، فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى الى المرارة، وماكان من جنس السوداء جرى الى الطحال ، وماكان من البلة والرطوبة جرى الى المثانة .

فتأمل حكمة التدبير فى تركيب البدن ووضع هذه الاعضاء منه مواضعها واعداد هذه الاوعية فيه لتحمل تلك الفضول، لئلا تنتشر فى البدن فتسقمه وتنهكه. فتبارك من أحسن التقدير وأحكم التدبير ، وله الحمد كما هو أهله ومستحقه .

(زعموا أنهم كالنبات مالهم زارع ولا لاختلاف صورهم صانع) مع أن

اختلاف صورهم كأصل ايجادهم آية واضحة لمبدعهم ، وقد قررهم نوح عليه السلام به فقال « مالكم لاترجون لله وقاراً * وقد خلقكم أطواراً » .

قال الصادق عليه السلام للمفضل : اعتبر لم لايتشابه النـاس واحد بالاخر كما تتشابه الوحوش والطير وغير ذلك ، فانك ترى السرب من الظباء والقطا تتشابه حتى لايفرق بين واحد وبين الاخرى، وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لايكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة. والعلة في ذلك أن الناس محتاجون الى أن يتعارفوا بأعيانهم وحلاهم لمايجري بينهم من المعاملات ، وليس يجرى بين البهائم مثل ذلك فيحتاج الى معرفة كل واحد منهم بعينه وحليته . ألاترى أن التشـابه فى الطير والوحش لايضرها شيئاً ، وليس كذلك الانسان فانه ربما تشابه التوأمان تشابهاً شديداً فتعظم المؤنة على الناس في معاملتهما حتى يعطى احدهما بالاخر ويؤخذ بذنب احدهما الاخر ، وقد يحدث مثل هذا فى تشـابه الاشياء فضلا عن تشابه الصور، فمن لطف بعباده بهذه الدقائق التي لاتكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب الا من وسعت رحمته كل شيء . ولو رأيت تمثال الانسان مصوراً على حائط وقال لك قائل ان هذا ظهر هنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع، أكنت تقبل ذلك بل كنت تستهزىء به، فكيف تنكر هذا في تمثال مصور جماد ولاتنكره فى الانسان الحي الناطق .

(ولم يلجأوا الى حجة فيما ادعوا) «قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » .

(ولاتحقيق لما اوعوا) بفتح الهمزة أي اضمروا ، قال تعالى « والله أعلم بما يوعون » .

وفى توحيد المفضل : ان الشكاك جهلوا الاسباب والمعـاني في الخلقة ، وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرء البـاري جل قدسه وبرء من صنوف خلقه فى البر والبحر والسهل والوعر ، فخرجوا بقصر علومهم الى

الجحود وبضعف بصائرهم الى التكذيب والعنود ، حتى أنكروا خلق الاشياء وادعوا أن تكونها بالاهمال، لاصنعة فيها ولاتقدير ولاحكمة من مدبر ولاصانع، تعالى الله عمايصفون وقاتلهم الله أنى يؤفكون .

فهم فى ضلالهم وغيهم وتجبرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بنيت أتقن بناءوأحسنه، وفرشت بأحسن الفرش وأفخره، واعدفيها ضروب الاطعمةوالاشربة والملابس والمآرب التي يحتاج اليها ولايستغنى عنها، ووضع كل شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير وحكمة من التدبير ، فجعلوا يتردّون فيهايميناً وشمالا ويطوفون بيوتها ادباراً واقبالا ، محجوبة أبصارهم عنها لايبصرون بنية الدار وما أعدّ فيها ، وربما عثر بعضهم بالشيء الذي قد وضع موضعه وأعد للحاجةاليه وهو جاهل للمعنى فيه ولمااعدّ ولماذا جعل كذلك، فتذمروتسخّط وذم الدار وبانيها .

فهذا حال هذا الصنف في انكارهم ماانكروا من أمر الخلقة وثبات الصنعة، فانهم لما عزبت أذهانهم عن معرفة الاسباب والعلل فى الاشياء صاروا يجولون فى هذا العالم حيارى ، فلايفهمون ماهو عليه من اتقان خلقته وحسن صنعته وصواب هيئته .

وربما وقف بعضهم على الشيء يجهل سببه والارب فيه فيسرع الى ذمه ووصفه بالاحالة والخطأ، كالذى أقدمت عليهالمنانية ـ اصحاب المانى ـ الكفرة، وجاهرت به الملاحدة المارقة الفجرة ، وأشباههم من اهل الضلال المعلّلين أنفسهم بالمحال .

(وهل يكون بناء من غير بان) اشارة الى عدم امكان وجودهم من غير موجد .

وفى توحيد المفضل: فكّر فى أعضاء البدن اجمع وتدبير كل منها للارب،

فاليدان للعلاج، والرجلان للسعي، والعينان للاهتداء، والفم للاغتذاء، والمعدة للهضم، والكبد للتخليص، والمنافذ لتنفيذ الفضول، والاوعية لحملها، والفرج لاقامة النسل، وكذلك جميع الاعضاء اذا ماتأملتها وأعملت فكرك فيها وجدت كل شيء منها قد قدّر لشيء على صواب وحكمة.

فقال المفضل له عليه السلام: ان قوماً يزعمون أن هذا من فعل الطبيعة. فقال عليه السلام: سلهم عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الافعال أم ليست كذلك، فان أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من اثبات الخالق فان هذا صفته، وان زعموا أنها تفعل هذه الافعال بغير علم ولا عمد وكان في أفعالها ماقد تراه من الصواب والحكمة علم ان هذا الفعل لخالق حكيم، فان الذي سموه طبيعة هو سنته في خلقه الجارية على ماأجراها عليه.

(اوجناية) هكذا في النسخ، والظاهر كونه مصحف « جنى » توهماً من النساخ ان « جـان » بعده من الجنايه فحرّفوا (من غير جـان) من « جنيت الثمرة »، اشارة الى عدم امكان فنائهم بغير مفن كما في عدم امكان وجودهم بغير موجد فكانوا يقولون « ماهي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيى ومايهلكنا الا الدهر ». قال تعالى « فلولا اذا بلغت الحلقوم * وانتم حينئذ تنظرون * ونحن أقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون * فلولا ان كنتم غير مدينين * ترجعونها ان كنتم صادقين ».

وايضاً لو كان فناؤهم من غير مفن لكان الواجب ألايموت احد غير من قتل الابعد خمود الحرارة الغريزية، كما لم ينهدم بناء الابعد زوال استمساك اجزائه، ولم نر أحداً وصل الى الخمود.

هذا، وقد قال حد « وهذه كلمة ساقته اليها القرينة، والمراد عموم الفعلية لاخصوص الجناية، أي مستحيل ان يكون الفعل من غير الفاعل ».

فيقال له: هل كان عليه السلام شاعراً اضطرته القافية، ولكن « حد » كما

قيل بالفارسية « سخن شناس نه اى دلبرا خطا اينجا است » .

وفى توحيد المفضل: ومما ينتقده الجاحدون للعمد والتقدير الموت والفناء، فانهم يذهبون الى انه ينبغى أن يكون الناس مخلدين فى هذه الدنيا مبرئين من هذه الافات ، فينبغى أن يساق هذا الامر الى غايته فينظر مامحصوله ، افرأيت لو كان كل من دخل العالم ويدخله يبقون ولايموت احد منهم ، ألم تكن الارض تضيق بهم حتى تعوزهم المساكن والمزارع والمعايش ، فانهم والموت يفنيهم أولا فأولا يتنافسون فى المساكن والمزارع، حتى تنشب بينهم فى ذلك الحروب وتسفك فيهم الدماء . فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولايموتون ، وكان يغلب عليهم الحرص والشره وقساوة القلوب ، فلو وثقوا بأنهم لايموتون لما قنع الواحد منهم بشىء يناله ، ولاأفرج لاحد عن شىء يسأله ، ولاسلا عن شىء مما يحدث عليه ، ثم كانوا يملون الحياة وكل شىء من أمور الدنيا كما قد يمل الحياة من طال عمره حتى يتمنى الموت والراحة من الدنيا .

فان قالوا : انه كان ينبغي أن يرفع عنهم المكاره والاوصاب حتى لايتمنوا الموت ولايشتاقوا اليه . فقد وصفنا ماكان يخرجهم اليه العتو والاشر الحامل لهم على مافيه فساد الدنيا والدين .

وان قالوا: انه كان ينبغي ألايتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن والمعايش. قيل لهم : اذن كان يحرم اكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله تعالى ومواهبه فى الدارين جميعاً اذا لم يدخل العالم الا قرن واحد لايتوالدون ولايتناسلون .

فان قالوا : انه كان ينبغي أن يخلق فى ذلك القرن الواحد من الناس مثل ماخلق ويخلق الى انقضاء العالم . يقال لهم : رجع الامر الى ماذكرنا من ضيق المساكن والمعايش عنهم ، ثم لو كانوا لايتوالدون ولايتناسلون لذهب موضع

الانس بالقرابات وذوي الارحام والانتصار بهم عند الشدائد ، وموضع تربية الاولاد والسرور بهم . ففى هذا دليل على أن كل ماتذهب اليه الاوهام سوى ماجرى به التدبير خطأ وسفه من الرأي والقول .

(وان شئت قلت فى الجرادة) قال تعالى « يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر » .

وفى الدميرى ـ ونقله « خو » ايضاً ـ الجراد اذا خرج من بيضه يقال له الدبى ، فاذا طلعت أجنحته وكبرت فهو الغوغاء ، وذلك حين يموج بعضه فى بعض ، فاذا بدت فيه الالوان واصفرت الذكور واسودت الاناث سمى جراداً ، واذاراد أن يبيض التمس لبيضه المواضع الصلدة والصخور الصلبة التي لاتعمل فيها المعاول ، فيضربها بذنبه فتصدع له فيلقى بيضه فى ذلك الصدع فيكون له كالافحوص ويكون حاضناً له ومربياً ، وللجراده ست أرجل ويدان فى صدرها وقائمتان فى وسطها ورجلان فى مؤخرها ، وطرفا رجليها منشاران ، وهو من الحيوان المنقاد لرئيسه ، فيجتمع كالعسكر اذاظعن أوله تتابع جميعه ظاعناً واذا نزل أوله نزل جميعه ، ولعابه سم نافع للنبات .

(اذ خلق لها عينين حمراوين وأسرج لها حدقتين قمراوين) أي بيضاوين .

(وجعل لها السمع الخفي) حتى لم يعلم محل سامعتها (وفتح لها الفم السوي) اى المستوي .

(وجعل لها الحس القوي) الظاهر أن المراد به شمه وان كان يطلق على السمع والبصر والذوق واللمس ايضاً .

(ونابين) قال الفيروزآبادى : الناب السن خلف الرباعية ، جمعه أنياب (بها تقرض) أي تقطع .

(ومنجلين) المنجل مايحصد به (بهما تقبض يرهبها الزراع فى زرعهم) .

قال اعرابى ـ كما في الصناعتين ـ باكرنا وسمى ثم خلفه ولى ، فالارض كأنها وشي منشور عليه لؤلؤ منثور ، ثم أتتنا غيوم من جراد بمناجل حصاد ، فأخربت البلاد وأهلكت العباد .

وفى الدميرى: وقعت جرادة بين يدي النبى صلى الله عليه وآله، فاذا مكتوب على جناحيها بالعبرانية « نحن جند الله الاكبر ولنا تسع وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لاكلنا الدنيا بما فيها » .

وفيه عن النبى صلى الله عليه وآله : مكتوب على الجرادة « أنا الله لااله الاأنارب الجراد ورازقها ، ان شئت بعثتها رزقاً لقوم وان شئت بعثتها بلاء على قوم » .

(ولايستطيعون ذبّها) أي دفعها .

فى الدميرى : قال الاصمعى : اتيت البادية فاذا أعرابى زرع براً له ، فلما قام على سوقه أتاه رجل جراد فجعل الرجل ينظر اليه ولايدري كيف الحيلة فيه، فأنشأ يقول :

مر الجراد على زرعي فقلت له ... لاتأكلن ولا تشغل بافساد

فقام منهم خطيب فوق سنبله ... أنا على سفر لابد من زاد

(ولو أجلبوا) أي تجمّعوا (بجمعهم حتى ترد الحرث فى نزواتها) اى توثباتها وتسرعاتها (وتقضى منه شهواتها) فى بديع ابن المعتز : قال اود بن مالك بن زيد ابن كهلان ـ وهو طي ـ فى وصيته لولده: لاتكونوا كالجراد اكل ماوجد واكله من وجده .

(وخلقها كله لايكون اصبعاً مستدقة) أي دقيقة .

فى الدميرى : فى الجراد خلقة عشرة من جبابرة الحيوان مع ضعفه : وجه فرس ، وعينا فيل، وعنق ثور، وقرنا ايل ، وصدر أسد ، وبطن عقرب ، وجناحا

نسر ، وفخذا جمل ، ورجلا نعامة ، وذنب حية . وقد أحسن محيى الدين فى وصفه :

لهـا فخذا بكر وساقـا نعامة وقـادمتا نسر وجؤجؤ ضيغم

حبتهاافاعى الارض بطناًوانعمت عليهاجياد الخيل بالراس والفم

وفى توحيد المفضـل : انظر الى هذا الجراد ماأضعفه واقواه ، فانك اذا تأملت خلقه رأيته كأضعف الاشياء ، وان دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه ، ألاترى ان ّ ملكاً من الملوك لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك، أفليس من الدلائل على قدرة الخالق ان يبعث أضعف خلقه الى أقوى خلقه فلايستطيع دفعه . أنظر اليه كيف ينساب على وجه الارض مثل السيل ، فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر حتى يستر نور الشمس بكثرته ، فلو كان هذا مما يصنع بالايدي متى كان يجتمع منه هذه الكثرة وفى كم سنة كان يرتفع ، فاستدل بذلك على القدرة التى لايؤدها شىء ولايكثر عليه .

وفى المعجم : فى الجراد طير اذا طار بسط واذا دنـا من الارض لطع ، رجلاه كالمنشار وعيناه كالزجاج، عينه فى جبينه ورجله أطول من قامته، جيدها كجيد البقر ورأسها كرأس الفرس وقرنها كقرن الوعل ورجلها كرجل الجمـل وبطنها كبطن الحية ، تطير بأربعة اجنحة وتأكل بلسانها ، فتبارك الله ماأحسنها وأحسن مافيها ، انهام طعام طاهر حياً وميتاً ، تجدب أقواماً وتخصب آخرين ـ يعنى اذادخلت البوادي والفيافي ومواضع الرمال فهي خصب لهم وميره ، واذا حلت بمادي الزرع والاشجار فهى جدب لانها تأتى على الشوك والشجر والرطب واليابس فلاتبقي ولاتذر .

وفيه عن ابن عباس : مكتوب على جناح الجراد « انا نغلي الاسعـار مع تدفق الانهار » .

وقال بعض الخطبـاء : ان الله سبحانه خلق خلقاً وسماها جراداً ، وألبسها أجلاداً ، وجندها اجناداً ، وأدمجها ادماجاً، وكساها من الوشي ديباجاً ، وجعل لها ذرية وأزواجاً، اذا أقبلت خلتها سحاباً أوعجاجاً، واذا أدبرت حسبتها قوافل وحجاجاً، مزخرفة المقاديم مزبرجة المآخير، مزوقة الاطراف منقطعة الاخفاف، منمنمة الحواشي منـّمقة الغواشي ، ذات أردية مزعفرة واكسية معصفرة وأخفية مخططة ، معتدلة قامتها مؤتلفة خلقتها مختلفة حليتها ، موصولة المفاصل مدرجة الحواصل، تسعى وتحتال وتميس وتختال وتطوف وتجتال. فتبارك خالقها وتعالى رازقها، أوسعها رزقاً وأتقنها خلقاً وفتق منها رتقاً، وشبح أعراقها وألجم أعناقها، وطوقها أطواقها وقسم معايشها وارزاقها ، تنظر شزراً من وراءها وترقب النازل من سمائها وتحرس الدائر من حولها ، سلاحها عتيد وبأسها شديد ومضرتها تعديد ، تدب على ست وتطير ، فسبحان من خلقها خلقاً عجيباً ، وجعل لها من كل ثمر وشجر نصيبـاً ، جعل لها ادباراً واقبالا وطلباً واحتيالا ، حتى دبـّت ودرجت وخرجت ودخلت ونزلت وعرجت، مع المنظر الأنيق والعصب الدقيق والبدن الرقيق ، هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه .

(فتبارك الذي يسجد له من في السماوات والارض طوعاً وكرهاً) الاصل فيه قوله تعالى « ولله يسجد من فى السموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ والاصال » .

(ويعنو) هكذا فى المصرية والصواب « ويعفـّر » من عفـّره فى التراب : مرغه فيه ، كما فى « حد » و « ثم » والخطية ، وان كان «يعنو» صحيحاً من حيث المعنى ، كقوله تعالى « وعنت الوجوه للحيّ القيوم » .

(ويلقى) أى يرمى (اليه بالطاعة) هكذا فى المصرية والصواب « بالطاعة اليه » كما فى «حد» و «ثم» والخطية (سلماً وضعفاً) « وله أسلم من في السماوات

والارض طوعاً وكرهاً واليه ترجعون » .

(ويعطي له القياد) أى الانقياد (رهبة وخوفاً) « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا طائعين » .

هذا ، وعن المدائني: ركب يزيد النهشلى بعيراً فقال: اللهم انك قلت «وما كنا له مقرنين » وانى لبعيرى هـذا لمقرن ، فنفربه بعيره فطرحه وبقيت رجله فى الغرز، فجعل يضرب برأسه كل حجر ومدر حتى مات .

(فالطير مسخرة لامره) « ألم تر ان الله يسبح له من فى السماوات والارض والطير صافات » .

فى توحيد المفضل : تأمل جسم الطـائر وخلقته ، فانه حين قدر أن يكون طائراً فى الجوّ خفف جسمه وأدمج خلقه واقتصر بـه من القوائم الاربع على اثنتين ومن الاصابع الخمس على اربع ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما ، ثم خلق ذاجؤجؤ محدّد ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيفما أخذ فيه، كما جعلت السفينة بهذه الهيئة لتشقّ الماء وتنفذ فيه ، وجعل فى جناحيه وذنبه ريشـات طوال متان لينهض بها للطيران ، وكسى كـله الريش ليتداخله الهواء فيقله، ولما قدر أن يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعاً بلامضغ نقص من خلقه الأسنان وخلق له منقار صلب جاسي يتناول به طعمه ، فلاينسحج من لقط الحب ولايتقصف من نهش اللحم ، ولمـا عدم الاسنان وصار يزدرد الحبّ واللحم غريضاً أعين بفضل حرارة فى الجوف تطحن له الطعم طحناً يستغنى به عن المضغ. واعتبر ذلك بأن عجم العنب وغيره يخرج من أجواف الانس صحيحاً ويطحن في أجواف الطير لايرى له اثر. ثم جعل مما تبيض ولاتلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران ، فانه لوكانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لاثقلته وعاقته عن الطيران ، فجعل كل شيء خلقه مشاكلا للامر الذي قدّر أن يكون عليه .

(أحصى عدد الريش منها والنفس) كما أحصى عدد أنفاس البشر، قال تعالى

« انما نعدّ لهم عداً » .

(وأرسى) أي أثبت (قوائمها على الندى) أي البليل ، كما فى طير البحر (واليبس) كما فى طير البر .

(وقدّر) هكذا فى المصرية ، والصواب « قدر » كما فى حد و ثم والخطية (أقواتها) حتى للفراخ فى البيض وطير الليل .

وفى توحيد المفضل: اعتبر بخلق البيضة ومافيها من المخ الاصفر الخاثر والماء الابيض الرقيق ، فبعضه ينشو منه الفرخ ، وبعضه يغتذي به الى أن تنقاب عنه البيضة ، ومافى ذلك من التدبير ، فانه لو كان نشو الفرخ فى تلك القشرة المستحفظة التى لامساغ لشيء اليها ماجعل معه فى جوفها من الغذاء مايكتفى به الى وقت خروجه منها كان كمن يحبس فى حبس حصين لايوصل الى من فيه فيجعل معه من القوت مايكتفى به الى وقت خروجه منه .

وفيه: يامفضل أعلمت ماطعم هذه الاصناف من الطير التي لاتخرج الا بالليل كمثل البوم والهام والخفاش ؟ قال : لا . قال : ان معاشها من ضروب تنتشر في الجو من البعوض والفراش وأشباه الجراد واليعاسيب، وذلك أن هذه الضروب مبثوثة فى الجو لايخلو منها موضع .

(وأحصى أجناسها) « ومامن دابة فى الارض ولاطائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شيء » .

هذا ، وفى الدميرى قال بعض الحكماء : كل انسان مع شكله كما أن كل طير مع جنسه .

وكان مالك بن دينار يقول : لايتفق اثنان الا وفى أحدهما وصف من الاخر، فان أشكال الناس كأجناس الطير، ولايتفق نوعان منه فى طيران الا لمناسبة بينهما، فرأى يوماً حمامة مع غراب فعجب من اتفاقهما وليسا من شكل واحد ، فلما

مشيا اذا هما أعرجان فقال : من ههنا اتفقا .

(فهذا غراب) فى الدميري : سمي الغراب لسواده ، ومنه قولـه تعالى « وغرابيب سود » وهمـا لفظان بمعنى واحد . وجمع ابن مالك صيغ جمعه فى قوله :

بالغرب اجمع غراباً ثم أغربة وأغرب وغرابين وغربـان

وقال الشاعر :

ان الغراب ـ وكان يمشى مشية فيما مضى من سالف الاجيال ـ
حسدالقطاة ورام يمشي مشيها فأصـابه ضرب من العقـال
فأضـل مشيته واخطـأ مشيهـا فلذلك سمّوه ابـا مرقال

وهو اصناف : الغداف ، والزاغ، والاكحل، وغراب الزريج ، والاورق، وهـذا الصنف يحكى جميع مايسمعه ، والاعصم ـ وهـو عزيز الوجود ، قالت العرب « أعز من الغراب الاعصم » وقال النبى صلى الله عليه وآله « مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الاعصم فى مائة غراب » وغراب الليل ، قال الجاحظ هو غراب ترك اخلاق الغربان وتشبّه بأخلاق البوم .

وقال أرسطاطاليس: الغربان أربعة اجناس: اسود حالك ، وأبلق، ومطرف ببياض لطيف الجرم يأكل الحب ، واسود طاوسي براق الريش ورجلاه كلون المرجان يعرف بالزاغ .

وفى الغراب كله الاستتار بالسفاد ، يسفد مواجهة ولايعود الى الانثى بعد ذلك لقلة وفائه . والانثى تبيض أربع بيضات وخمساً ، واذا خرجت الفراخ من البيض طردتها لانهاتخرج قبيحةالمنظر جداً، اذتكون صغار الاجرام كبيرالرؤس والمناقير جرداء اللون متفاوتة الاعضاء ، فالابوان ينظران الفرخ كذلك فيتركانه فيجعل الله قوته فى الذباب والبعوض الكائن فى عشه الى أن يقوى وينبت ريشه

فيعود اليه ابواه، وعلى الانثى ان تحضن وعلى الذكر انيأتيها بالمطعم . وفى طبع الغراب انه لايتعاطى الصيد بل ان وجد جيفة اكل منها والامات جوعاً ، ويتقمقم كما يتقمقم ضعاف الطير، وفيه حذرشديد وتنافر. والغداف يقاتل البوم ويخطف بيضها ويأكل بيضها ، ومن عجيب امره ان الانسان اذا أراد ان يأخذ فراخه يحمل الذكر والانثى فى ارجلهما الحجارة ويتحلقان الجو ويطرحان الحجارة عليه ، والعرب تتشأم بالغراب ولذا اشتقوا من اسمه الغربة .

وقال صاحب المجالسة : سمي غراب البين لانه بان عن نوح عليه السلام لما وجهه لينظر الى الماء فذهب ولم يرجع . وذكر ابن قتيبة انه سمي فاسقاً فيماأرى لتخلفه حين ارسله نوح عليه السلام ليأتيه بخبرالارض فترك امره ووقع على جيفة ، قال عنترة :

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى بينهم الغراب الابقع

وقال صاحب منطق الطير : الغربان جنس من الاجناس التى امربقتلها فى الحل والحرم من الفواسق . وقال الجاحظ: غراب البين نوعان : غراب صغير معروف باللؤم والضعف، وآخر ينزل فى دورالناس ويقع على مواضع اقامتهم اذا ارتحلوا عنها . ويقال : اذا صاح الغراب مرتين فهو شر واذا صاح ثلاث فهو خير .

ولمّا كان صافي البصر حاده سمي اعور ، قال الجاحظ سموه بالاعور تطيّراً منه وليس به عور ، وقيل انما سموه اعور تفؤلا بالسلامة منه كماسموا البرية بالمفازة واليد الشمال باليسار ، وقيل انما سموه أعور لتغميض احدى عينيه أبداً من قوة بصره ، قاله ابن الاعرابى .

وحكى المسعودي عن بعض حكماء الفرس قال: أخذت من كل شيء أحسن مافيه حتى انتهيت فى ذلك الى الكلب والهرة والخنزير والغراب، قال : فأخذت

من الكلب الفه لاهله وذبه عن صاحبه، ومن الهرة حسن تأنيها وتملقها عند المسألة، ومن الخنزير بكوره فى حوائجه ، ومن الغراب شدة حذره . وقالوا أغرب من الغراب، واشبه بالغراب، من الغراب .

(وهذا عقاب) قال :

عقاب عقنبـاة كأن وظيفهـا وخرطومها الاعلى بنار ملـوّح

وفى الدميرى : والعرب تسمي العقاب الكاسر ، وهى مؤنثة اللفظ ، وقيل يقع على الذكر والانثى وتمييزه باسم الاشارة .

وفى الكامل : العقـاب سيد الطيور والانثى منه تسمى لقوة ، وقال الخليل اللقوة بالفتح والكسر العقاب السريعة الطيران .

وتسمى العقاب عنقاء مغرب لانها تأتى من مكان بعيد: فمنها مايأوى الجبال، ومنها مايأوى الصحارى ، ومايأوى الغياض ، ومايأوى حول المدن .

وقال ابن خلكان فى العماد الكاتب : العقاب جميعه أنثى، وان الذى يسافده طير آخر من غير جنسه ، وقيل ان الثعلب يسافده ، وهذا من العجائب ، ولابن عنين الشاعر فى ابن سيدة :

ماأنت الاكالعقـاب فأمه معروفة وله أب مجهول

والعقاب تبيض ثلاث بيضات فى الغالب وتحضنها ثلاثين يوماً ، وماعداها من الجوارح يبيض بيضتين ويحضن عشرين يوماً . فاذا خرجت فراخ العقاب ألقت واحداً منها لانه يثقل عليها طعم الثلاث وذلك لقلة صيدها ، والفرخ الذي يلقيه يعطف عليه طائر آخر يسمى كاسر العظام ، ومن عادة هذا الطائر أن يزق كل فرخ ضائع. والعقاب خفيفة الجناح سريعة الطيران، وتقغدى بالعراق وتتعشى باليمن ، وريشها الذي عليها فروتها في الشتاء وحليتها فى الصيف ، ومتى ثقلت عن النهوض وعميت حملتها الفراخ على ظهورها ونقلتها من مكان الى مكان ،

فعند ذلك تلتمس لها غياضاً من أرض الهند على رأس جبل فيغمسا فيها ثم تضعها فى شعاع الشمس فيسقط ريشها وينبت لها ريش جديد وتذهب ظلمة بصرها ثم تغوص فى تلك العين ، فاذا هي قد عادت شابة كما كانت .

قال التوحيدى: ومن عجيب ماألهمته انها اذا اشتكت اكبادها اكلت اكباد الارانب والثعالب فتبرء ، وهى تأكل الحيات الارؤوسها والطيور الاقلوبها ، قال امرؤالقيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقال طرفة :

كأن قلوب الطير فى قعر عشها نوى القسب ملقى عند بعض المآدب

وقيل لبشار : لوخيرك الله أن تكون حيواناً ماذا تختار ؟ قال : العقاب لانها تلبث حيث لايبلغها سبع ولاذوأربع، وتحيد عنها سباع الطير، ولاتعانى الصيد الاقليلا ، بل تسلب كل ذي صيد صيده .

ومن شأنها ان جناحها لايزال يخفق ، قال عمرو بن حزم :

لقد ترك عفراء قلبى كأنه جناح عقاب دائم الخفقان

وفى عجائب المخلوقات : ان حجر العقاب حجر يشبه نوى (التمر هندي) اذا حرك يسمع منه صوت واذاكسر لايوجد فيه شيء ، يوجد ذاك الحجر فى عش العقاب والعقاب يجلبه من أرض الهند ، واذا قصد الانسان عشه يرمى اليه بهذا الحجر ليأخذه ويرجع، فكأنه عرف انقصدهم اياه لخاصيته. فمن خواصه انه اذا علق على من بها عسراً لولادة تضع سريعاً ، ومن جعله تحت لسانه يغلب الخصم .

(وهذا حمام) فى الدميرى: قال الجوهري الحمام عند العرب ذوات الاطواق نحو الفواخت والقمارى وساق حر والقطا والوراشين واشباه ذلك يقع على

الذكر والانثى . وقال الاموي : الدواجن التي تستقر فى البيوت تسمى حماماً ايضاً ، وانشد للعجاج :

اني ورب البلـد المحـرم والقاطنات البيت عند زمزم

قواطناً مكة من ورق الحم ـ يريد الحمـام

وعن الاصمعى : ان كـل ذات طوق ـ أي الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة ـ فهى حمـام . وقال الكسائي : الحمام البري واليمام الذي يألف البيوت ـ الى أن قال ـ والحمام يقع على اليعاقيب والشفنين والزاغ والورداني والطوراني، والذى يألف البيوت قسمان: احدهما البرى وهو الذى يلازم البروج وما اشبهها، والثانى الاهلى ومنه الرواعب والمراعيش والعداد والسداد والمضرب والقلاب المنسوب وهو بالنسبة الى ماتقدم كالعتاق من الخيل وتلك كالبراذين .

وقال الجاحظ : الفقيع من الحمام كالصقلاب من الناس ، وهو الابيض ، وكأن فى منزل النبى صلى الله عليه وآله حمام احمر يقال له وردان .

ومن طبع الحمام انه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ، ويحمل الاخبار ويأتى بها من البلاد البعيدة فى المدة القريبة ، وفيه مايقطع ثلاثة آلاف فرسخ فى يوم واحد، وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر ثم هو على ثبات عقله حتى يجد فرصة فيطير الى وطنه. وسباع الطير تطلبه أشد الطلب، وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره ، وهو أطير منه ، ومن سائر الطير كله ،لكنه يذعر منه ويعتريـه ما يعتري الحمار اذا رأى الاسد ، والشاة اذا رأت الذئب ، والفار اذا رأى الهر .

ومن عجيب الطبيعة فيه ماحكاه ابن قتيبة فى عيونه عن المثنى بن زهير قال: لم أر شيئاً قط من رجل وامرأة الاوقد رأيته فى الحمام ، رأيت حمامة لاتريد الا ذكرها وذكراً لايريد الا انثاه الان يهلك احدهما أو يفقد ، ورأيت حمامة تتزين

للذكـر ساعة يريدها ، ورأيت حمامة تمكن غير زوجها ، ورأيت حمامة تقمط حمامة ويقال انها تبيض من ذلك ولكن لايكون لذلك البيض فـراخ ، ورأيت ذكراً يقمط ذكراً ، ورأيت ذكراً يقمط كل مالقي ولايزاوج ، وأنثى يقمطها كل مارآها من الذكور ولاتزاوج ، وليس من الحيوان مايستعمل التقبيل عند السفاد الا الانسان والحمام ، وهو عفيف فى السفاد يجر ذنبه ليعفى اثر الانثى ، كأنه قـد علم مافعلت فيجتهد فى اخفائه ، وقـد يسفد لتمام ستة أشهر والانثى تحمل أربعة عشر يوماً وتبيض بيضتين احدهما ذكر والثانية أنثى ، وبين الاولى والثانية يوم وليلة ، والذكر يجلس على البيض ويسخنه جزء من النهار والانثى بقية النهار وكذلك فى الليل ، واذا باضت الانثى وأبت الدخول على بيضها لامر ماضربها الذكر وا ضطرها للدخول ، واذا أراد الذكر أن يسفد الانثى أخرج فراخه عن الوكر ، وقدألهم هذا النوع اذا خرجت فراخه من البيض بأن يمضغ الذكر تراباً مالحاً ويطعمها اياه ليسهل به سبيل المطعم . وزعم ارسطـو ان الحمام يعيش ثمان سنين .

فيه: وفي التاريخ ان المسترشد لما حبس رأى فى منامه كأن على يده حمامة مطوقة ، فأتاه آت فقال له : خلاصك فى هذا. فقيل له : بما اولته؟ فقال : ببيت ابى تمام :

هن الحمام فان كسرت عيافة من حـاءهن فانهن حمـام

فقتل بعد ايام سنة (٥٢٩) .

وعن سفيان الثوري : كان اللعب من عمل قوم لوط .

وعن ابراهيم النخعي : من لعب بالحمام الطيارة لم يمت حتى يذوق ألم الفقـر .

وفي مسند البزاز : ان الله تعالى أمـر العنكبوت فنسجت على وجه الغـار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار ، وان ذلك مما صد المشركين

عن النبى صلى الله عليه وآله، وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين .

قلت : بل الصحيح فى حمام الحرم مارواه الكافي عن الصادق عليه السلام قال : أصل حمام الحرم حمام كان لاسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، اتخذها وكان يأنس بها .

وعنه عليه السلام . لما قال لـه رجل بلغني ان عمر رأى حماماً يطير ورجل تحته يعدو فقال شيطان يعدو تحته شيطان ، ماكان اسماعيل عليه السلام عندكم ؟ فقيل : صديق . فقال : ان بقية حمام الحرم من حمام اسماعيل عليه السلام .

هذا ، وروى عنه عليه السلام : يستحب ان يتخذ طيراً مقصوصاً تأنس بـه مخافة الهوام .

وعنه عليه السلام : شكا رجل الى النبى صلى الله عليه وآله الوحشة ، فأمره ان يتخذ فى بيته زوج حمام .

وعنه عليه السلام : ليس من بيت فيه حمام الا لم يصب اهل ذلك البيت آفة من الجن، ان سفهاءهم يعبثون فى البيت فيعبثون بالحمام ويتركون الانسان.

وعنه عليه السلام: احتفر امير المؤمنين عليه السلام بئراً فرموا فيها ، فأخبر بذلك فجاء حتى وقف عليها فقال : لتكفن أو لاسكننها الحمام . ثم قال ابوعبد الله عليه السلام : ان حفيف أجنحتها تطرد الشياطين .

وفى الدميرى : كان هارون يعجبه الحمام واللعب به ، فأهدي لـه حمام وعنده ابوالبختري القاضى، فروى له ان النبى صلى الله عليه وآله قال «لاسبق الافى خف أوحافر أو جناح» وضع (او جناح) للرشيد ، فأعطاه جائزة ، فلما خرج قال : تالله قد علمت انه كذب على النبى صلى الله عليه وآله .

(وهذا نعام) في الصحاح : النعامة من الطير يذكر ويؤنث ، والنعام اسم جنس مثل حمام وحمامة .

وفى الدميرى : قال الجاحظ والفرس يسمونها (اشتر مرغ) وتأويله بعير وطائر ، قال :

ومثل نعامة تدعى بعيراً تعاصينا اذا ماقيـل طيرى

فان قيل احملى قالت فانى من الطير المرفه فى الوكور

وتزعم الاعراب ان النعامة ذهبت تطلب قرنين فقطعوا أذنيها فلذلك سميت بالظليم .

والنعام عند المتكلمين على طبائع الحيوان ليست بطائر وان كانت تبيض ولها جناح وريش، ويجعلون الخفاش طيراً وان كان يحبل ويلد وله اذنان بارزتان وليس لـه ريش لوجود الطيران فيه ، وهم يسمون الدجاجة طيراً وان كانت لاتطير .

ومن اعاجيبها أنها تضع بيضها طولا بحيث لومد عليها خيط لاشتمل على قدر بيضها ، ولم تجد لشيء منه خروجاً عن الاخر، ثم انها تعطى كل بيضة منها نصيبها من الحضن اذ كان كـل بدنها لايشتمل على عدد بيضها ، وهى تخرج لعدم الطعم ، فان وجدت بيض نعامة أخرى تحضنه وتنسى بيضها ، ويضرب بها المثل فى ذلك ، قال ابن هرمة :

فـانى وتركـى الاكـرمين وقـدحى بكفى زنادا شحاحا

كتاركـة بيضهـا بـالعراء وملبسـة بيض اخرى جناحا

ويقال : انها تقسم بيضتها أثلاثاً ، فمنه ماتحضنه ومنه ماتجعل صفاره غذاء ومنه ماتفتحه ويجعله فى الهواء حتى يتعفن ويتولد منه دود فتغذى به فراخها اذا خرجت . والنعام من الحيوان الذى يراوح ويعاقب الذكر الانثى فى الحضن، وكل ذى رجلين اذا انكسرت له احداهما استعان بالاخرى فى نهوضه ماخلا النعامة فانها تبقى فى مكانها جاثمة حتى تهلك جوعاً ، قال الشاعر :

اذاانكسرت رجل النعامة لم تجد على أختها نهضاً ولا باستها حبوا

وليس للنعام حاسة السمع ولكن له شم بليغ، فهو يدرك بأنفه مايحتاج فيه الى السمع ، فربما شم رائحة القناص من بعد ، ولذلك تقول العرب « أشم من نعامة » كما تقول « أشم من ذرة » .

قال ابن خالويه : ليس فى الدنيا حيوان لايسمع ولايشرب الماء أبداً الا النعام ولامخ له ، ومتى دميت رجل واحدة له لم ينتفع بالباقية ، والضب ايضا لايشرب ولكنه يسمع . ومن حمقها انها اذا أدركها القناص ادخلت رأسها فى كثيث رمل تقدر أنها قد استخفت منه ، وهى قوية البصر على ترك الماء ، وأشد مايكون عدوها اذا استقبلت الريح ، وكلما اشتد عصوفها كانت أشد عدواً ، ويبتلع العظم الصلب والحجر والمدر والحديد فتذيبه كالماء .

قال الجاحظ: من زعم انجوف النعام انما يذهب الحجارة لفرط الحرارة فقد أخطأ ، ولكن لابد مع الحرارة من غزائر أخر ، بدليل ان القدر يوقدعليها الايام ولاتذهب الحجارة، وكماان جوف الكلب والذئب يذيبان العظم ولايذيبان نوى التمر ، وكما ان الابل تأكل الشوك وتقتصر عليه وان كان شديداً كشجرام غيلان وتلقيه روثاً ، واذا أكلت الشعير ألقته صحيحاً ، واذا رأت النعامة فى اذن صغير لؤلؤة أو حلقة اختطفتها ، والنعام تبتلع الجمر فيطفئها جوفه ، ولايكون الجمر عاملا فى احراقه . وفى ذلك اعجوبتان : احداهما التغذى بما لايتغذى به ، والثانية الاستمراء والهضم . وهذا غير منكر لان السمندل يبيض ويفرخ فى النار ـ واعلم حمزة يوم بدربريش نعامة .

وقالوا «مثل النعامة لاطير ولاجمل» يضرب لمن لم يحكم له بخير ولاشر.

وقالوا « أروى من النعامة » لانها لاتشرب الماء ، فان رأته شربته عبثاً .

وقالوا « ركب جناح نعامة » يضرب لمن جد في أمر .

وقالوا «تكلم فلان فجمع بين الاروى والنعامة» اذا تكلم بكلمتين مختلفتين، لان الاروى يسكن الجبال والنعامة تسكن الفيافي .

وقالوا « أحمق من نعامة » و « أجبن من نعامة » .

ومرارته سم ساعة ، وذرقه اذا أحرق وسحق وطلي على السعفة ابرأها من وقته ، وقشر بيضه اذا طرح فى الخل بعد مايخرج جميع مافيه تحرك فى الخل وزال من موضعه الى آخر، واذا عمل من الحديد الذي يأكله ويخرج منه سكين أو سيف لم يكل ولم يقم له شيء، وفى اللسان قال الشاعر :

ان بني وقدان قوم سك مثل النعام والنعام صك

سك أي صمّ .

(دعاكل طائر باسمه) الظاهر انه مأخوذ من قوله تعالى « وعلم آدم الاسماء كلها » .

وعن تفسير العياشي: سئل عليه السلام عن الاية ماذا علم آدم؟ قال: الارضين والجبال والشعاب والاودية . ثم نظر الى بساط تحته فقال : وهذا البساط مما علمه .

وفى أصل عبد الملك بن حكيم عن الصادق عليه السلام : اهدى للنبى صلى الله عليه وآله من ناحية فارس خوخ ، فوضع بين يديه فقال لابى بكر : أي شيء هذا ؟ قال : ماأعرفه . ثم قال لعمر فقال ماأعرفه ، ثم قال لعثمان فقال ماأعرفه ، ثم قال لعلي عليه السلام فقال له : بأبى انت وأمي تسميه اهل فارس الخوخ . فقال عمر ماعلم علي مايسميه اهل فارس، فوضع النبى صلى الله عليه وآله يده على علي وقال لعمر : اليك عنه ، فان الله تعالى قد علمه الاسماء التى علمها اباه آدم .

والظاهر أن المراد بالاسم المسمى ، لقوله تعالى بعد مامر « ثم عرضهم على الملائكة » والمراد بالمسمى الحقائق والا فكل اهل لغة يدعون طائراً باسم.

كما ان الظاهر ان المراد بقوله عليه السلام « دعا » الارادة بوجوده ، قال تعالى « انما امره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » ، وليس المراد الدعاء الظاهري كما فى قوله تعالى « ثم ادعهن يأتينك سعياً » .

هذا ، وفى المعجم لتينس موسم يكون فيه من أنواع الطيور مالايكون فى موضع آخر ، وهى مائة ونيف وثلاثون صنفاً السلوى . النفح المملوح . النصطفير. الزرزور. الباز الرومى. الصفرى. الدبسى. البلبل . السقاء . القمرى. الفاخته . النواح . الزريق . النونى . الزاغ . الهدهد . الحسينى . الجرادى . الابلق. الراهب. الخشاف. البزين . السلسله . درداری . الشماص . البصبص. الاخضر. الابهق. الازرق. الخضير. ابوالحناء. ابوكلب . ابودينار . وارية الليل وارية النهار. برقع ام على. برقع ام حبيب. الدورى. الزنجى. الشامى. شقراق. صدر النحاس. البلسطين. الستة الخضراء. الستة السوداء الاطروش. الخرطوم. ديك الكرم. الضريس. الرقشة الحمراء . الرقشة الزرقاء . الكسر جوز. الكسر لوز . السمانى . ابن المرعة . اليونسة . الوروار . الصردة . الحصية الحمراء. القبره. المطوق. السقسق. السلار . المرغ. السكسكة . الارجوجة . الخوخة. فرد قفص. الاورث . السلونية. السهكة . البيضاء. اللبس. العروس . الوطواط العصفور . الروب . اللفات . الجرين . القليلة . العسر . الاحمر . الازرق . البشريز . البون . البرس . البرمسى . الحصارى . الزجاجى . البج . الحمر. الرومى . الملاعقى . البط . الصينى . الغرناق . الاقرح البلوى . السطرف . البشروس. وزالفرط. ابوقلمون . ابوقير. ابومنجل. النجع الكركى . الغطاس. البلجوب. البطميس. البجوبة . الرقادة. الكروان البحرى . الكروان الحرحى.

القرلّى . الخروطة . الحلف . الأرميل . القلقوس . اللـدد . العقعق . البوم . الورشان. القطا. الدراج. الحجل . البازى . الصردى. الصقر. الهام. الغراب. الابهق . الباشق . الشاهين . العقاب . الحداء . الرخمة . ويصل اليه طير كثير لايعرف اسمه صغار وكبار .

ويمكن أن يكون قوله «دعا كل طائر باسمه» من يكون اسمها حكاية صوتها، كما فى القطاة فقالوا « اصدق من قطاة » لانها اذا صوتت عرفت ، وقالوا « أنسب من قطاة » ايضا لذلك ، ويقال لها لذلك الصادقة ، قال بردجزة السعدى :

مازلن ينسبن وهناً كل صادقة باتت تباشر عرماً غير ازواج

وفى امثال المدائنى فى « اصدق من قطاة » الضمير في « مازلن » راجع الى الاتن التى وردت الماء، ومعنى «ينسبن كل صادقة» اثارتها القطا عن اماكنها حتى قالت قطا قطا ، وجعل الفعل لهن مجازاً .

قلت : وفى الفارسية يقال لها «كغـا» ، وهو ايضا حكاية صوته واختلاف التعبير من اختلاف الطبع . وقيل فى القطا « حذاء مدبرة سكاء مقبلة للمـاء فى النحر منها نوطة عجب » . قال ابن الاعرابى : قيل لها حذاء لقصر ذنبها وسكاء لانه لاذن لها .

(وكفل له برزقه) فى توحيد المفضل : فكر في حوصلة الطائر وماقدر له ، فان مسلك الطعام الى القانصة ضيق، لاينفذ فيه الطعام الاقليلا قليلا، فلو كان الطائر لايلقط حبة ثانية حتى تصل الاولى الى القانصة لطال عليه ، ومتى كان يستوفي طعمه فانما يختلسه اختلاساً لشدة الحذر، فجعلت له الحوصلة كالمخلاة المعلقة أمامه ليوعى فيها ماأدرك من الطعم بسرعة ، ثم تنفذه الى القـانصة على مهل . وفى الحوصلة ايضا خلة أخرى ، فان من الطائر مايحتاج الى أن يزق فراخه فيكون رده للطعم من قرب أسهل عليه .

(وأنشـأ السحاب الثقال) « وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته

حتى اذا أقلّت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » .

(فأهطل) أي تتابع وأدام (ديمها) مطرها الذي ليس فيه رعد ولابرق ، قال امرؤ القيس .

ديمة هطلاء فيها وطف طبق الارض تجرى وتدر

(وعدد قسمها) فى توحيد المفضل : فكر في الصحو والمطر كيف يتعاقبان على هذا العالم بمافيه صلاحه، ولودام أحدهما عليه كان فى ذلك فساده، ألاترى أن الامطار اذا توالت عفنت البقول والخضر واسترخت أبدان الحيوان وحصر الهواء ، فأحدث ضروباً من الامراض وفسدت الطرق والمسالك ، وان الصحو اذا دام جفت الارض واحترق النبات وغيض ماء العيون والاودية ، فأضر ذلك بالناس وغلب اليبس على الهواء ، فأحدث ضروباً أخرى من الامراض ، فاذا تعاقبا على العالم هذاالتعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما عادية الاخر، فصلحت الاشياء واستقامت .

(فبل الارض بعد جفوفها) بابعاد الشمس عنها وانزال المطر عليها « أو لم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون » .

وفى توحيد المفضل : تأمل نزول المطر على الارض والتدبر فى ذلك ، فانه جعل ينحدر عليها من علو ليغشى ماغلظ وارتفع منها فيرويها ، ولوكان انما يأتيها من بعض نواحيها لما علاالمواضع المشرفة منها ويقل مايزرع فى الارض ألاترى انالذي يزرع سيحاً أقل من ذلك، فالامطار هى التى تطبق الارض وربما تزرع هذه البرارى الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلة الكثيرة ، وبها يسقط عن الناس فى كثير من البلدان مؤنة سياق الماء من موضع الى موضع

ومايجري فيذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتى يستأثر بالماء ذوو العزوالقوة ويحرمه الضعفاء .

ثم انه حين قدر قدر أن ينحدر على الارض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيهاً بالرش ليغور فى قعر الارض فيرويها، ولو كان يسكبه انسكاباً كان ينزل على وجه الارض فلايغور فيها، ثم كان يحطم الزروع القائمة اذا اندفق عليها فصار ينزل نزولا رقيقاً فينبت الحب المزروع ويحيى الارض والزرع القائم ، وفى نزوله ايضاً مصالح أخرى فانه يلين الأبدان ويجلو كدر الهواء، فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ويغسل مايسقط على الشجر والزرع من الداء المسمى باليرقان الى أشباه هذا من المنافع .

(واخرج نبتها بعد جدوبها) اي قحطها .

وفى توحيد المفضل : ولو أن ملكاً من الملوك قسم فى اهل مملكته قناطير من ذهب وفضة ، ألم يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت ، فأين هذا من مطرة رواء يعم به البلاد ويزيد فى الغلات اكثر من قناطير الذهب والفضة فى أقاليم الارض كلها ، أفلاترى المطرة الواحدة ماأكبر قدرها وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون ، وربما عاقت عن أحدهم حاجة لاقدر لها فيتذمر ويسخط ايثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه جميلا محمود العاقبة وقلة معرفة لعظيم الغناء والمنفعة فيها .

فهرس الكتاب

الفصل العاشر

(فى علمه عليه السلام وفي صفحه ومكارم أخلاقه)

كلامه عليه السلام لكميل بن زياد النخعى	٣
كلام حول القلب	٥
تقسيم الناس الى ثلاثة أقسام	٦
نماذج من قصص الهمج الرعاع	٧
التحريص على طلب العلم والتحلي به	١٠
فى علم علي عليه السلام	١٣
اللقناء الذين لايتفكرون	١٩
موت العلم بموت حامليه	٢٣
النظر الى الاجنبية ومفاسده	٢٤

كلام احد الخوارج في الطعن على علي عليه السلام ٢٩
كلامه عليه السلام لدهاقين الانبار ٣٢
كلامه عليه السلام لمادحيه فى وجهه ٣٤
كلامه عليه السلام لرجل أفرط في الثناء عليه ٣٥
كلامه فى الغيظ واطفاء الغضب ٣٦

الفصل الحادى عشر

(فى تفسيره للايات ولغيرها واستشهاده بآيات)

تفسير انا لله وانا اليه راجعون ٣٨
تفسير فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة ٤٠
تفسير ان الله يأمر بالعدل والاحسان ٤٠
معنى لاحول ولاقوة الابالله ٤١
الزهد بين كلمتين من القرآن ٤٣
الامان على الخير واليأس على الشر ٤٥
من اعطي أربعاً لم يحرم أربعاً ٤٨

الفصل الثانى عشر

(فى قضاياه عليه السلام)

قضاؤه عليه السلام فى حلي الكعبة ٥٠
اشاراته عليه السلام على عمر ٥٣
تقسيم الاموال فى القرآن ٥٥
حلي الكعبة ليس من الاموال المذكورة فى القرآن ٥٧

موارد أرشد عليه السلام عمر الى الصواب ٥٨
كتاب ملك الروم وجوابه عليه السلام عليه ٦٩
قضاؤه عليه السلام فى رجلين سرقا من مال الله ٧٣

الفصل الثالث عشر

(فى اجوبته التمثيلية وأدب السؤال والجواب)

عدم سماع الاقاويل فى الاخوان ٧٦
شواهد كون مالم تره العين باطل ٧٩
محاسبة الله تعالى الخلق على كثرتهم ٨١
الارزاق من أين تأتي ٨٣
مسافة مابين المشرق والمغرب ٨٥
العدل أفضل أم الجود ٨٦
سؤال الجاهل وسؤال العالم ٨٧
النهي عن السؤال عمالايكون ٨٩
اذا ازدحم الجواب خفي الصواب ٩٠
الكلام كالشاردة ٩١

الفصل الرابع عشر

(فى زهده عليه السلام واعراضه عن الدنيا)

كلامه عليه السلام بالبصرة حين دخل على العلاء الحارثى ٩٣
ترجمة الربيع بن زياد الحارثى ٩٤
كلام حول عاصم بن زياد الحارثى ١٠٠
ترقيعه عليه السلام مدرعته ١٠٤

بعض الامثال العربية	١٠٦
اللباس الخلق يوجب الزهد	١٠٩
خطابه عليه السلام للدنيا	١٠٩
نماذج من كتب الملوك الى ملك فارس	١١١
مصير أبناء الدنيا	١١٢
رياضته عليه السلام لنفسه	١١٦
خطبته عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة	١٢١
الدنيا أهون عند علي من عراف خنزير	١٢٣
خبرضرار بن ضمرة الضبابى	١٢٤
كلام ضرار عند معاوية فى زهد علي عليه السلام	١٢٤
وصف عبادته عليه السلام	١٢٨
اعراضه عليه‌السلام عن الدنيا	١٣٠
خبر نوف البكالي	١٣٥
بعض أوصاف الزاهدين فى الدنيا	١٤٠
خطبته عليه السلام بصفين	١٤٣
حقه عليه السلام على المسلمين	١٤٩
خبر الحقوق عن السجاد عليه السلام	١٥٠
نتيجة اضاعة الحقوق	١٥٦
اعتراض بعض اصحابه على كلامه عليه السلام	١٥٨
وفود سودة بنت عمارة على معاوية	١٦٢
اتمام الحجة على أصحابه عليه السلام	١٦٥
كتابه عليه السلام الى سهل بن حنيف الأنصارى	١٦٨

كتابه عليه السلام الى عثمان بن حنيف الانصارى ١٧١
تعنيفه على ابن حنيف فى حضوره المآدب ١٧٢
الاقتداء بالائمة ١٧٧
بعض ماجاء فى حاتم الطائى ١٨٩
مشاركة علي عليه السلام فى مكاره الامة ١٩٢
كلامه عليه السلام فى التسوية فى العطاء ١٩٤
عدله عليه السلام فى القسمة بالسوية ١٩٧
النصر على الأعداء بالجور ٢٠١
كلامه عليه السلام مع عبدالله بن زمعة ٢١٣
كلامه عليه السلام فى اجتنابه عن غصب حقوق الامة ٢١٦
ماورد فى ظلم الناس حقوق ٢٢١
ماورد فى عقيل بن ابى‌طالب ٢٢٤
احمائه عليه السلام الحديدة لعقيل ٢٢٨
كلامه عليه السلام عند ماأهدى له بعض أصحابه الحلواء ٢٣٣
تقسيم الدنيا الى سبعة أقاليم ٢٣٦

الفصل الخامس عشر

(فى التزامه عليه السلام بالحق والعدل)

وصيته عليه السلام كان يكتبها لعماله على الصدقات ٢٤٠
وفود أثروى بنت الحارث على معاوية ٢٤٥
آداب عمال الصدقات مع المصدقين ٢٤٧
كتابه عليه السلام الى العمال الذين يطأ الجيش عملهم ٢٥٣

كتابه عليه السلام الى أمرائه على الجيوش ٢٥٩
كتابه عليه السلام الى عماله على الخراج ٢٦٦
عهده عليه السلام الى بعض عمال الصدقة ٢٧١
كتابه عليه السلام الى الاسود بن قطبة ٢٧٧
كتابه عليه السلام الى قثم بن العباس ٢٨٠
كتابه عليه السلام الى بعض عماله ٢٨٦

الفصل السادس عشر

(فى أدعيته عليه السلام)

دعاؤه عليه السلام فى طلب المغفرة ٢٨٩
من دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيراً ٢٩١
دعاؤه عليه السلام فى طلب الرزق ٢٩٨
دعاؤه عليه السلام عند المسير الى الشام ٣٠٢
دعاؤه عليه السلام فى المناجاة ٣٠٤
خطبته عليه السلام المعروفة بالاشباح ٣١٢
دعاؤه عليه السلام عند ملاقاة العدو ٣١٤
دعاؤه عليه السلام على الناكثين ٣٢٠

الفصل السابع عشر

(فى وصفه عليه السلام لعجائب الخلقة)

وصف خلقة الخفاش ٣٢٤
وصف عجائب خلقة الطاوس ٣٣٣

انواع الحيتان وعجائب خلقتها	٣٥٣
غرائب خلقة الفيل	٣٥٤
عجائب خلقة اصناف من الحيوانات	٣٥٨
عجائب النملة	٣٦١
وصف عجائب خلقة النخل	٣٦٨
فى غامض اختلاف كل حي	٣٧٢
عجائب السماء والهواء والرياح	٣٧٨
عظمة خلقة الشمس	٣٨٠
كيفية خلقة النبات والشجر	٣٨٢
الكلام فى اختلاف الليل والنهار	٣٨٥
عجائب البحار والجبال	٣٨٦
الرد على الماديين الملحدين	٣٨٧
عجائب خلقة الجراد	٣٩٤
الطير وعجائب خلقته	٣٩٦
عجائب اخلاق الغراب	٣٩٨
عجائب خلقة العقاب	٤٠٠
عجائب خلقة الحمام	٤٠٢
عجائب خلقة النعام	٤٠٥
فى اصناف الطيور	٤٠٨
فى نزول المطر	٤١٠
فهرس الكتاب	٤١٣

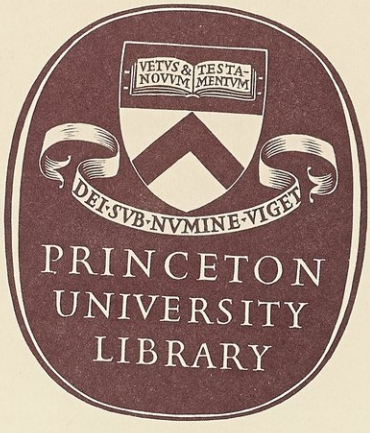
VETVS & NOVVM TESTA-MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 047142458